

القسم الثانى

تحقيق النص

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله خير من نطق بالعربية ، وأفصحهم لسانا ، وأوضحهم بيانا وبعد ،

فإن تحقيق الكتب المخطوطة ونشرها ضربٌ من التأليف أمام الحقائق التي ترد في تلك الكتب محرّفة ، فيقوم المحقّق بتحريرها وتحقيقها ، مستشيراً في ذلك مرجعا ومرجعا ، ولا يخفى ما في ذلك من المجهود المُضني في تصويب الكلمات المحرّفة وردّها إلى أصلها الصحيح، وشرحِ المستغلَق من الألفاظ ، والتعريفِ بالأعلام التي تَرِد في الكتاب يحيط بها جوّ من الغموض ، وتحقيقِ الحوادث التاريخيّة والجغرافية بالرجوع إلى مَظانّها ، وتحريرِ الشّعر وصحّة نسبته إلى قائليه بالرجوع إلى دواوين الشعراء وكتب الأدب والتاريخ وغيرها ليتأدّى الشعر سليما صافيا ، مع الإشارة إلى رواياته المختلفة .

وغير خاف أن في تحقيق هذه الذخائر ونشرها إذكاء لنار قد خَمَدت وليس ينبغي لها أن تَخمُد ، وإذاعة لنور قد خبا وليس ينبغي له أن يخبو ، وإنطاقا لألسنةٍ قد أمسكتْ وليس ينبغي لها أن تُمسِك . فإن كلّ أمّة تعتمد في في استيفاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضَرْب من الضروب ، وشكل من الأشكال ، وربما يذهبُ الأديب وتَبقَى كُتبُه ، ويذهب العقلُ ويَبقَى أثرُه،ولولا ما أُودعت لنا الأوائلُ في كُتبِها ، وخلّدتْ من عجيب حِكَمِها ودوّنتْ من أنواع سِيَرِها ، حتى شاهدنا بها ما غاب عنّا ، وفتحنا بها كل مستغلَق علينا ، فجمعْنا إلى قليلنا كثيرَهم، وأدركْنا ما لم نكن ندركه إلا

بهم؛ لقد خس حظنا من الحكمة ، وضعف سببنا إلى المعرفة [1] ؛ وإنى اهتديت إلى أثر خالد من آثار السابقين قمت بتحقيقه ما أمكن ، ووضعته بين يدى القارىء حتى يلمس مدى الجهد الذى لاقيته فى سبيل تحقيقه ، وتوثيق نصوصه ، وهو « كتاب بديع القرآن » لزكىّ الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر المعروف بابن أبى الإصبع العدوانى ، وسوف أتكلّم فى هذه المقدّمة عن فصلين: الفصل الأول عن النسخ التى اعتمدت عليها فى مقابلة وتحقيق نصّ الكتاب ، والثانى عن الطريقة التى سرتُ عليها فى تحقيقه ، وأسأل الله التوفيق والسداد فى القول والعمل .

---

(١) الحيوان للجاحظ ١ : ٨٥



الفصل الأول

سوف أتكلم فى هذا الفصل عن النسخ التى اعتمدتُ عليها فى تحقيق كتاب « بديع القرآن » مبيّنا فيه كلّ نسخة ومميزاتها ووصفها، وسبب تقديمها على غيرها، وسأذكر هذه النسخ بالترتيب حسب استعمالها فى التحقيق، مبتدئا بالأصل الذى اعتبرته أما لهذا الكتاب .

الأصـــل

هذه النسخة مصوَّرة على الميكروفلم بالجامعة العربية تحت رقم ١٢٢١، وهى مصوَّرة عن النسخة المخطوطة والمحفوظة فى مكتبة مدينة استانبول تحت رقم ١٧١ فى ٩٨ ورقة ومقاسها ١٨ × ٢٥ ومسطرتها ٢٥ سطرا، ولقد قمت بتصويرها على الفتوستات، وجعلتها أصلا لهذا الكتاب للاعتبارات الآتية :

أولا : قِدَم خطّها، حيث جاء فى آخرها هذه العبارة (تمّ كتاب بديع القرآن المجيد وعدة أبوابه مائة باب وثلاثة أبواب، وتمّ بتمامه كتاب (البرهان فى إعجاز القرآن) ، و نسِختْ على يد الناسخ عبد الغنى بن الحسين بن يحيى الجَزَرىّ العُمَرىّ القرشىّ، وذلك بمدينة دِمَشق فى العشر الأخير من شهر جُمادى الأولى من شهور سنة ٦٩٥) أى بعد وفاة المؤلف بنحو أربعين عاما .

ثانيا : كونها تامّة الأنواع البديعيّة التى تحدّث عنها المؤلّف فى كتاب « بديع القرآن »، وإن كان بها خَرْم ترتّب عليه عدم ورود تلك الأنواع البديعيّة فيها، وهى : (١) الانسجام، (٢) براعة التخلّص، (٣) جزء يسير من أوّل باب البسط .

ولعلّها هى المبيضة التى حرّرها ابن أبى الإصبع أو أُخذتْ عنها .

ثالثا : كتِب على اللوحة الأولى من هذه النسخة هذا العنوان (كتاب بديع القرآن المجيد، للشيخ زكىّ الدين عبد العظيم بن أبى الإصبع رحمه الله)

ولا شكّ أن وجود هذا العنوان بخطّ ناسخ النسخة فى هذا التاريخ القديم لدليل قوىّ على أن المؤلّف سمّاه (بديعَ القرآن) ليُثبت فيه أسرارَ الإعجاز فى القرآن ، ثم يلى عنوان هذه النسخة عدّة تمليكات يرجع زمنها إلى القِدَم ، وهذا ما رجح لدىّ أن أقدّم هذه النسخةَ على غيرها ؛ وأجعلها أصلا أعتمد عليه ، لكمالها من حيث الأنواع ، وقِدَمِها من حيث الخطّ ، وهى وإن كانت لم تَخْلُ من بعض أخطاء وتحريفات ، إلا أن ذلك يعدّ تافها بمقارنتها بغيرها من النُّسَخ .

وهناك خلافات بينها وبين غيرها من النسخ الأُخرى فى المقدّمة ، وفى بعض العبارات التى لا تؤدّى إلى اختلاف المعانى ، مما جعلنى أرجع ذلك إلى النسّاخ ، وعلى كلّ فالنسخة جيّدة الخطّ ، كاملة الأنواع ، وإن كانت العبارة الأخيرة فيها تقول : « إن ما بها مائة باب وثلاثة أبواب ، ولكن الحقيقة أن النسخة تحتوى مائة باب وتسعة أبواب ، وهذا الخلاف مما لا شك فيه راجع إلى الناسخ ، لأنه نَقَل هذه النسخة عن غيرها من النُّسخ التى ربما تكون هى المسودّة وفيها نفس الخاتمة التى توجد وتختم بها جميع النُّسخ .

نسخة (أ)

هذه النسخة مصوّرة على الميكروفلم بالجامعة العربية تحت رقم ٩٤٣ عن النسخة المخطوطة والمحفوظة بمكتبة (قليج على) باستنبول تحت رقم ٤١ وعدد أوراقها ١٨٥ ورقة ، مقاسها متوسّط ، ومسطرتها ١٥ سطرا ، وهى مكتوبة بخطّ متوسّط الحجم ، يرجع نسخها إلى القرن السابع ، وقد كُتِبَتْ عليها إدارة إحياء المخطوطات بالجامعة العربية مايفيد أنها مكتوبة فى عهد المؤلّف ، ولعلّ الدافع لها على هذا الحكم ورود عبارةٍ فى أوّل المقدّمة اعتَمَد عليها رجالُ الإدارة فى هذا الحكم ، وهذا نص العبارة : « قال الشيخ الإمام الفاضل الأوحد زكىّ الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله ابن ذى الإصبع المدوانى طوّل الله مدّته ، ورفع فى الدارين درجته » وهذه



العبارة الأخيرة « طوّل الله مدّته » هي التي أوحت إلى رجال المخطوطات بالجامعة العربيّة بالحكم السابق ، ولكنْ ما المانع أن تكون هذه النسخة قد أُخذتْ عن نسخة أخرى كُتبت في عهد المؤلّف ، والناسخ نقل هذه العبارة دون أن يتحرّى الصواب وهي وإن كان خطّها يرجع إلى القرن السابع ، إلا أنه لا يمكن الإثبات القطعيّ بأنها كتبتْ في عهد المؤلّف ، وخاصّة فإنها مجهولة الناسخ ، وهذا ما جعلني أقدّم عليها نسخة (مدينة) « الأصل » لأنها مكتوبة في القرن السابع أيضا ، ومعلومة الناسخ ، وتُضارِعها في الخطّ والورق والمداد .

وقد كتب عُنوان هذه النسخة (البرهان في إعجاز القرآن) ولكنها خُتمتْ بالخاتمة التي خُتِم بها الأصل السابق ، وهذه النسخة تحوى من أنواع البديع مائة نوع وثلاثة أنواع فقط ، وتَنقص عن الأصل ، وباقي النسخ ستّة أنواع هي : (١) باب الموازنة ، (٢) التسميط ، (٣) الطاعة والعصيان ، (٤) التفصيل ، (٥) الإلجاء ، (٦) التفريق والجمع . كما أنها تخالف الأصل والنسخ « د ، ت ، س » في المقدّمة ، وهذا الخلاف لا يؤدّى كذلك إلى تغيير في المعنى ، ثم يتكلّم في مقدّمة هذه النسخة بما يفيد أن « بديع القرآن » مفرَد من « بديع الكلام الموسوم بتحرير التحبير » والحقيقة أن من يطالع هذا النصّ يلمَسُ معارضتَه للنصوص التي تقول بأنه تتمّة (البرهان) ثم يورد في وسط المقدّمة فهرسا لأنواع البديع الموجودة في كتاب « بديع القرآن » وتظهر اجِدّة في عبارة هذه النسخة ، كما يوجد اختصار وإطناب في عباراتها ، وبديهيّ أن هذا الاختصار ، وذلك الإطنابَ لا يضُرّان بالمعنى المقصود ، مما يدُلّ على أن ناسخَها عالم له دراية واسعة بالأدب والبلاغة ، كما يظهر على اللوحة الأولى منها عدّة تعليقات وقراءات وتبدو على صفحاتها تصحيحات لاحظتها أثناء التحقيق ، ولعلّ هذه النسخة هي المسودّة لكتاب « بديع القرآن » المبيضة للأصل السابق ، وليس هذا بغريب على المؤلف ، فهذا صنيعُه في كتاب « تحرير التحبير » إذ له مسودّة مختصرة انتهى إليها تحرير الكتاب .



نسخة (ب)

هذه النسخة التى رمزتُ لها بالحرف (ب) مصوَّرة أيضا على الميكروفلم بالجامعة العربيــــة تحت رقم ٨١١ و٨١٢ ، عن نسخة مخطوطة ومحفوظة بمكتبة (لاله لى) باستنبول تحت رقم ٧٧٧٥ مقاسها متوسّط ، ومسطرتها خمسة عشر سطرا ، وهى معنونة أيضا بعنوان (البرهان فى إعجاز القرآن) ومما لا شكّ فيه أننى بعد مراجعتى لهذه النسخة أيقنتُ أنها مأخوذة عن النسخة (ا) لأنها تتّفق معها فى المقدّمة والعنوان والفهرس الموجود بها ، ولكن العبارة التى أوهمتْ رجالَ المخطوطات بالجامعة العربيّة استبدلت بـ (رحمه الله) مما جعلتهم يحكمون عليها بأنها استُنسِختْ فى القرن السابع ، وهى مثل النسخة السابقة ، غير معروفة الناسخ ولا تاريخ النسخ ، كما أنها تتّفق معها فى عدد الأبواب التى وردت فيها ، إلا أن النسخة (ب) قد زادت عن النسخة (ا) ثلاثة أنواع كتبت على الهامش ، ولعلّ هذه الزيادة من فعل قارئ لهذه النسخة لأن الخط مخالف لخطّ الأصل الذى كتبت به النسخة ، فلعلّ القارئ زاد هذه الأبواب من نسخة أخرى كاملة الأنواع . والأبواب التى كتبت على الهامش هى : (١) الموازنة ، (٢) التسميط ، (٣) الطاعة والعصيان) وقد لاحظتُ على هذه النسخة أن كاتبها قد أثبت أسماء السُّوَر التى منها الآيات موضع الاستشهاد على الهامش ، كما أنه يثبت بعض الزيادات التى تنقصها هذه النسخة والنسخة (ا) عن باقى النسخ على الهامش ويبدو ذلك جليا واضحا فى (التلفيف) ، (حسن البيان) ، (الاستقصاء) كما أننى لاحظت فى هذه النسخة أن تذكر أبوابا فى الفهرس الموجود فى المقدّمة ولا تذكرها فى الأصل كما هو الحاصل فى بابى (الطاعة والعصيان) ، (وحسن الاتباع) أو يكون العكس ، هو ألا تذكر أبواب فى الفهرس ثم تذكر فى أصل النسخة ، كما هو الحاصل فى باب (التشكيك) ، أو أن مكانه فى الفهرس يغاير مكانه فى الأصل ، كما هو الحاصل فى باب (التنظير) ، ولكنها تختلف فى الخاتمة حيث تختم بقوله : (تمّ كتاب بديع القرآن المجيد بحمد الله سبحانه وحسن إفضاله ، وصلواته على خير خلقه وآله ، وعدّة أبوابه مائة باب

وثلاثة أبواب ، كما أنه يوجد فى آخرها مقابلةٌ على الأصل المنقولة عنه ، وبآخرها خَتْم كتب فيه وقفيّة هذا نصها (هذا وقف سلطان الزمان الغازى سلطان سليم خان ابن السلطان مصطفى خان عفا عنهما الرحمن) والنسخة الأصليّة المخطوطة التى صُوّرتْ عنها هذه النسخة مكتوبةٌ بخط واضح ، وقد طمَت عليها الأرَضة فى أوّلها ، ولهذا آثرتُ تقديمها على ما يأتى بعدها من النُّسَخ لقِدَم خطّها الّذى يرجع إلى القرن السابع الهجرىّ .

نسخة (د)

هذه النسخة رمزتُ لها بالحرف (د) نسبة إلى دار الكتب المصرية مقاسها ٢٢ × ١٦ ومسطرتها ١٩ سطرا بقلم معتاد ، ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٠ بلاغة ، وقد كُتبتْ بخطّ محمد بن أحمد بن شيبان ، وفرغ من كتابتها فى الثامن عشر من شهر المحرم سنة ٧٠٧ هـ وهى مجلّدة مع نسخة مخطوطة لكتاب (نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز للرازىّ) وفى أول هذه المجموعة بعد إيراد اسم كتاب الرازى ، ورد هذا الاسم للكتاب « وفيه أيضا بديع القرآن الذى هو تتمة الإعجاز لابن ظافر رحمه الله » وهى ٢٥٣ ورقة .

وفى أول نسخة « بديع القرآن » فهرس لأبواب الكتاب ، وعدّة الأبواب الواردة فى هذا الفهرس ١٠٩ ولكن ورد فى (ص ٢) من المقدّمة أن عدد هذه الأبواب ١٠٨ وفى آخر النسخة وردت هذه العبارة (تمّ كتاب بديع القرآن على يد العبد الضعيف محمد بن أحمد بن شيبان فى ثامن عشر المحرم سنة سبع وسبعمائة فى المدرسة الضيائية) ، كما يوجد فى آخرها مقابَلةٌ هذا نصّها (قوبل ولله الحمد وصحّ بعض الصّحة) وعلى كلّ فالذى لاحظته على هذه النسخة الخطّ الجيّد ، والعبارة الصحيحة ، مما يدلّ على أن ناسخها كان من العلماء الذين لهم صِلةٌ وثيقة بعلوم البلاغة .

نسخة (ت)

هذه النسخة مخطوطة ومحفوظة بمكتبة المرحوم أحمد تيمور تحت رقم ٢٦٠ تفسير تيمور ، مقاسها ٢١ × ١٤ ومسطرتها ٢٣ سطرا وقد كتبت بخط جميل ، ونسقت تنسيقا بديعا ، بالصفحة الأولى منها تمليك هذا نصه : «تملكه أفقر الورى لرحمة ربّ العالمين السيد محمد زكى حميد باشا زاده ، أناله الله تعالى فى الدارين مرَاده، وختَم له ولأسلافه ولجميع المسلمين بالسعادة ، بحرمة محمد صاحب الشفاعة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين ، والحمد لله ربّ العالمين سنة ١٢٩٣ هـ لتسعة خلت من شهر رجب الفرد » .

وكتب بأعلى هذا النص فى نفس الصحيفة العنوان الآتى (كتاب بديع القرآن لابن أبى الإصبع رحمه الله تعالى المتوفى سنة ٦٥٤) ومقدّمتها تختلف فى بعض العبارات عن سائر النسخ ، ولعلّ ذلك راجع إلى تصرّف الناسخ كما قلت سابقا ، كما أنها تجمع مع الخط الجميل التصحيفَ والتحريفَ الواضحَين فى بعض العبارات ، وفى آخرها خاتمة هذا نصّها : (تمّ بديع القرآن العزيز بعون الله سبحانه وتعالى وأنا الفقير السيد عثمان محمد الفارضى عفى عنه) كما يوجد فى آخرها ترجمة قصيرة للمؤلف منقولة عن كتاب (المنهل الصافى) لابن تغرى بردى صاحب (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة) ، وفهرس للأنواع البديعية الموجودة فى النسخة وعددها ١٠٩ ولكن ورد فى الصحيفة الخامسة من المقدمة أن عدد الأبواب ١٠٨ وهذا خلاف الواقع ، إذ أن الأنواع الموجودة فعلا فى النسخة ١٠٩ .

نسخة (س)

هذه النسخة مخطوطة بقلم معتاد سنة ١٣٩٦ هـ ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٤٦ تفسير فى ١٥١ ورقة ومقاسها ٢٢ × ١٦ ومسطرتها ٢١ سطرا وخطها واضح ، ولكنه قليل الجودة ، وقد كتب على الصفحة الأولى منها ما نصه : (مشترى من قومسيون حصر الأملاك بالضبطية ومضافة

فى ٢٣ يونية سنة ١٨٨٣ م) وبعد ذلك فى نفس الصحيفة عنوان الكتاب كما يأتى (كتاب بديع القرآن تأليف زكى الدين أبى محمد عبد العظيم بن عبد الواحد ابن ظافر البغدادى ثم المصرى المتوفى سنة ٦٥٤ هـ) كما كتب بهامش الصفحة الأولى بجانب العنوان هذه العبارة : (تتمة الإعجاز) ومقدّمتها كمقدمة نسخة (د) كما أنها تتفق معها فى كثير من الأشياء حتى فى التحريف والتصحيف الموجودين فيها ، مما يدل على أنها مأخوذة عنها ، كما وجد فى آخر المقدمة ما يفيد أن عدد الأبواب ١٠٨ ، ولكن أبواب النسخة مرقمة وآخرها ١٠٩ وهو الواقع وقد كتب فى آخرها ما نصه : « تم بديع القرآن ، فى اليوم الثانى عشر من شهر رمضان المعظم من أحد شهور سنة ١٢٩٦ من هجرة نبيه الكريم صلى الله عليه وعلى أصحابه أفضل الصلاة وأتم التسليم » .

الفصل الثاني

بعد أن بيّنت النُّسَخ التي اعتمدت عليها في تحقيق هذا الكتاب سآخذ في هذا الفصل في بيان الطريقة التي سرتُ عليها في التحقيق وهي أني قد اهتديت إلى نسخه التي بينتها سابقا ، ما بين مصوّرة ومخطوطة جهد طاقتي ، وهذه على كثرتها مشحونة بالتصحيف والتحريف ، والإعجام والإهمال ، والحذف والزيادة ، وما إلى ذلك مما جعلني أبذُل مجهودا كبيرا في تقويم المعوّج من عباراتها وتصحيح كثيرٍ من الأخطاء التي لو بقيتْ على حالها لظلّ الكتاب مشوّها ، وحالت دون الإفادة منه ، وبما أن موضوع الكتاب في مُجمَله ينصبّ على بيان ما جاء في القرآن الكريم من أنواع البديع،فإني سوف أبيّن ما قمت به أثناء تحقيقي لهذا الأثر العظيم :

١ — بذلتُ في ضبطه وخاصّة موضع الاستشهاد من آيات القرآن الكريم ما استطعت من قوّى حتى تَسهُل قراءته ويتيسّر فهمُه .

٢ — رأيت كثيرا من ألفاظه بحاجة إلى الشرح لغرابتها ، وندرة ورودها فأثبتّ ذلك تعليقا في أسفل صفحاته ، راجعا في ذلك إلى كثير من أمّهات الكتب الأدبية واللغويّة والتاريخية وغيرها . أما مالم أهتد إلى ضبطه من الألفاظ أو مالم أستطعْ تحريره من العبارات — وهو نادر جداً — فقد أشرتُ إليه في ذيل بعض الصفحات .

٣ — لم أدع تفسيراً لبيت ولا رواية فيه إلاّ نبهّتُ عليه ، مشيرا إلى المصدر الذي جاء فيه ، أو نقلتُه عنه ، كما أنني لم أدع تفسيراً للفظ غريب في بيت من أبيات الشِّعْر إلا رجعتُ إليه فيما لديّ من المظان ، كما أنني نسبتُ كلّ شعر ورد في هذا الكتاب إلى قائله ، مبيِّنا الروايات التي ورد بها ذلك الشعر في كل المصادر التي نقلتُ عنها ، وقد يَنسب المؤلف بيتا أو أبياتا من



الشعر إلى غير قائلها ، فأثبت الصحيح[1] جهدَ طاقتى .

٤ — وقد نسبت كلّ نوع من الأنواع البديعية إلى مصدره الذى جاء فيه وجعلته كفهرس للكتب التى تكلمتْ عن هذا النوع ، مبينا الجزء والصحيفة حتى يَسهل البحث على الباحث إذا ما أراد أن يَعرف شيئا عن نوع من أنواع البديع ، تاركا فى ذلك الكتب والمصادر التى تواردتْ على ذكر نوع من الأنواع مادام المتأخر لم يزد على المتقدّم شيئا .

٥ — كذلك نسبتُ كلّ آية من آيات القرآن الكريم استشهدَ بها المؤلف على النوع البديعىّ إلى سُورتها التى وردتْ فيها ، مع بيان رقمها منها ، كما أن المؤلف قد لا يلاحظ ترتيبا فى الآية ، ويختلط ذلك عليه ، فيقدّم أو يؤخّر فيها ، فأضع الحقّ فى نِصابه ، وأصحّح الآية كما وردتْ فى موضعها من القرآن الكريم[2] .

وقد تسقط آية قرآنية من الأصل يُستشهد بها ، ولا يَتمّ المعنى بدونها ، بينما وردت هذه الآية فى نسخة أخرى غير الأصل ، فأستكملها ، وأشير إلى ذلك فى الهامش حتى أورد النصّ واضحا سليما[3] .

كما أننى نسبتُ ما ورد فى هذا الكتاب من الأحاديث النبوية ، مشيرا إلى المصادر التى وردتْ فيها .

٦ — وقد قمتُ بمعارضة نصوصه ، مثبتا ما ورد فى الأصل فى صلب الكتاب ، وما خالف هذا الأصل أثبته فى الهامش ، منبّها على ذلك برقم من الأرقام ، اللهمّ إلا إذا كان ما ورد فى الأصل مُفسدا للمعنى ، أو أصابه تحريف أو تصحيف من الناسخ ، ولا يمكن إثباته فى الأصل مكانه ما ورد سليما فى النُّسخ الأخرى ، حتى يتأدى المعنى سليما واضحا ، كما قد تكون هناك عبارةٌ طويلة

---

(١) انظر بديع القرآن باب الافتتان عند كلامه على قول الشاعر :

أحبك ياظلوم وأنت منى الخ ...

(٢) انظر بديع القرآن باب الإيضاح آية ٦١ من سورة النور .

(٣) انظر بديع القرآن باب الإيضاح آية ٢٧ من سورة آل عمران .



ساقطة من الأصل يضطرب المعنى بدونها ، فى حين أنّ هذه العبارة موجودة صحيحة كاملة فى بعض النسخ الأخرى ، فأضمها فى الأصل ، منبّها على ذلك فى الهامش[١] ، وقد يكون النص الذى نقل عنه المؤلف محرّفا ، أو سقطت منه بعض الكلمات التى تؤدّى سقوطها أو تحريفها إلى فساد المعنى ، فأثبت الزيادة ، وأصحّح التحريف فى الأصل[٢] .

٧ — وقد يوجد فى الأصل تحريف أو تصحيف يؤدى إلى اختلاف النص وضياع معناه ، بينما يصح هذا المعنى ويتضح فى نسخة أخرى ، فأضع الصحيح فى الأصل ، وأشير إلى ذلك فى الهامش ، حتى يتأدى المعنى ، كاملا واضحا[٣] كما قد تكون فى الأصل زيادة تؤدّى إلى اختلاف المعنى ، ويتضح هذا الاختلاف بإسقاط هذه الزيادة حسبما وردت فى النسخ الأخرى[٤] ، أو قد يكون مكان العبارة أو الكلمة بياض بالأصل ، فيستكمل هذا النقص من النسخ الأخرى[٥] .

٨ — وقد يورد الأصل عبارات مكررة ، فأحذف المكرّر ، وأنبّه إلى أن الصواب فى حذفه ، كما أننى لم أدع خلافا فى قراءة من القراءات إلا نبّهت إلى روايتها والمصدر الذى نقلتُ عنه .

٩ — وأخيرا قمتُ بعمل فهرس جامع ، للكتاب يشتمل على موضوعاته التى تكلم عنها المؤلف مرتبة حسب ورودها فيه .

وفهرس للآيات القرآنية التى استشهد بها المؤلف على أنواعه البديعية ، مرتب على حسب سُوَر القرآن ، وعلى حسب رقمها فى السورة ، واكتفيتُ بذكر رقم الآية ورقم الصحيفة التى وردتْ فيها الآية .

---

(١) انظر باب صحة الأقسام من بديع القرآن (هامش) .

(٢) انظرباب هوامش باب الإيجاز من بديع القرآن .

(٣) انظر كلامه على آية ٣ من سورة يوسف باب الإيجاز .

(٤) انظر المكان السابق .

(٥) باب العنوان من بديع القران .



حتى تتم الاستفادة من الفهرس. ووضعت فهرسا لقوافى الشعر مرتبا ترتيبا أبجديا ، كما أننى قمتُ بترتيب فهرس القوافى حسب البحور ، فجعلت ما ورد من الشعر على وزن بحر واحد مرتبا حسب حركة القافية ، فابتدأتُ بالمرفوعة ، ثم المفتوحة ، ثم المكسورة ، ثم الساكنة .

وعملت فهرسا لمراجع المؤلف منفصلا وحده عن مراجع التحقيق ، مبينا فى هذا الفهرس المطبوع والمخطوط ، والموجود وغير الموجود الذى لم أتمكن من الوصول إليه من هذه الكتب ومؤلفيها ؛ ورتبت هذا الفهرس على حسب اسم الكتاب كما عملت فهرسا للكتب التى استرشدتُ بها فى تحقيقه ، مرتبا أيضا ترتيبا أبجديا، وبيّنتُ فى هذا الفهرس المطبوع من هذه الكتب وتاريخ الطبع ومكانه ، والمخطوط ورقمه وفنه . وفهرسا للأعلام والقبائل التى وردت فى الكتاب ، مكتفيا بذكر الأعلام التى وردت لمناسبة ، وفهرسا للأيام التى وردت فى هذا الكتاب .

وأرجو من هذا كله أن يستفيد الباحث ، وألا يجهد نفسه عند الرجوع إليه ، راجيا له التوفيق .

حفنى محمد شرف

كتاب بديع القرآن المجيد
للشيخ زكي الدين عبد العظيم
ابن أبي الإصبع
رحمه الله تعالى

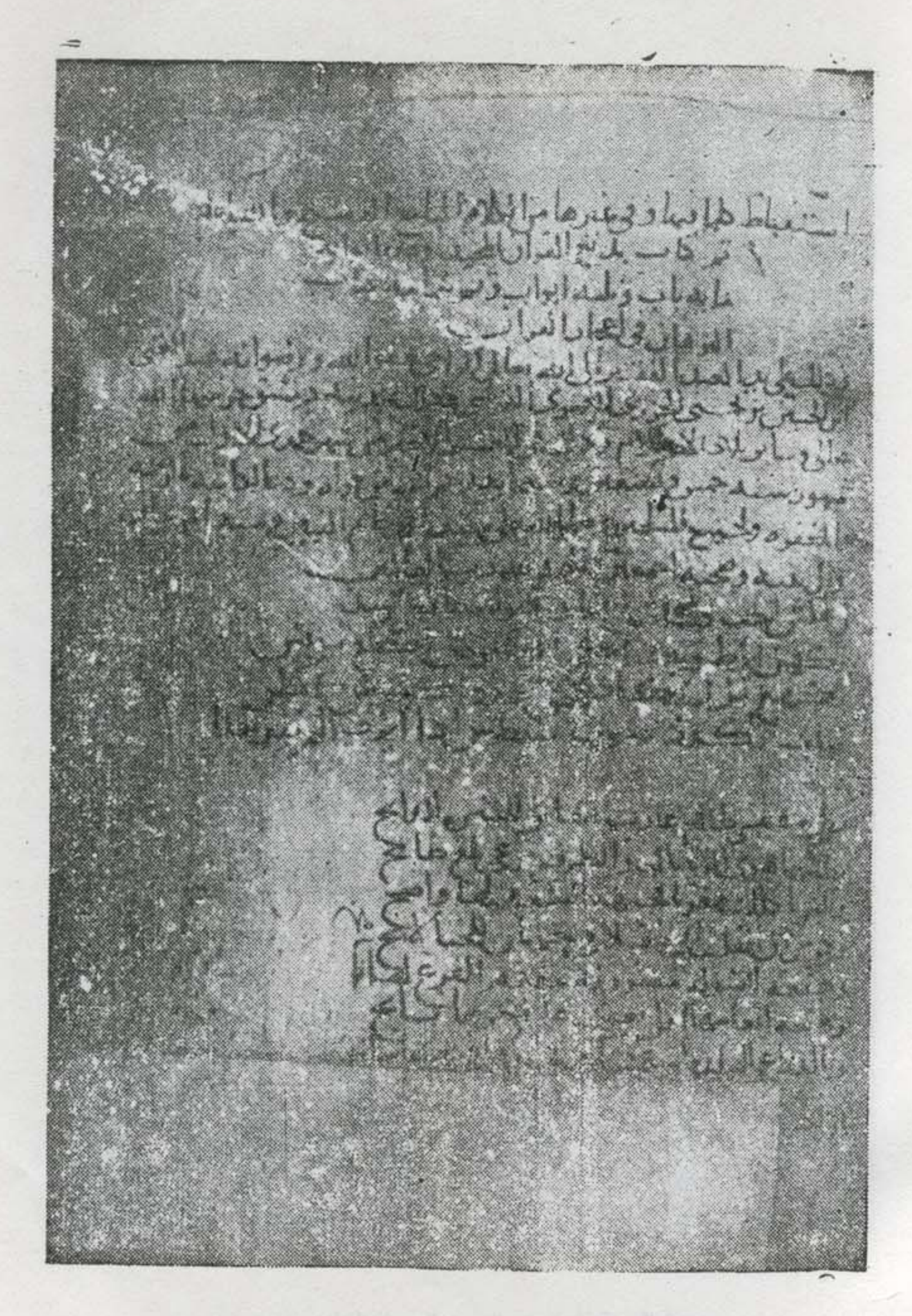
مما ساقته المقادير إلى نوبة
الفقير إلى الله سبحانه وتعالى
السيد مصطفى [illegible]
عفا الله عنه
وللمسلمين
آمين

صورة اللوحة الأولى من الأصل



« اللوحة الثانية من الأصل »





صورة اللوحة الأخيرة من الأصل

صورة اللوحة الأولى من النسخة المرموز إليها بحرف « ا »



صورة اللوحة الاخيرة من النسخة المرموز إليها بحرف « ا »

بديع القرآن المجيد

لابن أبي الإصبع

٥٨٥ - ٦٥٤هـ

تقديم وتحقيق

حفني محمد شرف

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

عليه[1] توكّلت ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

الحمد لله على ما منّ علينا[2] به من معرفة أسرار كتابه ، وكشفَ لنا عن مكنون فصل خطابِه ، وصلواتُه على خاتم[3] أنبيائه وخيرِ أحبابِه ، وعلى آله وأصحابه .

كتابُ (بديع القرآن) — الّذي هو تتمّه للإعجاز[4] المترجَم (ببيان البرهان) أفردتُه من كتابٍ[5] هو وظيفةُ عمري ، وثمرةُ اشتغالى فى إبّان 5

---

(١) ورد مكان هذه العبارة فى د ، س « رب يسر وأعن » وفى « ت » « وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » . أما فى (ا) و (ب) فإن المقدمة فيهما تختلف عن بقية الأصول . والنص فيهما كما يأتى :

« رب يسر برحمتك » .

قال الشيخ الإمام العالم الفاضل الأوحد زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله ابن ذى الإصبع العدوانى طول الله مدته ، ورفع فى الدارين درجته . الحمد لله الذى أنزل القرآن متشابهاً ، ومحكماً ، وجعل علم البيان إلى معرفة متشابهه سلماً ، أحمده على ما علم من التأويل ، وألهم من كشف أسرار التنزيل ، وأصلى على نبيه الجليل ، الذى جاء القرآن على نبوته بأوضح دليل ، وجاء اسمه مكتوباً فى التوراة والإنجيل ، وحسبنا فى ذلك قوله : ﴿ أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل ﴾ هذا بعد أن أجلت فصاحة قوله فيه : « يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل » فصاحة قول الملك الضليل (امرىء القيس بن حجر) وقذف بالحق على الباطل فدمغ الأباطيل ، صلى الله عليه وعلى آله خير آل ، وصحبه خير صحب ، وجيلهم خير جيل ، وبعد ، فإنى كنت قد عنيت بجمع كتاب ... الخ

(٢) ساقطة من (ت) .

(٣) ساقطة من (ت) .

(٤) كذا فى الأصل . وعبارة باقى النسخ « تتمة الإعجاز » .

(٥) ساقطة من د ، ت ، س .



شبيبتى ، ومباحثى فى أوانِ شيخوختى ، مع كلّ من لقيتُه من عقلاء العلماء وأذكياء الفضلاء ، ونُبلاء البُلغاء فى علم البيان ، وكلّ من له عناية بتدبُّر القرآن ، ونظرٌ ثاقبٌ فى نقد جواهر الكلام ، ومن له تمييزٌ بين الذهب والشَّبَه[1] من نُقود النَّثْر والنِّظام[2] ، جمعتُه من كتاب وكتابين[3] ، منها ما هو مُنْفرد بهذا العلم ، ومنها ماهذا العلمُ داخل فى أثنائه « كنقدَى[4] قدامة » و « بديع ابن المعتز[5] » « وحلية[6] المحاضرة للحاتمى» « وكشفت عن « الحالى والعاطل » له الذى أشار إليه فى (الحلية) فلم أظفرْ بمن يعترف بوقوفه عليه ، إلا ابن منقذ فى (بديعه) ، و«الصناعتين[7] للعسكرىّ» « والعمدة[8] لابن رشيق » و« تزييف نقد[9] قدامة له » و « رسالة الآمدىّ فى الرد[10] على قدامة » « والموازنة بين الطائيين[11] » له ، و« كشف الظلامة للموفّق

---

(١) الشبه بالتحريك : النحاس الأصفر .

(٢) كذا فى الأصل ، د ، ت س والذى فى ا و ب « وكل ناقد بصير بجواهر الكلام ، ومخرج بحذقه زيوف النثر والنظام » .

(٣) كذا فى جميع الأصول . والذى فى ا و ب « من ستة وسبعين كتاباً » .

(٤) كذا فى الأصل ، ا ، ب والذى فى د ، ت ، س « كنقد» بدون ياء ، فأما نقد الشعر فطبوع فى مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢ هـ وطبع سنة ١٩٤٨م بتحقيق كمال مصطفى. ونقد النثر مطبوع فى مصر سنة ١٩٣٨ بعناية وتحقيق الأستاذين الفاضلين طه حسين وعبد الحميد العبادى .

(٥) طبع فى أوربا سنة ١٩٣٥ م بعناية كراتشفوسكى وفى مصر سنة ١٩٤٥ م بعناية الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى .

(٦) لم أعثر على هذين الكتابين فيما لدى من المصادر .

(٧) طبع عدة طبعات آخرها طبعة الحلبى سنة ١٩٥٢م بتحقيق الأستاذين محمد ابى الفضل ابراهيم وعلى البجاوى .

(٨) طبع فى مطبعة السعادة سنة ١٣٢٥ هـ وهى آخر طبعة له .

(٩) ذكره صاحب كشف الظنون ، ولم أعثر عليه .

(١٠) هى رسالة تبين غلط قدامة فى نقد الشعر ، وهى مفقودة .

(١١) طبع عدة طبعات آخرها سنة ١٩٤٤م .



البغدادى[١] » ، والنكت فى الإعجاز[٢] للرمانى « والجامع الكبير[٣] فى التفسير « له » « والبلاغة[٤] له » و إعجاز أبن الطيب[٥] الباقلانى ، ودلائل الإعجاز[٦] للجرجانى « وأسرار البلاغة »[٧] له ، « والوساطة »[٨] له « وإعجاز أبن الخطيب[٩] » « وشرح أسماء الله[١٠] الحسنى « له » « وتفسيره[١١] الكبير » « والكشاف[١٢] للزمخشرى » وشرح أسماء

(١) هو كشف الظلامة عن قدامة بن جعفر لموفق الدين عبد اللطيف البغدادى فى البديع ، ذكره صاحب كشف الظنون ، ولم أعثر عليه .

(٢) مخطوط ومحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٩٨ تفسير تيمور .

(٣) ذكره صاحب كشف الظنون ولم أعثر عليه .

(٤) لم يذكر فى الكتب التى ترجمت له .

(٥) طبع فى مطبعة دار السلام بالقاهرة سنة ١٣١٥ هـ وطبع أيضاً بهامش الإتقان للسيوطى ، وطبع أخيراً بتحقيق وشرح الأستاذ السيد أحمد صقر .

(٦) طبع عدة طبعات آخرها طبعة صاحب المنار سنة ١٣٢٠ هـ ، وله تعليقات عليه .

(٧) طبع عدة مرات آخرها طبعة المنار سنة ١٣٢٠ هـ .

(٨) وهم المؤلف فى نسبة هذا الكتاب إلى عبد القاهر الجرجانى ؛ ولا أستطيع أن أنسب هذا الخطأ إلى الناسخ لأنى وجدته فى جميع الأصول ، علماً بأن الناسخ مختلف ، والصواب أنه للقاضى أبى الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى المتوفى سنة ٣٦٦ هـ ولعل الشبهة دخلت على المؤلف من اللقب (الجرجانى) الذى هو مشترك بين المؤلفين ، ولا تزال مثل هذه الشبه تدخل على كثير من الأعلام إلى يومنا هذا ، وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات آخرها طبعة الحلبى بتحقيق وشرح الأستاذين أبى الفضل إبراهيم وعلى البجاوى سنة ١٩٥١ م .

(٩) وردت تسمية هذا الكتاب فى (ا) و (ب) بإعجاز القرآن لفخر الدين الخطيب وهو كتاب (نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز) ويبحث فى علوم البلاغة ، وبيان إعجاز القرآن طبع فى مطبعة الآداب سنة ١٣١٧ هـ .

(١٠) مخطوط ومحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩ مجاميع .

(١١) هو المعروف بمفاتيح الغيب ، طبع عدة طبعات آخرها سنة ١٣٢٧ هـ .

(١٢) قال السيوطى عنه فى (نواهد الأبكار) بعد أن ذكر قدماء المفسرين : ثم جاءت فرقة أصحاب نظر فى علوم البلاغة التى بها يدرك وجه الإعجاز ، وصاحب الكشاف هو سلطان هذه الطريقة ، ولذا صار كتابه فى أقصى درجات الشرف ، وهو مطبوع عدة طبعات .



لله الحسنى لابن أبى البرجان[١]، «والتفسير[٢] لابن صمادح»، وتفسير ابن عطية[٣] و «الوسيط فى التفسير[٤] للواحدى» و «أسباب[٥] النزول له» و «فوائد[٦] القرآن للقاضى عبد الجبّار» و «أمثال[٧] القرآن لابن حبيب» و «التمثيل[٨] والمحاضرة للثعالبى» و «التعريف والإعلام[٩] للسُّهَيلى» و «الروض الأُنُف»[١٠] له، «والأمثال والحِكَم من كلام[١١] سيّد الأمم لأبى أحمد العسكرى»، و «الأمثال ٥

(١) هو كتاب كبير جمع فيه مؤلفه أسماء الله بما زاد على المائة والثلاثين ، كلها مشهورة وقسم الكلام فى كل اسم على ثلاثة فصول : الأول فى استخراجها ، والثانى فى الطريق إلى مسالكها ، والثالث فى الإشارة إلى التقيد بحقائقها ، وابن البرجان هذا هو أبو الحكم عبدالسلام ابن عبد الرحمن بن محمد الأشبيلى المتوفى سنة ٥٣٦ هـ (كشف الظنون) .

(٢) لم أعثر عليه فيما لدى من المصادر .

(٣) وهو أبو محمد عبد الله بن عبد الحق بن أبى بكر بن غالب بن عطية الغرناطى المتوفى سنه ٥٤٢ هـ لم يطبع .

(٤) يسمى بالمحرر الوجيز فى تفسير كتاب الله العزيز ، وهذا الكتاب أحد كتب ثلاثة للمؤلف ، الأول (الوجيز) ، والثانى (الوسيط) ، والثالث (البسيط) ، وهو مخطوط ، ومنه عدة أجزاء فى دار الكتب المصرية .

(٥) مطبوع بمصر سنة ١٣١٥ هـ فى ثلاثة مجلدات . وبهامشه (الناسخ والمنسوخ) لأبى القاسم هبة الله بن سلام .

(٦) هو القاضى أبو الحسن عبد الجبار بن احمد بن خليل الهمذانى الإستراباذى شيخ المعتزلة فى عصره ، والمتوفى فى الرى سنة ٤١٥ هـ ولم أعثر على هذا الكتاب له ، والذى عثرت عليه هو تنزيه القرآن عن المطاعن له ، فلعله هو ، وإن كان مشكوك فى نسبته له .

(٧) لم أعثر عليه فيما لدى من المصادر وهو ، للامام أبى الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى الشافعى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ .

(٨) ويسمى (التمثيل والمحاضرة فى الحكم والمناظرة) طبعت منه مختارات فقط ، ومنه عدة نسخ مخطوطة بدار الكتب تحت رقم ٤٩٢ و ٦٠٠ و ٢٠٨٣ و ٢٠٨٣ أدب .

(٩) وهو التعريف والإعلام بما أبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن أبى الحسن السهيلى الأندلسى المالكى النحوى وهو للتعريف بما فى القرآن من الأسماء والأعلام ، وشرح آية الوصية ، ومنه عدة نسخ مخطوطة بدار الكتب برقم ٤٣٩ تفسير ٣٢ م .

(١٠) هو تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام ، طبع عدة طبعات آخرها سنة ١٣٣١ هـ وبهامشه السيرة النبوية .

(١١) هو لأبى أحمد الحسن بن عبد الله بن اسماعيل بن زيد بن حكيم العسكرى المتوفى سنة ٣٨٣ هـ لم يطبع .



للرامَهُرمُزى »[1] « والدلائل للبيهقى »[2] و « الأمثال لأبى عبيد القاسم[3] ابن سلّام » و « أمثال[4] الزمخشرى » و « كلام بعض العلماء على قوله تعالى : « تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ » « وكلام بعض الفضلاء على ما جاء فى الكتاب العزيز من الاستثناء » و « كلام القاضى بهاء الدين بن شدّاد رحمه الله على سورة الإخلاص » فإنه استخرج منها ثلاثين فائدة » وما استخرج ٥ بعض الفضلاء من الأحكام الستّين من حديث « حبب إلى من دنياكم ثلاث » وما استخرج من الأحكام من حديث « يا أبا عُمَير ، ما فعل[5] النُّغَيرْ » و « الأمثال للمَيدانى »[6] « والمنصف لابن وكيع[7] التِّنِّيسى » ، و « رسالة ابن عبّاد[8] فى التنكيت أيضا على المتنبي ومآخذه من أبى تمّام ، ومآخذ البحترى من أبى تمّام » « ونَهج البلاغة[9] للإمام على عليه السلام ، ١٠ [٢]

(١) لم أعثر على هذا الكتاب فيما لدى من المصادر .

(٢) مخطوط ومحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٢ حديث وهو لأبى بكر أحمد بن الحسين بن على بن عبد الله بن موسى البيهقى النيسابورى الفقيه الشافعى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ .

(٣) طبع منه قسمان : الثامن والسابع عشر ، ومعهما ترجمتها باللغة اللاتينية سنة ١٨٣٨ وطبعت كلها فى مجموعة التحفة البهية والطرفة الشهية بالآستانة سنة ١٣٠٢ هـ .

(٤) واسمه (المستقصى فى أمثال العرب) ، ذكر فيه جملة من أمثال العرب ، وعنى فى شرحها بإيراد قصصها ، وذكر النكتة والروايات فيها ، والكشف عن معانيها والإنباء عن مضاربها ، والتقاط أبيات الشواهد مع الاختصار ، وتجريد الألفاظ عن الفضلات التى يستغنى عنها ، وقد رتبه على حروف المعجم ، ومنه عدة نسخ مخطوطة فى دار الكتب المصرية برقم ١٤٢٣ أدب ، ١٠٢ م ، ٧٢ ش .

(٥) لم أعثر عليه .

(٦) وهو نيف وستة آلاف مثل ، طبع عدة طبعات آخرها طبعة المطبعة الخيرية سنة ١٣١٠ هـ .

(٧) هو فى الدلالات على سرقات المتنبي لأبى محمد الحسن بن وكيع الشاعر المتوفى سنة ٣٩٣ مخطوط ، ولم يعثر إلا على الجزء التاسع منه فى مكتبة برلين .

(٨) لم أعثر عليها فيما لدى من المصادر ، ولعلها طبعت فى مجلة ثقافة الهند .

(٩) هو كتاب مشهور ، وفى نسبته لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه خلاف ليس هذا محله ، وقد طبع عدة طبعات ، كما شرحه عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المعروف بابن أبى الحديد المدائنى ، وشرحه أيضاً ميثم بن على بن ميثم البحرانى انظر (شرح نهج البلاغة) .



و « نظم القرآن للجاحظ[١] والبيان والتبيين[٢] له » و « الخُطَب النباتيّة[٣] » « ودُرّة التنزيل وغُرّة[٤] التأويل للخطيب » « وتنقيح البلاغة لمحمد[٥] بن أحمد العميدى » و« الفصل والوصل لأبن أبى البرّجان »[٦] وشرح الحماسة للتبريزى[٧] » « والبديع له »[٨] « وشرح الأشعار الستّة للسكّرى »[٩] « وشرح[١٠] المقصورة لأبن خالويه » « واليتيمة للثعالبىّ »[١١] « وأجناس التجنيس[١٢] له » و « دُمْية[١٣]

٥

---

(١) ذكره الباقلانى فى إعجازه ص ٧ ، ولكنه غير موجود .

(٢) طبع عدة طبعات آخرها طبعة سنة ١٩٤٩ م بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .

(٣) ويسمى ديوان خطب ابن نباتة وهو مطبوع فى بيروت .

(٤) هو للخطيب الإسكافى مطبوع سنة ١٣٢٦ هـ .

(٥) لم أعثر عليه .

(٦) كذا فى الأصل و ا ، ب ، د ، س ، والذى فى ت ابن أبى البركات ولكن لم أعثر على الكتاب فيما لدى من المصادر .

(٧) وهو ليحيى بن على بن الحسن بن محمد بن موسى بن الخطيب أبى زكريا الشيبانى النحوى اللغوى التبريزى المتوفى سنة ٥٠٢ هـ وهذا الكتاب طبع فى مصر سنة ١٢٩٦ هـ فى مدينة « بن » سنة ١٨٢٨ م ومعه مقدمة وملاحظات باللغة اللاتينية للأستاذ جورج فرتاج وفيه أيضاً فهرس لأسماء الشعراء : وفهرس للأماكن ، وفهرس للقوافى .

(٨) لم أعثر عليه فيما لدى من المصادر .

(٩) مخطوط وهو لأبى سعيد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عبد الرحمن بن العلاء ابن أبى صفرة السكرى النحوى المتوفى سنة ٢٧٥ هـ وقيل سنة ٢٩٠ .

(١٠) وهى قصيدة لابن دريد مدح بها ابن ميكائيل ، ويصف مسيره إلى فارس وتشوقه إلى البصرة وإخوانه بها ، وقد شرحها أبو عبد الله بن الحسين بن أحمد ابن خالويه بن حمدان الهمذانى اللغوى المتوفى سنة ٣٧٠ هـ وهى مخطوطة ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٧٧ أدب ، ٣٤ ش .

(١١) وهو كتابه (يتيمة الدهر فى شعراء أهل العصر) لأبى منصور عبد الملك بن اسماعيل الثعالبى النيسابورى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ وقد جعلها ذيلا لكتاب (البارع فى أخبار الشعراء المولدين) لأبى عبد الله هارون بن على بن يحيى بن أبى منصور المنجم البغدادى المتوفى سنة ٢٨٨ هـ وقد طبعت بدمشق سنة ١٢٨٢ هـ .

(١٢) لم أعثر على هذا الكتاب فيما لدى من المصادر .

(١٣) هو كتاب فى التراجم يظهر غرضه من تأليفه بما قاله فى أوله : « وقد فهرست أسامى الفضلاء ، ثم فرقت عليها نظرى أروسا وأقلاماً ، وجعلت طبقاتها المرتبة أقساماً ، ثم اخرجت أقسام طبقات الأسماء على عدد طبقات السماء ، فلكل مقام فيه مقال ، ولكل طبقة =



القَصْر للباخرزى » « والخريدة[1] للعماد الكاتب الأصبهانى » ، و « العقود والاعتذار[2] » و « محاضرات الراغب[3] » « وشرح سقط الزّند

= منها رجال ، وهم أزواج ثلاثة : منهم السابقون الأولون ، ومنهم اللاحقون المخضرمون ، ومنهم المحدثون العصريون ، وقد رتب هذا الكتاب على سبعة أقسام :

١ — فى محاسن شعراء البدو والحجاز .
٢ — فى طبقات شعراء الشام وديار بكر وأذربيجان والجزيرة وبلاد المغرب .
٣ — فى فضلاء العراق .
٤ — فى شعراء خراسان وقهستان وسجستان وغزنة .
٥ — فى شعراء الرى والجبال .
٦ — فى فضلاء جرجان، واستر اباد ، ودهستان، وقوس ، وخوارزم ، وما وراء النهر .
٧ — فى طبقات من أئمة الأدب لم يجر لهم فى الشعر رسم .

وابتدأ هذه الأقسام كلها بفصل سماه تاج الكتاب ذكر فيه منزلة كتابه هذا بين سائر الكتب وعلو درجته عند الأدباء ، ثم يورد قصيدته البائية المشهورة التى أولها :

عشنا إلى أن رأينا فى الهوى عجبا ... كل الشهور وفى الأمثال عش رجبا

والباخرزى ، هو الأديب أبو الحسن على بن الحسن بن على بن أبى الطيب الباخرزى المتوفى مقتولا بمجلس الأنس بباخرز فى شهر ذى القعدة سنة ٤٦٧ هـ ، وقد ورد فى كشف الظنون أنه جعلها ذيلا « ليتيمة الدهر فى شعراء أهل العصر » للنيسابورى وهى مخطوطة ومحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٣٣ ش .

(١) وهى للوزير محمد أبى عبدالله بن أبى الرجاء حامد بن عبد الله بن على الكاتب الأصبهانى الملقب بابن أخى العزيز صاحب تكريت المولود بأصبهان سنة ٥١٠ هـ والمتوفى بدمشق سنة ٥٩٧ هـ ودفن بمقابر الصوفية . وقد ذكر صاحب كشف الظنون أن المؤلف جعلها ذيلا على كتاب (زينة الدهر فى عصرة أهل العصر) لأبى المعالى سعيد بن على المعروف بالوراق الحظيرى الذى جعله ذيلا على « دمية القصر » ولكن النسخة الموجودة فى دار الكتب المصرية ليس عليها مايدل على ذلك. فلعل صاحب « كشف الظنون » قد اطلع على نسخة أخرى ذكر فيها المؤلف ذلك ، والموجود منها فى دار الكتب ستة أجزاء فى ستة مجلدات مأخوذة بالتصوير الشمسى عن نسخة خطية محفوظة بمكتبة باريس الأهلية ومحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٤٢٥٥ دب وقد طبع منها قسم شعراء مصر بتحقيق الأستاذ أحمد أمين ، الدكتور شوقى ضيف ، الدكتور إحسان عباس . وطبع فى دمشق قسم شعراء الشام بتحقيق الدكتور شكرى فيصل سنة ١٩٥٥ م

(٢) لم أعثر على هذا الكتاب فيما لدى من المصادر على كثرتها ؛ ولعل فى هذا الاسم تحريفا ؛ فتأمل .

(٣) ويسمى (محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء) للعلامة أبى القاسم الحسن ابن المفضل المعروف بالراغب الأصبهانى ، أوله : الحمد لله الذى تقصر الأقطار أن تحويه الخ .. اختار فيها من نكت الأخبار وعيون الأشعار فصولا فى محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء وتحرى فيما اخرجه من كل باب غاية الاختصار ، واعفاه من الإكثار وقد طبع عدة طبعات اخرها سنة ١٢٨٧ هـ .



لابن البَطلَيوسى[1] » و « رسالة الصُّولى[2] التى قدَّمها على شعر أبى نواس » و « رسالته فى أخبـــــار أبى تمّام » و « شرح الإشراق[3] للبَلاذُرِىّ » و « السبيل[4] إلى معرفة سبل التنزيل » و « الغُرَر[5] والدُّرَر للشريف المرتضَى رحمه الله» «وتنزيه الأنبياء عليهم السلام[6] له» « وطيف الخيال له[7] » وكتاب[8] الصرفة له » ، « وجواهر[9] القرآن للغزالى » « و إحياء علوم[10] الدين له » ورسالتى[11] الحاتمى اللّتين عملهما على شعر المتنبّى: إحداهما فى مآخذه ،

(١) وهى لأبى محمد عبدالله بن محمد المعروف بأبى محمد البطليوسى المتوفى سنة ٥٠٢ هـ وقد طبـع ضمن شروح سقط الزند التى نشرتها لجنة إحياء آثار أبى العلاء .

(٢) موجودتان فى ديوان أبى نواس رواية الصـولى وديوان أبى تمام رواية الصولى تحقيق وشرح الدكتورين عبده عزام ، وخليل عساكر .

(٣) وردت هذه التسمية هكذا فى جميع الأصول ، ولعله يقصد به أنساب الأشراف ومنه أجزاء مطبوعة .

(٤) لم أعثر عليه .

(٥) يسمى (غرر الفوائد ودرر القلائد) واشتهر (بأمالى المرتضى) تأليف أبى القاسم على بن الطاهر بن احمد بن الحسين بن موسى الحسينى نقيب الطالبيين ببغداد سنة ٤٣٦ هـ ، وقد طبع عدة طبعـات آخرها الطبعة الحلبية سنة ١٩٥٤ م بتحقيق الأستاذ أبى الفضل ابراهيم .

(٦) لم أعثر عليه .

(٧) منه نسخة مخطوطة بالأسكوريال وطبع أخيرا سنة ١٩٥٤ — ١٩٥٥ م بتحقيق الأستاذ محمد سيد كيلانى .

(٨) لم أعثر عليه .

(٩) وهو مطبوع تأليف أبى حامد محمد بن محمد بن احمد الغزالى الملقب بحجة الإسلام زين الدين الطوسى الفقيه الشافعى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ :

(١٠) وهو مطبوع ويعتبر أوسع كتب الغزالى وأشملها لرأيه .

(١١) لم أعثر إلا على الرسالة الحاتمية فى موافقة شعر المتنبى لكلام أرسطوطاليس فى معجم الأدباء فى ترجمته ، وعلى الرسالة مفردة مصورة ومخطوطة ومحفوظة بالدار تحت رقم ٥١٦٨ أدب وطبعت مع التحفة البهية ، أما الرسالة الثانية وهى رسالة له يشرح فيها ماجرى بينه وبين ابى الطيب من إظهار سرقاته وإبانة عيوب شعره ، فلم أعثر عليها ولقد دلت الرسالة الأولى على غزارة مادته وتوفر اطلاعه (معجم المطبـوعات لسركيس) .



والأخرى فى مآخذه الجليلة « ووقعة الأدهم » له أعنى الحاتمى . و « المجاز للشريف[١] الرضى » رحمه الله « والمجاز[٢] لأبى عبيدة » « والشفا ، فى تعريف حقوق المصطفى للقاضى[٣] عياض » رحمه الله و « شرح[٤] حديث أم زرع له » و بديع الحديث الذى لخصه منه ، وأفرده عنه ، و «الحديقة[٥] للحجارى (براء مهملة) ، وهو صاحب المسهب فى أخبار أهل المغرب» ، «وقلائد العقيان[٦] لابن خاقان» ، وسر الفصاحة[٧] لابن سنان الخفاجى «ومقامات البديع[٨]

---

(١) وهى لأبى الحسن محمد بن الطاهر احمد بن موسى المعروف بالموسوى نقيب الاشراف ببغداد . وطبع أخيرا بعناية وتحقيق الأستاذ عبد الغنى حسن .

(٢) طبع أخيرا بعناية الدكتور فؤاد شركين من استانبول وطبع بمطبعة السعادة .

(٣) طبع هذا الكتاب عدة طبعات آخرها سنة ١٣١٣ هـ وهو للقاضى أبى الفضل عياض بن موسى بن عياض بن موسى بن عياض اليحصبى البستى المالكى الأندلسى الأصل المتوفى سنة ٥٤٤ هـ.

(٤) لم أعثر عليه فيما لدى من المصادر .

(٥) وهو كتاب فى الديم لعبد الباقى بن محمد بن سعيد المتوفى فى بلنسية سنة ٥٠٢ هـ وهو منسوب الى وادى الحجارة بالأندلس ولم اعثر عليه.

(٦) هو قلائد العقيان فى محاسن الأعيان ، جمع فيه مؤلفه طائفة من شعراء المغرب وجملة من أشعارهم ، وجعله على أربعة أقسام : (١) فى محاسن الرؤساء وابنائهم (٢) فى غرر حلية الوزراء وفقر الكتاب والبلغاء (٣) فى لمع أعيان القضاة ولمع أعلام العلماء السراة (٤) فى بدائع نبهاء الأدباء وروائع فحول الشعراء ، وقد تكلم على ترجمة كل واحد من هذه الأقسام بأحسن عبارة طبع سنة ١٢٨٣ هـ وكان مؤلفه أبو نصر الفتح بن محمد بن عبدالله بن خاقان الأشبيلى الوزير المتوفى سنة ٥٣٥ هـ قدمه للأمير يوسف بن تاشفين.

(٧) وهو للأمير عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان أبى محمد الخفاجى الحلبى الشاعر الأديب المشهور المتوفى سنة ٤٦٦ هـ طبعت عدة طبعات آخرها بتحقيق الشيخ عبد المتعال الصعيدى ١٩٥٢ م

(٨) وهو لأبى الفضل احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذانى الحافظ المعروف ببديع الزمان المتوفى مسموما بمدينة هراه وقيل مات بالسكتة فى يوم الجمعة الحادى عشر من جمادى الآخرة سنة ٣٩٨ هـ وهى إحدى وخمسون مقامة أملاها فى أواخر مجالسه فى الجمع وأنشأها على لسان راوية له يسميه عيسى بن هشام وزعم أنه حدثه عن بليغ يسميه أبا الفتح السكندى وهو سابق على الحريرى فى تأليف المقامات ونسج الحريرى على منواله ، وصرح بذلك فى مقدمة مقاماته، وطبعت هذه المقامات عدة طبعات فى الجوائب بالآستانة سنة ١٢٢٨ هـ وفى بيروت سنة ١٨٨٩ م بشرح الشيخ محمد عبده .



ورسائله»[١] ، « ومقامات الحريرى»[٢] « والمثل[٣] السائر لابن الأثير» ، و«الوشى»[٤] المرقوم له»، «والإقناع للصاحب ابن عباد»[٥] ، «وبديع أبى إسحاق[٦] الأجدابى صاحب (كفاية المتحفظ) » ، « والعقد لابن عبد ربه[٧] ،

(١) طبعت هذه الرسائل ومعها خزانة ابن حجة الحموى سنة ١٣٠٤ هـ كما طبعت فى الاستانة سنة ١٢٩٧ هـ .

(٢) وهى تأليف الإمام الأديب أبى محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان الحريرى البصرى المولود سنة ٤٤٦ هـ والمتوفى بالبصرة فى سكة بنى حرام سنة ٥١٦ هـ وهى خمسون مقامة تحتوى على جد القول وهزله ، ورقيق اللفظ وجزله ، وملح الأدب ونوادره ، يقول فيها :

وشحتها بالآيات ، ومحاسن الكنايات ، ووضعت فيها من الأمثال العربيه ، والاحاجى النحوية والفتاوى اللغوية والرسائل المبتكرة والخطب المحبرة والمواعظ المبكية والأضاحيك الملهية ، وهى مملاة على أبى زيد السروجى ورواية الحارث بن همام البصرى ، وهى مطبوعة عدة طبعات فى مصر وليدن .

(٣) وهو تأليف الامام العلامة أبى الفتح ضياء الدين نصر الله بن أبى الكرم محمد بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى المولود بجزيرة ابن عمر فى يوم الخميس العشرين من شهر شعبان سنة ٥٥٨ والمتوفى فى بغداد سنة ٦٣٧ وهو عبارة عن كتاب لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه لاستنباط أدلة الاحكام وجمع فيها ضروبا كثيرة من علم البيان ولم يترك شيئا يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره ورتبه على مقدمة ومقالتين فالمقدمة تشتمل على أصول علم البيان ، والمقالتان على فروعه: الأولى فى الصناعة اللفظية ، والثانية فى الصناعة المعنوية طبع بمصر سنة ١٢٨٢ هـ .

(٤) ويسمى الوشى المرقوم فى حل المنظوم وبنى تأليفه على مقدمة وثلاثة فصول : الأول فى حل الشعر ، والثانى فى حل آيات القرآن ، والثالث فى حل الأخبار النبوية وكثير مايحيل عليه المثل السائر طبع ببيروت سنة ١٢٩٨ هـ .

(٥) وهو كتاب فى العروض للوزير ابى القاسم اسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد ابن إدريس الطالقانى الملقب بالصاحب ابن عباد المتوفى سنة ٣٣٥ هـ مخطوط ومحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢ ش

(٦) وهو لأبى اسحاق ابراهيم بن اسماعيل بن احمد بن عبدالله الطرابلسى المعروف بابن الأجدابى المتوفى سنة ٤٠٠ هـ صاحب (كفاية المتحفظ) فى اللغة .

(٧) وهو للامام الفقيه أبى عمرو احمد بن محمد بن عبد ربه القرطبى المولود فى اليوم العاشر من شهر رمضان سنة ٢٤٦ والمتوفى بقرطبة فى يوم الأحد الثامن عشر من شهر جمادى الأولى سنة ٣٢٨ هـ رتبه على خمسة وعشرين كتابا وجعله جامعا لأكثر المعانى التى تجرى على أفواه العامة والخاصة وتدور على ألسنة الملوك والسوقة ، وحلى كل كتاب من كتبه بشواهد من =



«ورسالة(١) القاضي الفاضل رحمه الله فى البلاغة»، «و بديع شرف الدين(٢) التيفاشى»

«وقد جمع فيه ما لم يجمع غيره ، لولا مواضع نقلها كما وجدها ولم ينعم النظر فيها

فانتقد عليه فيها ما انتقد على غيره ، و بعض الأبواب التى تداخلت عليه(٣) »

« وبديع ابن منقذ(٤) » على ما فيه من التوارد(٥) والتداخل وتسمية أقسام

الباب الواحد أبوابا ، وضم أنواع المآخذ ، وأصناف العيوب إلى المحاسن والاعتداد ٥

بها فى عدة أبواب المحاسن ، ومخالفة الشواهد والتراجم ، إلى فنون من الزلل ،

وضُروبٍ من الخلل ، يَعرف صِحّتها من وَقَف على كتابه ، وأنعم النظرَ فيه ، [٣]

وتدبّر جملةَ معانيه ، و إن كان قلّما رأيتُ فى هذا الفنّ كتابا خلا من موضع

نقدٍ بحسب منزلة واضعه من العلم والدراية ، فمِن قليل ومن كثير ، وكلُّ أحدٍ

مأخوذٌ من قوله ومتروك ، إلاّ من عصم الله سبحانه من أنبيائه صلوات الله عليهم ١٠

وسلامه ، والسعيد من عُدّت سَقَطاتُه ، وما أبرئ نفسى ، ولا أدّعى سلامةَ

وضعى دون أبناء جنسي ؛ غير أنى توخّيتُ تحريرَ ما جمعتُه جهدى ، ودقّقت

النظرَ حسب طاقتى ووُسْعى ، فتجنّبتُ التداخُل ، وتحرّست من التوارُد ،

ونقّحت ما يجب تنقيحُه ، وصحّحْت ما قدرتُ على تصحيحه ، ووضعْت كلّ

شاهد فى موضعه ، ور بما أبقيت اسم الباب وغيرّت مسمّاه ، إذا رأيت اسمه ١٥

لا يطابق معناه ، إلى أن جمعتُ من ذلك خمسة وتسعين بابا أصولا وفروعا ،

= الشعر تجانس الاخبار فى معانيها طبع عدة طبعات آخرها طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بعناية المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد أمين وزملائه سنة ١٣٥٩ هـ ، سنة ١٩٤٠ م .

(١) لم اعثر عليها .

(٢) لم أعثر عليه .

(٣) العبارة التى بين قوسين ساقطة من الأصل ، د ، س ، ت وقد أثبتها عن ا و ب .

(٤) وهو أبو المظفر أسامة بن مرشد بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكيلانى الكلبي الشيرازى الملقب بمؤيد الدولة محب الدين ، من اكابر بنى منقذ وعلمائهم وشجعانهم المتوفى سنة ٥٨٤ هـ وبديعه مخطوط ومحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٥ م .

(٥) فى الأصل د ، س ، « النوادر » وهو تحريف ، والتصويب عن ا و ب و ت .

فالأصول منها ما ابتكر المخترعان الأولان تدوينَه ، وهما قدامة بن جعفر الكاتب ، وابن المعتز ، وعدتها ثلاثون بابا بعد حذف ما تواردا عليه منها ، وما تداخل عليهما فيها ، وخمسة[1] وستون بابا لمن جاء بعدهما ، إلى زمنى هذا على ماقدّمت من الشرائط ،ورأيتُ أن أضيف إلى ذلك الأصل والمضاف فَذْلَكةً أنا مخرج أسمائها ، ومستخرج شواهدِها ، فاستنبطت[2] واحدا وثلاثين[3] بابا ٥

---

(١) كذا فى الأصل ، د ، ت ، س والذى فى ا و ب « اثنين وستين »

(٢) كذا فى الأصل ، د ، ت ، س والذى فى ا و ب « خمسة وثلاثين » وهو تحريف .

(٣) زيادة فى ا و ب هذا نصها « فصار مجموع الأبواب مائة وستة وعشرون بابا يأتى تفصيل مايختص بهذا الكتاب من اسمائها فى مواضعها إن شاء الله تعالى ومن أراد استيعاب جميعها فعليه بالكتاب الجامع لهذا المترجم بتحرير التحبير فى بديع الكلام جمله من شعر ونثر على اختلاف انواعه وباتفاق فى ذلك من الكتاب العزيز والسنة النبوية مشحون ببديع الآيات الفرقانية ، والأمثال العربية ، والفقر الحكمية ، والأبيات البارعة ، والفصول الرائعة ، والأحاديث النبوية ، وكنت وسمته بتحرير التحبير وسئلت اختصاره فلم أجد إلى ذلك من سبيل لارتباط بعضه ببعض ، ودعاء الحاجة إلى كل مافيه ، وتعليق معانيه بمعانيه ، ورأيت أنى إذا أفردت الأبواب المختصة بالقرآن كان ذلك اختصارا نافعا تتميز به بلاغة القرآن ، وبديعه ، ويسهل استخراج إعجازه وتقريب طرق اطنابه وإيجازه ، وأكون قد اتيت من ذلك بما لم أسبق اليه فأفردت الابواب المختصة بالكتاب فكانت مائة باب وستة أبواب وهى : الاستعارة ، الجناس ، الطباق ، رد الأعجاز على الصدور ، المذهب الكلامى ، التتميم ، الاستطراد ، تأكيد المدح بما يشبه الذم ، تجاهل العارف ، حسن التضمين ، الكناية ، المبالغة ، التشبيه ، عتاب المرء نفسه ، حسن الائتلاف ، صحة الأقسام ، صحة المقابلات ، صحة التفسير ، ائتلاف اللفظ مع المعنى ، المساواة ، الإشارة ، الأرداف ، التمثيل ، التمكين ، التوشيح ، الإيغال ، الاحتراس ، المواربة ، الترديد ، التعطف ، التفويف ، التسهيم . التورية الترشيح ، الاستخدام ، التغاير ، الطاعة والعصيان ، التعليل ، العكس ، القسم ، الاستدراك السلب والإيجاب ، الاستثناء ، التلفيف ، جمع المختلفة والمؤتلفة ، التوهيم ، الاطراد ، التكميل المناسبة التكرار ، نفى الشىء بإيجابه ، التفصيل ، التذييل ، حسن النسق ، الانسجام ، براعة التخلص ، التعليق ، الإدماج ، الاتساع ، المجاز ، الإيجاز ، سلامة الاختراع ، الاتباع ، حسن الاتباع ،التوليد ، التنكيت ، الالتزام ، تشابه الأطراف ، التوأم ، التخيير ، التدبيج ، التوزيع الاستقصاء ، البسط ، العنوان ، الإيضاح ، الحيدة والانتقال ، الشماتة ، التهكم ، التنذير الإسجال ، الفرائد ، الاقتدار ، النزاهة ، التسليم ، الافتنان ، المراجعة إثبات الشىء بنفيه عن



لم أُسبَقَ فى غلبة ظنّى إلى شىء منها ، إلاّ أن يوجد فى زوايا الكُتُب شىء من ذلك لم أقف عليه ، فأكون أنا ومن سبقنى متواردَين عليه ، وما إخالُ ذلك إن شاء الله تعالى . فأضفت ما استنبطت إلى الأصل والمضاف الذّى جمعت فصارت الفذلكة مائة باب وستةً وعشرين بابا كلّها فى كتابى الجامع لبديع جميع الكلام الموسوم « بتحبير التحرير » . ولمّا فُتِح علىّ بعمل الكتاب الذى وسمْته ببيان البرهان فى إعجاز القرآن وعلمت أنه لابدله من تتمّة تتضمّن ما فى الكتاب العزيز من أبواب البديع ، فأفردتُ ما يختص بالقرآن ، فكان ذلك مائة باب وثمانية[1] أبواب ، وعند سياقة الأبواب مفصّلة نتحرى إن شاء الله تعالى العدة ، وهذا أوان سياقة الأبواب من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

= غير ذلك الشىء ، الزيادة التى تفيد اللفظفصاحة والمعنى حسنا ، الرمز والإيماء ، المناقضة ، الانفصال ، الابداع ، حسن الخاتمة ، وأمثلة جميع هذه الأبواب من الكتاب العزيز ، ولم اشرك معه غيره خلا موضوع نادر أذكر فيه البيت والبيتين ، ولعل المواضع التى أذكر فيها ذلك مالاتتجاوز العشرة .

(١) كذا ورد هذا العدد فى كتاب الأم لبديع القرآن . أما فى نسخة ا و ب فقد ورد عدد الأنواع فيهما مائة باب وثلاثة أبواب وزيد فى ب على الهامش ثلاثة أبواب أيضاً ، فلعل هذه الزيادة اثبتها بعض قراء تلك النسخة . والحقيقة أن الذى ورد فى جميع الأصول مائة باب وتسعةأبواب . فليلاحظ .

الباب الأول

وهو باب الاستعارة*

قد اختلف فى تعريف الاستعارة ، فقال الرّمانى[1] : هى تعليق العبارة على غير ما وُضعتْ له فى أصل اللّغة على سبيل النّقل . وأبطل ابن[2] الخطيب ذلك من أربعة أوجه : [٤]

الأول : أنّه يلزم أنْ يكون كلّ مجاز أستعارة ، وذلك باطل .

الثانى : أن تكون الأعلام المنقولة أستعارة ، وهو محال . ٥

الثالث : أنْ يكون ما أُستُعمل من اللّفظ على سبيل الغلَط فى غير موضعه للجهل به استعارة . وهذا الوجه عندى فيه نَظَر .

الرابع : أنّ هذا التعريف يعنى تعريف الرّمانى لا يتناول الأستعارة

---

* بحثها فى البيان والتبيين ح ١ : ١٥٢ ، وقواعد الشعر لثعلب : ٤٧ ورغبة الآمل على الكامل ١ : ١٩٦ والبديع لابن المعتز : ١٩ ، ونقد الشعر : ١٠٤ وجواهر الألفاظ لقدامة : ٥ والوساطة : ٣٤ والعمدة ١ : ٢٣٩ ، والصناعتين : ٢٦٨ ، وأسرار البلاغة : ٤٧ والنكت للرمانى : ١٨ ، وبديع ابن منقذ خط ٢ ، ومفتاح العلوم : ١٩٦ ، والمثل السائر : ٢١٤ ، وروضة الفصاحة مخطوط : ٢٠ ، والإيضاح للقزوينى ٥ : ٤٣ ، وخزانة ابن حجة : ٤٧ والتبيان للزملكانى خط : ٩ والطراز لليمنى ١ : ١٩٧ ونهاية الأرب ٧ : ٤٩ وحسن التوسل : ٢٠

(١) النكت فى إعجاز القرآن له ورقة ١٨

(٢) نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز له : ٨١ ، ٨٢



التخييلية[١] ، وقال فخر الدين : والأقرب أنْ يقال : الأستعارة ذكر الشيء بأسم غيره ، و إثبات ما لغيره له للمبالغة فى التشبيه ، فقولنا : ذكر الشيء بأسم غيره أحتراس عمّا إذا صرّح بذكر المشبّه كقولك : « زيدٌ أسد » فإنك ما ذكرتَ زيدا بأسم الأسد ، بل ذكرتَه بأسمه الخاصّ ، فلا يكون أستعارة .

٥ وقولنا : « و إثبات ما لغيره له » إنما ذكرناه لِتَدْخُل فيه الأستعارة التخييلية ، وعندى فى هذا الموضع نظر أيضاً . وقال أعنى فخر الدين[٢] الرازى : ويقال : الأستعارة عبارة عن جعْل الشيء الشيء ، أو جعل الشيء للشيء للمبالغة فى التشبيه . كقولك : « لقيت أسداً » وأنت تعنى أنك لقيتَ شجاعاً ، وعندى فى هذا الموضع الآخر نظر أيضاً .

١٠ وقال ، أعنى فخر الدين : الأستعارة جَعْل الشيء للشيء ، كقول لبيد :

« إذْ أصبحتْ بِيَدَ الشَّمال زمامُهاَ[٣] »

---

(١) الاستعارة التخييلية هى دائما تكون فى الاستعارة المكنية بإثبات الأمر المختص بالمشبه به .

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

شبه المنية فى نفسه بالسبع فى اغتيال النفوس بالقهر والغلبة وحذف المشبه به وأبقى شيئا من لوازمه وهى الأظفار التى لا يكمل ذلك الاعتبار فى السبع إلا بها فهذه استعارة مكنية وإثبات الأظفار للمنية استعارة تخيلية . هذا تفسير الخطيب القزوينى للاستعارة التخيلية .

أما السكاكى : فيقول الاستعارة التخييلية هى أن يكون المشبه المتروك شيئا وهمياً محضاً لا تحقق له إلا فى مجرد الوهم .

(٢) نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز : ٨٢

(٣) هذا عجز بيت له صدره : * وغداة ريح قد وزعت وقرة * وروايته فى القصيدة : « وقد كشفت وقرة » ، « قد أصبحت » والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

يريد أنه رب غداة ريح وبرد قد دفعتها عن العفاة بنحر الجزر لهم والإطعام وإذكاء النار لدفئهم وقراهم ، وإنما خص الشمال لأنها أبرد الرياح .

ديوانه ورقة ٢٠ مخطوط ومحفوظ بدار الكتب تحت رقم ٥٤٧ أدب



فأثبت اليد للشمال وغرضه المبالغة فى تشبيه قدرة الشمال على التصرّف باليد . وقلت أنا : « الأستعارة تسمية المرجوح الخفىّ بآسم الراجح الجلىّ » ، وهذا المعنى وإن كان غير قول فخر الدين رحمه الله تعالى : هى جعل الشىء للشىء للمُبالغة فى التشبيه ، لأنك إذا سمّيت المرجوحَ الخفىّ بآسم الراجح الجلىّ « فقد جعلتَ ما للراجح الجلىّ للمرجوح الخفىّ » من الرُّجْحان والظهور ، فتكون قد بالغت فى تشبيه المستعار له بالمستعار منه (فالعبارة الثانية أرشق ؛ وإذا عرفت الأستعارة فاُعلم أنها على ضربين[1]) : مرشّحة ومجرّدة ، لأنّ المتكلّم إمّا أن يراعىَ جانب المستعار (منه[2]) أو المستعار له فقط ، والأول هو الترشيح ، والثانى هو التجريد ، ومثال الأوّل قول الله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ[3] ﴾ فإن المستعار منه الذى هو الشّراء هو المُراعىَ هاهنا ، وهو الّذى رشّح لفظَى الرِّبح والتّجارة للأستعارة[4] لما بين الشراء والربح والتجارة من الملاءمة .

ومثال المجرّدة قوله تعالى : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ[5] ﴾ فإن هذه الآية لو نُظر فيها إلى المستعار وهو اللّباس لقيل : فكساها الله لباسَ ، ولكنّها نظر فيها إلى المستعار له وهم المفعول بهم (ذلك[6]) وعلى ظاهر

---

(١) هذه العبارة التى بين قوسين عن الأصل ، د ، س ، ت وفى ب أخصر وأحسن .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، ا ، ب وهى عن د ، س ، ت ، ولا يستقيم الكلام إلا بها .

(٣) سورة البقرة آية ١٦ (٤) فى الأصل « واستعارة » وفى د ، س ، ت ، والاستعارة وما أثبتناه عن ا ، ب وهو الصواب .

(٥) سورة النحل آية ١١٢

(٦) تكملة عن ا ، ب ، د ، س ، ت

[٥] هذا النظم إشكال قد أجبتُ عنه بعد تقريره ليس هذا موضع ذكره ، وسيأتى في مكانه . وكلٌّ من الاستعارتين ينقسم إلى قسمين : قسم يأتى الكلام فيه على وَجْهِهِ فلا يفيدُ إلاّ بعضَ مطلوبات الاُستعارة ، ومطلوباتها ثلاثة : المبالَغة في التشبيه ، والظهور ، والإيجاز . وقسم يأتى الكلام فيه على غير وجهه ، فيفيد جميع مطلوبات الاستعارة . مثال الأوّل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ[1]﴾ استعيرت الأم[2] للأصل ، فلم تُفِد هذه الاستعارة سوى الظّهور ، لأن الأمّ أظهر للحسّ من الأصل هٰهنا. ومثال الثانى قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا[3]﴾ فإنّ وجه الكلام أنْ يقال : واشتعل شيْب الرأس، ولو جاء الكلامُ كذلك لأفاد الظّهور فقط دون المبالغة ، (واللفظ الأوّل يُعطِى عمومَ الشيب جميع نواحى الرأس[4]) كما أنك إذا قلت : اشتعلتْ نارُ البيت ، صدق ذلك على اشتعال النّار في بعض نواحيه دون بقيّته ، بخلاف ما إذا قلت : اشتعل البيتُ نارا ، فإنّ مفهوم ذلك اشتمالُ النّار على كل البيت بجميع أجزائه ، ومثل هذه الاستعارة قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا[5]﴾ ؛ ولو قيل : وفجّرنا عيونَ الأرض، لم يُعْطِ أنّ الأرض كلّها صارت عيونا ، ويفيد ذلك لفظ القرآن .

---

(١) سورة الزخرف آية : ٤

(٢) استعير لفظ الأم للأصل لأن الأولاد تنشأ من الأم كما تنشأ الفروع من الأصول وحكمة ذلك تمثيل ماليس بمرئى حتى يصير مرئيا .

(٣) سورة مريم آية : ٤

(٤) العبارة التى بين قوسين عن الأصل ، د ، س ، ت أما عبارة ا ، ب فهى «لأن اللفظ الأول لا يعطى عموم الشيب جميع نواحى الرأس بحيث لم يبق موضع إلا عمه كما يعطيه لفظ القرآن »

(٥) سورة القمر آية : ١٢



وتنقسم الاستعارة من غير هذا الوجه خمسة أقسام : استعارة المحسوس للمحسوس بسبب المشاركة فى وصف محسوس ، وهى الاستعارة الكثيفة ، واستعارة المحسوس للمحسوس للاشتراك فى أمر معقول ، وهى الاستعارة المركبة من الكثيف واللطيف ، واستعارة المحسوس للمعقول[1] ، وهى ألطف من المركبة ، واستعارة المعقول للمعقول المشاركة فى أمر معقول ، وهى ألطف الاستعارات . مثال الأولى قوله تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ[2] ﴾ فإنّ أصل الموج تحريك المياه ، فاستعير لحركة يأجوج لاشتراك المستعار والمستعار له فى الحركة ، ومن هذا القسم قوله تعالى : ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ[3] ﴾ فإن خروجَ النورِ من المشرق عند انشقاق الفجر الأول إلى حين طلوع الشمس أوّلا فأوّلا أشبه الأشياء بخروج النفس شيئا فشيئا ، ومثال الثانية قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ[4] ﴾ فإنّ المستعار له الريح ، والمستعار منه ذات النّتاج ، والمستعار العُقْم[5] ، وهو عدم النّتاج ، والمشاركة بين المستعار له ، والمستعار[6] منه فى عَدَم النّتاجِ وهو شىء معقول ، ومثال الثالثة قوله تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ[7] ﴾ فالقذف والدّمغ مستعاران وهما محسوسان ، والحقّ والباطل

(١) لم يأت القسم الرابع فى جميع الأصول ، وهو استعارة المعقول للمحسوس للاشتراك فى أمر معقول ، مع أنه مثل له بقوله تعالى : (إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية) . المستعار له كثرة الماء وهى حسية والمستعار منه التكبر وهو عقلى والجامع الاستعلاء المفرط وهو عقلى أيضا .

(٢) سورة الكهف آية ٩٩

(٣) سورة التكوير آية ١٨

(٤) الذاريات آية ٤١

(٥) فى الأصل « العقيم » وهو خطأ من الناسخ .

(٦) ما بين قوسين ساقط من الأصل ود ، س ، ت وهو عن ا ، ب .

(٧) الأنبياء آية : ١٨

مستعار لها وهما معقولان ، ومثله(١) قوله تعالى : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ(٢)﴾ ؛ فالمستعار الحبل ، وهو محسوس ، والمستعار له العهد ، وهو معقول ، والمشاركة بينهما فى الاتصال ، لأنّ العهد يصل بين المُعاهد والمُسْلم كما يصل الحبلُ بين المرتبطين به ، وهو

٥ شىء محسوس ، ومن هذا القسم أيضا قوله تعالى ﴿ فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ(٣) ﴾ فالمستعار منه الزجاجة ، والمستعار الصَّدْع ، وهو الشّقّ ، والمستعار له عقوق(٤) المكلّفين ، والمعنى صرّحْ بجميع ما أوحى إليك وبَيِّنْ كلّ ما أُمرتَ ببيانه وإن شَقّ ذلك على بعض القلوب فانصدعت ، والمشابهة بينهما فيما يؤثره التصديع فى القلوب ، فيظهر أثر ذلك على ظاهر الوُجوه من التقبّض والانبساط

١٠ ويلوح عليها من علامات الإنكار والإستبشار ، كما يظهر ذلك على ظاهر الزُّجاجة المصدوعة من المَطْروقة فى باطنها ، فانظر إلى جليل هذه الاستعارة وإلى عظيم إيجازها ، وما انطوت عليه من المعانى الكثيرة التى ذكرنا ملخّصها (فى ثلاث(٥) لفظات) وكذلك أن بعض الأعراب لمّا سمع هذه اللفظات الثلاث سجد ، فقيل له : لِمَ سجدتَ ؟ فقال : سجدتُ لفصاحة هذا الكلام ، لأنه

١٥ أدركَ منه بديها (من غير(٥) تأمّل) كلّ ما أدركناه بعد النّظر والرّويّة ، وتقدّم تحصيل موادّ النّظر فى المدّة الطويلة ، ومن هذا الموضع تبين لك أنّ العربَ

---

(١) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت والذى فى ا ، ب « وكذلك » والأول أظهر .

(٢) سورة آل عمران آية : ١١٢

(٣) سورة الحجر آية : ٩٤ .

(٤) فى الأصل ، د ، س ، ت (عقول) وما أثبتناه عن ا ، ب حيث إنه بصدد تمثيل استعارة المحسوس للمعقول . ورأيى أن المستعار له فى (فاصدع بما تؤمر) هو تبليغ الرسالة وهو عقلى والجامع لهما التأثير وهو عقلى أيضا .

(٥) الكلمات التى بين قوسين ساقطة من ا ، ب .



تيقّنت من أول ما سمعت القرآن أنه غيرُ مقدور للبَشَر ، فلم تشتغل بالمعارضة ، ولا حدثتْ نفوسها بها[١] ، ومثال (الاستعارة) الرابعة قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ[٢] ﴾ المستعار الطغى وهو (الاستعلاء) المنكر ، والمستعار منه كلُّ مستعلٍ متكبرٍ متجبرٍ مضرٍّ ، والمستعار له الماء ؛ والطّغى معقول ، والماء محسوس (والمستعار[١]) منه محسوس . ومثال الخامسة قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ[٣] ﴾ فالمستعار السكوت والمستعار له الغضب ، والمستعار منه الساكت ، والمعنى ولمّا زال عن موسى الغضب ، لأن حقيقة السكوت زوال الكلام ، وحقيقة زوال الغضب عدم ما يدّل عليه من الكلام (أو غيره[١]) فى تلك الحال ، وغضب موسى عليه السلام إنما عُرِف هناك من قوله ﴿ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي[٤] ﴾ فإنّ هذا الكلام كان مقدّمة إلقاء الألواح ، ولما زال الكلام الدالّ على الغضب حَسُنَت استعارة السكوت للغضب ، ولا يلزم من سكوت الغضب حصولُ الرضى فإن موسى عليه السلام لم يَرْض بمعصيتهم ولا ببقائهم على المعصية حتى تحصل التوبة ولهذا أخبر سبحانه عنه بسكوت الغضب دون حصول الرّضى ، وهذه الاستعارة ألطف الاستعارات الخمس ، لأنها استعارة معقول لمعقول للمشاركة فى أمر معقول . ومن الاستعارة نوع يسمّى الاستعارة التخييلية ، وأكثر

(١) الكلمة التى بين قوسين ساقطة من ا ، ب .

(٢) سورة الحاقة آية : ١١

(٣) سورة الأعراف آية ١٥٤

(٤) سورة الأعراف آية : ١٥٠ شبه انتهاء الغضب بالسكوت بجامع الهدوء فى كل ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو السكوت للمشبه . وهو انتهاء الغضب ثم اشتق من السكوت بمعنى انتهاء الغضب سكت بمعنى انتهى .



(وقوعها[1]) فى الآيات التى يتمسّك بها المشبِّهة[2] ، ومنها قوله تعالى :
﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ[3]﴾ فالمستعار الاستواء ، والمستعار منه كلّ جسم
مستوٍ ، والمستعار له الحقّ عزّ وجلّ ، ليتخيّل السامع عند سماع لفظ هـــذه
الاستعارة مَلِكا فرَغ من ترتيب (ممالكه[4]) وتشييد مُلكه ، وجميع
٥ ما تحتاج إليه رعاياه وجنده من عمارة بلاده ، وتدبير أحوال عباده ، استوى
على سرير ملكه استيلاء عظمة ، فيقيس السامع ما غاب عن حِسّه من أمر
الإلهية على ماهو متخيله من أمر المملكة الدنيويّة عنـد سماع هذا الكلام
« ولهذا لا يقع ذكر الاستواء على العرش إلا بعد الإخبار بالفراغ[5] من » « خلق
السموات والأرض وما بينهما ، وإن لم يكن ثَمَّ سريرٌ منصوب[6] »
١٠ ولا جلوسٌ محسوس ، ولا استواء ، على مايدل عليه الظاهر من تعريف هيئة
مخصوصة ، ومن ذلك قوله : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ[7]﴾
فالمستعار البسط ، والمستعار منه يد المنفق ، والمستعار له يد الحقّ سبحانه وتعالى
اللتان يراد بهما ها هنا التصرّف فى الملك بالأرزاق ، وذلك ليتخيل السامع

---

(١) فى ا ، ب وأكثر ماتأتى

(٢) المشبهة صنفان : صنف شبهوا ذات البارى بذات غيره ، وصنف آخر شبهوا صفاته بصفات غيره ، وكلا الصنفين ينقسم إلى أقسام شتى ، وأول ظهور المشبهة صادر عن فرق من الروافض الغلاة ، انظر شرح ذلك مطولا فى الفرق فى أصناف الفرق من ٢١٤ — ٢١٩ والملل والنحل .

(٣) سورة الفرقان آية ٦٠

(٤) مكان هذه الكلمة بياض بالأصل . وهى عن باقى النسخ .

(٥) عبارة ا ، ب « كذلك كان الإخبار بالاستواء على العرش لا يأتى فى القرآن كله إلا بعد . الخ .

(٦) عبارة ا ، ب « حقيقى » وما أثبتناه عن الأصل وبقية النسخ وهو أدق معنى .

(٧) سورة المائدة آية ٦٤



عند سماع ذلك أن ثمّ يدين مبسوطتين بالإنفاق ، ولا يدان فى الحقيقة ولا بسط على ما يدل عليه الظاهر ، وإنما جاء الكلام على ما جاء عليه الأزدواج ، حيث قالت اليهود لعنهم الله : (يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ) فقال سبحانه فى الجواب : (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا) فخرج هذه الجملة المعترضة بين الكلام والجواب مخرج الألتفات ، ثم عاد إلى الجواب فقال : (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) فجاء هذا الألتفات بالدعاء عليهم معترضا بين الدعوى والردّ بلفظ التعطّف فى قوله : (مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ) وحصل الردّ بعد الدعاء عليهم المشعر بكفرهم من قوله : تعالى : (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) لأن غلّ اليد عن الإنفاق لا يقع إلا من أحد[1] منفقين : منفق فوقه قاهر يأخذ على يديه ، ومنفق[2] يخاف الفقر فيمسك عن الإنفاق ، والحقّ سبحانه فوق كل قاهر ، وغناه لا يخاف معه الإملاق ، فيندمج[3] فى ضمن الردّ عليهم ما يدلّ عليه فحوى الردّ من (التمدّح بالعلوّ على كل شىء بالغنى الأكبر [8] كما أندمج فى ضمن الدعاء عليهم[4]) واستحقاقهم الذم على كفرهم ، فحصل من مجموع ذلك ضرب من البديع يقال له الافتنان ، وهو جمع الكلام بين فنّين متغايرين فصاعدا كهذا الكلام الّذى جمع بين هجاء اليهود ومدح الحقّ نفسه الّذى لزم من الردّ عليهم ، ومن هذا النوع من الاستعارة قوله تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ[5] ﴾ فإن إثبات الجناح للذلّ يخيّل للسامع أنّ ثمّ جناحا يخفض ، والمراد

(١) كذا فى الأصل ، د ، وس ، ت والذى فى ا ؛ ب « واحد » .

(٢) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت والذى فى ا ، ب « أو آخر » .

(٣) كذا فى الأصل ، د ، س ت وعبارة ا ، ب « فيكون » .

(٤) العبارة التى بين قوسين أختصرت فى ا ، ب اختصارا غير مخل بالمعنى .

(٥) سورة الإسراء آية : ٢٤ .

(والله أعلم[١]) أَلِنْ لهما جانِبَك ، وتَواضعْ لهما تواضُعا يُلْصِقك[٢] بالتراب ﴾
والجامع بين هذه الأستعارة والحقيقة أنّ الجَناح الحقيقىّ فى أحد جانبى الطائر ،
وأنّ الطائر إذا خَفَض جناحه انحط إلى الأرض والَصِق بالتراب ، ولما كانت
الأستعارة تفيد المبالغة فى التشبيه التبستْ بالتشبيه المحْض فى بعض المواضع
٥ فاحتاجتْ إلى الفَرْق ، وهو أنْ تعلم أن من حقّ الأستعارة أن يُطوَى معها
ذكر المستعار (البتة ، فلا يُعرَف إلاّ بدلالة الحال عليه أو فحوَى الكلام[٣])
كقوله زُهير[٤] (الطويل) :

لَدَى أسدٍ شاكى السِّلاحِ مقذَّفٍ   له لِبَدٌ أظفارُهُ لَمْ تقلَّمِ

ومن ثمّ يتناسى البليغ التشبيهَ عند أخذه فى الأستعارة ، ويَضرب عنه
١٠ صفحا ، كقول أبى تمام[٥] (المتقارب) :

ويَصعَد حتى يَظُنَّ الجهولُ   بأنّ له حاجةً فى السماء

ومن ها هنا اختلف العلماء فى قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ
نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُــــورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ
لاَ يُبْصِرُونَ[٦] ﴾ فذهب المحققون من علماء البيان إلى أنّ هذا تشبيه بليغ

---

(١) مابين القوسين ساقط من ا ، ب وهو عن باقى النسخ .

(٢) عبارة ا ، ب يلصق بك التراب .

(٣) كذا فى الأصل د ، س ، ت وعبارة ا ، ب « له ويؤتى بالكلام خاليا عنه البتة صالحا لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة الحال » .

(٤) شاكى السلاح ، أى سلاحه ذو شوكة ، يريد شائك والمقذف : الغليظ اللحم واللبد : الشعر المتراكم على زبرة الأسد . وهو يريد الجيش والخط على الأسد .
قوله شاكى السلاح تجريد لأنه قرن بما يلائم المستعار له أعنى الرجل الشجاع وقوله مقذف إلى اخر البيت ترشيح لأن هذه الصفة إنما تلائم المستعار منه أعنى الأسد الحقيقى ، والترشيح أبلغ من الإطلاق والتجريد ، ديوانه ط دار الكتب المصرية : ٢٣ .

(٥)ديوانه ص٣٥١ط بيروت.أستعار الصعود لعلو القدرثم بنى عليهما يبنى على علو المكان

(٦) سورة البقرة آية : ١٧



لا أستعارة ، لكون المستعار له مذكورا ، وهم المنافقون ، وقال من سماه أستعارة : قد طُوِى ذكرُ المنافقين فى الجملة بحذف المبتدأ ، ونظيره قول الفرزدق[1] للحجّاج (الكامل) :

أسدٌ علىّ وفى الحروبِ نعامةٌ فَتْخاء تَنفِر من صَفِير الصافرِ

وهذا ليس بشىء ، فإنّ الكلام فى الآية الكريمة قد صدّر بأداة التشبيه ، والضمير المضاف إليه فى (مثلهم عائد إلى المنافقين) (والله أعلم بالصواب[2]) .

* * *

باب التجنيس*

للتجنيس[3] أصلان : وهما جناس المزاوجة ، وجناس المناسبة ، تفرّع[4] فيهما

---

(١) الخبر فى العقد الفريد ح ٣ : ٢٠ ، وتنزيل الآيات ٥٠ : ٧٥ والفتخاء : اللينة الضعيفة ، وهو صفة ذم لها . وتنفر : تجد وتسرع فى الهرب .

(٢) العبارة التى بين قوسين ساقطة من د ، ت ، س والذى فى ا ، ب « الله اعلم » وإذا حولنا بيت الفرزدق إلى استعارة قلنا .

إذا لقينى زأر وزبجر ، وإذا نزل ساحة الحرب حل جناحيه وجفل وفر من صفير الصافر .

* ألف فيه الاصمعى كتابا . البديع لإبن المعتز : ٥٥ ، والوساطة : ٤١ ، وجواهر الألفاظ تحت اسم الاشتقاق : ٤ ، والعمدة ١ : ٢٢٠ ، والنكث فى إعجاز القرآن للرمانى : ٣٩ والصناعتين : ٢٢١ ، وسر الفصاحة : ١٨٣ ، وأسرار البلاغة : ٤ وبديع ابن منقذ : ٦ والتبيان للزملكانى ١٢٢ وروضة الفصاحة : ٢١ ، والمثل السائر : ١٥٢ والإيضاح ٦ : ٩١ وخزانة ابن حجه : ٢٠ ونهاية الأرب ٧ : ٩٠ والطراز لليمنى ٢ : ٣٥٥ وحسن التوسل : ٤٢ ، ألف فيه الأستاذ على الجندى كتاباً تحت اسم « فن الجناس » .

(٣) الجناس والتجنيس والمجانسة والتجانس كلها ألفاظ مشتقة من الجنس . حده فى الاصطلاح تشابه الكلمتين فى اللفظ ، واختلافهما فى المعنى فائدته وإن لم يذكرها ابن أبى الأصبع إلا أنى أقول إنه يميل بالسامع إلى الإصغاء فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلاً وإصغاء اليها ولأن اللفظ المذكور إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به معنى آخر كان للنفس تشوق إليه .

(٤) كذا فى الأصل وفى بقية النسخ « يتفرع منها » .

عشرة فروع : منها لفظىّ ، ومنها معنوىّ ، شاهد الفرع الأول من جناس المزاوَجة اللفظى قوله تعالى : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا[1]﴾ لأنّ السيئة الثانية ليست بسيئة ، وإنما هى مجازاة عن السيئة ، سُميت بأسمها لقصد المزاوجة ، ومثلُه قوله تعالى : ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ[2]﴾ سمّى سبحانه جزاء الأعتداء (أعتداء)[3] (ليكون فى نظم الكلام مزاوجة[4]) ، واشترط المثليّة فى الأعتداء جرياً على قانون العدل وأمراً بالإنصاف . شاهد الأصل[5] الثانى وهو[6] جناس المناسبة اللفظى — قوله تعالى : ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ[7]﴾ . وقوله سبحانه : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ[8]﴾ وفروع التجنيس كلّها منقسمة على قسمين : تجنيس تغايُر ، وتجنيس تماثُل ، فالتغاير أن تكون إحدى (كلمتى[9] التجنيس) اسما ، والأخرى فعلا ، كقوله تعالى : ﴿أَثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ[10]﴾ ، والتماثل أن تكون

[9]

(١) سوره الشورى آية : ٤٠

(٢) سروة البقرة آية ١٩٤

(٣) الكلمة التى بين قوسين ساقطة من ا ، ب

(٤) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت والذى فى ا ، ب « لقصد المزاوجة »

(٥) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت . وفى ا ، ب « الفرع » وهو أنسب بالسياق

(٦) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت والذى فى ا ، ب « ومن »

(٧) سورة الأنعام اية : ٧٩

(٨) سورةالروم آية: ٤٣

(٩) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت والذى فى ا ، ب « كلمتين »

(١٠) سورة التوبة آية : ٣٨

الـكلمتان اسمين أو فعلين ، أو فعلا وحرفا ، وهو على ضربين : ضرب تماثل فيه الـكلمتان لفظا وخطّا ، وضرب لا يتماثلان إلا من جهة الاشتقاق فحسب . مثال الفرع الأول من هذا الأصل قوله تعالى : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ[1] ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ[2] ﴾ ، ومثال الثانى قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا[3] ﴾ وهذا الفرع يسمى تجنيس التصحيف ، وهو أن يكون (النقط[4]) فيه فارقا بين الـكلمتين ؛ ومثال الثالث وهو تجنيس التحريف الذى يكون الضبط فيه فارقا بين الـكلمتين أو بعضهما ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ[5] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ[6] ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ[7] ﴾ وقوله جلّ اسمه ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ[8] ﴾ ومثال الرابع وهو تجنيس التصريف الذى هو اختلاف صيغة الـكلمتين بإبدال حرف من حرف إما من مخرجه أو من قريب من مخرجه ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ[9] ﴾

٥

---

(١) سورة الواقعة آية ٨٩

(٢) سورة الرحمن آية : ٥٤

(٣) سورة الكهف آية ١٠٤

(٤) كذا فى الأصل ، د ، س والذى فى « ت » « اللفظ » وفى ا ، ب « الذى يكون الضبط » الخ .

(٥) سورة العاديات آية : ١١

(٦) سورة القصص آية : ٤٥

(٧) سورة النساء آية : ١٤٣

(٨) سورة الصافات آيتا : ٧٢ ، ٧٣ . وفى جميع النسخ « نأرسلنا » وهو خطأ والصواب ما أثبتنا

(٩) سورة الأنعام اية ٣٦



ومثال الخامس وهو تجنيس الترجيع ، ويسمّى التجنيس الناقص ، وتجنيس التبديل،وهو الذى يوجد فى إحدى كلمتيه حرف لا يوجد فى الأخرى ، وجميع حروف الأخرى يوجد فى أختها على استقامتها ، وهو ثلاثة أقسام : قسم تقع الزيادة منه فى أول الكلمة كقوله تعالى : ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ(١) ﴾ وقسم تقع الزيادة منه فى وسط الكلمة ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ(٢) ﴾ وقسم تقع الزيادة منه فى آخر الكلمة كقوله تعالى ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ(٣) ﴾ ومثال السادس وهو تجنيس العكس ، وتعريفه أن تكون إحدى كلمتيه عكس الأخرى بتقديم بعض الحروف على بعض ، كقوله تعالى : ﴿ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي ١٠ [١٠] إِسْرَائِيلَ(٤) ﴾ و بقية فروع التجنيس لم تأت لها أمثلة فى الكتاب العزيز لما يدلّ عليه نظمها من التكلّف والتصنّع،وقد جاءت أصولها كلها فيه ، وكل ما سقناه من أصول التجنيس وفروعه أمثلة القسم اللفظىّ من التجنيس ، وأما المعنوىّ فمثل قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ(٥) ﴾ مع قوله ﴿ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(٥) ﴾ فإن التقدير — والله أعلم — يأيها المكذّبون أنتم المكذّبون .

* * *

---

(١) سورة القيامة آيتا ٢٩ ، ٣٠

(٢) سورة العاديات آيتا ٧ ، ٨

(٣) فى جميع الأصول « فكلى » وهو خطأ . والصواب ما أثبته انظر آية ٦٩ من سورة النحل

(٤) سورة طه آية ٩٤

(٥) آيتا ١ ، ٢ من سورة الكافرين

باب الطباق(*)

الطباق[1] على ضربين : حقيق ، ومجازى ، وكل من الضربين على قسمين : لفظى ومعنوى ، فما كان منه بألفاظ الحقيقة أبقوا عليه اسم الطِّباق ، وما كان كله بألفاظ المجاز أو بعضه سمّوه تكافؤا ، بشرط أن تكون الأضداد لموصوف واحد ، فإنْ كان[2] الضدان أو الأضداد لموصوفين والألفاظ حقيقية فهو الطباق إن كان الكلام جامعا بين ضدّين فذّين[3] « وإنْ[4] » كانت الأضداد أربعة فصاعدا كان ذلك مقابلة ، فالفرق بين الطباق والمقابلة إذاً من وجهين : أحدهما أنّ الطِّباق لا يكون إلا بالجمع بين ضدّين فذّين فقط ، والمقابلة لا تكون إلا بما زاد على الضدّين من الأربعة إلى العشرة . ٥

---

* بحثه فى العمدة ٢ : ٥ وقواعد الشعر لثعلب : ٥٦ وبديع ابن المعتز : ٤٧ ونقد الشعر تحت اسم التكافؤ : ٨٥ وجواهر الألفاظ : ٧ والوساطة : ٤٤ والصناعتين : ٣٠٧ ، وسر الفصاحة : ١٨٨ ، وأسرار البلاغة : ١٤ ، وبديع ابن منقذ تحت اسم التطبيق : ١٨ والتبيان فى علم البيان : ١٢٥ والموازنة للآمدى : ٢٥٦ ، ٦٩ وروضة الفصاحة : ٣٦ والمفتاح : ٢٤٥ ، والمثل السائر تحت اسم التناسب بين المعانى : ٤٢٩ ، والإيضاح ٦ : ٦ وخزانة الأدب لابن حجة : ٦٩ ونهاية الأرب جـ ٧ : ٩٨ ، وحسن التوسل : ٤٩ والطراز ٢ : ٣٧٧ .

(١) الطباق : ويسمى المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ وهو الجمع بين معنين متضادين أى معنين متقابلين فى الجملة ولا مناسبة بين معنى المطابقة لغة واصطلاحا فإنها فى اللغة الموافقة يقال طابقت بين الشيئين إذا جعلت أحدهما على حذو الآخر كما يقال طابق الفرس فى جريه إذا وضع رجليه مكان قدميه وابن الأثير فى المثل السائر يعجب لأنه لايعرف من أين اشتقت هذه التسمية إذ لامناسبة بين الاسم ومسماه وقدامة يسميه التكافؤ وهو عنده اجتماع المعنيين فى لفظة مكررة . كقوله

وأقطع الهوجل مستأنسا ... بهوجل عيرانة عنتريس

(٢) فى الأصل ، ا ، ب « كانت » .

(٣) الفذان : تثنية فذ . وهو الفرد (قاموس)

(٤) فى ا ، ب « فان »



والوجه[١] الثانى أنّ المقابلة تكون بالأضداد و بغير الأضداد ، فمن أمثلة التكافؤ قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى[٢] ﴾ فإنّ اشتراء الضلالة و بيع الهُدَى مجاز ، هذا إنْ كان أصل الضلالة إخطاء الطريق المحسوس الحقيقى خاصّة ، ولم يكن عاما فى إخطاء كلّ طريق مستقيم حقيقىّ
٥ أو مجازىّ ، ويكون الهدى إصابة الطريق المحسوس الحقيقى ، ثم اُستعمِلا فى غيرهما توسُّعا ، فإنِّى لم يثبت عندى ذلك ، بل هو شىء ادّعاه بعض الناس يَرِد عليـه المنع حتى يدلّ عليه بنقل يُعْزى إلى ديوان مشهور من دواوين اللغة ، يصرح فيه بأن أصل الضلالة والهدى ذلك .

ومن شواهد التكافؤ أيضا قوله تعالى : ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ[٣] ﴾
١٠ أى ضالاً فهديناه ، فإنّ الموت والحياة ها هنا مجاز ، وعلى هذا فلا بد أنْ يأتى فى الـكلام المتضمّن التكافؤ اُستعارة ، فإنْ لم تـكن فيه استعار فلا تـكافؤ
وأمّا الطباق الذى يأتى بألفاظ الحقيقة فهو على ثلاثة أقسام : طباق سلب ، وطباق إيجاب ، وطباق ترديد ؛ فمن الأول قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ[٤] الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا[٥] ﴾
١٥ وقوله سبحانه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ
[١١] لَا يُؤْمِنُونَ[٦] ﴾ وقوله عزوجل ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ[٧] ﴾

---

(١) كذا فى الأصل ، ا ب . وفى د ، ت ، ص « الثانى »
(٢) سورة البقرة آية ١٦
(٣) سورة الأنعام آية ١٢٢
(٤) سورة الأعراف آية ١٤٦
(٥) بعض هذه الآية الذى بين قوسين ساقط من جميع النسخ . وهو عن الأصل .
(٦) سورة البقرة آية ٦
(٧) سورة المائدة آية ١١٦ .

والقسم الثانى من الطّباق : وهو طباق الإيجاب ، فمنه قوله تعـــالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ، وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى[١] ﴾ . فانظر إلى فضل هذا الطباق كيف جمع إلى الطباق البليغ التّسجيعَ الفصيح ، لمجىء المناسبة التامة فى فواصل الآى .

٥ ومّما جاءت المطابقة فيه على انفرادها من هذا القسم ، قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ[٢] ﴾ . أى ما تنقص وما تزيد .[٣]

ومن هذا القسم أيضا ، قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ[٤] ﴾ . فجمع سبحانه للمؤمنين فى هذا الوصف ١٠ بين الفعل والتّرك ، إذ وصفهم بالخشوع فى الصلاة وترك اللّغو ، وهذا كله من طباق الإيجاب المعنوىّ .

والقسم الثالث من الطباق — وهو طباق التّرديد — على ضربين أيضا : سلب وإيجاب ، وتعريفه أن يُردّ[٥] آخر الكلام المطابق على أوله ، فإن لم يكن مطابقا فهو ردّ الأعجاز على الصدور . ومن أمثلة الموجب منه قوله تعالى : ١٥ ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ[٦] ﴾ فجمعت هذه الآية الكريمة

---

(١) سورة النجم : الآيات ٤٣ — ٤٥ .

(٢) سورة الرعد آية ٨ .

(٣) كذا فى الأصل . وفى بقية النسخ « وماتنقص الأرحام وما تزداد » والأول أنسب .

(٤) سورة المؤمنين آيتا ٢ و ٣ .

(٥) كذا فى الأصل ، د ، ت ، س والذى فى ا ، ب « وأن ترد »

(٦) سورة البقرة آية ٢١٦ .



بين المقابلة وبين[1] طباق السّلب المعنوىّ ، فالمقابلة جاءت من صدر في قوله تعالى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ ؛ فقابل الكراهية بالحبّ ، والخير بالشرّ . والطباق المعنوىّ فى قوله : ﴿ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ . لأنّ تقدير المعنى فيه : والله يعلم وأنتم تجهلون .

وقد جاء للطباق قسم غير ما تقدّم ذكره ، وهو ائتلاف الطباق والتكافؤ في كلام واحد ، لمجيء أحد الضدّين أو أحد المتقابلين حقيقة والآخر مجازا ، كقوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ[2] ﴾ . فهمود الأرض واهتزازها ضدّان لأنّ الهمودَ سكونٌ خاص ، والاهتزاز ها هنا حركة خاصّة ، وهما مجازان ؛ والرّبو والإنبات ضدّان ، وهما حقيقتان[3] . وإنّما قلنا ذلك لأنّ الأرضَ تَربُو حالة نزول الماء عليها ، وهى لا تُنْبِت[4] فى تلك الحالة ، فإذا انقطعت مادّة السماء وجفّف الهواء رطوبةَ الماء خَمَد ، الرّبو وعادت الأرض إلى حالها من الاستواء ، وتشقّقت وأنبتت . فصدر الآية تكافؤ ، وما قابله فى عَجُزها [١٢] طباق . وفيها مع التكافؤ والطباق إرداف ، وهو ضرب من البديع[5] ، سيأتى

(١) فى ا و ب « وهو » وهو تحريف .

(٢) سورة الحج آية ٥

(٣) فى الأصل « حقيقان » وهو تحريف وما أثبتناه عن بقية النسخ إذ هو المناسب بالسياق .

(٤) فى الأصل وهى تربو « وبه يحصل التناقض وما أثبتناه عن باقى النسخ » .

(٥) كذا فى الأصل ، ا ، ب . وفى د ، ت ، س « وهو من باب البديع » وما أثبتناه أدق .



ذكره و بيانه للعدول عن لفظى الحركة والسكون الحقيقيين إلى أردافهما[1] من لفظى الهمود والاهتزاز ، لما فى لفظ الإرداف من الملاءمة للمعنى المراد ، ليأتى لفظها معنويًا بالائتلاف . لأنّ الهمودَ يراد به الموت ، والأرض فى حال عطلها من السّقى والنبات مَوات ؛ فكان العدول إلى لفظ الهمود المعبّر به عن الموت أولى من لفظ السكون . والاهتزاز المجازىّ مُشعِر بالعطاء ، كاهتزاز الممدوح للمدح ، فلأجل ذلك عدل عن لفظ الحركة العام إلى لفظ الحركة الخاصّ ، لما يُشعر بأنّ الأرض ستعطى عند سقيها ما يرضى من نباتها بتنزّل السّقى لها منزلةَ ما يسرّها فاهتزت لتشعر بالعطاء ، فقد ظهرت فائدةُ العدول إلى لفظ الإرداف لما يعطيه من هذه المعانى التى لا يعطيها لفظ الحقيقة . وقد جاء نَظْم هذه الآية مع ما تضمّن من التكافؤ والطّباق والإرداف والائتلاف منعوتا بالتهذيب لما فيه من حسن الترتيب ، حيث تقدم فيه لفظ الاهتزاز على لفظ الرّبْو ، ولفظ الرّبْو على الإنبات لأنّ الماء إذ نزل على الأرض فرّقَ أجزاءها ، ودخل فى خلالها ؛ وتفريق أجزاء الجواهر الجادية هو حركتها حالة تفرّق الاتصال ، لأن انقسام الجوهر يدلّ على انتقال قسميه أو أحدهما عن حيّزه ، ولا معنى للحركة إلا هذا فالاهتزاز يجب أن يذكر عقيب السقى ، كما جاء الربو بعد الاهتزاز ، فإن التراب إذا دخله الماء ارتفع بالنسبة إلى حالة قبل ذلك ، وهذا هو الرّبو بعينه . وقد تقدّم شرح كون الإنبات إنما يكون بعد الرّبو وجفاف رطوبة الماء وعود التراب إلى حاله وتشققه ، فحصل التهذيب فى نظم هذه الآية بحصول حسن الترتيب ، واقترن بذلك حسنُ النسق لتقدّم كل ما يجب أنْ يكون معطوفا عليه على كل ما يجب أنْ يكون معطوفا . والله أعلم .

* * *

(١) كذا فى الأصل ، د ، ت ، س. أما ا ، ب ففيهما « ردفهما » .

باب رد الأعجاز على الصدور*

و يسمّى التصدير ، وهو عبارة عن كل كلام بَيْنَ صدْره وعجزه رابطة لفظية غالبا ، أو معنويّة نادرا ، تحصل بها الملاءمة والتلاحم بين قِسمَىْ كلّ كـلام . وقد قسمه ابن المعتزّ[(1)] ثلاثة أقسام :

٥ فالأول ماوافق آخر كلمة فى الـكلام آخر كلمة فى صدره ،أو كانت مجانسة لها ، كقوله تعالى :﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً[(2)] ﴾

[١٣] والقسم الثانى ماوافق آخر كلمة من الـكلام أول كلمة منه ، كقوله تعالى : ﴿ قَالَ[(3)] إِنِّى لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴾ ؛ وكقوله سبحانه [أيضا[(4)]] : ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ[(5)] ﴾ .

١٠ والثالث ما وافق آخر كلمة من الـكلام بعض كلمات صدره حيث كانت ،

---

* بحثه فى بديع ابن المعتز : ٩٢ ، تـكلم عنه ابن رشيق تحت اسم التصدير ، العمدة ٢ : ٤ ، الصناعتين : ٢٨٥ التبيان للزملـكانى : ١٣١ ، روضة الفصاحة للرازى : ٣١ ، المفتاح : ٢٢٨ ، وتـكلم عنه ابن الأثير تحت اسم التجنيس وجعله نوعان : ١٥٢ ، الإيضاح ٦ : ١٠٣ ، نهاية الأرب ٧ : ١٠٩ ، خزانة ابن حجة تحت اسم التصدير : ١١ ، حسن التوسل: ٥٢

(١) البديع له : ٩٣

(٢) سورة النساء آية ١٦٦

(٣) هذه الـكلمة ساقطة من ت وهى آية ١٦٨ من سورة الشعراء .

(٤) سقطت هذه الـكلمة من ا

(٥) سورة آل عمران آية ٨



كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ[١] ﴾ ؛ وكقوله سبحانه أيضا : ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً[٢] ﴾ .

وكلّ هذه الأقسام من الضرب الأول الذى رابطته لفظيّة .

وأما مارابطته معنوية فمنه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ[٣] ﴾ ؛ فإن معنى صدر الكلام يتقاضى معنى عجزه .

والفرق بين هذا الضرب من التصدير و بين التسهيم أن تقاضىَ هذا الضرب معنوىّ ، وتقاضىَ التسهيم لفظىّ .

* * *

باب المذهب الكلامى*

الذى ذكره[٤] ابن المعتز أن الجاحظ سمّاه هذه التسمية ، وزعم أنه لا يوجد منه شىء فى القرآن . والكتاب الكريم مشحون به ، ومنه قوله تعالى حكايةً عن الخليل عليه أفضل الصلاة[٥] والسلام : (وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ[٦]) إلى قوله « تعالى[٧] » (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ[٨]) . وتعريف هذا

---

(١) سورة الأنعام آية ١٠ (٢) سورة الإسراء آية ٢١

(٣) سورة المائدة آية ١٠٥

* قيل أن أول من اخترعه الجاحظ فى بديع ابن المعتز ١٠١ ، العمدة تحت باب التكرار ٢ : ٦٣ ، الصناعتين : ٤١٠ ، الإيضاح : ٦٦٠ ، خزانة ابن حجة . ١٦٥ ؛ نهاية الأرب ٧ : ١١٤ ، حسن التوسل: ٥٥

(٤) البديع له ص ١٠١

(٥) هكذا فى الأصل . والذى فى د ، ت ، س « عليه السلام » أما « عبارة « ا » فهى هكذا :ومنه قوله تعالى : وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه . فقط .

(٦) سورة الأنعام آية ٨٠

(٧) هذه الكلمة ساقطة من د ، ت ، س

(٨) سورة الأنعام آية ٨٣



الباب هو[١] أنْ تقول: إنه احتجاج المتكلِّم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند له فيه على طريقة أرباب الكلام ، ومنه نوع منطقى تُستنتج فيه النتائجُ الصحيحة من المقدِّمات الصادقة ، فإن الإسلاميين من أهل هذا العلم ذكروا أنّ من أوّل سورة الحج إلى قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ[٢]﴾

٥ خمس نتائج تُستنتَج من عشر مقدِّمات ؛ وسياقها مفصّلة على الترتيب : قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾. لأنا[٣] قد ثبت عندنا بالخبر المتواتر أنه سبحانه أخبر بزلزلة الساعة معظِّماً لها ، وذلك مقطوع بصحّته ، لأنه خبر أخبر به من ثبتَ صدقُه عمّن ثبتت قدرته ، منقول إلينا بالتواتر ، فهو حقّ ، ولا يخبر بالحق عما سيكون إلا الحق ، فالله هو الحقّ . وأخبر سبحانه أنه يحيى

١٠ الموتى ، لأنه تعالى أخبر عن أهوال الساعة بما أخبر ، وحصول فائدة هذا الخبر موقوفة على إحياء الموتى ليشاهدوا تلك الأهوال التى فعلها الله سبحانه من أجلهم ، وقد ثبت أنه قادر على كل شيء ، ومن الأشياء إحياء الموتى، فهو يحيى الموتى ، وأخبر أنه على كلّ شيء قدير، لأنّه أخبر أنه يعمّ[٤] الشياطين ومن يجادل

[١٤] فيه بغير علم بعذاب السعير ، ولا يقدر على ذلك إلاّ من هو على كل شيء قدير ،

١٥ فهو على كل شيء قدير . وأخبر أن الساعة آتية لا ريب فيها ، لأنه أخبر بالخبر الصادق أنه خالق الإنسان من تراب ، إلى قوله : ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا[٥] ﴾؛ وضرب سبحانه لذلك مثلا[٦] بالأرض الهامدة التى ينزل عليها

---

(١) لم يظهر من هذه الكلمة فى الأصل غير حرف « الواو » وقد أثبتناها عن ا ، ب .
(٢) سورة الحج آية ٧
(٣) كذا فى الأصل ، ا ، ب . أما فى د ، ت « لأنه »
(٤) كذا فى الأصل ، ا ، ب ، د ، س وعبارة ت . أنه من يتبع الشياطين ومن يجادل فيه بغير علم يذقه عذاب السعير .
(٥) سورة الحج آية ٥
(٦) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت . وفى ا ، ب « مثالا » .



الماء فتهتز وتربو وتنبت من كلّ زوج بهيج ؛ ومن خلق الإنسان على ما أخبر به فأوجده بالخلق ، ثم أعدمه بالموت ، ثم يعيده بالبعث ، وأوجد الأرض بعد العدم ، فأحياها بالخلق ، ثم أماتها بالمحل ، ثم أحياها بالخصب ، وصدق خبره فى ذلك كلّه بدلالة الواقع الشاهد على المتوقّع الغائب حتى انقلب الخبر عياناً صدق خبره فى الإتيان بالساعة ، ولا تأتى الساعة إلاّ ببعث من فى القبور ، ٥
إذ هى عبارة عن مدّة تقوم فيها الأموات المجازاة (فالساعة[1]) آتية لا ريب فيها ، وهو سبحانه يبعث من فى القبور . وقد ساق الرّمانىّ فى إعجازه المترجم (بالنكت[2]) ، وفى تفسيره (الجامع الكبير) — فى الضرب الخامس من باب المبالغة من الإعجاز — إخراج الكلام مخرج الشكّ للمبالغة فى العدل للاحتجاج بقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ[3] ﴾ ؛ وقوله ١٠ سبحانه: ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ[4] ﴾؛ وقوله سبحانه : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا[5] ﴾ ؛ وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ، لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا[6] وَكُلٌّ[7] فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ يلزمه أن[8] هؤلاء ليسوا بآلهة ، فهم حصب جهنّم . وكذلك ملزوم[9] الآية التى ١٥

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من «ت» .

(٢) النكت فى إعجاز القران له ص ٩٧

(٣) سورة الزخرف آية ٨١

(٤) سورة الروم آية ٢٧

(٥) سورة الأنبياء آية ٢٢

(٦) سورة الأنبياء آيتا ٩٨ و٩٩

(٧) فى ا ، ب « وهم » وهو خطأ .

(٨) كذا فى د ، ت ، س . والذى فى الأصل يلزمه هؤلاء وهو خطأ . وعبارة ا ، ب « ملزومة لكن » .

(٩) كذا فى ا ، ب والذى فى الأصل ، د ، ت ، س «وكذلك يلزم » وهو تحريف .

قبلها، تقديره : لكنهما ما فسدتا، فليس فيهما آلهة إلا الله. ومن ذلك قوله : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ[1] ﴾. وجه استنتاج النتيجة فى هذه الجملة من المقدمتين، أن يقال : الكفار لا يدخلون الجنة (أبدا[2]) حتى يلج الجمل فى خرم[3] الإبرة، والجمل لا يدخل فى خرم[3] الإبرة أبداً، فهم لا يدخلون الجنة أبدا. لأن تعليق الشرط على مستحيل يلزم منه استحالة وقوع المشروط. ونظائر هذه الآيات من هذا الباب قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ[4] ﴾؛ فإن هاتين[5] الآيتين تضمنتا نتيجة من مقدمتين صادقتين. وبيان ذلك أنا نقول : عطية الكوثر تعدل جميع العطيات، وإنما قلنا ذلك لأن الشكر على مقادير النعم، وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقابل هذه النعمة بجميع العبادات البدنية والمالية شكراً عليها. وكل عطية كان الشكر عليها جميع العبادات، لأنه صلى الله عليه وسلم أمر بالصلاة والنحر، والصلاة جامعة لجميع العبادات (فهى تعدل[6] جميع العطيات. وإنما قلنا : إن المأمور به جميع العبادات) البدنية، لجمعها بين القيام والقعود، والركوع والسجود وقراءة القرآن، والأذكار، والصمت عن غير ذلك من الكلام؛ وتحريم الطعام والشراب والبقاء على الطهارة الكاملة، والخضوع والخشوع، والدعاء والابتهال يحرم؛ فيها ما يحرم على الصائم من الأكل والشرب والجماع والرفث[7] وجميع الحركات والسكنات

(١) سورة الأعراف آية ٤٠

(٢) ساقطة من الأصل. وهى عن جميع النسخ.

(٣) كذا فى الأصل، ا، ب وفى د، ت، س « خرق » وهو بمعناه.

(٤) سورة الكوثر ١، ٢

(٥) فى ا، ب « هذين »، وهو خطأ من الناسخ.

(٦) هذه التكملة ساقطة من الأصل، ولا يستقيم الكلام إلا بها. والتصويب عن ا، ب، د، ت، س.

(٧) الرفث والجماع كلاهما بمعنى واحد.



الخارجة عنها ، فهى جامعة لفضيلتى الصلاة والصيام ، وأعمال الظاهر وأعمال الباطن . ثم أمر عليه السلام مع الصلاة بالنّحْر ، ولا يخلو من أن يراد به الحجّ الجامع بين العبادتين ، أو يراد به مطلق النّحْر الّذى يدخل تحته (نحر[١]) الهَدْى فى الحج والنحر للضّيفان ، وافتقاد الجيران ، والإطعام فى الأزَمات[٢]. فقد تبين أنه سبحانه أمر رسوله — صلى الله[٣] عليه وسلم — بجميع العبادات شكراً على عطية الكوثر ؛ فدلّ ذلك على أن عطية الكوثر تعدل جميع العطيات . وإنما كانت لهذه العطيّة هذه المزيّة : لكونه — صلى الله عليه وسلم — أُعطِىَ بها الفضلَ والفخر على جميع الأنبياء — صلوات الله عليهم — حيث تسأل الأمم أنبياءهم فى الشفاعة لهم ليرووا من العطش الأكبر ، فيعتذرون عن ذلك بما ورد عنهم فى حديث الشفاعة الصحيح المشهور ، فلا تجد الأمم حينئذ من يشفع لها ولا يسقيها سوى نبيّنا (محمد[٤]) — صلى الله عليه وسلّم — فيكون له الفضل يومئذ على جميع الأنبياء . فالحظْ ما تضمّنته هاتان الآيتان على قِصَرها من الإشارة الّتى دلّت بألفاظها القليلة على معان لو عُبِّر عنها بألفاظها الموضوعة لها بطريق البَسْط لملأت الطوامير[٥] . ومثل ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ[٦] إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ[٧] ﴾ . وترتيب المقدّمتين فى هذه الكلمات ، والنتيجة أنا نقول : ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ،

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وهى فى باقى النسخ .
(٢) فى ب « الأزمان » وهو تصحيف .
(٣) سنن ابن ماجة ٢ : ٢ . ٣ طبع مصر سنة ١٣١٣ هـ .
(٤) ساقطة من ا ، ب .
(٥) الطوامير : جمع طومار ، وهى الصحيفة (تاج العروس) .
(٦) أخلد إلى الأرض : ركن إليها .
(٧) سورة الأعراف آية ١٧٦ .

ولوشاء الله رفع بلعام[1] بآياته، لمنعه من الانسلاخ منها؛(ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك فخلّى بينه و بين الانسلاخ[2]) ، فلم يرتفع ، وكلّ من لم يرتفع هو مُخلِد[3] إلى الأرض . والله أعلم .

* * *

باب الالتفات[4]*

٥ فسّره قدامة[5] بأن قال : هو أن يكون المتكلم آخذاً[6] فى معنى ، فيعترضه إمّا شكٌ فيه ، أو ظنّ أن رادًّا ردّه عليه ، أو سائلا سأله عنه أو عن سببه ، فيلتفت قبل فراغه من التعبير عنه ، فإما أن يجلى شكّه ، أو يؤكّده ويقرّره

[١٦] أو يذكر سببه[7]. ومثاله قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ[8] ﴾ ؛ وقوله سبحانه :﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي

---

(١) بلعام بن باعوراء : بعث إليه ملك مدين ليدعوه إلى الإيمان ، فأعطاه وأقطعه فاتبع دينه وترك دين موسى ، ففيه نزلت هذه الآية المتقدمة ومابعدها (الجامع لأحكام القرآن ج/٧ ٣١٩ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت . وهى فى الأصل وباقى النسخ.

(٣) مخلد: من أخلد ، أى لزم(اللسان).

(٤) الالتفات : مأخوذ من التفات الإنسان من يمينه إلى شماله ومن شماله إلى يمينه وفائدته العامة أن المتكلم إذا انتقل بكلامه من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أدخل فى القلوب عند السامع وأحسن لنشاطه ودافعا لإصغائه .

* بحثه فى العمدة ح ٢ : ٤٤ ، الكامل ج ٢ : ٣ ، ورغبة الآمل ٦ : ١٢٨ بديع ابن المعتز ١٠٦ نقد الشعر ٢٨٧ الصناعتين : ٣٩٢ التبيان للزملكانى ١٢٧ روضة الفصاحة ٤٢ بديع ابن منقذ : ٦ ، المفتاح : ٢٢٧ ، المثل السائر : ٢٥٤ ، خزانة ابن حجة : ٥٩ ونهاية الأرب ج ٧ : ١١٦ ، حسن التوسل : ٥٦ ، الطراز ٢ : ١٣١ .

(٥) نقد الشعر له / ٥٣ طبع الجوائب ١٣٠٢ هـ .

(٦) كذا فى ا ، ب ، ت وبقية النسخ « آخذ » وهو خطأ .

(٧) كذا فى الأصل ، ت ، وهى ساقطة من ا ، ب والذى فى د ، س « شبيه » وهو تصحيف .

(٨) سورة البقرة آية ٢٤ .



سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ[1] ﴾ . فإنه سبحانه وتعالى — فى الآية الأولى — أراد أن يضمِّن آية التحدّى ضربا آخر من الإعجاز ، بإخباره عن وقوع ما لم يقع بعدَ مَنْ عَجَزَ مِنَ العرب عن معارضة سورة من القرآن ؛ ليكون جريانُ هذا الخبر الصادق على لسان نبيه ، حتى إذا وقع كان علما على صدقه ، فرد المكذبين ، وثبّت المؤمنين — فقال : ﴿ وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ قبل أن يتم الكلام الأوّل بقوله[2] : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ ﴾ ؛ وكان تأخير هذه الجملة ممكنا بحيث يقال : « فان لم تفعلوا فاتقوا النار ولن تفعلوا » لكن[3] لهذا التقديم والتأخير تأثير فى النظم يجمل له فى القلوب — من الجلالة والتفخيم والرونق — مالا يُعبَّر عنه، ولا يُعرف لذلك سبب ظاهر إلا وقوع تجنيس الأزدواج بقوله : ﴿ فإنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ . وكقوله[4] تعالى: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا[5] عَلَيْهِ ﴾ . وفى المعنى تقديم هذا المهمّ ، فإن زيادة علم من أعلام النبوّة فى الكلام مقدّم على الموعظة . وقوله تعالى فى الآية الثانية : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾. فإنه سبحانه لمّا امتنّ على البشر بما أنزل عليهم من اللباس الموارِى سوآتهم بعد سياق قصّة خروج أبيهم من الجنّة بغير لباس ، وأراد « تذكيرَهم[6] وتحريضَهم » على التقوى وهو الخوف من الله أن يسلبهم نعمَه لمتابعتهم الشيطان: — قال قبل تمام الأمتنان: ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ ؛ فإن التحريض على التقوى من جملة الأمتنان . وكان يمكن

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٦ .

(٢) كذا فى الأصل ، د ، س والذى فى ا ، ب « وقوله » وهو خطأ .

(٣) كذا فى الأصل ، د ، ت . وفى ا ، ب « لأن » .

(٤) كذا فى الأصل ، د ، س . والذى فى ا ، ب « وكقوله » وفى ت لقوله .

(٥) سورة البقرة آية ١٩٤ .

(٦) فى الأصل : « تذكرهم وتحرضهم » وهو تصحيف، والتصويب عن باقى النسخ .

فى هذه الآية ما أمكن فى التى قبلها من تأخير هذه الجملة بحيث يقال : قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم وريشا ذلك من آيات الله ، ولباس التقوى ذلك خير . وإنما تأخر فى الكلام ما كان يجوز تقديمه ليحصل فى نظم الكلام نوع من المحاسن يقال له التعطّف، وذلك مجىء ذكر اللّباس فى أول الكلام وفى آخره ؛ « وتأفقّا[1] » من أن يفصل بين الآيات الملائم بعضها بعضا بألفاظ من غيرجنسها ليوصف الكلام بالأئتلاف؛ هذا شرح تسمية قدامة. وأماأبن المعتز[2] فإنه قال : الألتفات أنصراف المتكلّم عن الإخبار إلى المخاطبة كقوله تعالى :
﴿ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ[3] ﴾
وكقوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ[4] لَكُمْ ﴾ . وكقوله تعالى — بعد الإخبار بأن الحمد لله ربّ العالمين —: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ[5] ﴾ . أو الأنصراف [17] عن التكلّم إلى المخاطبة ، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ[6] ﴾ ثم قال منصرفا عن التكلّم إلى الإخبار: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ[6] ﴾. أو الانصراف عن المخاطبة إلى الإخبار ، وهو عكس أوّل آية فى الباب ، كقوله تعالى :
﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ[7] طَيِّبَةٍ ﴾ . أو الانصراف عن الإخبار إلى التكلّم كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ (فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ[8]) ﴾ . وهذا ضد الالتفات الذى

---

(١) كذا فى الأصل ، ا ب . وقد وردت مضطربة الخط فى باقى النسخ .
(٢) فى بديعه ١٠٦ .
(٣) سورة الأحزاب آية ٥٠
(٤) سورة الأنعام آية ٦ فى الأصل « أولم » وهو خطأ .
(٥) فاتحة الكتاب آية ٥
(٦) سورة الكوثر آيتا ١ ، ٢
(٨) سورة فاطر آية ٩ وهذه الآية مضطربة فى جميع الأصول إذ أنه خلط بين أول آية سورة فاطر وآخر آية ٥٧ من سورة الأعراف .



فى سورة الكوثر . أو الانصراف من التكلّم إلى الإخبار ، وهو عكس ما قبله كقوله تعالى : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ[1] ﴾ . وجاء فى الكتاب العزيز من الالتفات قسم غريب جدا لم أظفر فى الشعر له بمثال ، هدانى الله إلى الوقوع عليه ، وهو : أنْ يقدّم المتكلّم فى كلامه مذكورَين مرتّبين[2] ، ثم يخبر عن الأول منهما ، وينصرف عن الإخبار عنه إلى الإخبار عن الثانى ، ثم يعود فينصرف عن الإخبار عن الثانى إلى الإخبار عن الأول. كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ[3] ﴾ انصرف عن الإخبار عن الإنسان إلى الإخبار عن ربه تبارك وتعالى ، ثم قال منصرفاً عن الإخبار عن الرب عز وجل إلى الإخبار عن الإنسان : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ[3] ﴾ . وهذا يحسن أن يسمّى اُلتفات الضمائر ، والله أعلم .

* * *

باب التمام*

وهو التتميم ، الأسم الأول لقدامة[4] ، والثانى للحاتمىّ : وتعريفه. أن تأتى فى الكلام كلمة إذا طُرِحتْ من الكلام نقص معناه فى ذاته ، أو فى صفاته ، ولفظه تام(وإن كان فى الموزون نقص وزنه مع نقص معناه[5]) ؛ فيكون الإتيان

---

(١) سورة فاطر آيتا ١٦ ، ١٧ .

(٢) كذا فى الأصل و ا ، ب والذى فى د ، ت ، س مرتين .

(٣) سورة والعاديات الآيات ٦ ، ٧ ، ٨

* بحثه فى نقد الشعر : ٨٢ ، العمدة ٢ : ٣٩ ، الصناعتين ٣٨٩ ، سر الفصاحه تحت اسم كمال المعنى: ٤٥٥، بديع ابن منقذ : ٢٧، التبيان للزملكانى : ١٣٧ ، الإيضاح ج٣، ٢٣٩ ، خزانة ابن حجة : ١٢١ ، نهاية الأرب — ٧ : ١٣٧ ، حسن التوسل : ٥٦، الطراز ٣ : ١٠٤

(٤) نقد الشعر له ص ٤٩

(٥) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت : والذى فى ا ، ب وإن كان فى الموزون نقص نقص وزنه مع بعض معناه . والمعنى واحد .



بها لتتميم الوزن والمعنى معاً . فإن تممت الوزنَ فقط فتلك من الحشو المَعيب ، ولا يخلو إما أن يرد[1] على معنى تامّ فى ذاته أو فى صفاته أولا ، فإن كان الأول فهو التكميل ، وإن كان الثانى فهو التتميم . وقد غلط أكثر المؤلفين فى هذا الموضع ولم يفرقوا بين التتميم والتكميل . فمثال التتميم قوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً[2] ﴾ فقوله : « من ذكر أو أنثى » تتميم ، وقوله تعالى : « وهو مؤمن » تتميم ثان ؛ وبهذين التتميمين تمّ معنى الكلام ، وجرى على الصحّة . وإلا فهو بدونهما ناقص . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ[3] ﴾ . فجاء فى هذه الآية ثمانية مواضع فى كلّ موضع منها تتميم ، وأتت على جميع أقسام التتميم الثلاثة : من تتميم النقص ، وتتميم الاحتياط ، وتتميم المبالغة . فأوّلها فى قوله تعالى فى تفسير الجنّة : ﴿ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ ؛ لاحتمال أن تكون جنّةً ذات أثل وخمْط[4] ، فإن لفظ الجنة يصدق على كلّ شجرٍ مجتمع يستر بظلّ غصونه الأرض كائناً ما كان ، ومن الشجر ما له نفع[5] عظيم عميم ، كالنخيل والأعناب ، وما له نفع قليل كالأثل والخمْط ؛ ومع هذا فلو احترقتْ لإنسان[6]

[18]

---

(١) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت. والذى فى ا . ب . « ترد » .

(٢) سورة النحل آية ٩٧

(٣) سورة البقرة آية ٢٦٦

(٤) الأثل . شجر ، وهو نوع من الطرفاء (تاج العروس) والخمط : كل نبت اخذ طعما من مرارة (قاموس) .

(٥) كذا فى الأصل، د ، س ، ت والذى فى ا ب . «مانفعه» . وهو بمعناه .

(٦) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت. والذى فى ا ، ب « للانسان » والأول أدق .

جنة من أثل وخمط لأشتدّ أسفه عليها، فكيف إذا كانت من نخيل وأعناب ؟
ثم علم سبحانه أن الجنة وإن كانت من نخيل وأعناب — ما لم تجر الأنهار من تحتها — لم يُثمِر شجرُها ، ولم يُنتفَع بسكنها[1] ولم تكن لها حياة البتّة ، فتمّم هذا النقص بقوله تعالى : ﴿ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾؛ ثم علم عزّ وجلّ أن الجنة لو جَمعتْ إلى النخيل والأعناب كلّ الثمرات كان وصفها أتمّ ، ونفعُها أعظم ، والأسف على فسادها أشدّ ؛ فقال متمما هذا النقص (تتميم)[2] مبالغة : ﴿ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ ولمّا فرغ سبحانه من أوصاف الجنة أخذ فى وصف صاحبها ، فوصَفَه بالكِبَر لأنه لو كان شابًّا لرجا أن يخلفها بعد إحراقها[3] لما يجد فى نفسه من القوّة ، ويأمل من طول المدّة ؛ فقال محتاطا : ﴿ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ ﴾ . ثم علم سبحانه أنه إذا كان عقيما مع الكِبَر سلاّه عنها قربُ المدّة وعدم من يهتم بضياعه بعد ، فلا يشتدّ أسفه عليها ؛ فقال عزّ وجلّ محتاطا أيضا: ﴿ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ﴾ . ثم علم أنه إذا لم يصف الذرية بالضَّعف احتمل الإطلاق أن يكونوا أقوياء ، فَيُتَرَجَّى[4] إخلافهم لها ، فيخفض ذلك مِن أسفِه ؛ فقال محتاطا : ﴿ ضُعَفَاءُ ﴾ . ثمّ لمّا فرغ من وصف الجنّة أخذ فى وصف الحادث المهلك لها بقوله عزّ وجلّ : ﴿ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ ﴾ ؛ وعلم تبارك وتعالى أن الإعصار لا يُعجّل فسادَ هذه الجنّة ، ولا يحصل هلاكها به إلا بعد استمراره عليها فى مدّة طويلة ، وهو يريد الإخبار بتعجيل هلاكها ، فقال : ﴿ فِيهِ نَارٌ ﴾؛ ثم اقتصر سبحانه من الرياح على الإعصار ، لكونه عبارة عن تقابل الرياح المثيرة

---

(١) كذا فى الأصل ، ا ، ب . والذى فى باقى النسخ « ولم ينتفع من يسكنها » .

(٢) الزيادة التى بين قوسين عن ا ، ب

(٣) فى ا ، ب « احتراقها » .

(٤) كذا فى الأصل ، ا ، ب . والذى فى باقى النسخ : « فيرجى » وما أثبتناه أنسب بالسياق .



للعَجاج(١) الـكثيف الّذى دوامُه يُعمِى عيونَ الماء ، و يَطُمُّ(٢) الآبارَ والأنهار ويُحرِق بسَمُومه ووَهَجِه الأشجار ، و إذا اتفق مع ذلك أن تـكون فيـه نار أدارها على المـكان الّذى يكون فيه ، بحيث لا ينصرف عنه ، لأنه لا يقصد وجهه مقابلة ، فينصرف ما يكون فيه إليها . ثم علم سبحانه أن النار يحتمل [١٩] أن تـكون ضعيفة فتطفأ لضعفها عن مقاومة ما فى الجنّة من الأنهار ، ورطوبة الأشجار ؛ فاحتاط من ذلك بقوله تعالى : ﴿ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ (فنفى)(٣) هذا الاحتمال وأوجزَ فى تتميم المعنى المراد . فانظر ما تضمنّت هذه الآية الـكريمةُ من تقاسيم هذا النوع إلى ما فيها من ائتلاف اللفظ بالمعنى ، والتهذيب ، وحسن النَّسَق ، والتمثيل ، وحسن البيان ، والمساواة — : لتعلم أنّ هذا الـكتاب (الـكريم(٤)) بأمثال هذه الآية عجّز الفُصحاء ، و بلّد الأذكياء ، وأعيا على البُلَغاء .

ومن التـكميل من هذا الباب قوله تعالى : ﴿ و يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ(٥) ﴾ الآية ، فإن قوله سبحانه: ﴿ عَلَى حُبِّهِ ﴾ تـكميل لحسن(٦) هذا المعنى إن كان الضمير فى (حبه) عائدا على الطّعام ، و إن كان عائدا على الله سبحانه فهو تتميم احتياط والله أعلم .

* * *

(١) العجاج : الغبار (قاموس) .

(٢) يطم الآبار : يغمرها (قاموس) .

(٣) هذه الـكلمة التى بين قوسين ساقطة من د ، ت ، س .

(٤) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت . والذى فى ا ، ب « العزيز » .

(٥) سورة الإنسان آية ٨

(٦) كذا فى الأصل ، ت ، والذى فى ا ، ب ، د ، س « يحسن » وكلاهما بمعنى واحد.

باب الاستطراد*

ذكر الحاتمى(١) أنه نقل هذه التسمية عن البحترى(٢) الشاعر، وسماه ابن المعتز(٣) الخروج من معنى إلى معنى، وهو قليل الوقوع فى الكتاب العزيز، وسبب ذلك كونه أكثر ما جاء فى الشعر دون النثر، وغالب وقوعه فى فن الهجاء منه، ويندر وقوعه فى غيره من الفنون.

ولم أظفر (منه(٤)) بشىء فى القرآن المجيد إلا فى موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ(٥)﴾، فمن ظفر فيه بشىء فهو المحسن بإلحاقه فى بابه، و يفعل ذلك فى جميع الأبواب؛ والله أعلم.

* * *

باب تأكيد المدح بما يشبه الذم*

وهذا الباب أيضاً كالذى قبله فى عزة وقوعه فى الكتاب العزيز، ولهذا لم ١٠

---

* بحثه فى قواعد الشعر: ٥٠، بديع ابن المعتز تحت اسم حسن الخروج: ١٠٩، العمدة ٢: ٣١، الصناعتين: ٣٩٨، التبيان للزملكانى: ٣٣ الإيضاح ٦: ٣١، خزانة ابن حجة: ٣٤، نهاية الأرب ٧: ١١٩، حسن التوسل: ٥٧، الطراز / ٣: ١١.

(١) هو ابو على محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب اللغوى البغدادى، كان من أهل اللغة والأدب، حسن التصرف فى الشعر، يجمع بين البلاغة فى النثر والبراعة فى النظم، وله مع أبى الطيب المتنبى مخاطبة أقذعه بها، وله الرسالة الحاتمية التى شرح فيها ما جرى بينه وبين أبى الطيب المتنبى من اظهار سرقاته وإبانة عيوب شعره مما دل على غزارة مادته وتوفر اطلاعه، وله تصانيف عدة منها كتاب حلية المحاضرة، وكتاب الحالى والعاطل، وكتاب المجاز، وكتاب منتزع الأخبار ومطبوع الابتكار وجلها فى صناعة الشعر توفى سنة ٣٨٨ ترجمته فى ابن خلكان: ٦٤٦، بغية الوعاة ٣٥، معجم الأدباء ١٠: ١٥٤

(٢) انظر الموازنة للآمدى ٢: ١٤٤ خط أدب. طلعت.

(٣) بديعه ص ١٠٩ (٤) الكلمة التى بين قوسين سقطت من ت.

(٥) سورة هود آية ٩٥.

* بحثه فى بديع ابن المعتز: ١١١، الصناعتين تحت اسم الاستثناء: ٣٩٦، العمدة ٢: ٣٩، المفتاح: ٢٢٦، الإيضاح ٦: ٧٦، نهاية الأرب ٧: ١٢١، حسن التوسل: ٥٨ الطراز تكلم عنه تحت اسم التوجيه ٣: ١٣٦.



أجد منه إلا آيةً واحدة[١] تحيلت على تأويل تدخل به فى هذا الباب ، وهى قوله تعالى[٢] : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ[٣]﴾ ، فإن الاستثناء بعد الاستفهام الخارج مخرج التوبيخ على ما عابوا به المؤمنين من الإيمان يُوهِم بأن يأتى بعد الاستثناء ٥ ما يجب أن ينقم على فاعله ، ممّا يذم به ، فلما أتى بعد الاستثناء ما يوجب مدحَ فاعِله كان الكلام متضمناً تأكيد المدح بما يشبه الذمّ ؛ والله أعلم .

* * *

باب تجاهل العارف*

وهذه تسمية ابن المعتز[٤] ، وسمّاه غيرُه الإعنات[٥] ، وهو سؤال المتكلم [٢٠] عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه ليُخرِج كلامَه مخرج المدح أو الذمّ ، أو ليدل على شدّة ١٠ الوَلَه فى الحبّ ، أو لقصد التعجّب ، أو التوبيخ ، أو التقرير ، وهو على قسمين : موجب ، ومنفى ، وكل قسم على ضربين : ضرب يكون الاستفهام فيه عن شيئين : أحدهما واقع ، والآخر غير واقع . وللمتكلّم أن ينطق بأحدهما ويسكتَ عن الآخر ، لدلالة الحال عليه .

---

(١) كذا فى الأصل ، ت أما فى ا ، ب ، د ، س : « لم أهتد منه إلا لآية » وكلاهما بمعنى واحد .

(٢) الزيادة عن جميع النسخ . وهى ساقطة من الأصل .

(٣) سورة المائدة اية ٥٩

* بحثه فى الكامل ١ : ٣٨٤ ، بديع ابن المعتز : ١١١ ، الصناعتين : ٣٩٦ ، بديع ابن منقذ : ٤٧ ، التبيان للزملكانى تحت اسم التجاهل ١٣٨ ، المفتاح تحت اسم سوق المعلوم مساق غيره : ٢٢٧ ، الإيضاح : ٨٥ ، عروس الأفراح ٢ : ٥ ، خزانة ابن حجة : ١٢٢ ، نهاية الأرب ٧ : ١٢٣ ، حسن التوسل ، ٥٨ ، الطراز ٣ : ٨٠

(٤) البديع له ص ١١١

(٥) (لم يسمه أحد الإعنات) ، وإنما الإعنات شىء آخر أخطأ فيه المؤلف وسماه (عتاب المرء نفسه) هذا النوع سماه غير ابن المعتز وهو السكاكى (سوق المعلوم مساق غيره) ، الإيضاح ٦ : ٨٥ ، خزانة ابن حجة ١٢٢



ومن هـذا الباب قوله تعالى : ﴿ أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ[1] ﴾ وهـــذا خارج مخـرج التعجب ، وقوله سبحانه ﴿ أَصَلَوَاتُكَ[2] : تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ وهـذا خارج مخرج التوبيخ ، وقوله تعالى : ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ[3] ﴾ ، وقوله عز وجل : ﴿ أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ[4] ﴾ ، وهذا والذى قبله خارج مخرج التقرير ، وكلّ هذه المواضع من القسم الموجب ، وأما ما جاء من القسم المنفىّ كقوله تعالى : ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ[5] ﴾ فجاء هذا اللفظ فى هذه الآية متجاوزاً تشبيه العرب كلّ من راعهم حُسنهُ من البَشَر بالجنّ ، إلى تشبيه يوسف صلوات الله عليه حين كان حسنهُ رائعاً ، وله مع[6] الرَّوْعة نورٌ وطلاقة ، وعليه سكينة تؤمِّن ناظرَه من تلك الروعة ، وتثبِّتُ قلبَه لما يسرى إليه من سكينة ، فكان كذلك تشبيهه بالمَلَك الكريم أصحّ وأوقع وأشدّ مطابقةً من أكثر الجهات ؛ والله أعلم .

* * *

---

(١) سورة القمر آية ٢٤

(٢) كذا فى جميع الأصول . وهى قراءة نافع بن الأزرق ، وعليها سار صاحب الجامع لأحكام القرآن . والذى فى ت « أصلاتك » وهى قراءة حفص ، وعليها رسم المصحف . وهى آية ٨٧ من سورة هود .

(٣) سورة المائدة آية ١١٦

(٤) سورة الأنبياء آية ٦٢

(٥) سورة يوسف آية ٣١

(٦) كذا فى جميع الأصول . والذى فى ت « من » والأول أنسب بالسياق .

باب حسن التضمين*

وهو أن يضمِّن المتكلِّم كلامَه لفظةً من بيت أو جملة مفيدة منه ، أو جزءاً عروضيًّا ، أو ما زاد على ذلك ، بشرط ألا يبلغ المقدار المضمَّن نصف بيت يشير إلى ذلك البيت ، أو إلى القصيدة التي البيتُ منها ، وإن كان التضمين من المنثور[1] كان المضمن مشيراً إلى الكلام الذى هو منه سواء كان سورة ، أو حديثاً ،أوخطبة، أورسالة، أو غيرذلك من أنواع المنثور ، أو مَثَلاسائراً ، أو فقرة من حكمة ،أو جزءامن موعظة ، ولم أظفر بشيء من هذا الباب (فى[2]) الكتاب العزيز إلا بموضعين تضمَّنَا فصلين من التوراة والإنجيل : أحدهما قوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ[3] ﴾ ، الآية فإن هذه الأحكام تضمّنها كتابُنا من التوراة ، والآخر قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ[4] ﴾ ، الآية ، فإن معنى هذه الآية — وهو اسم الرسول ونعته وصفة أصحابه — تضمّنها كتابنا من الكتابين الأوّلين ، بدليل قوله تعالى : ﴿ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ[5] ﴾، وبدليل قوله [٢١]

---

* بحثه فى البيان والتبيين تحت اسم الاقتباس والتضمين ، ٢ : ٦، بديع بن المعتز : ١١٤ العمدة ٢ : ٦٨، النكت فى إعجاز القرآن : ٩٤ ضمن مجموعة ثلاث رسائل فى الاعجاز تحقيق الأستاذ محمد أحمد خلف الله وآخر ،بديع ابن منقذ : ١٢١ التبيان للزملكانى : ١٤٧، المثل السائر : ٤٥٧ ،خزانة ابن حجة ، تحت اسم الاقتباس : ٤٤٢ ، نهاية الأرب ٧: ١٢٦، حسن التوسل .

(١) كذا فى الأصل، د ، س . والذى فى ا ، ب « المشهور وهو خطأ من الناسخ .

(٢) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت وعبارة ا ، ب « ولم أظفر بشيء فى هذا الباب من الكتاب » .

(٣) آية ٤٥ من سورة المائدة .

(٤) سورة الفتح آية ٢٩

(٥) سورة الأعراف آية ٢٥٧

سبحانه فى آخر الآية التى ضمن معناها ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ[1] ﴾ . ولهذا قال — صلى الله عليه وسلم — : « إن هذا (يعنى القرآن) وما جاء به موسى من مِشْكاة واحدة » أو كما قال .

* * *

باب الكناية*

هى عبارة (عن[2]) تعبير المتكلّم عن المعنى القبيح[3] باللفظ الحسن ، وعن النجس بالطاهر ، وعن الفاحش بالعفيف ، هذا إذا قصد المتكلّم نزاهةَ كلامِه عن العَيب ، وقد يقصده بالكناية عن ذلك ، وهو أن يعبّر عن الصعب بالسهل ، وعن البَسْط بالإيجاز ، أو يأتى للتعمية والإلغاز ، أو للستر والصيانة ، فممّا جاء منها للتعبير عن النّجس بالطاهر قوله تعالى : ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ[4] ﴾ ، كناية عن الحَدَث ، لأنه ملازم[5] أكلَ الطعام ، أو كقوله ١٠ سبحانه : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ[6] ﴾ ، لأنه المنخفض من الأرض الذى يُقصَد لقضاء الحاجة . فسمّى الحَدَث باسم موضعه ، وكقوله عز وجل :

---

(١) سورة الفتح آية ٢٩

* بحثها فى قواعد الشعر لثعلب تحت اسم لطافة المعنى : ٤٣ ، رغبة الآمل ٦ : ٧١ ، بديع ابن المعتز : ١١٥ ، العمدة ١ : ٢٠٩ ، الصناعتين : ٣٦٨ ، سر الفصاحة : ١٥٦ بديع ابن منقذ : ٥٠ ، المفتاح : ٢١٣ ، المثل السائر : ٣٧٦ ، الإيضاح : ١ : ٤٣ ، خزانة ابن حجة ٣٥٩ ، نهاية الأرب ٧ : ٥٩ حسن ، التوسل : ٢٦ ، الطراز : ٣٦٤

(٢) كلمة (عن) ساقطة من (ت)

(٣) كذا فى الأصل ، د ، ا ، ب ، س ، والذى فى ت (الفصيح) وهو تصحيف .

(٤) سورة المائدة آية ٧٥

(٥) كذا فى الأصل وباقى النسخ والذى فى ا ، ب « بلزوم »

(٦) سورة المائدة آية ٦

﴿ وَلَـٰكِنْ لاَ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا[1] ﴾ ، كناية عن الجماع ، على أصحّ القولين ، وكقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ[2] ﴾ ، كناية عن المُباضعة ؛ والله أعلم .

* * *

باب الإفراط فى الصفة*

وهذه تسمية ابن المعتز[3] ، وسمّاه قدامة[4] : المبالغة ، وسمّاه مَن بعدَهما : التبليغ ؛ والناس على تسمية قدامة ، وعرّفه بأن قال : هو أن يَذكر المتكلّم حالا لو وَقف عندها[5] لأجزأتْ ، فلا يقف (عندها[6]) حتى يزيد فى معنى كلامه ما يكون أبلغ فى معنى قَصْدِهِ ، وقد جاءت المبالغة فى الكتاب العزيز على ضروب : منها المبالغة فى الصفة المعدولة عن الجارية بمعنى المبالغة ، فإنها جاءت على ستة أمثلة : فَعْلان كرحمان ، عدل عن راحم للمبالغة ، ولا يوصف به إلا الله تعالى ، ولم تنعت العرب به أحداً فى جاهلية ولا إسلام إلا مُسَيْلمة الكذّاب ، نعتوه به مضافاً ، فقالوا : رحمان اليمامة ، وأنشد شاعرهم : (البسيط)

---

(١) سورة البقرة آية ٢٣٥ والسر : النكاح .

(٢) سورة النساء آية ٢١

* بحثه فى قواعد الشعر لثعلب تحت اسم الإفراط فى الاغراق . ٣٩ ، البديع لابن المعتز : ١١٦ ، نقد الشعر : ٨٤ ، العمدة ٢ : ٤٣ ، النكت للرومانى : ٩٦ ضمن مجموعة ، الصناعتين : ٣٦٥ ، سر الفصاحة : ٣٥٦ ، أسرار البلاغة ٢٥٧ ، بديع ابن منقذ : ٥٣ ، المثل السائر تحت اسم الاقتصاد والتفريط والإفراط : ٤٤٧ ، الإيضاح ٦ : ٦٢ ، خزانة ابن حجة : ٢٢٥ ، نهاية الأرب ٧ : ١٢٤ ، حسن التوسل : ٥٩ ، الطراز ٣ : ١١٦

(٣) البديع له ص ١١٦

(٤) نقد الشعر له ٥٠

(٥) كذا فى الأصل ، ا ، ب ، د ، س ؛ والذى فى «ت» «لو وقفت عليها .»

(٦) زيادة عن «ت» .



* فأنت غيثُ الورى لا زلت رَحْمَانا[1] *

فأما(*) الرحمان بالألف واللام فلم يوصف به إلا الله عز وجل لأن رحمته وسعتْ كل شىء ، وليس للبارى سبحانه صفة لا يُشَارَكُ فيها سواه .

وفعّال معدول (عن فاعل) للمبالغة كقوله تعالى : ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ ﴾[1] ، ﴿ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾[2] ، ﴿ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾[3] ، ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾[4] . ٥

وفعول عدل عن فاعل للمبالغة ، كغفور ، رحيم ، شكور ، ودود[5] . [٢٢]

وفعيل عدل عن فاعل للمبالغة كعليم ، حكيم ، حليم ، سميع ، بصير ، حسيب ، وكيل ، عظيم ، فهذه الأربعة الأمثلة من الستّة جاءت فى الكتاب العزيز ، وبقية الستة وهى : مِفْعَل معدول عن فاعل للمبالغة كمِدْعَس[6] عدل عن داعس[6] ، ومطعن عدل عن طاعن . ١٠

ومفعال معدول عن فاعل للمبالغة كمِطْعام عن طاعم[7] ، ومقدام عن قادم ، ولم يأت لهذين المثالين فى الكتاب الكريم شىء[8] .

والضرب الثانى من المبالغة لم يأت له مثال فى القرآن المجيد أيضاً وهو

---

(١) البيت لشاعر من بنى حنيفة لم يعرف اسمه يمدح به مسيلمة الكذاب ، وصدره
* سموتَ بالمجد يابن الأكرمين أبا *
الكشاف للزمخشرى ج ٤ ص ٢٥ (الشواهد) تنزيل الآيات لمحب الدين افندى الملحق بهذا التفسير طبع مصطفى محمد سنة ١٣٥٤هـ

(٢) وردت هذه العبارة فى الأصل هكذا : « غفار الذنوب » ولا يوجد هذا النص فى كتاب الله — والصواب ما أثبتنا كما فى سورة طه آية ٨٢

(٣) سورة المائدة آية ١١٦

(٤) سورة الحجرات آية ١٢

(٥) سورة البروج آية ١٦

(٦) مابين العلامتين ساقطة من (ت) .

(٧) ما أثبتناه عن ا ، ب وهو الصواب . والذى فى بقية الأصول كدحش . ولا أرى له معنى . والمدعس كمنبر : الرمح يدعس به أى يطعن . (تاج العروس)

(٨) فى ا ، ب : « العزيز »

ما جاء بالصيغة[١] العامّة في موضع الخاصة ، كقولك : أتاني الناس كلهم ، ولم يكن أتاك إلا واحد منهم ، أردت تعظيمه ، وما يلحق بهذا الضرب [و] إن لم يكن مثله من كل وجه قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ، فوعدهم سبحانه بجزاء[٢] غيرِ مقدّر وتعظيما للثواب لإخراج العبارة عنه مخرجاً عاماً لتتردد الأذهان في مقدار الثواب .

والضرب الثالث من المبالغة إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة ، والإخبار عنه مجاز ، كقول من رأى موكباً عظيما ، أو جيشاً خِضَمًّا : جاء الملك نفسُه ، وهو يعلم حقيقةً أن ما جاء جيشُه ، وقد جاء من ذلك في الكتاب الكريم قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا[٣] ﴾ ، فجعل مجيء جلائل آياته مجيئاً له سبحانه للمبالغة وكقوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَ[٤] اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ[٤] ﴾ ، فجعل نقله بالملكة من دار العمل إلى دار الجزاء وجداناً للمجازى .

والضرب الرابع من المبالغة إخراج الممكن من الشرط إلى الممتنع ، ليمتنع وقوع المشروط ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ[٥] ﴾ .

والضرب الخامس من المبالغة ما جرى مجرى الحقيقة ، وهو قسمان : قسم كان مجازاً فصار بالقرينة حقيقة ، كقوله تعالى : ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ

---

(١) سورة الزمر آية ١٠

(٢) كذا في الأصل وفي بقية النسخ « أجرا » وهما بمعنى واحد .

(٣) سورة الفجر آية ٢٢

(٤) سورة النور آية ٣٩ وما أثبتناه عن ا ، ب ، وهو نص الآية . والذى فى الأصل د ، س « فوجد » والذى فى « ت » فوجد عنده .

(٥) سورة الأعراف آية ٤٠



بالأبْصَارِ(١) ﴾ ، فإن اقتران هذه الجملة بيكاد يصرفها إلى الحقيقة ، فانقلبت من الامتناع إلى الإمكان .

وقسم أتى بصيغة أفعل التفضيل ، وهو محض الحقيقة من غير قرينة ، كقوله تعالى : ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً(٢) ﴾ .

٥ والضرب السادس من المبالغة ما بولغ فى صفته بطريق التشبيه كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالاَتٌ(٣) صُفْرٌ ﴾ فهذه ، ضروب المبالغة التى جاءت فى الكتاب العزيز .

والمبالغة فى الكلام على ضربين: ظاهرة، ومدمجة ،وكل ماقدّمناه من الظاهرة.

[٣٢] ومن أمثلة المدمجة قوله تعالى: ﴿ سَوَاءٌ مِنكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ

١٠ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ(٤) ﴾ ، فإن مبالغة هذه الآية جاءت مدمجة فى المقابلة .

وجميع مبالغات الكتاب على ضربين : ضرب غير ممكن لا يأتى إلا مقترناً كما تقدّم من قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ ﴾ والممكن قوله تعالى فى هذه الآية : ﴿ سَوَاءٌ مِنكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ

١٥ جَهَرَ بِهِ ﴾ ، لما كانت ممكنة جاءت المبالغة فيها غير مقترنة ، لأنها فى هذه الآية عرفيّة ، معنى الكلام فيها « أن علم ذلك بالنسبة إلينا هو متعذّر علينا(٥) » وسهل بالنسبة إلى علم الله سبحانه ، فالمبالغة فيها إذاً بالنسبة إلينا لا إلى الله عزّ وجل .

* * *

---

(١) سوره النور آية ٤٣ (٢) سورة الكهف آية ٣٤

(٣) آيتا ٣٢ و ٣٣ من سورة والمرسلات . وقوله : « جمالات » قراءة ورش عن نافع ، أما « جمالة » فهى قراءة حفص ؛ وعليها رسم المصحف .

(٤) سورة الرعد آية ١٠

(٥) كذا فى الأصل ، ا ، ب. والذى فى بقية النسخ «أن علم ذلك متعذر بالنسبة الينا» الخ والأخيرة أخصر .



باب التشبيه*

حدّ التشبيه البليغ الصناعىّ : إخراج الأغمض إلى الأظهر بالتشبيه مع حسن التأليف ، ووقوع حسن البيان فيه على وجوه : منها إخراج ما تقع عليه الحاسة ، كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا[1] ﴾ ، فهذا بيان إخراج[2] ما لا تقع عليه الحاسّة إلى ما تقع عليه الحاسة ، وقد أصبحتا فى بطلان التوهّم مع شدة الحاجة ، ولو قيل « يحسبه الرائى ماء » لكان بليغاً ، وأبلغ منه لفظ القرآن ، لأن الظمآن أشدّ حرصاً عليه ، وأكثر تعلق قلب به ، وتشبيه أعمال الكفّار بالسراب من أحسن التشبيه وأبلغه ، فكيف وقد تضمن مع ذلك حسن النظم ، وعذوبة الألفاظ ، وصحّة الدلالة ، وصدق التمثيل .

ومنها إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ[3] ﴾ ، وهذا بيان إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة ، وقد اجتمعا فى معنى الارتفاع فى الصورة .

ومنها إخراج ما لا يُعلم بالبديهة إلى ما يُعلم بالبديهة ، كقوله سبحانه : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ[4] ﴾ ، وهذا

---

* بحثه فى الكتاب لسيبويه ١ : ١٢١ ، قواعد الشعر : ٣١ ، البيان والتبيين ٢ : ١٩٠ ، رغبة الآمل ٦ : ١٤٣ ، بديع ابن المعتز : ١٢١ ، نقد الشعر : ٦٥ ، العمدة ١ : ١٩٤ ، الوساطة ٤١ ، النكت فى اعجاز القرآن : ٧٤ ، الصناعتين : ٢٣٩ ، سر الفصاحة : ٢٣٥ ، أسرار البلاغة : ٥٢ ، التبيان للزملكانى : ٧٠ ، روضة الفصاحة : ١٠ ، المفتاح : ١٨٧ ، المثل السائر : ٢٣٢ ، الإيضاح ٤ : ٣٩١ ، خزانة ابن حجة : ١٧٢ ، نهاية الأرب ٧ : ٣٨ ، حسن التوسل : ١٣ ، ألف فيه الأستاذ على الجندى كتاباً خاصاً تحت اسم فن التشبيه .

(١) سورة النور آية ٣٩

(٢) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت ، والذى فى ا ، ب « اخرج » والأول أظهر .

(٣) سورة الاعراف آية ١٧١

(٤) سورة آل عمران آية ١٣٢

بيان إخراج ما لا يُعلم بالبديهة إلى ما يُعلم بالبديهة ، وقد اجتمعا فى العظم ، وحصل من ذلك الوصف التشويق إلى الجنّة بحسن الصفة و إفراط السعة .

ومنها إخراج ما لا قوّة له فى الصفة إلى ما له قوّة فى الصفة ، كقوله تعالى : ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ[1]﴾ ،وهذا بيان إخراج ما لا قوّة له فى الصفة إلى ما له قوّة فى الصفة ، وقد أجتمعا فى العِظَم ، إلا أنّ الجبال أعظم ، ولهذا جاءت مشبَّها بها ، وفى ذلك العبرة من جهة قدرة مَن سخّر الفُلْكَ الجارية على الماء مع عظمها ولطفه ، وما فى ذلك من أنتفاع الخلق بحمل الأثقال ، وقطعها الأقطار البعيدة فى المسافة القريبة ، وما يلازم ذلك من تسخير الرياح للانسان ، فتضمن ذلك[2] فنّا عظيما من الفخر وتعداد النِّعَم على العباد .

ومنها إخراج الكلام بالتشبيه مخرج الإنكار ، كقوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ [٢٤] سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ[3]﴾ ، وهذا إنكار على من جعل حرمة الجهادِ كحرمة من آمن بالله واليوم الآخر ، وفى ذلك أوفى دلالة على تعظيم حال المؤمن بالإيمان ، وأنه لا يساوَى به مخلوق ليس على صفته بالقياس ، ومن هذا قول الرسول — صلى الله عليه وسلم — « لَحرمةُ رجلٍ مؤمن عند الله أعظمُ ممّا طلعتْ عليه الشمس » أو كما قال عليه السلام .

وهذا التشبيه أعنى جنس التشبيه الصناعىّ على ضربين : ضرب بأداة . « وضرب بغير[4] أداة » وأدوات التشبيه خمس : الكاف ، وكأنّ ، وشِبْه ، ومِثْل ، والمصدر

---

(١) سورة الرحمن آية ٢٤

(٢) ما أثبتناه عن الأصل . والذى فى بقية النسخ « الكلام » .

(٣) سورة التوبة آية ١٩

(٤) مابين قوسين ساقط من ت

بتقدير[١] الأداة ، وفائدة حذف الأداة قرب المشبَّه من المشبَّه به .

ومن علماء البيان من جعل المحذوف الأداة أستعارةً ولم يجعله تشبيهاً ، وأكثرهم على خلافه ، وفي المصادر ما لا يمكن تقدير الأداة معه ، كقول الشاعر [البسيط]

* فإنما هي إقبال و إدبار[٢] *

أي ذات إقبال وذات إدبار ، وفي أنواع التشبيه نوع لا بدّ من تقدير الأداة فيه كقوله تعالى : ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ[٣] ﴾ وهو من غير قسمي التشبيه ، أعني قسمي المصادر فمثال القسم الذي بالأداة قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ[٤] دُرِّيٌّ ﴾ ومثال الذي جاء بغير أداة قوله تعالى : ﴿ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ[٥] ﴾ وكل ضرب من هذين الضربين ينقسم تسعة أقسام : وهذه الأقسام على ضربين : ضرب متحد ، وضرب متعدّد ، فالمتحد ينقسم وَفق أعداد أدوات التشبيه الخمس : من تشبيه شيء بشيء ، إلى تشبيه شيء واحد بخمسة أشياء . والمتعدّد إلى أربعة أقسام : من تشبيه شيئين بشيئين ، إلى تشبيه خمسة أشياء بخمسة أشياء ، ولم يأت من هذه الأقسام في الكتاب العزيز سوى القسم الأوّل منها ، وهو تشبيه شيء واحد بشيء واحد مصرّح به ، وجاء في موضع آخر تشبيه شيء واحد بشيئين غير مصرح بهما ، واستغنى عن ذكر بقية الأقسام بالقرائن توخّيا للإيجاز الذي بُني عليه نظمُ القرآن؛ فمثال تشبيه شيء واحد بشيء واحد قوله

---

(١) ما أثبتناه عن باقي النسخ . والذي في الأصل « وبتقدير » والواو زيادة من الناسخ .

(٢) هذا عجز بيت للخنساء صدره : * ترتع مارتعت حتى إذا ادكرت * الخزانة للبغدادي ٢٠٧ ، الكامل ص ٧٣٧ طبع أوربا ، سيبويه ١ ص : ١٦٩

(٣) سورة الأحزاب آية ٦

(٤) سورة النور آية ٣٥

(٥) سورة النمل آية ٨٨



تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ « إِنْ تَحْمِلْ[1] عَلَيْهِ يَلْهَثْ » ﴾ .

وكقوله عز وجل فى تشبيه حال المنافقين بحال المستوقد ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ[2] ﴾ ، وهذا من أصدق تشبيه وأحسنه وأقربه[3] .

٥ ومثال تشبيه شىء واحد بشيئين غير مصرّح بهما قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِى هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ[4] ﴾ ، فمثّل سبحانه ، ما ينفق هؤلاء وهو شىء واحد بالريح الباردة ، [٢٥] وإهلاكها ما أصابت من حرثِ مَن ظلم نفسه فيتخيل من هذا الكلام حصول تشبيه شىء واحد بشيئين من[5] تشبيه الانفاق بالريح وما أهلكته ؛ وعكس

١٠ هذا التشبيه قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا[6] ﴾ ، لأن الذين حُمّلوا التوارة جمع ، والحمار مفرد ، وهو عكس ما قبله من تشبيه مفرد بجمع ، لأن الأثنين جمع على الحقيقة ، إلا أنّ لفظ الحمار لو عرى عن وصفه بحمل الأسفار ، لجاز تشبيه هؤلاء القوم به ، إذ لم يعرفوا التوراة حق معرفتها ، ولم يعملوا بما فيها ، والعادة جارية بتشبيه كلّ

١٥ بعيد الفهم ، بليد القلب لا يهتدى إلى تأويل صحيح ، ولا يفطن للمعنى المراد منه بالحمار ، فلو شبه هؤلاء بالحمار لصحّ ، لكن فى ذكر الحمار والأسفار معان

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٦ ومابين العلامتين زيادة عن « ت » .

(٢) سورة البقرة آية ١٧

(٣) كذا فى الأصل . والذى فى بقية النسخ « وأغربه » وهو أنسب بالسياق .

(٤) سورة آل عمران آية ١١٧

(٥) كذا فى الأصل . وهى ساقطة من بقية النسخ .

(٦) سورة الجمعة آية ٥



تزيد الكلامَ بيانا وحسنا ،وهى حصول المزاوجة فى اللفظ ، والمقابلة فى النظم ، والملاءمة فى المعنى حيث قال سبحانه : (حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ) والتوارة خمسة أسفار ، فاقتضت البلاغة تكميل معنى التشبيه بذكر الحمل لتحصل المزاوجة بين قوله (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ) والملاءمة بين ذكر التوراة التى هى (عدة[1]) أسفار وبين ذكر الأسفار فى قوله :(يَحْمِلُ أَسْفَاراً) لحصل فى الكلام بالمزاوجة، والملاءمة كمال التشبيه و بيان المعنى .

ومن أمثلة تشبيه شىء واحد بشيئين قوله تعالى فى تشبيه حال المنافقين أيضا بعد الآية التى قدمت ذكرها : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ [2] ﴾ ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا[2] ﴾ فأفادت تشبيه المنافقين وهو تشبيه واحد بالصيب وما فيه من الرعد والبرق والظلمات ليكمل معنى التشبيه المراد الذى هو الاخبار عنهم بحالهم فى الإسلام وترددهم فيه ، فإذا مالوا إليه بالظاهر بما يُظهرون منه أشبهتْ حالهم حال من يضىء له البرق (فيمشى[3] فيه) فإذا أغمض (إيماضُه[4]) وقعوا فى تلك الظلمات التى فى الصيب فلا يهتدون سبيلا ، فيقيمون .

ومن التشبيه نوعان آخران[5] غير ما ذكرناه : أحدهما تكون أدواته أفعال الشكّ ،واليقين كقولك : حسبت زيدا فى جرأته الأسدَ ، وعمرا فى جُوده الغَمامَ ، فحاصل ذلك تشبيه زيد بالأسد ، وعمرو بالغمام ، ومنه قوله تعالى : [٢٦]

(١) ساقطة من « ت » .

(٢) آيتا ١٩ و ٢٠ من سورة البقرة .

(٣) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت ، أما ، فى ا ، ب فان فيها « شىء منه » وهو تحريف

(٤) كذا فى الأصل ، ا ، ب ، د ، س . والذى فى « ت » « مافيه » وهو تحريف من الناسخ .

(٥) ساقطة من « ت » .



﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ[١] ﴾ ،فإن حاصله تشبيه أهل الكهف فى حال نومهم بالأيقاظ ، لمشاركتهم الأيقاظ فى بعض صفاتهم ،لأنه قيل : إنهم كانوا مفتَّحى العيون فى حال نومهم .

والنوع الثانى يسمى تشبيه التوليد والتمثيل كقول الكميت (البسيط) :

أحلامكُمْ لسَقَامِ الجهلِ شافيةٌ   كمَا دِماؤُكُم يُشْفى بها الكَلَبُ[٢]

٥

فإن هذا الشاعر زوّج التشبيه بالأستعارة ، فتولّد بينهما مدحُ ممدوحِيه[٣] بالشرف ، حيث مدحهم بالحلم ، وأخرج كلاًّ من صدر بيته ،وعجزه مخرج المَثَل ، فلاَحَمَ بين تمثل العجز و بين الطباق الذى فى الصدر بما قدم على التمثيل من أداة التشبيه ، وهذا النوع لم يأت مثله فى الكتاب العزيز ، لكونه لايأتى إلا مصنوعا مقصودا ، والله أعلم .

١٠

* * *

باب عتاب المرء نفسه*

وهو من إفراد ابن المعتز ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَا حَسْرَتَى عَلى

---

(١) سورة الكهف آية ١٨

(٢) البيت فى اللسان ، والتاج ، ومعاهد التنصيص ٣ : ٨٨ تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد . والكلب بالتحريك : داء يصيب الإنسان من عض الكلب فيصيبه شبه جنون فلا يعض أحداً إلا كلب .

(٣) فى الأصل، د، س « ممدوحه » ; والسياق يقتضى ما أثبتنا ، وهى ليست فى ، ب .

* تكلم عنه ابن أبى الأصبع فى تحرير التحبير وقال : إنه من أفراد ابن المعتز ومثل له ببيتين لم يرض عنهما لأنهما لايصلحان لهذا النوع ، ثم أتى بأمثلة من عنده تصلح لعتاب المرء نفسه ، والحقيقة أن ابن أبى الأصبع فهم أن البيتين لايصلحان مثالا لهذا الباب . وفاته أن الباب بأكمله مدخول على ابن المعتز ، لأن ابن المعتز لم يتكلم عن عتاب المرء نفسه . وإنما تكلم عن إعنات المرء نفسه ، أو لزوم مالايلزم ، والتصحيف قريب بين إعنات وعتاب ،وليت الأمر كان كذلك عند ابن أبى الإصبع وحده ، بل إن ماوقع فيه هو وقع فيه جميع أصحاب البديعيات بعده (راجع خزانة ابن حجة : ١٤٤، نهاية الأرب ٧ : ١٢ وحسن التوسل : ٦٠)



ما فرّطتُ في جَنبِ[١] اللهِ ﴾ ، وقوله سبحانه[٢] ﴿ ويَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً . يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً ﴾

* * *

باب حسن الابتداءات*

٥

وهى تسمية ابن المعتز[٣] ، وأراد بها ابتداءات القصائد ، ومما يدخل فى هذا الباب من الكتاب العزيز ابتداءات السُّوَر ، وإذا تدبّرتها جملتها ، وتفصيلها ، ومفرداتها ، ومركّباتها ، ومعجّماتها ، ومعرّباتها ، ونظرت فى أعداد حروفها ، وما يوافق أعدادها من العَدَد الحسابىّ ، وما نسب إليه من المعانى ، رأيت من البلاغة والتفنّن فى أنواع الإشارة ما تقصر عنه العبارة ، ومن أراد شفاء الغليل فى ذلك فليقف على كتابى الذى أفردته لها ، وسمّيته (الخواطر السوانح فى كشف سرائر الفواتح[٤]) فإن هذا المكان من هذا الكتاب يضيق عن ذكر شىء منه ، لأنه لا يمكن تجزئته ، إذ بعضه مرتبط ببعض ؛ والله أعلم .

١٠

هذا آخر أبواب ابن المعتزّ ، ومن ها هنا نبتدىء بأبواب قدامة ؛ وأولها :

---

(١) سورة الزمر آية ٥٦

(٢) الآيات ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ من سورة الفرقان .

* بحثه فى البيان والتبيين : ١١٢ ، بديع ابن المعتز : ١٣٣ ، الوساطة تحت اسم الاستهلال ٤٨ ، الزملكانى كذلك : ١٣٤ ، بديع ابن منقذ تحت اسم المبادئ والمطالع : ١٣٤ ، المثل السائر تحت عنوان المبادئ والافتتاحات : ٤٠٣ ، روضة الفصاحة تحت اسم حسن المطالع : ٤٤ ، الطراز تحت اسم المبادىء والافتتاحات ٢ : ٢٦٦ ، خزانة ابن حجة تحت اسم براعة الاستهلال : ٣ ، نهاية الأرب ٧ : ١٣٣ ، حسن التوسل : ٦٥

(٣) بديعه ص ١٣٣ .

(٤) لم أعثر على هذا الكتاب فيما راجعته من المظان ، وإن أخطأ فى اسمه بعض المحققين والمؤلفين .



باب صحة الأقسام*

صحة الأقسام عبارة عن استيفاء المتكلم جميعَ أقسام المعنى الذى هو آخذ فيه بحيث لا يغادر منه شيئا ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا[1] ﴾ إذ ليس فى رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق والطمع فى الأمطار ، ولا ثالث لهذين القسمين ؛ ومن لطيف ما وقع فى هذه الآية من الحال[2] تقديم الخوف على الطمع ، إذ كانت الصواعق يجوز وقوعها من أول برقة ، ولا يحصل المطر إلا بعد تواتُر الإبراق ، لأن تواتره لا يكاد يُخلِف ، لهذا كانت العرب تَعُدّ سبعين برقةً وتَنْتَجِع فلا تخطىء الغيثَ والكلأ ، وإلى هذا أشار المتنبى بقوله (الوافر) : [٢٧]

وقد أَرِدُ المياهَ بغير هادٍ ... سوى عَدِّى لها بَرْقَ الغَمامِ[3]

ولما كان الأمر المخوف من البرق يجوز وقوعه من أول برقة واحدة ، أتى ذكر الخوف فى الآية مقدّما أولا لكون الواحد أول العدد ، ولما كان الأمر المطمع من البرق إنما يقع بعد عدد من الإبراق أتى ذكر الطمع تاليا لكونه

* يحشفى البيان والتبيين ١ : ٢٣٨ ، نقد الشعر : ٧٨ ، جواهر الألفاظ : ٦ ، الوساطة : ٤٦ ، الصناعتين : ٣٤١ ، سر الفصاحة : ٣٢٤ ، دلائل الإعجاز : ٧٤ بديع ابن منقذ : ٣١ المفتاح : ٢٢٥ ، المثل السائر تحت اسم التناسب بين المعانى : ٤٢٩ ، التلخيص : ٢٤٩ الإيضاح للقزوينى ٦ : ٤٧ خزانة ابن حجة : ٣٦٢ ، نهاية الأرب ٧ : ١٣٦ ، حسن التوسل : ٦٧ .

(١) سورة الرعد آية ١٢ وفى الأصل : « وهو » بزيادة الواو ، وهو خطأ من الناسخ .

(٢) فى (ا) ، (ب) « من الحياء » وهو خطأ .

(٣) شرح العكبرى على ديوان أبى الطيب المتنبى ٢ ص ٤١١ طبع بولاق .



لا يقع إلا فى أثناء العدد ، وليكون الطمع ناسخا للخوف : كمجىء الرّخاء بعد الشدّة ، والفرج بعد الكرْبة ، والمسرّة بعد الحزن ، فيكون ذلك أحلى موقعا فى القلوب ، و يشهد لهذا التفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ[1] ﴾، فجاء معنى الآية على ماجاء رحمةً من الله سبحانه بخلقه ، و بُشرَى لعباده ، وحصل فى نظم هذه الكلمات الّتى هى بعض آية مع صحّة التقسيم الّتى اُقترنتْ بصحّة التفسير حسن التهذيب والترتيب .

ومما جاءت صحة التقسيم فيه مدمجةً فى المقابلة قوله تعالى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ[2] ﴾ ، وقد اُعترضتْ ها هنا مطابقة بين القسمين المتقابلين ، واستوعب الكلام أقسام الأوقات من طرَفَىْ كلّ يوم وليلة ، ووسطها ، فصحّتْ أقسام أجزاء الطرف الزمانى ، وجهتى العلو والسفل من الطرف المكانى ؛ وهذه الآية من أعجب ما وقع فيه مقابلة من الكلام ، لأنك إذا جعلت كلّ ضد منها مقابلا فى طرف من طرفها كانت مقابلة بالموافق ، فإن المساء موافق للعشىّ لا مخالف ، والإصباح موافق للإظهار لا مخالف ، والمقابلة تكون بالأضداد و بغير الأضداد من الموافق والمخالف ، فإن جعلت مقابلتها بالأضداد كان ما فيها طباقاً لا مقابلة ، لأن المساء ضد الصباح ، والعشاء ضد الظهر ، وليست جملة الطرف الثانى مقابلة لجملة الطرف الأول إلا مع العدول عن الترتيب ، فإنك تقابل المساء بالإظهار والعشىّ بالإصباح ، لأن العشىّ اُسم لأوّل الليل ، والإصباح اُسم لأوّل النهار .

ومن صحّة الأقسام قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا

---

(١) سورة الشورى آية ٢٨

(٢) آيتا ١٧ و ١٨ من سورة الروم .

﴿وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾[1]، فلم يترك سبحانه قسما من أقسام الهيئات حتى أتى به ،

ومثل هذه الآية آية يونس ، وهى قوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾[2] ، لكن وقع بين ترتيب الآيتين مغايرة أوجبتها البلاغة ، فتضمّن الكلامُ بها الائتلاف ، وذلك أن الذكر يجب فيه تقديم القيام ، لأن المراد به ها هنا الصّلاة ، والله أعلم . والقيام واجب فيها على المستطيع ، والقعود بعد لمن لم يستطع القيام ، والاضطجاع للعاجز عن القعود ، والضر يجب فيه تقديم الاضطجاع لغلبة الضعف فى مبادئ الإعلال وتزيدها ، وإذا زال بعض العلّة عند الانحطاط قعد المضطجع ، وإذا زالت العلّة كلّها وتراجعت القوّة قام القاعد ، والمراد بالدعاء ها هنا الصلاة أيضاً .

والله أعلم .

فإن قلت : هذا التأويل لا يصحّ إلا إذا كانت الواو هى العاطفة ، فلم عدل عنها وبها يحصل فى الكلام حسن النسق وائتلاف الألفاظ بمعانيها ، ويتمّ حُسن البيان إلى « أو » التى يسقط معها ذلك ؟ قلت : تأثير الضرّ على أقسام : فإن من الضرّ ما يصرَع المضرورَ عند وروده ، ومنه ما يقعِده ، ومنه ما يأتيه وهو قائم لا يبلغ به شيئاً من الحالتين المتقدّمتين ، والدعاء أو الصلاة عند أول مسّ الضرّ ، فإن الضر والجزع عند الصدمة الأولى ، ثم تقسيم الضرّ الّذى ذكرناه يقتضى تعديد المضرورين ، فوجب العدول عن الواو لتوخى الصدق فى الخبر ، والكلام على ذلك موصوف بالائتلاف ، وحسن النسق ، وحسن البيان إلى « أو » لأجل تعداد المضرورين ، وتقديم ذكر من يصرعه الضر ، لأن تقديمه الأهم لكونه أشد ضراً ، وهو[3] أكثرهم تضرعاً ، وإذ أوجب تقديمه

---

(١) سورة آل عمران اية ١٩١

(٢) سورة يونس آية ١٢

(٣) كذا فى الأصل . والذى فى باقى النسخ « فهو » .

أوجب حسن الترتيب أن يتلوه ذكر القاعد، ثم ذكر القائم، فيحصل فى الكلام حسن الترتيب مع ما فيه من الائتلاف، وحسن النَّسَق، وحسن البيان، وصحة التقسيم.

ومن صحة التقسيم أيضاً قوله تعالى: ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً[1] ﴾، لأنه سبحانه إما أن يُفرِدَ العبدَ بهبة الإناث، أو بهبة الذكور، أو يجمعهما له، أو لا يهبه شيئاً، فقد وقعت صحة التقسيم فى هذه الآية على الترتيب الذى تقتضيه البلاغة، وهو الانتقال فى النظم من الأدنى إلى الأعلى، إذ قدّم فيها هبةَ الإناث، وانتقل إلى هبة الذكور، ثم إلى هبة المجموع، وجاء كل أقسام العطيّة بلفظ الهبة، وأفرد معنى الحرمان بالتأخير لأن إنعامه على عباده أهمّ عنده، وتقديم الأهمّ واجب[2] فى كلّ كلام بليغ، والآية سِيقت للاعتداد بالنِّعَم، وإنما أتى بذكر الحرمان ليتكمّل التمدّح بالقدرة على المَنْع كما يمدح بالعطاء، فيعلم أنه لا مانع لما أعطى، ولا مُعطى لما مَنَع. وقال سبحانه فى الإخبار عن الحرمان: ويَجْعل، عادلا عن لفظ الحرمان والمنع إلى لفظ هو رِدْفُه وتابِعُه، وهو لفظ الجعل كما قال: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ[3] مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً ﴾، وكذلك جاء لفظ الاعتداد بالماء حيث قال فيه: ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً[4] ﴾، بلفظ الجعل عند ذكر الحرمان، وما هو فى معناه، وجاء العطاء بلفظ الزرع فى الحرث، وفى الماء بلفظ الإنزال،

(١) سورة الشورى آيتا ٤٩ و ٥٠

(٢) كذا فى الأصل، د، س، ت. وفى ا، ب «أوجب».

(٣) ما أثبتناه عن «ت» وهو الصواب. أما بقية النسخ بما فيها الأصل فقد وردت فيها الآية «قل أرأيتم» وهو خطأ فى جميعها. وهذه آيات ٦٣، ٦٤، ٦٥ من سورة الواقعة.

(٤) سورة الواقعة آية ٧٠



فإن قيل : لم أكّد الفعل باللام فى قوله فى الزرع : ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا[١]﴾ ولم يؤكّده فى الماء حيث قال : ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا[٢]﴾ ؟ قلت : لأن الزرع ونباته وجفافه بعد النضارة حتى يعود حُطاماً مما يحتمل أن يتوهّم أنه من فعل الزراع ، ولهذا قال سبحانه : ﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ أو يتوهم أن خِصبه من سَقْي الماء ، وأن جفافه من حرارة الشمس وعدم السُّقى ، أو تواتر مرور الإعصار ، فأخبر سبحانه أنه الفاعل لذلك كلّه على الحقيقة ، وأنه قادر على جعله لو شاء حُطاماً فى حالة نموّه وزمن شبيبته ونَضارته ، فلمّا كان هذا التوهّم محتملا أوجبت البلاغة توكيد فعل الجعل فيه وإسنادَه لزارعه على الحقيقة ومنشئه لرفع هذا التوهّم ، ولمّا كان إنزال الماء من السماء محالا بما لا يتطرّق احتمال توهّم متوهّم أن أحداً من جميع الخَلْق قادر عليه لم يحتج إلى توكيد الفعل فى جعله أجاجاً ، فإنه لا يمكن أن يتوهّم أحد أن أحداً يُنزل الماء من السماء أجاجاً ولا عذباً الّذى هو أسهل من الأول وأهوَن .

ومن صحّة الأقسام قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ[٣]﴾ أما الآية الأولى فاستوعبت[٤] جميع الأوصاف المحمودة ، إذ وُصِف المؤمنون فيها بجميع العبادات ، لأن العبادات كلّها نوعان : بدنيّة وماليّة ؛ والبدنيّة قسمان : عبادة الباطن ، وعبادة الظاهر ؛ والماليّة أيضاً قسمان : ما يشترك فيه المال والبدن ، كالحجّ والجهاد ، وما ينفرد به المال كالزكاة ، وصدقة التطوّع على اختلاف أصنافها ، فقوله تعالى : ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ إشارة

(١) آية ٦٣ من سورة الواقعة .

(٢) آية ٧٠ من سورة الواقعة .

(٣) آيتا ٣ ، ٤ من سورة البقرة .

(٤) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت . والذى فى ا و ب : « فاستوفت » .

إلى عبادة الباطن ، لأن الإيمان التصديق ، وهو من أعمال القلب ، وقوله سبحانه : ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ تصريح بعبادة الظاهر ، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ إشارة إلى العبادة المالية ، فاستوعبت جميع الأقسام على الترتيب ، حيث قدّم عبادة الباطن على عبادة الظاهر ، وعبادة البدن [٣٠] على عبادة المال ، مع وصفه سبحانه لهم بالنزاهة عن جميع أوصاف الكسب المذمومة : من الخيانة ، والسرقة ، والربا ، والغصب ، وجميع أنواع الظلم ، إذ أضافه عزّ وجلّ رزقهم لنفسه ، ليشير إلى أنه الحلال الطيّب ، لأنه لا يضاف إلى الله سبحانه من الرزق إلا الحلال ، وأن الحرام من كسب العبد ، وأن[1] كسبه ذلك بقضاء الله وقدَرِه عليه على المذهب الصحيح ، لكنه لا تجوز إضافته إلى الله سبحانه أدباً معه عز وجل ، وأما الآية الثانية فاستوفت أقسام الزمان في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ، فإن إيمان هؤلاء المؤمنين بما أنزل إلى الرسول — صلى الله عليه وسلم — إيمان في الحال ، وبما أنزل من قبله إيمان في الماضي ، وإيقانهم[2] بالآخرة إيمان في الاستقبال[3] ثم زاد إيمانهم بالآخرة وصفا إذ أخبر أنه إيمان متيقّن ، ليدلّ بذلك على قوّة تصديقهم للنبيّ — صلّى الله عليه وسلم — ووثوقهم بأن ما أخبر بوقوعه سيقع يقيناً لا شكّ فيه ولا شُبْهة ، فحصل في هذه الآية مع نهاية المدح صحّة الأقسام في اللفظ ، والمبالغة في معنى المدح ، والإيغال في الفاصلة إذ زاد بها المعنى زيادة ما حصلت إلا بها ، وإذا نظرت بين معنى هذه الآية التي عدّتها اثنتا عشرة لفظة وبين قول زُهير ، وهو أجلّ بيت جاءت

(١) كذا في الأصل ، د ، ت ، س والذي في ا ، ب « وان كان كسبه » .

(٢) ما أثبتناه عن جميع النسخ. والذي في الأصل « وإيمانهم » وهو تصحيف .

(٣) ما أثبتناه عن جميع النسخ . وهو المناسب هنا . وعبارة الأصل « إيمان استقبال » .

فيه صحة التقسيم وأبلغه[1] (الطويل) :

وأعلَمُ ما فى اليَوْمِ والأمْسِ قَبْلَهُ ولكنَّنِي عَنْ عِلْمِ ما فى غَدٍ عَمِ[2]

علمت مقدار ما بين البلاغتين ، وذلك أن عدّة البيت ثلاث عشرة لفظة وفيه من زيادة اللفظ التى لم يؤت بها إلا لأجل الوزن (و[3]) القافية لفظتان ، فإن ملخص معنى عجز البيت كله أن يقول : ولا أعلم ما فى الغد ، فاضطره الوزن والقافية إلى أن قال ما قال ، والْحَظْ كم بين قافية البيت وفاصلة الآية وما تضمّنته الآية من مدح المؤمنين فى الأزمنة الثلاثة ، وما فى إجماع ذلك المدح من الإشارة إلى الإيمان بجميع كتب الله التى أنزلها ، وجميع رسله التى أرسلها ، وبما سيكون من أمر البعث ، وما نطقت به الكتب من جميع ما فيه من الحساب والمساءلة والصراط والميزان والجنّة والنار . وجميع أصناف الثواب والعقاب ، وتفاصيل هذه الجملة التى لو عدّدت معانيها بألفاظها الموضوعة لها لملأت الأكوان ، وكانت كما أخبر عنها الرحمن بقوله تعالى : [31]

﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ[4] ﴾ ، فسبحان المتكلم بهذا الكلام[5] ، «وأين يقع البيت من الآية ، فإن بينهما من البعد ما بين المتكلّم بهما ، بل أين هو

---

(١) ما أثبتناه عن جميع النسخ . والذى فى الأصل : « وتبلغ » .

(٢) ديوانه ص ٢٩ طبع دار الكتب .

(٣) هذه الواو ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها عن جميع النسخ إذ بدونها يضطرب المعنى .

(٤) سورة لقمان آية ٢٧

(٥) مابعد هذه الكلمة إلى آخر الباب ساقط من (ا) فقط . وقد أثبتناه عن الأصل وباقى النسخ .

من قول رسول الله — صلى الله عليه وسلّم — : «ليس لكَ من مالكَ إلاّ ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت[1]» بل أين البيت من قول على — عليه السلام — من الكلام الذى قال فيه أبو عبيدة فى كتاب الأمثال : ارتجل الإمامُ على « عليه السلام » تسع[2] كلمات قطع الأطماعَ عن اللَّحاق بواحدة منهنّ : ثلاث فى المناجاة « وثلاث فى[3] العلم » وثلاث فى الأدب ، فأما التى[4] فى المناجاة فقوله : كفانى عزًّا أن تكون لى ربا ، وكفانى فخرا أن أكون لك عبداً ، أنت لى كما أحبّ ، فوفّقنى لما تُحبّ . وأما التى فى العلم فقوله : المرء مخبوء تحت لسانه ، تكلّموا تعرفوا ، ما ضاع امرؤ عَرفَ قدرَه . وأما التى فى الأدب فقوله : أنعِم على من شئتَ تكن أميرَه ، واُستغنِ عمّن شئتَ تكن نظيرَه ، واُحتج إلى من شئت تكن أسيرَه ، وهذه الكلمات أودت إيرادها ، فإنها الداخلة فى هذا المعنى .

ومما يدخل فى هذا الباب : للمؤمن على المؤمن تسعة حقوق : يديم[5] نصيحته ، ويلبّى[6] دعوته ، ويحسن معونته ، ويردّ غيبته ، ويقيل عثرته ، ويقبل معذرته ؛ ويرعى ذمّته ، ويعود مَرَضَته ، ويشيّع جنازَته ، ولا عاشر لها ؛ والله أعلم .

* * *

(١) صحيح مسلم ٢ ص ٣٨ فانظره

(٢) كذا فى جميع النسخ ، وفى « ت » سبع وهو تصحيف .

(٣) ساقطة من «ت»

(٤) فى الأصل « الذى » وهو تحريف من الناسخ .

(٥) فى ت « قديم نصيحته» ، وهو تصحيف من الناسخ .

(٦) فى ت « وقلبى » ؛ وهو تصحيف .

باب صحة المقابلات*

صحة المقابلات عبارة عن توخّي[1] المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغى فإذا أتى فى صدره بأشياء قابلها فى عجُزه بأضدادها أو بأغيارها من المخالف والموافق على الترتيب ، بحيث يقابل الأول بالأول ، والثانى بالثانى ، لا يخرم من ذلك شيئا فى المخالف والموافق ، ومتى أخل بالترتيب كان الكلام فاسد المقابلة . ٥

ومن معجز هذا الباب قوله تعالى ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ[2] ﴾ ، فانظروا إلى مجىء الليل والنهار فى صدر الكلام ، وهما ضدّان ، ومجىء السكون والحركة فى عجز الكلام وهما ضدّان ، ومقابلة كلّ طرف منه بالطرف الآخر على الترتيب ، وكيف عبّر سبحانه عن الحركة بلفظ الإرداف[3] فاستلزم الكلام ١٠ ضربا من المحاسن زائدا على المقابلة ، والذى أوجب العدول عن لفظ الحركة إلى [٣٢] لفظ ابتغاء الفضل كون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة ، وابتغاء الفضل حركة للمصلحة دون المفسدة ، وهى اشتراك الإعانة بالقوة وحسن الاختيار الدالّ على رجاحة العقل ، وسلامة الحِسّ ، ويستلزم إضاءة الظرف الذى تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه ، ليهتدى المتحرك إلى بلوغ المآرب ووجوه ١٥ المصالح ، ويتّقى[4] أسباب المعاطب ، والآية سيقت للاعتداد بالنِّعَم ، فوجب

---

* بحثه فى نقد الشعر: ١٧٩ ، الصناعتين ٣٣٧ ، سر الفصاحة ٢٥١ .

(١) فى ت « توفى » بالفاء ، وهو تصحيف .

(٢) سورة القصص آية ٧٣

(٣) كذا فى الأصل ، ا ، ب . والذى فى باقى النسخ « الابتغاء » .

(٤) كذا فى الأصل ، د وهو الصواب . والذى فى ا ، ب « وتنى » وفى ت « وتبق » وهو تحريف من الناسخ .

العدولُ عن لفظ الحركة إلى لفظ هو رِدْفُه وتابعُه ، ليتمّ حسن البيان ، فتضمّنت هذه الكلمات التى هى بعض آية عدّةً من المنافع والمصالح الّتى لو عددت بألفاظها الموضوعة لها لاحتاجت فى العبارة عنها إلى ألفاظ كثيرة ، فحصل فى الكلام بهذا السبب عدة ضروب من المحاسن ، ألا تراه سبحانه جعل العلّة فى وجود الليل والنّهار حصول منافع الإنسان حيث قال : (لِتَسْكُنُوا) و (لِتَبْتَغُوا) بلام التعليل ، فجمعت هذه الكلماتُ المقابلةَ ، والتعليلَ ، والإشارةَ والإرداف ، والائتلاف ، وحسن النسق ، وحسن البيان ، لمجىء الكلام فيها متلاحما آخذة أعناق بعضه بأعناق بعض ، ثم أخبر بالخبر الصّادق أن جميع ما عدّده من النعم بلفظه الخاص ، وما تضمّنته العبارة من النعم التى هى من لفظَى الإشارة والإرداف بعض رحمته حيث قال بحرف التبعيض : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ وكلّ هذا فى بعض آية عدتها إحدى عشرة لفظة ، فالحظ هذه البلاغة الظاهرة والفصاحةَ المتظاهرة ؛ وفى ذكر هذه الآية الكريمة أتمّ غَناء فى هذا الباب ، فقِسْ عليها غيرَها ؛ والله أعلم بالصواب .

* * *

باب صحة التفسير*

وهو أن يأتى المتكلم فى أوّل كلامه بمعنى لا يستقلّ الفهم بمعرفة فَحواه ، إما أن يكون مجملا يحتاج إلى تفصيل ، أو موجّها يفتقر إلى توجيه ، أو محتملا يحتاج المراد منه إلى ترجيح لا يحصل إلا بتفسيره وتبيينه ، ووقوع التفسير فى الكلام على أنحاء تارةً يأتى بعد الشرط ، أو بعد ما فيه معنى الشرط ،

(*) بحثه فى نقد الشعر : ٨١، العمدة ٢: ٢٨، الصناعتين: ٣٤٥، سر الفصاحة: ٢٥٤ ، بديع ابن منقذ : ٣٧، التبيان للزملكانى: ١٢٩ ، المثل السائر أورده باسم التناسب بين المعانى : ٢٦٨ ، ٤٢٩ ، خزانة ابن حجة : ٤٠٨ ، الطراز ٣ : ١١٤ ، نهاية الأرب ٧ : ١٢٩ حسن التوسل : ٦٣ .



وطورا بعد الجارّ والمجرور ، وآونةً(١) بعد المبتدأ الّذى التفسير خبرُه ، فمثال ما جاء منه بعد الحروف المتضمنة معنى الشرط قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ(٢) ﴾ فالمكتوب عليهم هو المفسّر ، لأنه يحتمل أن يكون ما فسر به ، [٢٣] ويحتمل غيره ، فلمّا كان فيه هذا الاْحتمال اُفتقر إلى التفسير ليتخصص من اُحتمالات المعنى المراد ، والتفسير قوله تعالى : ﴿ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾ ، ومثال ما جاء منه بعد الجارّ والمجرور قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ(٣) ﴾ ، ومثل هذا الموضع قوله تعالى : ﴿ وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ(٤) ﴾ ، فذكر سبحانه الجنس الأعلى مقدّما له حيث قال : (كُلَّ دَابَّةٍ) فاُستغرق أجناس كلّ مادبَّ وَدرج(٥) ثم فسّر هذا الجنس الأعلى بالأجناس المتوسّطة والأنواع حيث قال : (فَمِنْهُمْ) (وَمِنْهُمْ) مراعيا الترتيب ، إذ قدّم ما يمشى بغير آلة لكون الآية سيقت لبيان القدرة والتمدّح بها وتعجّب السامع منها ، وما يمشى بغير آلة أعجب ممّا يمشى بآلة ، فلذلك اقتضت البلاغة تقديمه ، ثم ثنّى بالأفضل فالأفضل

(١) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت والذى فى ا ، ب الآية وهو تحريف .

(٢) سورة النساء آية ٦٦ .

(٣) سورة فاطر آية ٣٢ .

(٤) سورة النور آية ٤٥ .

(٥) يريد بقوله « ما دب ودرج » الأحياء والأموات .

فأتى بما[1] يمشى على رجلين ، وهو الإنسان والطائر ، لتمام خَلْق الإنسان ، وكمال حسن صورته وهيئته المقتضية تخصيصه بالعقل ، ولما فى الطائر من عجب الطيران فى الهواء الدالّ على غاية الخفّة ونهاية اللّطف ، مع ما فيه من كثافة الأرضية[2] ، وثلّث بما يمشى على الأربع لأنه أحسن الحيوان (البهيم) وأقواه تغليبا له على ما يمشى على أكثر من الأربع من الحشرات ، فاستوعبت جميع الأقسام وأحسن الترتيب ، قارنا للتقسيم والترتيب فى صحة التفسير إلى ما تضمنت هذه الكلمات التى هى بعض آية من الإشارة ، والائتلاف ، وحسن النسق .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ[3] ﴾ « فأتت[4] » صحة التفسير فى هذه الآية مقترنةً بصحة التقسيم ، واندمج فيهما الترتيب والتهذيب ، وحصل الائتلاف بحصول الترتيب ، إذ قدّم سبحانه النبات ، وانتقل على طريق البلاغة المرضى فى النظم إلى الأعلى ، فثنّى بأشرف الحيوان ، ليستلزم ذكره ذكر بقيّة الحيوان ، ثم ثلّث بقوله تعالى : (ومما لا يعلمون) فانتقل من الخصوص إلى العموم ليدخل تحت هذا العموم ، كما اختص الخالق سبحانه وتعالى بعلمه من المولّدات الثلاث من مجهول النبات والحيوانات والجمادات وسائر المخلوقات من كلّ موجود سواه سبحانه ، فحصل الترقى فى النظم على سنن الفصاحة والمشى على نهج البلاغة ، وأتت الفاصلة فى غاية [٣٤]

(١) كان الأخفش لا يجيز أن تكون (ما) إلا اسماً ، وإذا كانت كذلك فإن كانت معرفة فهى بمنزلة الذى ، وإن كانت نكرة فهى فى تقدير شىء ، ابن يعيش ٢ ص ١١٦٢ طبع أوربا .

(٢) هذه العبارة مضطربة فى جميع الأصول فتأمل .

(٣) سورة يس آية ٣٦ .

(٤) كذا فى جميع النسخ . والذى فى الأصل « فأثبت » ، وهو تحريف .



التمكين ، والآية لذلك تَصلح للتمثيل بها فى التفسير ، والتقسيم ، والتهذيب والائتلاف ، والتمكين ؛ وإنما خص بها هذا الباب لأنه أول مذكور فيها ، ومنه يفرّع ما انطوت عليه من معانيها ؛ والله أعلم .

* * *

باب ائتلاف اللفظ مع المعنى*

وتلخيص تفسير هذه التسمية أن تكون : ألفاظ المعنى المراد يلائم بعضُها بعضا ليس فيها لفظة نافرة عن اخواتها ، غير لائقة بمكانها ، كلّها موصوف بحسن الجوار ، بحيث إذا كان المعنى غريبا قُحًّا[1] كانت ألفاظه غريبةً محضة ، وإذا كان المعنى مولَّدا كانت الألفاظ مولَّدة ، وإذا كان المعنى متوسّطا كانت الألفاظ كذلك ، وإذا كان غريبا كانت الألفاظ غريبة ، وإذا كان متداولا كانت الألفاظ معروفة مستعملة ، وإذا كان متوسّطا بين الغرابة والاستعمال كانت ألفاظه كذلك .

ومن أمثلة هذا الباب قوله تعالى : ﴿ قَالُوا تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا[2] ﴾ فإنه سبحانه لما أتى بأغرب ألفاظ القَسَم بالنسبة إلى أخواتها فإن التاء أقلّ استعمالا ، وأبعد من أفهام العامّة ، والباء والواو أعرف عند الكافّة ، وهى أكثر دورانا على الألسنة ، وباستعمالا فى الكلام ، أتى سبحانه بأغرب صِيَغ الأفعال التى تَرفع الأسماء وتنصب الأخبار بالنسبة إلى أخواتها ، فإن « كان » وما قاربها أعرف عند الكافة من « تفتأ » وهم « لكان »

(*) بحثه فى نقد الشعر ٥٥ ، الطراز ٣ : ١٤٤ ، خزانة ابن حجة ٤٣٧ ، أنوار الربيع لابن معصوم ٧٨٣ .

(١) كذا فى الأصل . وفى د ، ت ، س « محضا » ، وكلاهما بمعنى واحد ؛ والذى فى ا ، ب « لجا » تصحيف .

(٢) سورة يوسف آية ٨٥ .



وما قاربها أكثر استعمالا منها ، وكذلك لفظ (حَرَضاً) أغرب من جميع أخواتها من ألفاظ الهلاك ، فاقتضى حسن الوضع فى النظم أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها فى الغرابة أو الاستعمال توخّيا لحسن الجوار ، ورغبةً فى ائتلاف المعانى بالألفاظ ولتتعادل الألفاظ فى الوضع وتتناسب فى النظم ، ألا ترى أنه عزّ وجلّ قال فى غير هذا المكان : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ[1] ﴾ ، لما كانت جميع ألفاظ هذا الكلام المجاورة لهذا القَسَم كلها مستعمَلةً متداوَلة لم تأت فيها لفظة غريبة تفتقر إلى مجاورة ما يشا كلها فى الغرابة ويلائمها ، ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ[2] ﴾ ، لما كان الركون إلى الظالم دون فعل الظالم وجب أن يكون العقاب عليه دون عقاب الظالم ، ومس النار فى الحقيقة دون الإحراق ولما كان الإحراق عقابا للظالم أوجب العدل أن يكون المسّ عقابَ الراكن إلى الظالم ، فلهذا عدل عزّ وجل عن قوله : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ فتدخلوا النارَ ، لكون الدخول مَظِنّة الإحراق ، وخصّ المسّ ليشير به إلى ما يقتضى الركون من العقاب ، ويميّز بين ما يستحقّ الظالم (و بين)[3] ما يستحق الراكن له من العقاب ، وإن كان مسّ النار قد يطلق ويراد به الإحراق ، لكن هذا الإطلاق مجاز ، والحقيقة ما ذكرناه ، لأن حقيقة المسّ أول ملاقاة الجسم حرارةَ النار ، وإذا احتمل اللفظ احتمالاتٍ صُرِف منها إلى ما تدلّ عليه القرائن ، والائتلاف فى هذه الآية معنوىّ ، وهو فى التى قبلها لفظىّ ، والله أعلم .

٥ ١٠ [٣٥]

* * *

(١) سورة فاطر آية ٤٢ .

(٢) سورة هود آية ١١٣ .

(٣) الكلمة التى بين قوسين ساقطة من ا ، ب .

باب المساواة *

وهو مما فرّعه قدامة(١) من الباب المتقدّم ، وهو أن يكون اللفظ مساويا للمعنى لا يزيد عليه ولا ينقُص عنه ، وهو من أعظم أبواب البلاغة ، بل هو بعينه نفس البلاغة ، كما وصف بعض الوُصّاف بعضَ البلغاء فقال : كانت ألفاظُه قوالبَ لمعانيه ، ومن هذا قول ذى الرّمّة (الطويل) :   ٥

لها بَشَرٌ مِثْلُ الحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ   رَخِيمُ الحَوَاشِي لاهُراءٌ ولانَزْرُ(٢)

وقول ذى الرمّة هذا من قول هند بن أبى هالةَ فى وصف كلام رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « قولا فصلا ، لا فضلَ فيه ولا تقصير » . وقالت أم معبد فى وصف كلامه — صلى الله عليه وسلم — : « لا نَزْرٌ ولا هَذْر(٣) كأنّ مَنطقَه خَرَزات نَظْمٍ يتحدّرن » ومعظم آيات الكتاب العزيز موصوفة   ١٠ بذلك ، ولم يأت منها ما هو خارج عن هذا الباب إلا ما وقع فيه تذييل ، أو تتميم ، أو تكميل ، أو فى فواصله إيغال ، أو فى معناه بَسْط وإطناب ، وما بنى نظمه على الإيجاز لبيان موضع الإعجاز .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ   ١٥ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(٤) ﴾ فإن المعنى المراد من هذه الآية والله أعلم

---

* بحثها فى البيان والتبيين ١ : ٩٢ ، نقدالشعر : ٨٩ ، الصناعتين ١٧٩ ، بديع ابن منقذ : ٧٩ ، التبيان للزملكانى : ١٣٢ ، الإيضاح ٣ : ٢٠٠ ، خزانة ابن حجة : ٤٥٩ .

(١) نقد الشعر له ص ٥٥ .

(٢) ديوانه ص ٢٠٢ طبع أوربا ، ورخيم الحواشى : أى لين نواحى الكلام ، هراء : كثير ، يعنى بغير معنى . نزر : قليل . يقول : كلامها بين القليل والكثير .

(٣) لانزر ولا هذر ، أى ليس بقليل فيدل على عى ولا بكثير فاسد .

(٤) سورة النحل آية ٩٠ .

أن الله سبحانه أراد أن يأمر بجميع المحاسن المُنجيات الممدوحات ، وينهى عن جميع القبائح الموبقات المذمومات ، فأخرج المعنى فى لفظٍ هو طبقه ، وقالب هو قَدْرُه ، وصورةٍ مساويةٍ لمعناه ، لا تزيد ولا تنقص عن فحواه ، ومصداق ذلك أن أىَّ لفظة حذفتها من ألفاظ الآية اختل شىء من المعنى بحذفها اختلالا (٣٦) ظاهراً ، ونقص نقصاً بيناً ، وكذا إذا زيدَ فى ألفاظها لفظةٌ حصل من الاختلال بالزيادة ما حصل منها عند النقص ، ولا معنى للمساواة غير هذا .

ومن هذا الباب أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [١] ﴾ ، فإنه سبحانه وتعالى أراد اقتصاص هذه القصة بأوجز لفظ وأبلغه ، فجاء بها كما ترى مرتبةَ الألفاظ والجُمَل على حسب ما وقع ، فى صورٍ لا تفضُل عن معانيها ، ولا تقصر عنها . فإن قيل لفظة « القوم » زائدة تمنع الآية من أن توصف بالمساواة لأنها إذا طُرحت استقلَّ الكلام بدونها ، بحيث يقال : « وقيل بعداً للظالمين » . قلت : لا يستغنى الكلام عنها ، وذلك أنه لمَّا قال سبحانه فى أوّل القصة : ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ [٢] ﴾ وقال بعد ذلك : ﴿ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ [٣] ﴾ جاءت لفظة القوم فى آخر القصة ، ووصفهم بالظلم ليرتدَّ عجُز الكلام على صدره ، ويعلمَ أنّ القوم الّذين هلكوا بالطوفان هم الذين كانوا يسخرون من نوح عليه السلام ، فهم مستحقّون العقاب ، لئلاّ يتوهّم ضعيف أن الطّوفان لعمومه ربما أهلك من لا يستحقّ الهلاك ، فأخبر الله سبحانه وتعالى أن الهالكين هم الّذين تقدم ذكرهم ، وما كانوا يفعلونه مع نبيّه من السُّخْرية الّتى استحقوا

(١) سورة هود آية ٤٤ .
(٢) سورة هود آية ٣٨ .
(٣) سورة هود آية ٣٧ .



بها الهلاك ، وأنهم الذين وصفهم بالظلم ، ووعد نبيّه بإغراقهم ، ونهاه عن مخاطبته فيهم ، ليرفع ذلك الاحتمال ، فيعلم أن الله سبحانه قد أنجز نبيّه وعدَه ، وأهلك القوم الظالمين الّذين قدّم ذكرهم ووصفهم ، ووعد بإغراقهم ، والله أعلم .

وأعلم أن البلاغة قسمان كما قيل : البلاغة إيجاز من غير إخلال ، وإطناب من غير إملال ؛ والمساواة معتبرة في القسمين معاً . ٥

فما جاء من قسم الإيجاز وهو موصوف بالمساواة قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ[1] ﴾ ، فإن معنى هذه الجملة جاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً[2] ﴾ لكنّ الأوّل إيجاز ، والثاني إطناب ، وكلاهما موصوف بالمساواة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ[3] ﴾ ، ومثله قوله سبحانه : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً[4] تُطَهِّرُهُمْ[5] ﴾ والأول إيجاز ، والثاني إطناب ، وقوله : ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ[5] ﴾ مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ[6] ﴾ الآية . وقوله عز وجل : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ[7] ﴾ مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ[8] ﴾ الآية ؛ وكل ما تقدم من هذه الآيات جاء على طريق الإيجاز والتوالى بعد المتقدّمات على طريق الإطناب، وكلها موصوفة بالمساواة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا[9] ﴾ مثل

[٣٧] ١٠ ١٥

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٩ . (٢) سورة الإسراء آية ٣٣ .
(٣) سورة الأعراف آية ١٩٩ . (٤) سورة التوبة آية ١٠٣ .
(٥) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، د ، ت ، س وهى عن ا ، ب .
(٦) سورة النحل آية ٩٠ . (٧) سورة الأعراف آية ١٩٩ .
(٨) سورة الأنعام آية ٦٨ . (٩) سورة الشورى آية ٤٠ .

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا[١] ﴾ . والأول إيجاز ، والثانى إطناب ، وهذا الفصل[٢] الحاجة ماسّة إلى ذكره وتحفّظه ، لئلاّ يظنّ ظان أن الإطناب لا يوصف بالمساواة .

* * *

باب الإشارة*

وهو مما فرّعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى ، وشرحه فقال : هو أن يكون اللفظ القليل دالاّ على المعنى الكثير ، حتى تكون دلالة اللفظ كالإشارة باليد ، فإنها تشير بحركة واحدة إلى أشياء كثيرة لو عبّر عنها بأسمائها احتاجت إلى عبارة طويلة وألفاظ كثيرة ، والفرق بينه و بين الإيجاز أن الإيجاز بألفاظ المعنى الموضوعة له ، وألفاظ الإشارة لمحة دالّة ، فدلالة اللفظ فى الإيجاز دلالة مطابقة ، ودلالة اللفظ فى الإشارة إما دلالة تضمّن ، أو دلالة التزام ، ومن أمثلتها قوله تعالى : ﴿ وَغِيضَ الْمَاءُ[٣] ﴾ فإن غَيْضَ الماء يشير إلى انقطاع مادّة الماء من نبع الأرض ومطر السماء ، ولولا ذلك لما غاض الماء ، ومن ذلك قولُه عزّ وجلّ ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ[٤] ﴾ فالمح كلّ ما تميل إليه النفس من الشهوات الّتى لا تنحصر ، وتلذّه الأعين من المرئيّات الّتى لا تنضبط ، لتعلمَ أنّ هذا اللفظ القليل جدّا ، قد دلّ على معانٍ لا تنحصر عدّا ؛ وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ[٥] ﴾ أى قاتلهم بنبذ

---

(١) سورة الأنعام آية ١٦٠ .

(٢) نقد الشعر له ص ٥٥ .

(*) بحثها فى نقد الشعر : ٩٠ ، العمدة ١ : ٢٠٦ ، الصناعتين : ٣٤٨ ، بديع ابن منقذ : ٥٠ ، التبيان للزملكانى تحت اسم الإيجاز : ٧١ ، خزانة ابن حجة : ٣٥٧ ، نهاية الأرب ٧ : ١٤٠ ، حسن التوسل : ٧٠ .

(٣) سورة هود آية ٤٤ .

(٤) سورة الزخرف آية ٧١ .

(٥) سورة الأنفال آية ٥٨ .



العهد كما نبذوا عهدك ، مع ما يدل عليه الأمر بالمساواة فى الفعل من العدل ، ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ[1] ﴾ فانظر إلى ما أشارت إليه لفظة الأمر من ابتداء نبوة موسى عليه السلام، وخطاب الحق له ، وإعطائه الآيات البينات من إلقاء العصا لتصير ثعبانا ، وإخراج يده بيضاء ، وإرساله إلى فرعون ، وسؤاله شد عضده بأخيه هارون ، إلى جميع ما جرى فى ذلك المقام ، وأمثال هذه المواضع إذا تتبعت خرجت عن حد الحصر فى الكتاب العزيز .

* * *

باب الإرداف*

[٣٨] ويسمي التتبيع ، وهو مما فرعه قدامة[2] أيضاً من الائتلاف ، وقال : هو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له ، ولا بلفظ الإشارة الدال على المعانى الكثيرة ، بل بلفظ هو ردف المعنى الخاص وتابعه ، قريب من لفظ المعنى الخاص قرب الرديف من الردف ، ومنه فى الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ[3] ﴾ وحقيقة ذلك وهلك من قضى الله هلاكه ، ونجا من قضى نجاته ، وإنما عدل عن هذه الحقيقة إلى لفظ الإرداف من الإيجاز والتنبيه على أن هلاك الهالك ، ونجاة الناجى كان بأمر آمر مطاع ، وقضاء من لا يرد قضاؤه ، والأمر يستلزم آمراً ، وقضاؤه يدل على قدرة الآمر به ، وطاعة المأمور تدل على قدرة الآمر وقهره ، وأن الخوف من عقابه ورجاء ثوابه

---

(١) سورة القصص آية ٤٤ .

(*) بحثه فى نقد الشعر : ٩٢ ، والصناعتين : ٣٥٠ ، وخزانه ابن حجة ٣٧٦ .

(٢) نقد الشعر له ص ٥٧ .

(٣) سورة هود آية ٤٤ .

يحضّان على طاعة الآمر ، ولا يحصل ذلك كلّه من اللفظ الخاصّ ، ومن هذا الباب أيضاً قوله تعالى : ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ[1] ﴾ والمعنى فيهنّ عفيفات قد قَصَرتْ عِفّتُهن[2] طرفَهن على بُعولتهن ، وعدل عن المعنى الخاصّ إلى لفظ الإرداف ، لأن كل من عَفَّ غضّ الطرف عن الطموح ، فقد يمتدّ نظر الإنسان إلى شيء وتشتهيه نفسه ، ويَعِفّ عنه مع القدرة عليه لأمر آخر ، وقصرُ طرف المرأة على بعلها ، أو قصر طرفها حياء وخَفَرا أمرٌ زائد على العِفّة ، لأن من لايطمح طرفُها لغير بعلها ، أو لا يطمح حياء وخفراً فإنها ضرورةً تكون عفيفة ، فكلّ قاصرة الطرف عفيفةٌ ، وليست كلُّ عفيفة قاصرةَ الطَّرْف ، فلذلك عدل عن اللفظ الخاصّ إلى لفظ الإرداف .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ[3] ﴾ فإن هذا الكلام عُدِل فيه عن المعنى الخاصّ في موضعين توخّياً للمناسبة والتسجيع ، لأنّ المعنى الخاصّ في الموضعين أن يقال : لأخذناه أخذاً شديداً وأهلكناه ، لكنّ هذه العبارة خالية من المناسبة لِما تقدّم هذين الموضعين وما تأخّر عنهما ، ولمّا كانت المناسبة والتسجيع أمراً مطلوباً عدل عن اللفظ الخاصّ الّذى لا يُعطِى ذلك إلى لفظ يعطيه مع جزالةٍ فيه ؛ والله أعلم .

* * *

---

(١) سورة الرحمن آية ٥٦ .

(٢) فى الأصل : « عينهن » وما أثبتناه عن باقى النسخ .

(٣) الآيات ٤٤، ٤٥، ٤٦ من سورة الحاقة .

باب التمثيل*

هو أيضاً مما فرّعه قدامة[1] وقال : هو أن يريد المتكلمُ معنًى فلا يعبّر عنه بلفظه الخاصّ ،ولا بلفظى الإشارة ،ولا الإرداف ،بل بلفظ هو أبعد من لفظ الإرداف قليلا يصلح أن يكون مثلا للفظ الخاص ، لأن المثل لا يشبه المثل [٣٩] من جميع الوجوه ، ولو تماثل المثلان من كل الوجوه لاتّحدا ،وعلى هذا لا يكون ٥ قرب التمثيل من الحقيقة كقرب الإرداف ، لما بين لفظى الإرداف والحقيقة من القرب لماسّة[2] الرديف الردف[3] بخلاف المثل من المثل ، وشاهده من القرآن قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ[4] ﴾ فإن حقيقة ذلك وجلستْ على هذا المكان ، فعدل عن الحقيقة إلى التمثيل ، لما فى الاستواء من الإشعار بجلوس متمكّن لا زيغ فيه ولا ميل ، ولا حركة معه ولا اضطراب ، فإن بهذا[5] ١٠ الجلوس تسكن قلوبُ أهل السفينة لسكونها ، ولا تسكن إلا بهذا الجلوس المنعوت بالاستواء ، فيحصل تمامُ الأمن وكمالُ الطمأنينة ، ولا يحصل ذلك من قولنا جلستْ ، ولا ما يدل على معناه فقط ، فلذلك ساغ العدول عن لفظ الحقيقة إلى لفظ التمثيل ، والله أعلم .

ومن التمثيل أيضاً نوع آخر ذهب إليه من جاء بعد قدامة ، وهو أن يذكر ١٥

(*) بحثه فى نقد الشعر ٩٤ ،العمدة ١ : ١٨٧ ،أسرار البلاغة : ٩٠ ، سر الفصاحة : ٢٢١ ، التبيان للزملكانى ، الطراز ٢ : ٢ ،خزانة ابن حجة : ١٣٤ ،نهاية الأرب ٧ : ٦٠ .

(١) نقد الشعر له ص ٥٨ . (٢) فى ت « المناسبة » .

(٣) كذا فى الأصل . والذى فى ا ، ب « المردف » وقد سقطت هذه الكلمة من د ، س .وفى « ت » الرديف .

(٤) سورة هود آية ٤٤ .

(٥) كذا فى الأصل ، د ، س. والذى فى ا ، ب ، ت « هذا » ، والأول أبلغ فى تأدية المعنى .

الشيء ليكون مثالا للمعنى المراد، وإن كان معناه ولفظه غير المعنى المراد ولفظه كقوله تعالى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ[1] ﴾ فإن ألفاظ هذه الآية ومعناها مثال مجازيّ أتى به لتتبيّن به حقيقة معنًى مراد، لأنه لما كان هؤلاء المخبر عنهم (بذلك[2]) لا ينتفعون بما يسمعون

٥ من الزواجر، ولا يرتدعون بما يشاهدون من الآيات، كان امتناعهم من ذلك بختم وغِشاوة حالاً بينهم و بين ما يسمعون وما يُبصرون وما يعتقدون[3]، إذ لو لم يحل بينهم و بين الانتفاع بهذه الجوارح لسمعوا وأبصروا وعقلوا، وقد جعل بعضُ الناس الحُبْسَةَ في اللسان خَتْما عليه، قال الشاعر[4] (الكامل):

خَتَمَ الإلهُ على لِسانِ عُذَافِرٍ ... خَتْما فليس على الكلام بقادِرِ

١٠ وإذا أراد النّطقَ خلْتَ لسانَهُ ... لَحْماً يحرّكه لِصَقْرٍ نافِرِ

ويجوز أن تضرب الجملة مثلا لصفة أحوالهم[5]، كقولهم: سال بهم الوادي: إذا هلكوا. وطارت بفلان العَنْقاء: إذا أطال الغَيْبة، وليس للوادي ولا العَنْقاء فعل في هلاك أحد، ولا في طول غيبته، وإنما هو تمثيل مُثّلتْ به حالُ الهالك والغائب، ويجوز أن يكون من باب قولهم: فلان مجبول على الخير،

١٥ أي هو مخلوق من طينته، مبالغة في ثباته[6] على ذلك الوصف، فتقدّر هاهنا أداة تشبيه، كأنهم لثباتهم على الضلال بمنزلة من خلق الله قلوبهم أغتاماً[7] خالية

(١) سورة البقرة آية ٧ .

(٢) ليست في الأصل . وقد أثبتناها عن باقي النسخ .

(٣) كذا في جميع الأصول. والذي في ا ، ب « يعقلون » .

(٤) لم نقف على رواية هذين البيتين فيما لدينا من المظان .

(٥) كذا في الأصول . والذي في ا ، ب « حالهم »

(٦) كذا في جميع الأصول والذي في ا ، ب « ثناته » وهو تصحيف من الناسخ.

(٧) من الغتمة بالضم ؛ وهي العجمة. والأغتم من لا يفصح شيئاً ، وهو على التشبيه .

عن الفطن كقلوب البهائم ، ولذلك قال سبحانه : ﴿ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ[1] ﴾ . [٤٠]

ومن هذا الباب ما يخرجه للتكلّم مخرج المثل السائر يتمثّل به فى الوقائع كقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ[2] ﴾ وقوله عز وجلّ : ﴿ صُنْعَ اللهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ[3] ﴾ وكقوله سبحانه : ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا[4] ﴾ ، إلى كثير من هذه الآى ، وقد أستقصيت جميعَ أمثال الكتاب العزيز من السُّوَر على ترتيبها ، وبوّبته على حروف المعجم فى كتاب كبير ، أتبعت فيه أمثال القرآن بأمثال الدواوين الستّة فى السُّنّة : البخارى ، ومسلم ، والموطّأ ، والترمذى ، والنَّسائى ، وسنن أبى داود مرتّباً على الحروف أيضاً ، وأتبعت ذلك أمثال الأشعار الستة ، وأمثال الحماسة ، وأمثال قصائد العرب المفردات ، كلامية[5] العرب ، وقصيدة سويد[6] بن أبى كاهل ،

(١) سورة الفرقان آية ٤٤ . (٢) سورة النجم آية ٥٨ .

(٣) سورة النمل آية ٨٨ . (٤) سورة الإسراء آية ٧ .

(٥) لامية العرب : قصيدة فى الحكم والأدب لشمس بن مالك المعروف بالشنفرى ، وهو ابن الأوس بن الحجر بن الهنو بن الأزد بن النوث بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان ابن مفرج بن عوف بن ميدعان بن مالك بن الأزد ، والشنفرى : لقبه ؛ وأولها (الطويل) :

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم ... فإنى إلى قوم سواكم لأميل

طبعت فى الجوائب سنة ١٣٠٠ هـ ، ومصر سنة ١٣٢٤ هـ ، والموسوعات بمصر سنة ١٣١٩ هـ ، ولندن سنة ١٨٩٦ وباريس سنة ١٨٠٦ مع ترجمات لها من لغات الاماكن التى طبعت فيها وترجمها ريس إلى اللغة الألمانية وطبعت فى المجلة الألمانية الشرقية سنة ١٨٥٣ م وعدة أبياتها ثمانية وستون بيتاً .

(٦) سويد بن أبى كاهل اليشكرى : من بنى حارثة بن جسل بن مالك بن عبد سعد ابن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، وقصيدته تلك كان يعجب بها الأصمعى ، كما كانت العرب تفضلها وتقدمها وتعدها من حكمها ، وكانت تدعى فى الجاهلية اليتيمة ، وأولها : الرمل =



ومرثية[١] أبي ذؤيب ، ومقصورة ابن دريد[٢] ولامية العجم[٣] للطغرائي ، وأمثال أعيان المولدين كأبي نواس ، وأبي تمام ، والبحتري ، وابن الرومي ، والمتنبي ، وسميته (درر الأمثال[٤]) فمن أراد الوقوف على ذلك فعليه به ، والله أعلم .

* * *

= بسطت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسع

الأغاني ١٣ : ١٠٢ طبع دار الكتب المصرية . وقد وردت بنصها مع شرح واف لها في المفضليات طبع بيروت سنة ١٩٢٠ م وعدة أبياتها مائة بيت وثمانية أبيات .

(١) أبو ذؤيب الهذلي هو خويلد بن خالد بن محرث بن زيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل أخو بني مازن بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار جاهلي إسلامي ، وكان راوية لساعدة بن جؤبة ، ولا خلاف أنه جاهلي إسلامي ، ومرثيته تلك الموجودة في شعره بديوان الهذليين ج ١ : ١ طبع دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٤هـ سنة ١٩٤٥ م ووردت كذلك في شرح المفضليات للانباري طبع بيروت سنة ١٩٢٠ وأولها : (الكامل)

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

وعدة أبياتها ستون وثمانية أبيات .

(٢) ابن دريد هو العلامة الأديب أبو بكر محمد بن دريد بن عتاهية بن حتم الأزدي اللغوي البصري ولد بالبصرة سنة ٢٢٣هـ وتوفي ببغداد سنة ٣٢١هـ ودفن بالمقبرة المعروفة بالعباسية . وقصيدته هذه من الفرائد ،وقد مدح بها ابن ميكائيل ووصف فيها مسيره إلى فارس وتشوقه إلى البصرة وإخوانه بها، وضمنها كثيرا من الأمثال السائرة ، والأخبار النادرة ، والمواعظ الحسنة ، والحكم البالغة ، والمفردات اللغوية ، وأولها : [الكامل] .

يا ظبية أشبه شيء بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا

وأبياتها مائتان وتسعة وعشرون بيتاً طبعت في إيطاليا سنة ١٧٧٣ والجوائب سنة ١٣٢٠هـ ومحمد محمد الوراق سنة ١٨٢٨ بشرحها .

(٣) لامية العجم من نظم العلامة الأديب الوزير مؤيد الدين أبي إسماعيل الحسين بن علي ابن محمد بن عبد الصمد الأصبهاني المعروف بالطغرائي المتوفى سنة ٥١٥هـ وقد نظمها ببغداد في سنة ٥٠٥ هـ في وصف حاله وشكاية زمانه أولها : البسيط :

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل

طبعت في مصر سنة ١٢٩٦ هـ وأكسفورد سنة ١٦٦١م وفرانكفورت سنة ١٧٦٩م ودرسون سنة ١٧٥٦م والاستانة سنة ١٨١٤م وطبعت مع شرحها ليونس المالكي في كتابه الكنز المدفون والفلك المشحون.

(٤) قد بحثنا فيما لدينا من المظان عن هذا الكتاب لابن أبي الأصبع فلم نعثر عليه فتأمل .



باب ائتلاف الفاصلة مع مايدل عليه سائر الكلام(*)

وهو من مخترعات(١) قدامة ، وسماه مَن بعدَه التمكين ، وهو أن يمهِّد الناثر لسَجْعة فقْرته ، والشاعر لقافية بيته ، تمهيدا تأتى به القافية متمكِّنةً فى مكانها ، مستقِرّةً فى قرارها ، مطمئنّةً فى موضوعها ، غيرَ نافرة، ولا قلقة ، متعلقًا معناها بمعنى البيت كلّه تعلُّقا تامًّا ، بحيث لو طُرِحتْ من البيت لاَختلّ معناه ، واَضطرب مفهومُه ، ولا يكون تمكّنُها بحيث يتقدّم ، لفظها بعينه فى أول صدر البيت ، أو فى أثناء الصدر ، أو معنى يدل عليها ، ولا أن تفيد معنى زائدا على معنى البيت ، فإن الأوّل تصدير ، والثانى توشيح ، والثالث إيغال ، ولا يسمَّى شىء من ذلك تمكينا ، وكل مقاطع آى الكتاب العزيز لاتخلو من أن تكون أحد هذه الأقسام الأربعة ، ولهذا تسمَّى مقاطعه فواصل(٢) لاسجعا ولا قوافى ، لاَختصاص القوافى بالشعر والسجع بالمنافرة عن معنى الكلام ، مأخوذ من سَجْعِ الطائر .

فمما جاء منه على هذا الباب وهو باب التمكين قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ(٣) ﴾ فإنه لما تقدّم فى الآية ذكر العبادة وتلاه ذكر [٤١]

(*) كذا وردت هذه التسمية فى الأصل ، د ، ت ، س. والذى فى ا ، ب، باب ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت ، وهو مخالف كل المخالفة لما نحن بصدده من الكلام على بديع القرآن . وهذه التسمية تسمية تحرير التحبير الذى يبحث عن بديع الكلام شعره ونثره .

(١) نقد الشعر ص ٦٢ .

(٢) يفهم من عبارته هذه نفى السجع عن القرآن ، وقد نقض هذا الرأى فى باب التسجيع بالإتيان بأمثلة قرآنية على التسجيع . فتأمل .

(٣) سورة هود آية ٨٧



التصرّف فى الأموال إقتضي ذلك ذكر الحلم والرشد على الترتيب ، لأنّ الحلم : العقلُ الّذى يصح به تـكليف العبادات ، ويحض عليها . والرُّشد : حسن التصرّف فى الأموال ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ[١] ﴾ فإنّ ذِكرَ الرسالة مَهَّدَ لذكر البلاغ والبيان فيه ، وكقوله سبحانه ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ[٢] ﴾ لأن ذكر دخول الجنة مَهَّدَ لفاصلتها ؛ والله أعلم .

* * *

باب التوشيح*

هو من أبواب قدامه[٣] ، وهو أن يكون فى أول الكلام معنًى إذا عُلِم عُلمت منه القافية إن كان شعرا ، أو السجع إن كان نثرا ، بشرط أن يكون المعنى المتقدّم بلفظه ، من جنس معنى القافية ، أو السجعة بلفظه ، أو من لوازم لفظه ، وقد جاء فى الكتاب العزيز من هذا الباب قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ[٤] ﴾ فإن معنى اصطفاء المذكورين يعلم منه الفاصلة ، إذ المذكورون صنف من

(١) آيتا ١٦ ، ١٧ من سورة يس

(٢) آيتا ٢٦ ، ٢٧ من سورة يس

(*) التوشيح بحثه فى البيان والتبيين تحت اسم الإرصاد ١ : ١١٥ وقواعد الشعر : ٧١ ونقد الشعر : ٩٩ والصناعتين : ٣٨٢ وسر الفصاحة فى الكلام على المماثلة ١٥٣ وبديع ابن منقذ : ٤٥ والمثل السائر : ٤٦٥ والطراز ٣ : ٧ وخزانة ابن حجة : ١٠٠ وحسن التوسل : ٦٨ ونهاية الأرب ٧ : ١٣٧ والايضاح تحت الارصاد .

(٣) نقد الشعر له ص ٦٣

(٤) سورة آل عمران اية ٣٨ .



بعض أنواع العالمين ، وكقوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ[١] ﴾ فإن من كان حافظا لهذه السورة متفطّنا إلى أنّ مقاطع آيها النون المردفة ، وسمع فى صدر الآية انسلاخ النهار من الليل ، علِم أنّ الفاصلة تكون مظلمين ، لأن من انسلخ النهار عن ليله أظلم ، أى دخل فى الظلمات ما دامت تلك الحال ؛ والله أعلم . ٥

* * *

باب الإيغال*

وهو آخر أبواب : قدامة[٢] ، وهو أن يستكمل المتكلّم معنى كلامه قبل أن يأتى بمقطعه ، فاذا أراد الإتيان بذلك أتى بما يفيد[٣] معنى زائدا على معنى ذلك الكلام ؛ ومنه فى الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ[٤] ﴾ ثم علم عزّ وجلّ أن الكلام يحتاج إلى فاصلة تماثل مقاطع ما قبلها وما بعدها ، فأتى بها تفيد معنى زائدا على معنى الكلام حيث قال : ﴿ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ[٤] ﴾ فإن قيل : فما معنى الإتيان بمدبرين ، وقد أغنى عنها ذكر التولّى ؟ قلت : لايغنى ذلك عنها ، إذ التولّى قد يكون بجانب دون جانب ، كما يكون الإعراض ، ولما أخبر سبحانه — وهو أعلم — بذكر توليهم متمما المعنى فى حال الخطاب لينفى عنهم الفهم الّذى يحصل من الإشارة ، فإن ١٠ ١٥

---

(١) سورة يس آية ٣٧ .

(*) بحثه فى قواعد الشعر تحت اسم الابيات الغر : ٦٧ ، نقد الشعر : ١٠٠ ، العمدة ٢ : ٤٥ ، الصناعتين : ٢٨٠ ، سر الفصاحة فى أثناء الكلام عن الحشو : ١٤٩ ، الإيضاح ٣ : ٢٢٦ ، خزانة ابن حجة : ٢٣٤ ، الطراز ٣ : ١٣١ ، نهاية الأرب ٧ : ١٣٨

(٢) نقد الشعر له ص ٦٣ .

(٣) فى ا ، ب « به » .

(٤) سورة النمل آية ٨٠

[٤١] الأصمّ يفهم من الإشارة ، ما يفهمه السميع من العبارة ، ثم علم سبحانه أن التولّى قد يكون بجانب دون جانب كما قدّمنا ، فيجوز أن يلحظ بالجانب الذى لم يتولّ به فيدرك بعض الإشارة ، والمراد نفى إدراك كلّ الإشارة ، فجاءت الفاصلة (مُدْبِرِينَ) ليعلم أن التولّى كان بجميع الجوانب : بحيث صار ما كان مستقبلا مستدبرا ، فاحتجب المخاطَب عن المخاطب ، إذ صار من ورائه فخفيت عن عينيه الإشارة ، كما صمّت أذناه عن العبارة فحصلت المبالغة الكلّيّة فى عدم الأسماع بتّةَ ، وهذا تمثيل مثلت به حال هؤلاء القوم أتى مدمجا فى الإيغال ، وهذا الضرب من الإيغال يسمّى إيغالَ الاُحتياط ، جاءت المبالغة فيه متّممة للمبالغة الّتى فى حشو الآية؛ والله أعلم .

١٠ والإيغال إيغالان : إيغال احتياط ، وقد مضى شاهدُه ، وإيغال تخيير وشاهده قوله تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ[١] ﴾ لأن المعنى قد تمّ بقوله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا ﴾ ولما احتاج الكلام إلى فاصلة تناسب ما قبلها وما بعدها أتت تفيد معنى زائد لولاها لم يحصل ، وذلك أنه لا يعلم أن حكم الله أحسن

١٥ من كلّ حكم إلا من أيقن أنه واحد حكيم عادل ليبقى توحيده الشريك فى الحكم الذى انفرد به ، ولم يكن له معارض فيه ولا مناقض، ويحصل من حكمته وضع الشىء فى موضعه ، فيؤمَن منه وضع الحق فى غير موضعه ، وينفى العدلُ عنه الجورَ فى الحكم ، ثم عدل عن قوله (لقوم يعلمون) إلى قوله (لقوم يوقنون) ليكون علمهم بربّهم علم قطع ويقين ، وجاء هذا الإيغال بعد

٢٠ التعطّف فى قوله : (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ) (يَبْغُونَ[٢]) وقوله : ﴿ وَمَن

(١) سورة المائدة آية ٥٠

(٢) سقطت هذه الكلمة من ا ، ب .



أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً ﴾ فأتى ذكر الحكم فى أول الكلام وآخره تعطفا مقترنا بتجاهل العارف فى قوله : (أفحكم) مستفهما عن معلوم ، ليخرج الكلام بالاستفهام عن المعلوم مخرج التوبيخ ، والإنكار والتذييل بالجملة التى هى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً ﴾ وما تعلق بالتذييل من المثل السائر ، إذ هذه الجملة تصلح أن يُتمثَّل بها فى كل واقعة تشبه واقعتها ، فحصل فى هذه الآية وهى عشر لفظات سبعة أضرب من البديع : وهى التعطف ، وتجاهل العارف ، والتذييل ، والمقارنة ، والتمثيل ، والتطبيق ، والإيغال ؛ والله أعلم .

* * *

هذا آخر أبواب قدامة ، ومن ههنا نبدأ بأبوابِ مَن بعدَ الرَّجلين ، أعنى : ابن المعتز ، وقدامة ، فأولها :

باب الاحتراس*

[٤٢] وتعريفه أن يأتى المتكلم بمعنى يتوجّه عليه فيه دخل ، فيفطن لذلك حالَ العمل ، فيأتى فى أصل الكلام بما يخلّصه من ذلك ، ومن أمثلته فى القرآن قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١) ﴾ فإنه سبحانه لمّا أخبر بهلاك من هلك بالطُّوفان ، أعقبه بالدعاء على الهالكين ، ووصفهم بالظلم ليعلم أنّ جميع من هلك كان مستحقّا للهلاك احتراسا من ضعيف يتوهّم أن الهلاك بعمومه قد شَمِل من لايستحقّ العذاب ، فلما دعا على الهالكين علم

(*) الاحتراس بحثه فى البيان والتبيين ١ : ٢٢٨ ، سر الفصاحة تحت اسم التحرز مما يوجب الطعن : ٢٥٨ ، بديع ابن منقذ : ٢٨ ، الإيضاح تحت اسم التكميل ٣ : ٢٣٤ ، خزانة ابن حجة : ٥٨ .

(١) سورة هود آية ٤٤



أن كل من هلك كان مستحقًّا للهلاك ، لأنه قد ثبت بالبرهان أنه عادل فلا يدعو إلا على من يستحق الدعاء ؛ ووصفهم بعد الدعاء عليهم بالظلم ، فإن لم يكونوا ظالمين كما أخبر عنهم فقد دخل خبره الخلف ، وخبره منزّه عن ذلك ، فوقع هذا الدعاء[1] ، وهذا الوصف احتراسا من ذلك الذى قدّر توهّمه .

٥ وأعجب احتراس وقع فى القرآن قوله تعالى مخاطبا للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ ﴾[2] فإنه تبارك وتعالى لما نفى عن رسوله وحبيبه ـ صلّى الله عليه وسلم ـ كونه بالمكان الّذى قضى لكليمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأمرَ ، عرّف المكانَ بالجانب الغربىّ ، ولم يصفه باليمين ، كما قال فى الإخبار عن موسى ـ عليه السلام ـ : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ

١٠ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ﴾[3] أدبا منه سبحانه وتعالى مع نبيّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن ينفى عنه كونه بالجانب الأيمن ، ووصف سبحانه الجانب ههنا باليمين ، إذ أخبر أنه سبحانه نادى منه كليمَه موسى ـ عليه السلام ـ تشريفا له ، فالمح هذا الاحتراس اللطيف ، وتدبَّرْ خباياَ هذا الكلام الشريف .

* * *

باب المواربة* « براء مهملة »

١٥ وهى أن يقول المتكلّم قولا يتضمّن ما ينكر عليه فيه بسببه ، فيعدّ ما يتخلّص به من ذلك الإنكار ، إن فطن بنفسه له من غير منبّه عليه من خارج أو يرتجل التخلّص إن جُبِه بالردّ .

وألطف موار بة وقعتْ فى كلام موار بة عتبان الحرورىّ حيث قال (الطويل) :

---

(١) سقطت من ا ، ب ، ت (٢) سورة القصص آية ٤٦

(٣) سورة مريم آية ٥٢ .

(*) المواربة بحثها فى خزانة ابن حجة : ١١٢٠ .

فإنْ يَكُ مِنكم كان مروان وابنه   وعمْرو ومنكمْ هاشمٌ وحَبِيبُ[(١)]

فمنّا الحُصَيْن والبُطَيْن وقَعْنب   ومنّا أميرُ المؤمنينَ شبيبُ

فإنه لما بلغ شعره هشاماً وظفر به فقال له : أنت القائل :

[٤٣]

* ومنا أميرُ المؤمنين شبيب *

فقال : فى النفس لم أقل كذا ، وإنما قلت : ومنّا أميرَ المؤمنين شبيب . ٥
فتخلّص بفتحة الراء بعد ضمّها ، وقد جاء فى الكتاب العزيز من ذلك قوله تعالى
حكايةً عن أكبر ولد يعقوب عليه السلام : ﴿ ارجِعُوا إلَى أبِيكُمْ فَقُولُوا
يا أبَانَا إنَّ ابنَكَ سَرَقَ[(٢)] ﴾ فإن بعض العلماء قرأ هذا الحرف : (إنَّ ابنَكَ
سُرِّقَ[(٣)]) ولم يَسرِق « بفعل ما لم يسم فاعله » ، توخِّياً للصدق ، فإن يوسف
ـ عليه السلام ـ سُرِّق ولم يَسرِق» فأتى بالكلام على الصحة بإبدال الضَمّة مِن ١٠
فَتْحة ، وتشديد فى الراء وكسرتها ؛ والله أعلم .

* * *

باب الموازنة* « بزاى معجمة »

وهى مقارنة المعانى بالمعانى ليُعرَف الراجح فى النظم من المرجوح ، كقول
السموءل (الطويل) :

---

(١) الخبر مع البيتين فى النهاية لابن كثير ٩ : ١٠ ، الموازنة للآمدى ص ٨٦

(٢) سورة يوسف آية ٨١

(٣) العبارة التى بين قوسين لم ترد فى ا ، ب .

(٤) لم يرد هذا الباب بأكمله فى نسخة ا . أما فى ب فانه لم يأت فى صلبها وإنما زيد فى الهامش لقارئها .

(*) الموازنة بحثها فى المثل السائر : ١٦٩ ، التخليص : ٢٥٦ ، الإيضاح : ١١٣ ، الطراز ٣ : ٣٨ ويلاحظ أن الموازنة فى نظر ابن أبى الأصبع غير الموازنة التى قصدها أصحاب هذه الكتب ، لأنهم قصدوا الحلية اللفظية التى تكون فيها ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية فى الوزن ، وأن يكون صدر البيت وعجزه متساويا فى الألفاظ . وهذا النوع أخو السجع فى المعادلة دون المماثلة ، ولكن ابن أبى الإصبع قصد بها موازنة بعض الكلام ببعض .



وَننكر إن شئنا على الناس قولَهمْ ولا يُنكرون القولَ حين نقولُ[١]

فإنك إذا وازنته بقول الله سبحانه : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ[٢] ﴾ تبيّن لك ما بين الكلامين من الفرق ، وأمثال هذا الباب كثيرة ، وهذا أحد وجوه الإعجاز ، وهو قياس القرآن بكل معجزٍ من الكلام .

* * *

باب الترديد*

وهو أن يعلّق المتكلم لفظةً من الكلام بمعنى ، ثم يردّها بعينها ، ويعلّقها بمعنًى آخر كقوله تعالى : ﴿ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ[٣] ﴾ فالاسم الأوّل مضاف إليه ، والثانى مبتدأ به ؛ وكقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا[٤] ﴾ وكقوله سبحانه : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا[٥] ﴾ ؛ ومن الترديد نوع آخر يسمّى الترديد المتعدّد ، وهو أن يتردّد حرف من حروف المعانى إما مرّة أو مراراً ، وهو الّذى يتغيّر فيه مفهوم المسمّى لتغير الأسم إما لتغايُر الأتصال ، أو لتغاير مايتعلّق بالأسم ، كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ[٦] ﴾ ، فإن اتصال « من » بضمير المخاطبين والغائبين فى الموضوعين مع ما تضمّنت « مَن » من معنى الشرط أصار المؤمنين كافرين بذلك الشرْط ؛ والله أعلم .

* * *

(١) ديوان الحماسة ١ : ٣١ ، الصناعتين ٤٠٥ (٢) سورة الأنبياء آية ٢٣

(*) بحثه فى العمدة ٢ : ٢ ، بديع ابن منقذ ٢٦ ، خزانة ابن حجة : ١٦٤ ، نهاية الأرب ٧ : ١٤١ ، الطراز ٣ : ٨٢ ، حسن التوسل : ٧٠

(٣) هذه قراءة ورش . والذى فى باقى النسخ « رسالته » وهى قراءة حفص .

(٤) سقطت العبارة التى بين قوسين من ا ، ب ، ت وهما آيتا ٦ ، ٧ من سورة الروم .

(٥) سورة التوبة آية ١٠٨ (٦) سورة المائدة آية ٥١

باب التعطف*

وقد سمّاه قوم المشاركة ، والتسمية الأولى أولى . والتعطّف كالترديد فى إعادة اللفظة بعينها فى الجملة من الكلام ، أو البيت من الشّعر . والفرق بينهما قرب الكلمتين من الترديد ، وكونهما فى أحد طرفى الجملة أو فى كليهما ، وهما فى التعطّف مفترقتان ، كلّ لفظة منهما فى طرف من الكلام ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ[1] ﴾ فانظر كيف أتى التعطّف فى هذه الآية الكريمة من صدرها فى قوله : ﴿ تَرَبَّصُونَ بِنَا ﴾ « وقوله : ﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ ﴾ » وتجنيس الازدواج فى قوله من عجزها : ﴿ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴾ إلى ما فيها من الإشارة فى قوله تعالى : ﴿ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ﴾ فإن تفسير الحسنيين قد جاء من غير هذه الآية فى قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ[2] ﴾ وقد وقع فى التعطّف منها مقابلةٌ معنويّة خرج الكلام فيها مخرج إيجاز الحذف ، فإن مقتضى البلاغة أن يكون تقدير ترتيب النظم: قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين أن يصيبنا الله بعذاب من عنده أو بأيديكم ، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا . فحذف لتوخّى الإيجاز تفسير الحسنيين من الجملة الأولى (وأثبت فى الجملة الثانية فراراً من تكرار اللفظ

(*) بحثه فى الصناعتين : ٤٢٠ ، وخزانة ابن حجة : ٤١٧

(١) سورة التوبة آية ٥٢

(٢) سورة النساء آية ١٤١ .



وتكثيره ، كما حذف الحسنيين من الجملة الثانية[1]) أستغناء بذكرها أوّلا طلباً للاختصار ، فحصل فى الآية التعطّف والمقابلة والإيجاز والتفسير ، وتجنيس الازدواج مقترن ، والتمكين مرشّح لتجنيس الازدواج ، فتكملت فيها ثمانية أضرُب من البديع .

٥ ومن هذا الباب أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ[2] ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ[3] ﴾

° ° °

باب التفويف*

التفويف عند أرباب علم البيان : إتيان المتكلّم بمعانٍ شتّى من المدح والوصف والنسيب ، وغير ذلك من الفنون التى يُفْتِحها المتكلّمون كل فنّ فى جملة

١٠ منفصلة من أختها بالسّجع[4] غالباً ، مع تساوى الجمل فى الزّنة . ويكون بالجمل الطويلة ، والجمل المتوسّطة ، والجمل القصيرة . فمثال المركّب من الجمل الطويلة

[٤٦] قوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام : ﴿ الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ، وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ . وَالَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ . رَبِّ هَبْ لِى حُكْماً

---

(١) سقطت هذه العبارة من ت .

(٢) سورة البقرة آية ٤٠

(٣) سورة الروم آية ٧

(*) التفويف بحثه فى التبيان لابن الزملكانى : ١٣٧ ، الطراز ٣ : ٨٤ ، نهاية الأرب ٧ : ١٤١ ، حسن التوسل : ٧٠ .

(٤) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت ، والذى فى ا ، ب « بالتجميع » وهو تصحيف من الناسخ .



وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ[1] ﴾ . ومثال ما ركّب من الجُمَل المتوسّطة قوله تعالى :

﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ[2] ﴾ ، وفى كلا هاتين الآيتين من المحاسن بعد التفويف طرف من المحاسن يستفزّ العقول طرباً ، والآية الأولى أكثر بديعاً من الثانية ، فمن ذلك ما حصل فى الآية الأولى من المناسبة التامّة المقترنة بالتفويف فى قوله سبحانه . « خلقنى » و « يطعمنى » والتنكيت فى قوله : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ ﴾ فإن النكتة التى أوجبت على الخليل عليه السلام إسناد فعل المرض إلى نفسه دون بقيّة الأفعال حسن الأدب مع ربّه عزّ وجلّ ، إذ أسند إليه أفعال الخير كلّها ، وأسند فعل الشرّ إلى نفسه ، وحسن الترتيب المقترن بحسن النسق ، فإنه قدّم الخلق الذى يجب تقديم الاعتداد به من الخالق على المخلوق واعتراف المخلوق بنعمته ، فإنه أوّل نعمة ، وفى إقرار المخلوق بنعمة الإيجاد من العدم إقراره بقدرة الخالق على الإيجاد والاختراع وحكمته ، ثم ثنّى بنعمة الهداية التى هى أولى بالتقديم بعد نعمة الإيجاد من سائر النعم ، ثم ثلّث بالإطعام والإسقاء اللذين هما مادّة الحياة ، وبهما من الله استمرار البقاء إلى الأجل المحتوم ، وذكر المرض وأسندَه إلى نفسه أدباً ، كما قلنا مع ربّه ، ثم أعقب ذكر المرض بذكر الشفاء مسنداً ذلك إلى ربه ، ثم ذكر الأمانة مسنداً فعلها إلى ربه لتكميل المدح بالقدرة المطلقة على كلّ شىء من الإيجاد والإعدام ، ثم ردف ذكر الموت ذكر الإحياء بعد الموت ، وفيه مع الاقرار بهذه النعمة والاعتراف بالقدرة والإيمان بالبعث ، وكلّ هذه المعانى جُمَلُ ألفاظُها معطوف بعضها على بعض بحروف

---

(١) أورد الأصل ا ، ب قراءة الإمام حفص . وأوردت د ، ت ، س قراءة الإمام ورش . وهى الآيات / ٧٨ — ٨٣ من سورة الشعراء .

(٢) سورة آل عمران آية : ٢٧

ملائمة لمعانى الجمل المعطوفة ، فما وجب عطفه بالواو عطف بالواو ، وما وجب عطفه بالفاء عُطف بالفاء ، وما وجب عطفه بثُمّ عُطف بثم ، وذلك بيّن ، فحصل فى الآية أغرب أقسام التفويف ، وهو الذى يكون جمله متماثلة المقاطع ، لأن وقوع ذلك فيه نادر ، والغالب وقوعه بخلافه ، إذ لا يجب تماثل مقاطعه إلا فى الزِّنة دون التقفية ، ثم المناسبة التامّة ، وصحّة التقسيم إذا استوعبت أقسام النعم الدنيوية والأخروية من الخلق والهداية والإطعام والإسقاء والمرض والشفاء والموت والحياة والإيمان بالبعث وغفران الذنب[1] ، وإنّما اعتد بالمرض من جملة النِّعَم ، لما فيه لو عقل المريض من تكفير السيئآت ، وحصول الحسنات ، ورفع الدّرجات ، وكذلك الموت فإنّه طريق إلى الحياة الأبديّة ، والنعم السرمديّة .. [٤٧]

ووقع فى الآية الثانية بعد التفويف للطابقة ، والعكس والتبديل .

ولم يأت شىء من المركّب من الجمل القصيرة فى شىء من الكلام الفصيح ، والله أعلم ..

* * *

باب التسهيم *

وهو أن يكون ما يتقدّم من الكلام دليلا على ما يتأخر منه أو العكس .

ومنه فى الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ . أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ . لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ[2] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ[3] ﴾ الآية ، وقوله سبحانه :

(١) كذا فى الأصل ، ا ، ب . وفى بقية النسخ « الذنوب »

(*) التسهيم مأخوذ من البرد المسهم أى المخطط ، وهو الذى يدل أحد سهامه على الذى يليه لكون لونه يقتضى أن يليه لون مخصوص يتفق مع ما قبله وما بعده وقيل : مأخوذ من التسهيم أى التصويب ويكون بذلك قريب الشبه جداً بالمعنى الاصطلاحى لأن المتكلم يصوب ما قبل عجز الكلام إليه ؛ بحثه فى البيان والتبيين ١ : ١١٥ ، قواعد الشعر تحت اسم الأبيات المحجلة : ٧١ ، نقد الشعر تحت اسم التوشيح : ٩٩ الصناعتين ٣٨٢ ، المثل السائر : ٢٩٦ ، العمدة ٢ : ٢٦٠ ، سر الفصاحة تحت اسم المعاظلة : ١٥ ، بديع ابن منقذ : ٦٤ ، خزانة ابن حجة : ٣٧٤ ، الايضاح تحت اسم الإرصاد ٦ : ٢٥ ، نهاية الأرب ٧ : ١٤٢ ، حسن التوسل : ٧١

(٢) سورة الواقعة الآيات ٦٣ — ٦٥ (٣) سورة الواقعة آية ٦٨

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ[١] ﴾ الآية فانظر إلى اقتضاء أوائل هذه الآيات أواخرها اقتضاء لفظيًّا ومعنويًّا ، وائتلاف الألفاظ فيها بمعانيها لمجاورة الملائم بالملائم ، والمناسب بالمناسب ، لأن ذكر الحَرْث يلائم ذكر الزرع ، والاعتداد بكونه سبحانه لم يجعله حُطاماً ملائم لحصول التفكّه به ، وعلى هذه الآية يقاس نظمُ أختها .

* * *

باب* التسميط[٢]

وهو عبارة عن تصيير المتكلّم مقاطعَ أجزاء الكلام من بيت شعر ، أو جملةِ نثر مسجّعة على رويّ يخالف رويّ قافيته ، أو رويّ قرينته . ومثاله في الشعر قولُ (مروانَ[٣]) ابنِ أبي حفصة (الطويل) :

هُمُ القومُ إنْ قالوا أصابُوا وإن دُعوا
أجابوا وإن أعْطَوْا أطابوا وأجْزَلُوا[٤]

واشتقاقه من السِّمْط الذي هو خيط العِقد ، لتنزيل سجعات الأجزاء بمنزلة حَبِّ العِقد ، وقافية البيت أو سجعة النثر ، أو فاصلة الآية بمنزلة السمط الذي يجمع حبَّ العِقد ويَربطه .

وقد جاء في الكتاب العزيز من ذلك ما هو الغرض الأهمّ الذي

(١) سورة الواقعة آية ٧١

(*) بحثه في الطراز ٣ : ٩٧ ، نهاية الأرب ٧ : ١٤٧ ، خزانة ابن حجة . ٤٣٤ ، حسن التوسل : ٧٣

(٢) سقط هذا الباب بأكمله من ا ، ويوجد في هامش ب .

(٣) كذا في الأصل . وهي ساقطة من جميع النسخ .

(٤) البيت في الأغاني ١٠ ص ٦٠ طبع دار الكتب المصرية وهو من أبيات أولها :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم   أسود لها في بطن خفان أشبل

كان يجب تقديمه لولا أننى قصدت[١] إيضاح أشتقاق التسمية ، ليطابق بها الناظرُ فى الكتاب ما جاء منها فى القرآن العزيز قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا[٢] ﴾ . [٤٨]

* * *

باب التورية*

ونسمّى التوجيه ، وهى أن تكون الكلمة تحتمل معنيين ويستعمل المتكلّم أحد احتماليها ويهمل الآخر ، ومراده ما أهمله لا ما أستعمله . ومنها قوله تعالى : ﴿ قَالُوا تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ[٣] ﴾ فانظر إلى كون الضلال هنا يحتمل الحبّ وضد الهدى ، وكيف استعمله أولاد يعقوب (عليه السلام[٤]) ضدّ الهدى ، فورّوا به عن الحبّ ليعلم أن المراد ما أهملوا لا ما أستعملوا .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً[٥] ﴾ على رأى من رأى أن البدن هاهنا الدِّرع ، فإن البدن يطلق على الجَسد ، وعلى الدِّرع ، وهو بهذا التفسير فى الظاهر قد أستعمله بمعنى

(١) كذا فى الأصل . وهو الصواب . والذى فى د ، س ، ت « قضيت » وهو تحريف .
(٢) سورة الإسراء آية ٥٥

(*) التورية بحثها فى العمدة ١ : ٢١٣ ، بديع ابن منقذ : ٣١ ، روضة الفصاحة : ١٦ ، المفتاح تحت اسم الإبهام . ٢٢٦ ، التلخيص : ٢٤٨ ، الإيضاح : ٣٩ ، خزانة ابن حجة : ٢٣٩ ، الطراز ٣ : ٦٢ ، نهاية الأرب تحت اسم الإبهام والتخييل ٧ : ١٣١
(٣) سورة يوسف آية ٩٦
(٤) هذه التكملة عن د ، ت ، س .
(٥) سورة يونس آية ٩٢



الجسم وأهملَ معنى الدِّرع ، ومراده ما أهمل لا (معنى[1]) ما أستعمل ، فإن نجاة فرعون ، أى خروجَه من البحر بعد الغرق بدرعه أعجبُ آيةً من خروجه مجرَّدا .

ومن التورية اللّطيفة قوله تعالى بعد ذكر أهل الكتاب من اليهود والنصارى حيث قال : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ (وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ[2] قِبْلَةَ بَعْضٍ) ﴾ ولمّا كان الخطاب لموسى عليه السلام من جانب الطُّور الغربىّ وتوجّهت اليهود إليه ، وتوجّهت النصارى إلى الشرق ، وكانت قبلة الاسلام وسطاً بين القبلتين ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً[3] ﴾ أى خياراً ، وظاهر اللّفظ يوهم التوسّط مع ما يعضده من توسّط قبلة المسلمين صدق على لفظ وسط هاهنا أن يسمّى تعالى به ، لأحتمالها للمعنيين ، ولما كان المراد والله أعلم أحد المعنيين الّذى هو الخيار دون الآخر صلحتْ أن تكون من أمثلة هذا الباب ، والله أعلم .

* * *

باب الترشيح*

وهو أن يريد المتكلّم ضرباً من ضروب البديع فلا يتأتّى له الاتيان به مجرداً حتى يأتى بشىء فى الكلام ليرشّحه لمجىء ذلك الضرب .

---

(١) الكلمة التى بين قوسين ساقطة من ا ، ب

(٢) مابين القوسين ساقط من ا ، ب ، وهى آية : ١٤٥ من سورة البقرة .

(٣) سورة البقرة آية ١٤٣ .

(*) الترشيح بحثه فى أسرار البلاغة ٢٥٧ — ٢٦٢ ، خزانة ابن حجة : ٣٧٢ .



ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ[(١)] ﴾ فإن لفظة « ربك » رشحت لفظة ربه لأن يكون تورية ، إذ يحتمل أن يراد بها الإله تعالى ، وأن يراد بها الملك ، ولو وقع الاقتصار على قوله : ﴿ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾ دون قوله : ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ لم تدل لفظة « ربه » [٤٩] إلا على الاله فحسب ، لكن لما تقدمت لفظة « ربك » وهي لا تحتمل إلا الملك صلحت لفظة « ربه » للمعنيين . وقد تقدم فى باب الاستعارة الترشيح للاستعارة ، وفى باب الطباق الترشيح للمطابقة ، وكثيراً من أبواب البديع يدخله الترشيح ، والله أعلم .

* * *

باب الاستخدام*

١٠ وهو أن يأتى المتكلم بلفظة لها محملان ، ثم يأتى بلفظتين تتوسط تلك اللفظة بينهما ، تستخدم كل لفظة منهما أحد محملى اللفظة المتوسطة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ[(٢)] ﴾ فإن لفظة « كتاب » تحتمل الأمد المحتوم ، بدليل قوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ[(٣)] ﴾ أى حتى يبلغ الكتاب أمده ، أى أمد العدة ، وأجله : منتهاه ، ١٥ والكتاب (المكتوب[(٤)]) وقد توسطت لفظة « كتاب » بين لفظتى « أجل »

---

(١) سورة يوسف آية ٤٢ .

* الاستخدام بحثه فى بديع ابن منقذ : ٤٢ ، التلخيص : ٢٤٨ ، الإيضاح : ٤٢ مع العلم بأنه لم يذكر فى المفتاح ، خزانة ابن حجة : ٥٢ ، حسن التوسل : ٧١ ، نهاية الأرب ٧ : ١٤٣ .

(٢) آيتا ٣٨ ، ٣٩ من سورة الرعد .

(٣) سورة البقرة آية ٢٣٥ .

(٤) الذى فى الأصل « المكنون » بنونين ، وهو تصحيف من الناسخ ، والصواب ما أثبتناه كما فى جميع النسخ .

« ويمحو » فاستخدمت لفظة « أجل » أحد مفهوميها ، وهو الأمد ، واستخدمت لفظة « يمحو » مفهومها الآخر ، وهو المكتوب ، فيكون تقدير الكلام على ذلك ، لكلّ حد مؤقت مكتوب يمحى ويثبت؛ والله أعلم .

* * *

باب التغاير*

وهو تغاير المذهبين إما فى المعنى الواحد بحيث يَمدَح إنسان شيئاً أو يذمُّه ، أو يذم مامدحه غيرُه ، وبالعكس ، أو يفضِّل شيئاً على شيء ، ثم يعود فيجعل المفضول فاضلا ، والفاضل مفضولا .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ[(١)] ﴾ فغاير بعضُهم بعضاً فى باب الطاعة والعصيان بعد التغاير فى مقالهم واعتقادهم فى نياتهم ، وهذا هو ما يغاير به الإنسان فيه غيرَه . وأما ما يغاير فيه نفسه ، فمنه قول قريش عن القرآن: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ[(٢)] ﴾ إنكاراً منهم لغرابة أسلوبه ، وما بهرهم من فصاحته ، ويلزم هذا الكلام إقرارهم بالعجز عنه ، ثم غايروا أنفسهم فى وقت آخر فقالوا : ﴿ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا[(٣)] ﴾ ولو كان القولان فى وقت

* بحثه فى العمدة ٢ : ٨٠، خزانة ابن حجة . ١٠٢ ، نهاية الأرب ٧ : ١٤٥، حسن التوسل : ١٧٢ .

(١) سورة الأعراف آيتا ٧٥ و ٧٦ .

(٢) سورة المؤمنين آية ٣٤ .

(٣) سورة الأنفال آية ٣١ .

واحد لكان ذلك تناقضاً ، وهو عيب ، ولم يعد من المحاسن ، لكنه لوقوعه في زمنين ،مختلفين ، ووقتين متباينين لا يُعدّ من العيوب ، واعتدّ به من المحاسن ، ولذلك سمّي تغايراً لا تناقضاً ؛ والله أعلم . [٥٠]

ومن التغاير تغايُر المعنى لمغايرة اللفظ ، مثل قوله تعالى في سورة الأنعام :

٥ ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ[١] ﴾ فإن ذلك غير قوله في هذا المعنى بعينه في بني إسرائيل : ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ[٢] ﴾ فقدم في الآية الأولى وعده بالرزق للآباء على وعده برزق الأبناء ، وفي الآية الثانية بالعكس ، وسبب المغايرة بينهما أن الخطاب في الأنعام للفقراء ، بدليل قوله تعالى : من إملاق (فاقتضت

١٠ البلاغة تقديم وعدهم أغنى الآباء المملقين بما يغنيهم من الرزق[٣]) ، واقتضت البلاغة « تكميل المعنى بعدة الأبناء بعد عدة الآباء ليكمل سكون الأنفس ، ولم يبق لها تعلّق بشيء ، وفي بني إسرائيل الخطاب للأغنياء بدليل قوله تعالى : ﴿ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ ﴾ فإنه لا يخشى الفقر إلا الغنيّ ، أما الفقير ففقرُه حاصل ، فاقتضت البلاغة تقديمَ وعد الأبناء بالرزق ، ليشير هذا التقديم إلى أنه سبحانه

١٥ هو الذي يرزق الأبناء ليزول ما توهّم الأغنياء من أنّهم بإنفاقهم على الأبناء يصيرون إلى الفقر بعد الغنى ، ثم كمل الطمأنينة بعدَتِهم بالرزق بعد عِدَة أبنائهم . والله أعلم .

* * *

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥١ .

(٢) سورة الإسراء آية ٣١ .

(٣) ما بين العلامتين ساقط من « ا ، ب » .

باب المماثلة*

وهو تماثل ألفاظ الكلام كلّها أو بعضها فى الزِّنةِ دون التَّقفية ، كقوله تعالى : ﴿ وَالسَّماءِ وَالطَّارِقِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ . إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ[1] ﴾ فالطارق والثاقب وحافظ متماثلون[2] فى الزِّنة دون التقفية .

وقد قيل[3] : المماثلة تماثُل الألفاظ فى المعنى مع اختلاف اللفظ . كقول أبى تمام[4] (البسيط) :

وقال ذُو أمرِهم لا مَرْتعٌ صَدَرٌ ... للسّارحين وليس الوِرْدُ مِنْ كَثَبِ

والصَّدَرُ : القريب . والكَثَب : القريب ، ويكون مثلُ هذا فى الكتاب العزيز . ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ[5] ﴾ وأمثال ذلك كثيرة ؛ والله أعلم .

٥

* * *

(*) بحثها فى الصناعتين: ٣٥٣ ، خزانة ابن حجة : ٣٧٠ .

(١) سورة الطارق الآيات من ١ — ٤ .

(٢) فى جميع النسخ « متماثلان » بالتثنية ؛ والسياق يقتضى الجمع كما أثبتنا .

(٣) من هنا إلى آخر الباب ساقط من (١) وحدها .

(٤) ديوانه : ١٠ طبع ببروت . وهذا البيت من قصيدة له أولها

* السيف أصدق أنباء من الكتب *

وذو أمرهم : آمرهم . والمرتع : المرعى الخصيب . والورد : المورد .

(٥) سورة يوسف آية ٨٦ .

باب التسجيع*

وهو أن يتوخّى المتكلّم تسجيعَ جُمَل كلامِه .

وهو على ضربين : ضرب تأتى الجمل المسجعة مجمَلةً مُدْمَجةً فى الجمل المهمَلة ، وضرب تأتى فيه الجمل المسجَّعة منفردةً .

٥ مثال الأوّل قول عبد السلام[1] بن غياث المعروف بديكِ الجنّ الحِمْصى (كامل مجزوء) :

[٥١] حُرّ الإهاب وسيمه * بَرّ الإياب كريمه * مَحْضُ النِّصاب حَميمه

ومثال الثانى قول أبى تمّام[2] (الطويل) :

تَجلّى به رُشْدِى وأثْرَتْ به يَدِى ... وفاضَ به ثَمْدِى وأوْرَى به زَنْدِى

١٠ ومثال الأوّل من القرآن العزيز قوله تعالى : ﴿ قٓ . وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ . بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ[3] ﴾ وكقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ[4] ﴾ إلى آخر الآية .

ومثال الثانى قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ

(*) بحثه فى البيان والتبيين ١ : ٢٨٥ ، سر الفصاحة تحت اسم السجع والازدواج : ١٧٣ ، أسرار البلاغة : ١ ، دلائل الإعجاز : ٤٩ ، المثل السائر : ١١٤ ، التلخيص : ٢٥٥ ، الإيضاح ٦ — ١٠٧ ، الطراز : ٣ — ١٨ ، خزانة ابن حجة : ٤٢٣ ، نهاية الأرب : ٧ — ١٠٣ ، حسن التوسل : ٤٩ ، ألف فيه الأستاذ على الجندى كتاباً تحت اسم « فن الأسجاع »

(١) كذا فى جميع النسخ ما عدا ١ ، ب فإن فيهما « عبد الكريم » وهو خطأ من الناسخ وقد راجعنا ما لديك الجن من شعر فى مصادر كثيرة فلم نعثر على هذا الشعر فيها . فتأمل .

(٢) ديوانه ١١٦ وأثرت : كثر مالها . والثمد : الماء القليل . وأورى : أشعل . والزند : ما يشتعل به .

(٣) سورة (ق) الآيات من ١ — ٣ ولا يتم التمثيل للتسجيع إلا إذا زيدت الآية (أءذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد) .

(٤) كذا نص أول الآية ٣٥ من سورة الأحزاب . والذى فى جميع الأصول : « إن المؤمنين والمؤمنات » وهو خطأ .



الْبَيَانَ . الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ . وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ [١] ﴾ والله أعلم .

* * *

باب التعليل*

وهو أن يريد المتكلّم ذكر حكم واقع أو متوقَّع فيقدّم قبل ذكره علّة وقوعه ، لكون رتبة العلّة التقدم على المعلول ، كقوله تعالى : ﴿ لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [٢] ﴾ فسبق الكتاب من الله تعالى هو العلّة فى النّجاة من العذاب ، وكقوله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ [٣] ﴾ فوجود رهط شعيب هو العلّة فى سلامته من رجم قومه .

* * *

باب الطاعة والعصيان [٤]*

هذه التسمية تسمية المعرّى عندما نظر فى شعر المتنبّى ، وتكلّم عليه فى كتابه المترجَم « بمعجز أحمد » يعنى المتنبّى فأتى على قوله (من الطويل) :

---

(١) سورة الرحمن الآيات من ١ — ٦ .

(*) بحثه فى أسرار البلاغة : ٢٥٧ وما بعدها ، سر الفصاحة تحت اسم الاستدلال بالتعليل : ٢٦١ ، خزانة ابن حجة : ٤١٦ ، الطراز ٣ : ١٣٨ ، حسن التوسل : ٥٥ ، نهاية الأرب ٧ : ١١٥ .

(٢) سورة الأنفال آية ٦٨ .

(٣) سورة هود آية ٩١ .

(٤) هذا الباب بأكمله ساقط من ا ، ب ، ولكنه موجود فى الفهرست فى مقدمة الكتاب ، وقد أثبتناه عن الأصل وبقية النسخ .

(*) بحثه فى بديع ابن منقذ : ٩١ ، خزانة ابن حجة ٤١٨ ، نهاية الأرب ٧ : ١٤٦ ، حسن التوسل : ٧٣ .

يَرُدُّ يداً عن ثوبها وهـــو قادرٌ

ويَعصى الهوَى فى طَيْفِها وهو راقِدُ[١]

وقال أراد المتنبى الطباق ، فعصاه[٢] وأطاعه الجناس ، فإنه أراد أن يقول يردّ يداً عن ثوبها وهو مستيقِظ ، فعصاه ذلك لامتناع دخوله فى الوزن فقال : وهو قادر ، لأن القادر مستيقظ وزيادة ، ليكون بينها و بين القافية تجانُس ، وقد رددت عليه فى الكتاب الأصلىّ وهو « تحرير التحبير » بما يقف عليه من أراده ثم[٣] ، وتجاوزت عن ذكره هاهنا لضيق هذا الكتاب عنه ، وأبقيت التسمية لرشاقتها . واستنبطت لها أمثلة غير ذلك .

وهى كل كلام وقع فيه تكميل للوزن والمعنى ، وذكرت أمثلته ثمّ .

ومن هذا الباب فى الكتاب العزيز ما وقع فى قوله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ[٤] ﴾ إلى قوله : ﴿ فَاحْتَرَقَتْ[٤] ﴾ فإنها وقع فيها التكميل والتتميم (من عشرة أوجه ، وقد ذكرتها واستقصيت الكلام عليها فى باب التتميم[٥]) فما كان فيها من التكميل فهو شاهد باب الطاعة والعصيان ، فإن المتكلّم البليغ يقصد المساواة فى كلّ ما يتكلّم به ، فإذا عصته المساواة إما لضرورة أو لاعتراض ما هو أهمّ منها لبلاغة أو سلامة النظم من الدخل ـ أتى بذلك فى لفظ يُعطِى المعنى كمالا بعد تمامه كما وقع فى هذه الآية الكريمة ، فإن قوله تعالى فيها ﴿ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا

---

(١) يقول : انه مع قدرته عليها لا يبيح لنفسه مد يده إلى إزارها ، كما أنه إذا رأى خيالها فى المنام امتنع عنه كما يمتنع عنها فى اليقظة ، يصف نفسه ببعد الهمة عن منازلة النساء ، ويبالغ فى عفته اﻫ . ملخصاً من شرح التبيان للعكبرى على ديوان المتنبى صفحتى ١٨٨ ، ١٨٩ طبع بولاق .

(٢) انظر صفحة ١٤٦ من الجزء السابع من نهاية الأرب طبع دار الكتب المصرية .

(٣) فى الأصل (من) وهو تحريف من الناسخ ؛ والصواب ما أثبتناه عن بقية النسخ .

(٤) آية ٢٦٦ من سورة البقرة .

(٥) مكان هذه العبارة بياض فى د ، س .

الأَنْهَارُ(١) ﴾ كله تكميل أى بعد تمام المعنى المراد . وكذلك قوله : ﴿ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ(١) ﴾ وأمثال ذلك؛ والله أعلم .

* * *

باب العكس والتبديل*

وهو أن يُؤتى بكلام آخرُه عكس أوّله ، كأنه بدلّ فيه الأوّل بالآخر ، والآخر بالأوّل ، كقوله تعالى : ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ(٢) ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ(٣) ﴾ فجاء فى نظم هذه الكلمات بعد العكس والتبديل أحد أنواع التصدير ، وحسن الجوار ، لوقوع لفظة « هنّ » فى أوّل الكلام وآخره ، ووقوع لفظة « هم » مجاورة لمثلها فى وسط الكلام .

وجاء من هـذا الباب نوع غيرُ الأول هو قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً . وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ(٤) ﴾ فإن نَظْم الآية الأخيرة عكس نظم الآية

---

(١) آية ٢٦٦ من سورة البقرة .

* بحثه فى الصناعتين : ٣٧١ ، سر الفصاحة تكلم عنه تحت التبديل : ١٨٢ ، بديع ابن منقذ : ٥٣ ، روضة الفصاحة : ٣٧ ، المثل السائر تحت اسم عكس الظاهر : ٢٩٣ ، التبيان للزملكانى : ١٣٢ التلخيص : ١٣٤٨ ، الإيضاح ٦ : ٣٥ (ويلاحظ أن السكاكى لم يتكلم عنه فى المفتاح) ، خزانة ابن حجة : ١٦٣ حسن التوسل : ٧٢ ، نهاية الأرب ٧ : ١٤٤ .

(٢) سورة الأنعام آية ٥٢ .

(٣) سورة الممتحنة آية ١٠ .

(٤) سورة النساء آيتا ١٢٤ ، ١٢٥ .

الأولى ، لتقديم العمل فى الأولى عن الايمان ، وتأخُّره فى الثانية عن الأسلام ، وهذا تبديل اللفظ فى الوضع المستلزم تبديل المعنى .

* * *

باب القسم*

وهو أن يريد المتكلّم الحَلِف على شىء فيحلف بما يكون فيه فخر له ، أوتعظيم لشأنه ، أو تنويه لقدره ، أو ما يكون ذمّا لغيره ، أو جاريا مَجرى الغَزَل والترقّق[1] ، أو خارجاً مخرج الموعظة والزهد . ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ[2] ﴾ فأقسم سبحانه بقسم يوجب الفخر لتضمّنه التمدح بأعظم قدره ، وأجل عظمة المستفاد من ربوبيّة السماء أن للقسم عليه حقّ ، لحصل تحقيق الوعد بالرزق من إخباره سبحانه بأن الرزق فى السماء بعد تقديره عز وجل فى القسم أنه رب السماء ، فيلزم من ذلك قدرته على ما فى السماء قدرته عليها من حيث ثبت أنه مالكها ، فثبتت قدرته على الرزق الّذى وعد به ، وثبت أنه لا رازق سواه ، لأنه أخبر بالخبر الصادق أن الرزق فى السماء ولا ربّ للسماء سواه ، وثبت أنه لا يَحرِم أحداً شيئاً من رزقه ، لما ثبت من صدق وعدِه ، وأما ما حصل من الإيغال فى فاصلة هذه الآية حيث قال سبحانه بعد تمام المعنى : ﴿ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ فمثّل هذا الوعدَ بما هو واقع معلوم ضرورة لا يرتاب فيه أحد ، وكقوله تعالى فى هذا الباب : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ[3] ﴾

(*) بحثه فى خزانة ابن حجة ١٤٥ ، حسن التوسل : ٧٥ ، نهاية الأرب ٧ : ١٥٠ .

(١) فى الأصل : «والرفق» ، وهو تصحيف من الناسخ؛ والتصويب عن بقية الأصول .

(٢) سورة الذاريات آية ٢٣ .

(٣) سورة الحجر آية ٧٢ .



فإنه سبحانه أقسم بحياة نبيّه محمد ـ صلى الله عليه وسلّم ـ لتعرِف الأمم التى بُعث إليها عظمتَه عنده ، ومكانتَه لديه وحبَّه فيه ، وأخبره بعد القسم على ذلك الخبر أن الذين أعرضوا عنه وخالفوه قد تجاوزوا حدّ الغفلة إلى السكرة ، وجعل الفاصلة معناها متجاوزاً حدّ العمى ليحصل فى الكلام ملاءمة معنوية لمجاورة ما تضمن المبالغة التامة الصحيحة مثلها ، إذ أخبر عنهم بتجاوزهم حدّ الغفلة إلى السَّكْرة ، وتجاوزهم حدّ العمى إلى العمه[1] ، وليكون الإيغال فى الفاصلة مقترناً بالمبالغة متعلقا بالملاءمة تسليةً له بذلك ، كما قال له فى غير موضع : ﴿ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ[2] ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ[3] ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً[4] ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَلاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً[5] ﴾ ، فجاء سبحانه فى الإخبار عن الكفار بأنّ كفرهم لا يضرّه تبارك وتعالى ، ووصف الرسول — صلى الله عليه وسلم — بأنه لا يغضب لنفسه ، وإنما يغضب لله تعالى ليُسرَّى عنه حزنَه ؛ وكقوله تعالى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ[6] ﴾ ، وقد وقع الأمر على ما أخبر به سبحانه ، فإنه روى أن أبا جهل قال لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إنا

(١) العمه بالتحريك : التحير والتردد .

(٢) آية ١٢٧ من سورة النحل . وما أثبتناه عن الأصل . أما بقية النسخ فقد ورد فيها « ولا تكن » وهو صواب أيضاً لأنها آية ٧٠ من سورة النمل .

(٣) سورة فاطر آية ٨ .

(٤) سورة الكهف آية ٦ .

(٥) سورة آل عمران آية ١٧٦ .

(٦) سورة الأنعام آية ٣٣ .

لا نكذّبك ، وإنّما نكذّب ما جئتَ به . وفى هذه الآية إشارة لطيفة إلى نهاية محبّة الله تعالى لنبيّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى فداه بآياته ، ألا ترى أنّ زليخا قبل أن يستحكم حبّها ليوسف ـ عليه السلام ـ قالت لصاحبها : ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا[١] ﴾ ففدت نفسها بيوسف ـ عليه السلام ـ ، فلمّا استحكمت المحبّة وبلغت النهاية فدته بنفسها فقالت : ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ وتقرّبت إلى قلبه بقولها : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ ، وما أحسن قول من قال فى معنى التقريب[٢] إلى المحبوب وخلب قلبه بالتلطّف : (الطويل) .

يودّ بأن يُمسى[٣] عليلاً لعلّها إذا سمعتْ شكواه يوماً تُراسِلُه[٤]

ويهتزّ للمعروف فى طَلَبِ العُلا لتُحْمَدَ يوماً عند لَيْلَى شمائِلُه

وما ذكرت هذين البيتين فى هذا الكتاب مع ما التزمت أنّى لا أذكر من الشّعر إلا ما تمسّ الحاجة إلى ذكره ضرورة إلا لشغفى بهما . ومن شغفى بهما عملت فى معناهما ، فقلت ـ وإنى لأعلم تقصيرى فيما عملت ـ : (الطويل)

أجودُ لِعلمى أنّ جُودِى يسرُّها لتحمدَنى وهى الحقيقةُ بالحمدِ

تَبيَّنْتُ منها أنّها تَعشَق النّوى فأبديتُ من عِشق النّوى فوقَ ما عِندِى

---

(١) سورة يوسف الآيات ٢٥ و ٥١ و ٥٢ .

(٢) البيتان لكثير الشاعر ، وهما من قصيدته التى أولها :

سقى الربع من سلمى بنصف روادة إلى القهب أجواد السمى ووابله

رواية الديوان « سقيا » بدل « عليلا » ، « ويرتاح » بدل « يهتز » انظر ديوانه صفحتى ٢٥٨ ، ٢٥٩ ط أوربا .

(٣) فى الأصل وباقى النسخ « يمشى » بالشين المعجمة ؛ وهو تصحيف .

(٤) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت . والذى فى ا ، ب ، « نواصله » .

تقول تُراه كيف حالتُه بَعْدى ... وأهْوَى النوى لا عَن مَلالٍ لعلّها
على بُرْئه يرجو الشّفاء من البعْدِ ... أأبصرتِ قَبْلِي مُدْنَفا[١] متحيّلا

ثم نعود إلى ذكر زَليخا مع يوسف ـ عليه السلام ـ وقولها للنسوة اللّواتى سمعنْ بمَكرِهنّ : ﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ﴾ غير مكترِثةٍ بما فضحْنَها به .

ومن هذا المعنى قال جَميل بنُ مَعمر[٢] وقد رُوِياَ لغيره : (الطويل)

سِوى أنْ يقولوا إنّنى لكِ عاشقُ ... وماذا عسى الواشون أنْ يتحدّثوا
إلىّ وإن لم تصْفُ مِنكِ الخَلائقُ ... أجلْ صدقَ الواشون أنتِ حَبِيبَةٌ

وقال الآخر[٣] : (الطويل)

يُلامُ الفتَى فيما أستطاعَ من الأمرِ ... ألا لِيَقلْ منْ شاء ما شاء إنّما ١٠
عليـه فقد تَجرِى الأمورُ على قدْرِ ... قَضَى اللهُ حبَّ المالكيّة فاصطبرْ

ونظر أبو العتاهية إلى معنَى جميل فقال[٤] : (الخفيف)

أتحبُّ الغَداةَ عُتْبةَ حقًّا ... قال لِى أحدٌ ولم يدرِ ما بِى
جرَى فى العُروقِ عِرْقاً فعِرْقا ... فتنفّستُ ثمّ قلتُ نعم حُبًّـا

---

(١) المدنف : الذى أثقله المرض .

(٢) هذان البيتان وردا فى الأغانى ٢ س ٦١ منسوبين لمجنون بنى عامر .

(٣) هو عمرو بن ضبيعة الرقاشى أحد بنى رقاش، وهم منسوبون إلى أمهم كما فى الحماسة ص ١٨٧ .

(٤) الأغانى ٤ : ١٠٢ برواية أخرى وهى :

أحد قال لى ولم يدر ما بى ... أتحب الغداة عتبة حقا
فتنفست ثم قلت نعم حبا ... جرى فى العروق عرقاً فعرقا

فزاد على الكلّ بهذا التنفُّس الّذى تتبعه كلّ نفس لطيفة ، وقد خرجت من هذا الباب عن شرط هذا الكتاب .

* * *

باب السلب والإيجاب*

[٥٥] وهو بناء الكلام على نفى الشىء من جهة وإيجابه من جهة أخرى ، أو أمر بشىء من جهة ونهى عنه من غير تلك الجهة ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ[١] ﴾ ، فإنه سبحانه نهى الولد عن أن يقول للوالدَيْن أدنى قول مؤلم ، أو ما فيه غضاضة ، وأمره بالقول الكريم وخفضِ الجانب لهما ذلًّا وتواضعا ، فأمره سبحانه بأمرين ، ونهاه عن أمرين ، وكقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ[٢] ﴾ فهذه من شواهد الأمر والنهى ، وأما شواهد السلب والإيجاب أيضاً فهى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ[٣] ﴾ ، فنفى سبحانه صيرورة المرأة أمًّا بالظِّهار ، وأثبت الأموة[٤] للتى ولدت الولد . ومن شواهد السلب والإيجاب أيضاً قوله تعالى : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ[٥] ﴾ ، فإنه عزّ وجلّ

---

* بحثه فى الصناعتين ٤٠٥ ، خزانة ابن حجة : ٢٦١ ، حسن التوسل : ٧٧ ، نهاية الأرب ٧ : ١٥٤ .

(١) آيتا ٢٣ ، ٢٤ من سورة الإسراء .

(٢) سورة المائدة آية : ٤٥ .

(٣) سورة المجادلة آية ٣ .

(٤) أمبت الجارية أموة تأمى وتأمى وتأمو : صارت أمة .

(٥) سورة التحريم آية ٦ .

سلب عن هؤلاء الموصوفين العصيان ، وأوجب لهم الطاعة .

فإن قيل : على ظاهر هذه الآية إشكال من جهة التداخُل والتّكرار ، فإن معنى عجُزِها داخلٌ فى معنى صدْرِها ، فهو مكرّر ، و إن اختلف لفظه ، وهذا عيب يتحاشى عنه نظم القرآن العزيز ، فإن من لا يعصى مطيع .

أجاب الإمام فخر الدين بن الخطيب عن ذلك بأن قال : « لا يعصون الله » فى الحال[1] « ويفعلون ما يؤمرون » فى المستقبل .

وكنت قد أجبت عن الإشكال بجواب قبل أن أسمع جواب الإمام فخر الدين ، فقلت : الوصف بالطاعة والعصيان على ثلاثة أقسام : تقول زيد لا يعصى ويطيع ، ونقيضه لا يطيع ويعصى ، والواسطة لا يعصى ولا يطيع ، والأوّل وصف أعلى ، والثانى وصف أدنى ، والثالث (وصف[2]) متوسّط ، والحق سبحانه أراد — وهو أعلم — أن يصف هؤلاء الملائكة بالوصف الأعلى ، فلو اقتصر عزّ وجلّ على قوله : « لا يعصون » أحتمل أن يوصل بقولك : ولا يطيعون ، فلا يُوفِى ذلك بالمعنى المراد ، فإن المراد وصفهم بأعلى الأوصاف ، فوجب أن يقول : ويفعلون فتكمل الوصف ؛ والله أعلم .

* * *

باب الاستدراك والرجوع*

وهو على قسمين : قسم يتقدّم الاستدراكَ فيه تقرير ، وقسم لا يتقدمه ذلك ، فمثال ما يتقدّمه التقرير قوله تعالى : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ

(١) فى ا ، ب « الماضى » .

(٢) الكلمة التى بين قوسين ساقطة من الأصل ، د ، س . وقد أثبتناها عن ا ، ب ، ت .

(*) بحثه فى بديع ابن المعتز تحت اسم الرجوع : ١٠٨ ، التبيان للزملكانى تحت اسم الاستدراك والرجوع : ١٣٣ ، خزانة ابن حجة : ٦٥ ، حسن التوسل : ٧٦ ، نهاية الأرب ١٥١/٧ :



قليلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ[(١)]﴾

[٥٦ص] ومثال ما تقدّم الاستدراك فيه نفيٌ لا تقرير قوله تعالى : ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى[(٢)]﴾ فأتى الاستدراك فى هذه الكلمات فى موضعين كلّ منها مرشّح للتعطّف ، فإن لفظة تقتلوهم ، وقتلهم ، ورميت ، ورمى تعطف ، وهذا أقرب استدراك وقع فى الكلام لتوسّط حرفه بين لفظتى التعطف فى الموضعين ، وجاء الانتقال (فى نظم هذه الكلمات على طريق البلاغة أو حصل أعنى الانتقال[(٣)]) من القتل والرمى ، لأن الرمى كان أعجب آيةً من القتل ، فإن القتل مما يظن بظاهره أنه من فعل القاتل ، والرمى فى هذا المكان ليس كذلك ، فإن المراد به رمية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الكفّ من الحصْباء ، فأصابت كلّ حصاة عينَ إنسان ، وهذا مما لا يظنّ أنه مقدور للبشر ، فحصل فى هذه الكلمات على هذا التأويل الاستدراك ، والترشيح ، والتعطّف ، والتهذيب ، وحسن النّسَق ، وحسن البيان ، ومن ذلك قوله تعالى أيضاً : ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً . لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ[(٤)]﴾ فتدبّرْ ما حصل فى هذا الاستدراك ، ونسبته من الفائدة الجليلة ، وما أوضحتُ من الإشكال الوارد على ظاهر الكلام ، وما جاء فى هذا النظم من الترشيح بالتمثيل للاستدراك ، فإن الحقّ سبحانه أخبر عن الأمر

---

(١) سورة الأنفال آية ٤٣ .

(٢) سورة الأنفال آية ١٧ .

(٣) هذه العبارة ساقطة من ا .

(٤) سورة الأنفال آية ٤٢ .

الواقع بخبر أخرجته الفصاحةُ مخرجَ المَثَل ، وذلك أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما أخبرته عيونُه بقُفول رَكْب قريش من الشام إلى مكّة ـ شرّفها الله تعالى ـ على الجادّة المعروفة التى لا بدّ لسالكها من ورود «بَدْر» أمَر أصحابَه بالخروج ، وخرج معهم يريدون العير ، وكان وعد الله سبحانه قد تقدم له بإحدى الطائفتين إما العير[1] ، و إما النَّفير ، وبلغ أبا سفيان وهو على الرّكب خروج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأمر الركبَ أن يأخذ على سِيفِ[2] البحر ، ومضى أبو سفيان على وجهه لمكّة ، فاستنفر قريشاً ، فخرجوا إلى بدر ليشغلوا وَجْهَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن تتبّع العير ، فصادفوه ببَدْر وهو يظنّ أن الركب يمرّ على بدر ، فوقعت اللُّقيا من غير ميعاد ، فأخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ بموضع المسلمين من بدر ، وموضع المشركين منه بقوله : ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا ﴾ أى القريبة ، ﴿ وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى ﴾ ، أى البعيدة ، ﴿ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ لأن سِيفَ البحر فى غَوْر ، و بدر فى نَجْد بالنسبة إليه ، وأراد وهو أعلم أن يخبر عن وقوع اللقاء بغير ميعاد (و[3]) عدل سبحانه عن لفظ المعنى إلى لفظ الإرداف ، فلم يقل فالتقوا من[4] غير ميعاد ، إلى قوله : ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ﴾ لخروج لفظ الإرداف مخرج المَثَل ، ليكون أسيرَ وأشهَر ، ولو وقع الاقتصار على هذا المقدار لاحتمل أن يقال : فما الحكمة فى حرمان الله رسولَه والمسلمين هذه الغنيمة الباردة . ولو قيل بذلك ، قلتُ : حرم الله تعالى المسلمين هذه الغنيمة لأجلّ منها ، وهى فتح مكّة حرسها الله تعالى

---

(١) كذا فى الأصل ، ، د ، س ، ت وهو الصواب والذى فى ا ، ب «الفزر والنفر» وهو تصحيف من الناسخ .

(٢) سيف البحر : ساحله . (القاموس) .

(٣) تكملة عن ا ، ب .

(٤) فى ا ، ب « على » والمعنى بها يستقيم أيضاً .

واستئصال أموال أهلها ، فإن اختياره لهم لقاء النَّفير دون العِير ليقتل حُماة مكة وصَناديدَها ، فيتمكن المسلمون من فتحها ، وكذلك كان (وقد كان[1]) مراد المسلمين لقاء العير دون النفير بدليل إخباره — سبحانه وتعالى — عنهم بذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ[2]. ﴾ ، يعنى العير فإن ذات الشوكة النفير ، لأن الشوكة السلاح ، فأرادوا هم ذلك ، وأراد الله خلافه لعلمه بالعواقب ، فأوقع اللقاء من غير ميعاد لهذه المصلحة ، وأخرج الإخبار به مخرج المثل لِمَا بيَّنَّا من فائدة ذلك ، ثم قوى دليل الكلام بذكر العلّة فى تفويت تلك المصلحة الظاهرة حيث قال بلفظ الاستدراك : ﴿ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً ﴾ ثم فصل ما أجمل فى الاستدراك بقوله : ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ ، فاتضح الإشكال وارتفع ما قدر من الاحتمال ، وأبان عن المعنى أحسن بيان ، هذا إلى ما فى هذه الآية من عجيب النظم ، وبديع الترتيب ، وحُسْن النَّسَق ، وغريب التنكيت ، وبليغ الإيجاز ، وما تضمن من وجوه الإعجاز ، فحصلَ فى هذه الكلمات أربعة عشر[3] نوعاً من البلاغة ، وهى الإيجاز ، والترشيح ، والإرداف ، والتمثيل ، والمقارنة ، والاستدراك ، والإدماج ، والإيضاح والتهذيب ، والتعليل ، والتنكيت ، والمساواة ، وحسن النسق ، وحسن البيان ؛ والله أعلم .

* * *

---

(١) ما بين قوسين ساقط ا ، ب .

(٢) سورة الأنفال آية ٧ .

(٣) كذا فى الأصل ، د ، س ، ا ، ب والذى فى «ت» «أربعة وعشرون» وهو خطأ من الناسخ .



باب الاستثناء*

الاستثناء كالاستدراك ، كلّ منهما على قسمين : لغوىّ وصناعىّ ، فاللغوى قد فرغ النُّحاةُ من تقريره ، والصناعىّ هو المتعلّق بعلم البيان . والفرق بينهما أنّ الصناعىّ لا بدّ وأن يتضمّن ضرباً من المحاسن زائداً على(١) ما يدلّ عليه اللغوىّ كقوله تعالى فى الاستدراك : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ٥ [٥٨] وَلَـٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا(٢) ﴾ فإن الكلام لو اقتصر فيه على ما دون الاستدراك لكان منفّراً لهم ، لأنّهم ظنوا الإقرار بالشهادتين من غير اعتقادها إيماناً ، فأوجبت البلاغة تبيين الإيمان ، فاستدرك ما استدركه من الكلام ليعلم أن الإيمان موافقة القلب للّسان ، ولأن انفراد اللسان بذلك يسمى إسلاماً لا إيماناً ، وزاده إيضاحاً بقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ ١٠ فلمّا تضمن الاستدراك إيضاح ما على ظاهر الكلام من الإشكال عُدّ من المحاسن ، وكذلك الاستثناء لا بدّ من تضمّنه معنى زائداً على الاستثناء كقوله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاَّ إِبْلِيسَ(٣) ﴾ فإن هذا الاستثناء لو لم يتقدّم لفظه هذا الاحتراس من قوله تعالى : (كلّهم أجمعون) لما جاز إثباته فى أبواب البديع ، فإنه لو اقتصر فيه على قوله : فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ ١٥ إلا إبليس لاحتمل أن يكون من الملائكة من لم يسجد ، فيتأسّى به إبليس ، ولا يكون منفرداً بهذه الكبيرة ، لاحتمال أن تكون آلة التعريف للعهد

(*) بحثه فى العمدة ٢ : ٣٩ الصناعتين : ٤٠٨ .

(١) كذا فى جميع النسخ . والذى فى د ، س « عن » والقاعدة اللغوية تجيز إنابة حروف الجر بعضها عن بعض .

(٢) سورة الحجرات آية ١٤ .

(٣) آيتا ٣٠ و ٣١ من سورة الحجر .

لا للجنس ، فلمّا كان هذا الإشكال يتوجّه على الكلام إذا اقتصر فيه على ما دون التوكيد وجب الإتيان بالتوكيد ، ليعلم أن آلة التعريف للجنس ، فيرتفع هذا الإشكال بهذا الاحتراس ، فحينئذ تعظم كبيرة إبليس لكونه فارق جميع الملأ الأعلى ، وخرق إجماع الملائكة ، فيستحقّ أن يفرد بما جرى عليه

٥ من اللعن إلى آخر الأبد . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا[1] ﴾ ، فإن الإخبار عن هذه المدّة بهذه الصيغة يمهد عذرَ نوحٍ عليه السلام فى دعائه على قومه بدعوةٍ أهلكتهم عن آخرهم ، إذ لو قيل : فلبث فيهم تسعمائة وخمسين عاماً لما كان لهذه العبارة من التهويل ما للأولى ، لأن لفظة الألف فى العبارة الأولى فى أول ما يطرُق السمعَ ، فيشتغل بها عن سماع

١٠ بقيّة الكلام من الاستثناء ، وإذا راجع الاستماع لم يبق للاستثناء بعد ما تقدّمه وقعٌ يزيل ما حصل عنده من ذكر الألف ، فتعظم كبيرة[2] قوم نوح عليه السلام فى إصرارهم على المعصية مع طول مدّة الدعاء .

ومن الاستثناء نوع لا يدخل فى أبواب البديع إلا بعد أن يوصف المستثنى بوصف يتضمّن نوعاً من المحاسن ، أو يذيل بمعنى مرتبط بمعناه يتضمّن معنى

١٥ من معانى البديع كقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ . خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ . وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ[3] ﴾ فإنه سبحانه علم أنّ أهل الشقاوة الّذين تناولهم هذا الوعيد صنفان : عصاة المؤمنين ، وكفّار الأمم ،

ص [٥٩]

---

(١) سورة العنكبوت آية ١٤ .

(٢) فى ا ، ب (كثرة) وهو تحريف .

(٣) سورة هود الآيات من ١٠٦ — ١٠٨ .

وأحد الصنفين غير مخلّد فى النار على مذهب أهل الحق ، استثنى سبحانه من خلود الأشقياء استثناء مذيّلا بمعنى يُشعِر بانقطاع الخلود حيث قال : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ فكان مفهوم ذلك الإعلام بأنه لا أعتراض عليه فى إخراج بعض أهلِ الشقاوة من النار ، ولما علم بأنّ كل من دخل الجنّة لا يخرج (منها[١]) وأن أهل السعادة كلّهم سواء فى الخلود كقوله تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ[٢] ﴾ وإن تفاوتتْ درجاتهم فيها وصف سبحانه خلودهم بعدم الانقطاع حيث قال : ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ أى غير منقطع ، وإذا علم أنّ خلودَهم فى الجنة غيرُ منقطع ، علم أن ذلك الاستثناء إنما كان لمدّة مُقامِهم فى البرزخ ، أو مقامهم فى عَرَصة القيامة ، أو غير ذلك من الأقوال التى يوجبها التأويل ، الذى وجب الرجوع إليه لامتناع الاستثناء من الخلود ، ولما كان المستثنى فى هذا الاستثناء موصولا بصلة تصحّح معنى الكلام ، وتوضّح ما على ظاهره من الإشكال ليوصف بحسن البيان ، استحقّ دخولُه فى أبواب البديع ؛ والله أعلم . ٩٠

* * *

باب التلفيف*

٩٥ وهو عبارة عن إخراج الكلام مخرج التعليم بحكم ، أو أدب لم يُرِد المتكلم

---

(٣) الكلمة التى بين قوسين ساقطة من ا ، ب .

(٤) ما أثبتناه عن ا ، ب ، والذى فى الأصل ، د ، س « وما هم عنها » والذى فى «ت» « وما هم بخارجين » .

(*) الذى فى محيط المحيط مادة لف أن التلفيف عند البلغاء هو التناسب ؛ ولم اعثر على تعريفه بأكثر من هذا فيما لدى من المصادر فتأمل . وقد تكلم عنه صاحب سر الفصاحة ، وجعله فى الشعر الترصيع ويشمل أيضاً اللف والنشر والمجانس ص ١٨٨ .



ذكره، وإنما قصد ذكر حكم خاص داخل فى عموم الحكم المذكور الذى صرّح بتعليمه . وبيان هذا التعريف أن يسأل السائل عن حكم هو نوع من أنواع جنس تدعو الحاجة إلى بيانها (كلّها أو أكثرها ، فيعدل المسئول عن الجواب الخاصّ عمّا سئل عنه من تبيين ذلك النوع ، ويجيب بجواب عامّ يتضمن الإبانة على الحكم للمسئول عنه، وعن غيره بدعاء الحاجة إلى بيانه[1]) كقوله تعالى : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ ، فإن هذا الكلام جاء جواباً عن سؤال مقدّر ،وهو قول قائل :أترى محمدا أبا زيد بن حارثة ، فأتى الجواب يقول : (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ)، وكان يكفى فى الجواب قوله : ما كان محمد أبا زيد لو أراد الجواب ص[٦٠] عن نفس هذا السؤال فقط ، فلم يرد ذلك لقصوره عن بلوغ المعنى المراد ، فإن المراد أن يرشّح فى الجواب للإخبار بأن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتم النبيّين ، ولا يتمّ هذا الترشيح حتى ينفى أبوّته لأحد من الرجال ، فلذلك عدل عن الجواب الخاصّ إلى الجواب العام ليفيد هذا الترشيح التمهيد للمعنى المراد ، فإنه ـ صلّى الله عليه وسلم ـ لا يكون خاتم النبيين إلا بشرط ألا يكون له ولد من الرجال ، لأنه لو كان له ولد من الرجال أعنى قد (بلغ[3]) لكان نبياً ، وإذا كان كذلك فلا يَصْدُق عليه أن يكون خاتم النبيين ، فالتف المعنى الخاصّ فى المعنى العامّ ، فأفاد نفى الأبوة الكلية لأحد من الرجال ، وفى ذلك نفى الأبوة لزيد ، فإن قيل فقد حصل المراد من قوله تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) فما فائدة بقية الكلام الذى جاء بلفظ الاستدراك؟ قلت : (لو اقتصر على ما قبل الاستدراك لكان الحكم غير معلل ، فيكون المعنى ناقصاً لأنه يرد

---

(١) ما بين قوسين ساقط من «ت» وهو عن الأصل وباقى النسخ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٤٠ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ١ .

عليه قول القائل . ولم لا يكون أبا أحد من الرجال ، وما فى ذلك من الغضاضة وقد كان للأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ أبناء، فيقال ذلك لأن الله سبحانه اختص محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمرتبة (لم يختص بها أحداً[1]) من الأنبياء، إذ سبق فى علمه أنه أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً ليأتى يوم القيامة شاهداً لهم بالتبليغ ، لأن الأمم يوم القيامة تجحد أنبياءهم التبليغ ، فتشهد هذه الأمّة على الأمم بتبليغ أنبيائهم لهم ما أمروا بتبليغه ، لما يعلمون من قصصهم التى علموها من كتابهم ، ويشهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأمته بالصدق ، ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ وَفِى هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ[2] ﴾ ولما كان الأمر كذلك احتاج الكلام إلى تتمّة تتضمن الإخبار بأنه رسول الله ليرشّح ذلك الإخبار إلى قوله : (وخاتم النبيين) إذ لا يختم النبيين إلا نبىّ ، وعدل عن لفظة نبىّ إلى لفظة رسول لتوخّى الصدق فى الخبر وزيادة المدح ، لأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسول، وكل رسول نبىّ ولا ينعكس على أحد القولين، وهذا تلفيف بعد تلفيف ، فالأول ، دل على المعنى دلالة تضمّن ، والثانى لما صرح فيه بعد التعريض جاءت دلالته دلالة مطابقة ليفهم المخاطب المعنى بغير كلفة ، ويشترك فى فهمه الخواصّ والعوامّ ؛ وهذا نهاية البلاغة .

ومن التلفيف أيضاً قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ[3] ﴾، فقد استوفى الشرط جوابه بقوله (فعند الله ثواب الدنيا) — وعطف عليه لفظ «الآخرة» تلفيفاً المعنى الثانى فى المعنى الأول لتكمل

ص[٦١]

(١) ما أثبتناه عن ا ، ب وهو الصواب . والذى فى الأصل « د» ، س ، ت « لم يختص فيها أحد » ولا يخفى ما فى ذلك من الخطأ الفاحش .

(٢) سورة الحج آية ١٣٤ .

(٣) سورة النساء آية ١٣٤ .



العدة حتى لا يبقى للنفوس تشوّق إلى مطلوب[١] ؛ ومن التلفيف أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى . قَالَ هِيَ عَصَايَ[٢] ﴾ وهذا جواب السؤال ، ثم قال عليه السلام : ﴿ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى[٢] ﴾ فأجاب عن سؤال مقدّر ، كأنه توهّم أن يقال له : وما تفعل بها ؟ فقال معدِّداً منافعها ، ولم يقع ذلك من موسى ـ عليه السلام ـ إلا بغية الشكر لله تعالى الذى رزقه تلك العصا التى وجد فيها من المآرب ما لا يوجد فى مثلها ، وابتدأ بالجواب عن السؤال المقدّر قبل وقوعه أدباً مع ربّه سبحانه ، لتعظيم مساءلة ربّه له[٣] ، فرفعها بالجواب عنها والله أعلم .

وقد جاء فى الحديث من التلفيف قولُ عائشة ـ رضى الله عنها ـ وقد سئلتْ ـ أتدخل المرأة الحمام ؟ فقالت أيما[٤] امرأة نزعت ثيابهـا فى غير بيتها فقد هتكتْ ما بينها و بين الله من حجاب ، ومن الباب فى السنّة أيضاً قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد سئل عن الوضوء من ماء البحر ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « هو[٥] الطّهور ماؤه ، الحلّ ميتته » ، فاستوفى أحكامه .

* * *

---

(١) من هنا إلى آخر الباب ساقط من ا وهو موجود فى هامش « ب » .

(٢) سورة طه آيتا ١٧ و ١٨ .

(٣) ساقطة من باقى النسخ .

(٤) نصه فى الجامع الصغير ٢ ص ٢٩٤ : « أيما امرأة وضعت ثيابها فى غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل » .

(٥) — هو بنصه فى كشف الخفاء ومزيل الإلباس للمفسر المحدث الشيخ اسماعيل ابن محمد العجلونى طبع مكتبة القدسى بمصر سنة ١٣٥٢ هـ .

باب جمع المختلفة والمؤتلفة*

وهو عبارة عن أن يريد المتكلّم التسوية بين ممدوحين فيأتى بمعان مؤتلفه فى مدحهما ، ثم يروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص[1] مدح الآخر ، فيأتى لأجل ذلك الترجيح بمعانٍ تخالف معانىَ التسوية ، وهذا الباب مما يحتاج فيه إلى التمثيل بالشعر ، ليعلم حين يؤتى فيه بآى القرآن حقيقة معنى الباب فى القرآن لما يوضح الشعر من معناه ، وما رويت فى هذا الباب كقول الخنساء[2] فى أخيها صخر وقد أرادت مساواته فى الفضل بأبيها مع مراعاة حق الوالد بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الولد فقالت : (الكامل) .

جارَى أباه فأقبلاَ وهُماَ ... يتَعَاوران مُلاَءةَ الحُضْرِ ١٠

وهما وقد برَزا كأنّهما ... صَقْران قد حَطّا إلى وَكْرِ

حتى إذا نَزَتْ القلوبُ وقد ... لزّت هناك العذر[3] بالعذرِ

وعَلاَ هُتاف النّاس أيّهما ... قال المجيبُ هناك : لا أدرِى

بَرَقَتْ صحيفة وَجه والدِه ... ومضَى على غُلَوَائِه يجْرِى

(*) بحثه فى الصناعتين : ٤٠١ خزانة ابن حجة ٤٣٠ ، حسن التوسل / ٧٦ نهاية الأرب ٧ : ١٥١ .

(١) كذا فى الأصل ، والذى فى ا ، ب ، ت « لا ينتقص بها » والمعنى يستقيم عليها أيضاً .

(٢) أنيس الجلساء فى شرح ديوان الخنساء طبع بيروت ١٨٨٨ م ص ٤٣ وروايته (ملاءة الفخر) يتعاوران : أى تصير غبرة الحرب كالثوب يرتدى به أبوه مرة وهو أخرى لتشابههما فى الجرأة .والملاءة بالضم : الريطة وهى كل ثوب لين رقيق ، والجمع ملاء ، الحضر: العدو والسباق .

(٣) العذر : جمع عذار ، وهو السير الذى يكون على خد الدابة من اللجام (القاموس) .

[٦٢ص] أَوْلَى فأَوْلَى أنْ يساوِيَه لَوْلاَ جَلاَلُ السّنّ والـكِبرِ

ومن هذا قول بعض المحدَثين[١] : (الـكامل) .

خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا لِمَـكْرُمَةٍ فَـكَأَنَّهُمْ خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا

رُزِقُوا وَمَا رُزِقُوا سَمَاحَ يَدٍ فـكأنّهم رُزِقُوا وما رُزِقُوا

فـكل صدر من كلّ بيت مؤتلف المعنى ، وكلّ عجز من كلّ بيت مختلف المعنى ، وكل بيت جامع للمؤتلف والمختلف .

وهذا غير القسم الأوّل الّذى مثّلت عليه بشعر الخَنْساء . والذى جاء من هذا الباب فى الـكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْـكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُـكْمِهِمْ شَاهِدِينَ . فَفَهَّمْنَاهَا

١٠ سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُـكْماً وَعِلْماً[٢] ﴾ فساوى أوّلُ هذه الآية بين داود وسليمان عليهما السلام فى أهليّة الحـكم ، ثم رجّحَ آخرُها سليمان حيث قال: (ففهّمناها سليمان) وحصل الالتفات إلى مراعاة حقّ الولد ، فأتى بما يقوم مقام تلك الزيادة التى يرجح بها سليمان ، لترشد إلى المساواة فى الفضل لتـكون فضيلة السنّ قائمة مقام الزيادة التى رجح بهـا سليمان فى الحـكم ، أما معنى

١٥ شعر الخنساء فإنها بعد قولها فى المساواة : (كامل) .

وهما وقد برزا كأنهما صقران . . . .

و بعد قولها فى المساواة أيضاً :

. . . . وقد لزّت هنـاك العذر بالعذر

---

(١) خزانة الأدب لابن حجة الحموى ص ٧٠ .

(٢) سورة الأنبياء آيتا ٧٨ ، ٧٩ .

تريد أن عذر اللجم لز بعضها بعضاً ، وهذا يدل على المساواة فى العَدْو[١] ، ثم قالت فى ترجيح الوالد :

« برقت صفيحة وجه والده »

تعنى أنه خرج وجهُه من الغبار دون وجه رسيله سبقا ، ثم قالت فى إلحاق الولد بالوالد فى الفضل :

أولى فأولى أن يساويَه ... لولا جلال السنّ والكبرِ

تريد أن الولد كان قادراً على مساواة الوالد — وما أولاه بذلك — لولا ما التزمه من الأدب مع بر أبيه ، ومعرفته بحقّه . فغضّ من عنانه ، وخفَض جناح فضلِه ليؤثر أباه بالفضل على نفسه .

والآية الكريمة ساوت بين داود وسليمان فى التأهّل للحكم ، وشركت بينهما فيه حيث قال : ﴿ إذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ﴾ وأخبرتْ أن الله سبحانه فهّم سليمانَ إصابةَ الحكم ، ففضل أباه بذلك بعد المساواة ، ثم التفت سبحانه إلى مراعاة حقّ الوالد فقال : ﴿ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً ﴾ ، فرجعا بذلك إلى المساواة بعد ترجيح سليمان ليعلم الولد بذلك برّ الوالد ، ويعرّفه ما له عليه من الحقّ ، حتى إذا فكّر الناظر فى هذا الكلام وقال : من أين جاءت المساواة فى الحكم والعلم بعد الإخبار بأن سليمان فهم من الحكم ما لم يفهمه أبوه ؟ علم أن حق الأبوة قام مقام تلك الفضيلة فحصلت المساواة . وحصل فى[٢] هذا الكلام من الزيادة على معنى الخنساء بعد اشتراكهما فى جمع المختلفة والمؤتلفة ضرب من المحاسن يقال له الالتفات فى قوله تعالى فيها : ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ وأدمج فى هذا الالتفات ضرب آخر من المحاسن يقال له : التنكيت ، فإن النكتة التى من أجلها جمع الضمير الذى كان

(١) كذا فى ا ، ب ، وهو الصواب . والذى فى الأصل ، د ، س ، ث « العذر » وهو خطأ من الناسخ .

(٢) فى ا ، ب « وحصل ما فى هذا الكلام » بزيادة « ما » وما أثبتناه عن باقى النسخ.



من حقه أن يكون مثنى، هى الإشارة إلى أن هذا الحكم متبَع يجب الاقتداء به ، لأنه عين الحقّ، ونفس العدل ، وكيف لا يكون كذلك وقد أخبر سبحانه أنه له شاهد ، أى هو مراعى بعينه عز وجل، ويجوز أن يكون جمع الضمير الذى أضيف إليه الحكم من أجل أن الحكم يستلزم حاكما ومحكوماً له ومحكوماً عليه ، فجمع الضمير لأجل ذلك . وعلى التأويل الأول جاء قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا[1] ﴾ وقال فيما بعد : ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا[1] ﴾ فجمع الخالدين فى الجنة ، ووحّد الخالدين فى النار .

ذهب بعض المفسّرين إلى أن جمع ضمير الخالدين مشير[2] إلى أنّ الوقوف مع حدود الله وطاعته أمر متبع يجب الاقتداء به ، كلّ من عمل به تناوله هذا الوعد ، وتعدّى حدود الله تعالى معصية ، « ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق[3] » فلا يجوز متابعة من يعمل به عليه ، فلذلك أتى بضمير الخالد فى النار موحداً .

وذهب غير هذا إلى أن ضمير الخالدين فى الجنة إنما جمع لقصد الملاءمة فى النظم ، فإنه سبحانه لمّا قال « جنات » بلفظ الجمع جاورها بلفظ الجمع فى « خالدين » ولما قال « ناراً » بلفظ الإفراد ، جاورها بلفظ الإفراد فقال : « خالداً فيها » ليوصف الكلام بالملاءمة ، وحسن الجوار ، فيكون داخلا فى باب ائتلاف الألفاظ بمعانيها ؛ وهذا أشبه من الأول .

---

(١) سورة النساء آيتا ١٣ و ١٤ .

(٢) كذا فى ا ، ب وهو الصواب . والذى فى الأصل ، د ، س « مشيرا » وهو خطأ من الناسخ .

(٣) انظر الجزء الثانى من الجامع الصغير ص ٤٠٢ ط بولاق ، والنهاية لابن الأثير ٣ ص ٤٦ ط بولاق سنة ١٣١١ .



والذى عندى: أن ضمير الخالدين فى الجنة إنّما جمع لأن كل من دخل الجنة خالداً فيها أبدا ، و إن تفاوتت درجات الخالدين ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ[١] ﴾ مطلقاً فى حقّ كل من دخلها، وأهل النار فيهم الخالد من الكفّار والمنافقين ،وغير الخالدين من عصاة المؤمنين ، فساغ الجمع هناك ولم يَسُغ هاهنا لأنّ الخالدين فى النار فرقة واحدة ، ولأن المنافقين كفّار فى الباطن ، والخالدين فى الجنان طبقات وجماعات على مقادير درجاتهم بحسب ما أُعتد لهم به[٢] من أعمالهم و إن عمهم الخلود ؛ ومثال ما جاء من القرآن على النَّمَط الّذى عليه الشعر [٦٤] الثانى قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا[٣] ﴾ ، فإنهم ظنوا أن الإيمان العمل باللسان دون العمل بالجَنان[٤] ؛ فجاء قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ (مؤتلفاً[٥]) لقولهم (آمنا) وهم يعتقدون أن الإيمان مجرّد الإقرار باللسان ، وخالف ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ﴾ وائتلف به قوله مبيناً لهم حقيقةَ الإيمان ، وأنه خلاف ما ظنّوا بقوله سبحانه : ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ والله أعلم .

* * *

باب التوهيم[٦]

وهو أن يأتى المتكلّم بكلمة يُوهِم ما بعدها من الكلام أنّ المتكلّم أراد تصحيفها وهو يريد غير ذلك .

---

(١) الحجر آية ٤٨ .

(٢) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت وهى ساقطة من ا ، ب .

(٣) الحجرات آية ١٤ .

(٤) الجنان : القلب . (القاموس) .

(٥) كذا فى ا ، ب . والذى فى بقية النسخ « مؤتلف » وهو خطأ من الناسخ .

(٦) كذا فى الأصل ، د ، س ، وهو الصواب والذى فى باقى النسخ « التوهم » وهو خطأ كما لا يخفى ، وبحثه فى بديع ابن منقذ : ٤٤ ، خزانة ابن حجة : ٣٩٢ .

ومنها أن يأتى فى ظاهر الكلام ما يوهم أن فيه لحناً خارجاً عن اللسان .

ومنها ما يأتى ظاهره يوهم أنّ الكلام قد قُلب عن وجهه لغير فائدة .

ومنها ما يأتى دالاً على أن ظاهر الكلام فاسد المعنى ، وهو صحيح .

فأما القسم الأوّل فلم أظفر منه فى الكتاب العزيز بشىء و إن جاء فى الشعر .

٥ وأما الثانى وهو ما يوهم ظاهره أنه خارج عن قواعد العربيّة . فقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١) ﴾ وهذه الآية خولف فيها طريقُ الإعراب فى الظاهر ، من جهة عطف ما ليس بمجزوم على المجزوم ، ليعدل عن الظاهر إلى تأويلٍ يصحّح المعنى المراد ، فإن المراد — والله أعلم — بشارةُ المسلمين بأنّ هذا العدوّ لا يُنصَر أبداً ما قاتل المسلمين ،

١٠ ليتكمّل سرور المسلمين بخِذْلان عدوّهم فى الحال وأبداً فى الاستقبال ، ولو عطف الفعل على ما تقدم على قاعدة العربيّة الظاهرة لما أفاد سوى الإخبار بأن العدوّ لا ينتصر فى الحال ، وفى زمن المقاتلة ، ووقت التولية ، ولا يعطى ذلك خذلانهم على الدوام فى كلّ حال ، فقد قال النُّحاة : إن الوجه فى هذا الموضع أن يقال : هو عطف الجملة على الجملة ، فإن التقدير : ثم هم لا ينصرون ، والإشكال باقٍ مع

١٥ ذلك ، فإنه يقال : لم عدل عن مجىء الكلام على قاعدة العربيّة المعروفة إلى ما يحتاج إلى التأويل ؟ ولِمَ لا قيل : (وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُوا) ؟ فيحتاج المجيب إلى أن يقول : لمّا كان مجىء الكلام على ما ذكرت غيرَ محتاج إلى تأويل لا يوفى بالمعنى المراد ، لأن المعنى المراد بشارة المسلمين بأن عدوّهم متى قاتلهم كان مخذولا ، ومَجِىء الكلام على ما ذكر لا يوفى

٢٠ بذلك المعنى ، فإنه لا يعطى إلا عدَمَ النّصْر حالةَ المقاتَلة فقط ، فلذلك عدل عن ذلك إلى ما جاء به التنزيل ، ليكون مجىء الفعل الثانى غير مجزوم ، وقد عطف [٦٥]

(١) سورة آل عمران آية ١١١ .



على مجزوم منبِّها السامعَ على السبب الذى من أجله عدل عن قاعدة الإعراب ، فيتفطّن إلى أنّ ذلك إشارة إلى خذلان العدوّ أبداً ما قاتل المسلمين ، لمجىء الفعل دالاً على الحال والاستقبال ، أما الحال فخذلان العدوّ حالةَ القتال ، وأما الاستقبال فالبشارة بأنه كذلك ما وقع منه القتال ، ولذلك عطف « بثُمّ » من دون حروف النسق لِما تَدُلّ عليه من التراخى والمهلة ، ليأتى بعض الألفاظ ملائماً لبعض ، فإنّ « ثُمّ » دون حروف العطف ملائمة لما عطفته من الفعل الدالّ على الاستقبال ، فكان ما وقع فى لفظة « ثُمّ » على انفرادها من الاحتراس والتكميل ، والمقارنة ، والتنكيت ، والائتلاف ، والإدماج ، والترشيح ، والإيغال إيضاحاً لما تقدّم من الإشكال مع ما تقدّم فى صدر الآية من التعليق ، والافتنان ، والمطابقة ، وحصل فى مجموعها من الإيجاز ، والإبداع ، والتهذيب ، وحسن البيان ، والمَثَل السائر فكان ما اجتمع فى جملة هذه الكلمات السبع التى هى بعض آية سبعة عشر ضرباً من البديع والمحاسن والفنون ، وأعجب ما فيها أنّ لفظة « ثمّ » على انفرادها وقع فيها من ذلك تسعة أضرب وهى الاحتراس ، والتنكيت ، والمقارنة ، والإيضاح ، والائتلاف ، والإدماج ، والتكميل ، وحسن النسق ، والترشيح يوجد بوجودها ، ويعدم بعدمها ، فإنه لو قدّرت الواو موضع ثُمّ بحيث يقال : «ولا ينصرون» لسقطت هذه الضروب التسعة ؛ والله أعلم.

* * *

وممّا جاء ظاهرة مُوهما (مخالفة[1]) القواعد العربية أيضاً قوله تعالى : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا[2]﴾ فإن ظاهر الكلام يدلّ على تحريم نفى الشرك ، وملزومه تحليل الشرك ، وهذا خلاف المعنى المراد . والتأويل الذى يحلّ هذا الاشكال أن الله سبحانه وتعالى قال

(١) الكلمة التى بين قوسين ساقطة من ا ، ب وهى عن جميع النسخ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٥١ .



لنبيّه — صلّى الله عليه وسلّم — : قل لهؤلاء تعالَوا أتل ما حرّم ربّكم عليكم »
فلمّا اجتمعوا إليه قال لهم : وصّاكم ربُّكم ألاّ تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين
إحسانا، ثم ساق سبحانه بقيّةَ الوصايا ، فكأنّه — والله أعلم — دعاهم إلى الاُجتماع،
فلما أجتمعوا ذكّرهم الوصايا ، ويشهد لصحّة هذا التأويل قوله تعالى بعد الفراغ
٥ من هذه الوصايا : (ذَالِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ) فإن قيل : لا يجوز هذا التأويل
لأن الكلام الفصيح يجب أن يرتبط بعضُه ببعض ، ومتى تبدّد نظمُه كان
ذلك عيباً عظيماً[1] قلّما يأتى فى كلامٍ فصيح . قلت : ما ذكرناه من التقدير
[٦٦] المتقدّم ملخَّص ما يجب أن يقدّر قدرناه على طريق الإيجاز ، والذى
يجب أن يقدّر على طريق البسط والإطناب أن يكون موضع
١٠ (أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) أتل وصايا ربّكم عليكم ، ولا يجوز
أن يكون التقدير لا هذا ، لأن فى الوصايا المذكورة ما حرم عليهم ، وما هم
مأمورون به ، فإن الشرك بالله ، وقتل الأولاد ، والتلبّس بالفواحش الظاهرة
والباطنة، وقتل النفس المحرّمة ، وأكل مال اليتيم ممّا حرّم ظاهراً وباطنا ، نهى
عنه نهى تحريم بصريح النّص ، ووفاء الكيل والميزان بالقسط ، والعدل فى القول ،
١٥ فضلا عن الفعل ، والوفاء بالعهد ، واتّباع الصراط المستقيم من الأفعال المأمور
بها ، أمر وجوب ، فالأولى منهيّ عنها ، والأخرى مأمور بها
وإن كانت أضداد المأمور بها محرّمةً منهيًّا عنها ، لكن تحريمها
بالتأويل وباطن النّص ؛ والمنهى عنها تحريمها بظاهر النّص وصريحِه ،
والوصايا قد جمعتْ ذلك كلَّه ، وحمل جملة الآية على ظاهرها لا يطابق المعنى المراد
٢٠ فيها ، فوجب العدول عن الظاهر إلى التأويل الّذى يوافق تشبيه التفسير المفسّر.
فإن قيل : فلم عدل عن (لفظ)[2] التأويل ؟ ولم لا جاء التنزيل به ؟ ولفظ

(١) فى ا ، ب « نظيما » .

(٢) تكملة عن باقى النسخ ؛ وهى ساقطة من الأصل .

التأويل على ما يتمّ أبلغ وأخصر، به يرتفع الإشكال الوارد على ظاهر الكلام؛ وتحريم الشِّرك هو أهمّ ما فى هذه الوصايا، فإن الإيمان أصل الدين وأسّه، عليه تُبتنى هذه الوصايا وغيرها من الدّين، وتتفرّع فروعه منه، ولا جرم أنه قدّم الاهتمام به، فاقتضت البلاغة التصريح بلفظ التحريم لذلك، فإن قلت:
فلِمَ لا صرّح بلفظ يقتضى تحريم الشِّرك من غير زيادة فى اللفظ أشكل بها المعنى، وصار المفهوم من اللفظ بسببها ضد المعنى المراد، وكان الكلام يأتى عاريا من لفظة «لا» بحيث يقال: اتل ما حرّم ربّكم عليكم[1] ألا تشركوا به شيئاً؟ قلت: لو جاء اللفظ بغير هذه الزيادة لامتنع عطف بقيّة الوصايا على الجملة المجرّدة عن حرف النفى، وتبترّ[2] معنى الكلام وتثبّج[3]، وجاء على ضدّ الصواب، وفسد معناه، فإنه يبقى تقديره: حرّم عليكم أن تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا، فيصير المعنى حرّم عليكم الشرك والإحسان للوالدين، وهذا ضدّ المعنى المراد، فلذلك جاء الكلام عليه ليفيد التصريح بتحريم الشِّرك ظاهراً، وجاءت الزيادة التى أوهم ظاهرُها فسادَ المعنى لِيُلْجِئَ إلى التأويل الذى يصح به عطف بقيّة الوصايا على ما تقدّم، والله أعلم.

ومثل هذا الموضع قوله تعالى: (مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ[4])، فإن الظاهر ما منعك من الامتناع من السجود، والتأويل الذى يردّ هذا [٦٧]

(١) كذا فى ا، ب. وهو الصواب الذى يستقيم به الكلام إذ هو يتكلم على زيادة «لا» وحذفها؛ والذى فى باقى النسخ «الا» وهو خطأ من الناسخ.

(٢) هو من قولهم: تبترخمه وانهار، أى تهلهل (اللسان).

(٣) تثبج: اضطرب. (قاموس).

(٤) سورة الأعراف آية ١٢.

الـكلام إلى الصحّة أن العلماء قالوا : معنى قوله تعالى (ما منعك) « ما »[١] صيّرك ممتنعا من السجود ؟ والله أعلم .

وأما القسم الّذى يوهم ظاهره أن الـكلام قلب فيه على وجهه لغير فائدة قوله تعـالى : (وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً[٢]) ، ولو جاء الـكلام على وجهه لقيل : ومثل الذى تدعو الذين كفروا كمثل الذى يَنْعِق ، أو يقال : ومثل الذين كفروا كمثل الضَّأْن ، ومثل الّذى يدعوهم كمثل الذى ينعق ، فيقال : ما الفائدة فى قلب هذا الـكلام عن وجهه ؟ . فأقول : جرت العادة عند أهل اللّسان أنهم يقلبون الـكلام إذا أفاد قلبُه فائدة لا يفيدها وهو على وجهه ، والفائدة الّتى أفادها هذا القلب مجىءُ الـكلام غيرَ منفِّر عن الرسول متضمِّناً أدبا معه ـ صلّى الله عليه وسلم ـ فإن الـكلام لو جاء على وجهه كما قيل آنفاً بحيث يقال : ومثل الذين كفروا كمثل الضأن المنعوق بها ، ومثل الرسول الداعى لهم كمثل راعى الضأن الّذى يَنْعِق بما لا يسمع ، والتصريح بتشبيه الـكفّار بالضأن ، وهى عند العرب شرُّ مال ، بدليل قول الصغرى من بنات ذى الإصبع العدوانى ، وقد سألها أبوها عمّا[٣] سأل أخواتها عن مالهم . فقالت : الضأن . فقال : كيف تجدونها ؟ فقالت : شرّ مال : جُوفٌ[٤] لا يشبعن، وهِيمٌ[٥] لا تَنْقَعن[٦] ،

---

(١) كلمة « ما » ساقطة من الأصل .

(٢) سورة البقرة آية ١٧١ .

(٣) كذا فى الأصل . وهو أدق . والذى فى باقى النسخ « كما » وبه يصح المعنى أيضاً .

(٤) جوف : عظام الأجواف (قاموس) .

(٥) الهيم : العطاش (قاموس) .

(٦) أنقعه الماء : أرواه .

صمٌّ لا يسمعن ، وأمر مغويتهنّ يتبعن ، منفر عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفي التصريح بتشبيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالراعي الذي ينعق بالضأن غضٌّ من جلالته ، ومخالفة الأدب في مخاطبته ، وقد علمت مكانته عند ربّه ، وتلطّفه في مخاطبته ، وما جاء بمثل ذلك في الكتاب العزيز إلا ليؤدّبنا به ، ويعرّفنا حقّه ، ويعلّمنا كيف نخاطبه ، فمن أجل ذلك قلب الكلام عن وجهه ، ٥
فحذف من كلّ جملة من الجملتين شيء ، فحذف المشبَّه به من الجملة الأولى ، وحذف المشبّه من الجملة الثانية ، فكان تقدير الكلام قبل الحذف . ومثل الذين كفروا ، والداعي لهم كمثل الضأن المنعوق بها ، وكمثل الذي ينعق بها ، فبقيَ بعد الحذف ، ومثل الذين كفروا كمثل الّذي ينعق ، لدلالة الناعق على المنعوق بها ليأتي الكلام غيرَ منفِّر ، جارياً على سَنَن الأدب مع الرسول ١٠
ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ولو جاء الكلام على وجهه لم يُفِد ذلك ، والله أعلم .

وأما القسم الّذي يوهم ظاهرُه أن نظم الكلام جاء على غير طريق البلاغة لكون لفظه غير مؤتلف بمعناه ، لما ترى بين الألفاظ من سوء الجوار لعدم الملاءمة ، وإذا تُؤمّل حقّ التأمل ، وُجِد جارياً على منهج البلاغة ، بحيث لو جاء على ما توهّمه المعترض لكان النظم معيباً ، قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ [٦٨] ١٥
كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ [1] ﴾ ، فإن العارف بظاهر نظم الكلام وتهذيبه دون باطنه ، يرى أن نظم هذه الآية قد أتى على غير طريق البلاغة ، فإن طريق البلاغة أن يقال : كالأعمى والبصير ، والأصم والسميع ، ليلائم بعض الألفاظ بعضا ، فتأتلف بمعانيها ، ويأتي في كل جملة

---

(١) سورة هود آية ٢٤ .

من الجملتين طباق لفظىّ ، والأمر على خلاف ما توهّمه ، لأن فى الكلام على الترتيب الذى جاء عليه تصحيحَ المعنى ، وفيه على ما توهمه (المتوهّم فسادُ) المعنى ، وذلك أنه سبحانه قال : (مثل الفريقين) فاقتضى الفريقين تفسيرهما فقال: كالأعمى والأصم، والبصير والسميع، ليكون[1] المشبه به قسمين ، وليكون المشبّه وَفْق عدد الفريقين ،أحد القسمين مبتلى، والآخر مُعافًى، ليضاد بين القسمين حتى يصحّ السؤال عن التسوية بينهما مع تضادّهما من باب تجاهل العارف للسؤال عن معلوم ،لقصد التوبيخ، ولو قيل كالأعمى والبصير لكانت هذه الجملة فريقين ، ثم يعود فيقول : والأصم والسميع ، فتكون الجملة الأخرى فريقين آخرين ، فيكون قد فسّر الفريقين بأربعة ، وهذا فساد ظاهر ، فلذلك عدل عن الملاءمة فى ظاهر الكلام إلى ما هو أهمّ منها ، وهو تصحيح المعنى المراد .

وقد حكى الثعالبىُّ فى (اليتيمة)[2] أن سيف الدولة بن حمدان اعترض على المتنبى فى قوله فيه[3] (الطويل) :

وقفتَ وما فى الموت شكٌّ لواقفٍ   كأنّك فى جَفْنِ الرّدَى وهو نائمُ
تمرُّ بك الأبطالُ كَلْمَى هزيمةً   ووجهُك وضّاحٌ وثغرُك باسمُ

وقال له كلاماً معناه: أنك فعلت فى تركيب صدر البيت الأوّل على عَجُز يصلح أن يكون عجز الصدر الثانى وبالعكس ، كما فعل أمرؤالقيس فى قوله (الطويل) :

---

(١) فى ا ، ب « فقسم سبحانه المشبه به » وأرجح أن تكون هذه الرواية أنسب بالسياق من رواية الأصل .

(٢) الجزء الأول ص ١٦ .

(٣) ديوانه بشرح العكبرى ج ٢ ص ٢٧٠ .

كأنّىَ لم أركب جواداً للـذّةٍ ولَم أتبطّن كاعِبا ذاتَ خلخالِ(١)
ولَم أسْبأ الزِّقّ الرّوِيّ ولم أقُلْ لِخَيْلِيَ كُرِّى كرّةً بعـد إجْفَالِ

وتلا الآية التى تقدّمت ، وتوهّم فيها ما توهّمه المتوهّم ؛ ونظر بينها و بين الشعر ين فى عدم الملاءمة وتلا بعدها قوله تعالى : ﴿ إنّ لكَ ألاّ تجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى . وَأنّكَ لاَ تَظمأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى(٢) ﴾ وذكر فيها ما يدلّ على توهّمه فيها عدم الملاءمة، وأنّها كالأولى ، وقدتكلّمت على الشّعر ين ، واستدللت على أنّهما لا عيب فيهما ، وأن ألفاظهما مؤتلفة بمعانيهما ، ملائم بعضها ببعض ، [٦٩] وما هذا الـكتاب بموضع ذكر ذلك ؛ والآية الأولى قد ذكرت فيها آنفاً ما ذكرت . أما الآية الثانية : فما أدعى فيها من عدم الملاءمة هو من حيث قال سبحانه : ﴿ إنّ لكَ ألاّ تجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى ﴾ فقال المتوهّم : لو قيل : ١٠ لا تجوع ولا تظمأ ، ولا تضحَى ولا تعرَى لـكان ذلك جارياً على ما توجبه البلاغة من الملاءمة .

والجواب أن يقال : مجيئها على ما توهّمه المتوهّم يُفسِد معنى النّظم ، لأنه لو قيل : إن لك ألا تجوع فيها ولا تظمأ لوجب أن يقول وأنك لا تعرى فيها ولا تضحى ، والتضحى البروز للشمس بغير سترة ، قال الهُذَلى(٣) (الطويل): ١٥
سَلبْتِ عِظَامِى لَحمَها فتركْتِها مجرّدةً تَضحَى لدَيْكِ وتَخصَرُ

(١) ديوانه : ٥٧ و ٥٨ وأسبأ : من سبأت الخمر أسبؤها سبأ وسباء إذا اشتريتها .
الروى : الذى يروى من شربه . الإجفال : الإسراع
(٢) سورة طه آيتا ١١٨ و ١١٩ .
(٣) البيت فى تاريخ بغداد ٤ : ١٢٠ منسوب إلى سوار بن عبد الله القاضى العنبرى مع اختلاف فى بعض ألفاظه وورد فى معاهد التنصيص ٣ ص ٢٦ طبع محمد محي الدين عبد الحميد منسوباً لبشار وفى الحماسة قسم ٣ ص ٦٢٥ أبيات منها هذا البيت منسوبة للحارثى ، وفى أمالى القالى منسوبة للمجنون ١ : ١٦٢ .

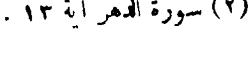
أى تلقى الشمس الضاحية مجرّدة فينال منها حرّها، وتلقى برد الليل مجرّدة ، فينال منها برده ، فهى معذبة نهارها وليلها ، وإذا كان التضحّى البروز للشمس بغير سترة كان معناه التعرّى ، فيصير معنى الكلام : وأنك لا تعرَى فيها ولا تعرى ، وهذا فساد ظاهر ، والله أعلم .

ولما كان هذا الفساد لازما للنظم على الوجه الّذى توهّمه المتوهّم ، وجب العدول عنه إلى لفظ القرآن ، وهو أن يضمّ سبحانه لنفى الجوع نفى العرى لتطمئن النفس بسد الجوعة وستر العورة اللذين تدعو إليهما ضرورة الحياة ، وتطلبهما طبيعة الانسان بالجبلّة ، ولمّا كان الجوع مقدّما على العطش كتقديم الأكل على الشراب أوجبت البلاغة تأخُّر ذكر الظمأ عن الجوع، وتقديمه على التضحى ، لأنه مهمّ يجب أن يتقدم الوعد بنفيه ، كما تقدّم الوعد بنفى[1] الجوع ، ويتأخر ذكر التضحّى كما تأخر ذكرى العرى عن الجوع ، لأن التضحّى من جنس العرى، والظمأ من جنس الجوع ، فإن قيل : لم ذكر التضحّى وهو عرى فى المعنى ، وقد أغنى ذكرى العرى ؟ . قلت : فى ذكر التضحّى فائدة كبيرة ، وهى وصف الجنّة بأنّها لا شمس فيها ، كما قال سبحانه : ﴿لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً[2]﴾ فإن التضحّى عرى مخصوص مشروط بالبروز للشمس وقت الضحى ، لذلك سُمِّىَ تضحّيا ، والانتقال من الأعم إلى الأخصّ بلاغة ، لاختصاص الأخصّ بما لا يوجد فى الأعمّ، والله أعلم .

* * *

(١) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت . وورواية ا ، ب « كما تقدم الوعد به فى الجوع » وكلتا الروايتين يصح المعنى بهما .

(٢) سورة الدهر آية ١٣ .





باب الاطراد*

وهو أن يطّرد للمتكلّم أسماء لآباء ممدوحه منسوب بعضها إلى بعض، مرتّبة على حكم ترتيبها فى الميلاد، ومن ذلك قوله عزّ وجلّ حكايةً عن يوسف عليه وعلى آبائه أفضل الصلاة والسلام: ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ[1] ﴾، فٱلحظْ ما ٱتّفق فى هذه اللّفظات الستّ (من أنواع البلاغة لتقدر نظمَ القرآن العزيز[2] قدرَه، وتعرفَ فرقَ ما بينه فى هذا الباب وماجاء فيه من أشعار فصحاء العرب، وذلك أن فى هذه اللّفظات الستّ) التى هى بعض آية ثمانية أضرب من البديع والمحاسن، أولها الاحتراس من توجيه دخل على المعنى، فإن لقائل أن يقول: لو اقتصر على قوله: ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِى ﴾ دون البدل، لكان ذلك كافيا، فنقول: لو وقف عند ذلك لاختلّت صحّة المعنى، لأن مطلق الآباء يتناول من الأب الأدنى الذى ولد الإنسان إلى آدم — عليه السلام — وفى آباء يوسف — عليه السلام — إلى آدم من لا يجب أن يتّبع ملّته، فٱحترس بذكر البدل عما يرد على البدَل منه لو كان وقع الاقتصار عليه، فقال مصرّحا بالآباء الذين أرادهم، لدفع مايتوجّه على الكلام من ذلك الاحتمال، والتفسير الذى خرج مخرج البدل فى قوله: إبراهيم، واسحاق، ويعقوب.

(*) بحثه فى العمدة ٢ : ٢٦٦، التلخيص : ٣٥٣، الإيضاح ٦ : ٩٠ على أن السكاكى لم يورد ذكره، ولكن الخطيب أخذه عن ابن رشيق فى العمدة، والطراز ٣ : ٩٣، خزانة الأدب لابن حجة : ١٧٠، حسن التوسل : ٧٧، نهاية الأرب جـ ٧ : ١٥٥.

(١) سورة يوسف آية ٣٨.

(٢) كذا فى الأصل. والذى فى ا، ب «العظيم» وبهما يستقيم المعنى. وما بين قوسين ساقط من ت. وفى د، س «لتقدر نظم القرآن قدره».



والإدماج لأن الاحتراس لم يلفظ به ، وإنما جاء مُدمجا فى لفظ التفسير ؛ وحسن النسق ، إذ عطف الآباء على الترتيب ، ولم يقع فى نسقهم تقديم ولا تأخير ؛ والتنكيت فى كونه — عليه السلام لم يأت بأسماء آبائه على الترتيب المألوف ، فإن القاعدة [١] لمن يذكر [٢] آباءه أن يبتدئ بالأب الذى جاء من صُلبه ، ثم بالأعلى فالأعلى ، وإنما خالف هذه القاعدة لأنه هاهنا لم يرد مجرد ذكر الآباء ، وإنما ذكرهم ليذكر ملتهم التى اتبعها ، وهى الملة الحنيفية التى ابتدأها إبراهيم — عليه أفضل الصلاة والسلام — ، فوجب أن يبدأ لأجل ذلك باسم المبتدئ بالملة المتبعة ، ثم يذكر من أخذها عنه أولا فأولا على الترتيب ، فاقتضت البلاغة ذكر إسحاق بعد إبراهيم ، وذكر يعقوب بعد إسحاق . ١٠

ومثل ذلك ما حكاه سبحانه عن أولاد يعقوب عليهم السلام من قولهم : ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ [٣] ﴾ ، فتجاوز جدّهم الأدنى إلى جدّهم الأعلى ، لكونه المبتدئ بالملة المتبعة ؛ والمساواة ، لأن ألفاظ هذا المعنى لا فضل فيها عنه ولا تقصير ؛ وحسن البيان ، فإنه — عليه السلام — أبان عن دينه بأحسن بيان ، لا يتوقف أحد فى فهمه ؛ والإبداع إذ جاء فى كل لفظة بديع وبديعان ، فهذه ثمانية أضرب من المحاسن فى ست لفظات ؛ والله أعلم .

* * *

(١) كذا فى الأصل . والذى فى بقية النسخ «العادة» وهى أوضح للمعنى .

(٢) كذا فى الأصل . ورواية ا ، ب «فإن العادة لمن بدأ يذكر آبائه » . وفى د، س، ت، «فإن العادة لم يذكر » وهو تحريف .

(٣) سورة البقرة آية ١٣٢ .



باب التكميل* [٧١]

وهو على ضربين : ضرب فى معانى البديع ، وضرب فى فنون الكلام التى هى أغراض المتكلّم وإرادته .

أما الأول فهو الّذى غلط فيه أكثر المؤلّفين والتبس عليهم بالتتميم ، وقد مضى ذكره فى (باب[1]) التتميم . وأمّا الذى فى الفنون ، وهو الّذى يدخل فى هذا البـــاب ، وهو أن يمدح إنسان إنسانا بصفة واحدة من صفات المدح ، ويرى أن الاقتصار به على تلك الصفة فقط من المدح الّذى لم يكمل ، فيرى تكميله بإضافة صفة أخرى إلى تلك الصفة ، كمن يمدح الإنسان بمجرّد الشجاعة دون النظر فى العواقب والتثبّت ، أو العفو دون الانتقام ، أو اللّين فى السلم[2] دون الخشونة فى الحرب ، بشرط أن يكون ذلك فى بيت واحد ، أو فصل واحد ، أو آية واحدة ، كقوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ[3] ﴾ ، فإنه (سبحانه)[4] لمّا أخبر بحبّهم أوجبت البلاغة أن يذكر الدّليل على ذلك ، لئلاّ تكون دعوى بغير بيّنة ، فقال يصفهم بالذلّة على المؤمنين ، والعزّة على الكافرين ، وفى هذا الوصف غاية التواضع لله تعالى

(*) بحثه فى سر الفصاحة : ٢٥٨ تحت اسم التحرز مما يوجب الطعن ، الإيضاح ٣ : ٢٣٤ ، الطراز ٣ : ١٠٨ تحت اسم الإكمال ، خزانة ابن حجة ١٠٧ ، حسن التوسل : ٧٩ ، نهاية الأرب ٧ : ١٥٧ .

(١) الكلمة التى بين قوسين ساقطة من ا ، ب .

(٢) فى ا ، ب «السلام» وهما اسمان بمعنى واحد . انظر كتب اللغة .

(٣) آية ٥٤ من سورة المائدة .

(٤) ما بين القوسين ساقط من ت .

وغاية الانتقام لله عز وجل ، وهذا دليل حبهم لله ، وحبهم لله تعالى أوجب حبّ الله سبحانه لهم ، ولو وقع الاقتصار على وصفهم بالتواضع لله لكان أقوى سبب فى حبهم لله ، لأنهم إنما تواضعوا لله ، وكان المدح به تامًّا ، لكن لمّا كان وصفهم بالعزّة على الكافرين موجِب للمدح كما لا بعد تمامه ، وللفظ بديعاً لم يكن له بغيره ، لحصول المقابلة فيه كمل المدح بقوله : (أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) ومثل هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ[1] ﴾ .

ومن أحسن ما جاء فى هذا البـــاب وأنصه قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ[2] ﴾ ، فإن المعنى قد تمّ عند قوله (ذو رحمة واسعة) لكن يبقى على ظاهر الآية إشكال من جهة أن الضعيف إذا سمع قوله بعد حكاية التكذيب لنبيه أمرَ نبيّه أن يقول : إن ربهم ذو رحمة واسعة ، مقتصراً على ذلك ، يتوهّم أن رحمته لِسَعَتِها ربّما شملتْ من كذّب نبيّه ، فاحترس عن هذا الاحتمال بما جاء به مكمّلا للمدح بالانتقام من الأعداء ، كما يمدح بالرحمة للأولياء فقال : (وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) ، فحصل الوعيد للمكذّبين بعد تقديم الوعد للمصدّقين ، فإن البلاغة توجب أن تكون الرحمة الموصوفة بالسعة للمحسنين ، ليقابل ذلك قوله (وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) ويشهد لكون الرحمة وإن وصفت بالسّعة لا تسع إلا المحسنين قوله تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

[72]

(١) سورة الفتح آية ٢٩ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٤٧ .



وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ [(١)] ﴾ .

ومن عجيب التكميل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ [(٢)] ﴾ ، فإن التكميل أتى فى هذه الآية بعد صحّة التقسيم ، لأن الكذب كغيره على قسمين : قسم مطلَق ، وقسم مقيّد ، فالمطلق قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ . والمقيّد قوله تعالى: ﴿ أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ ثم المقيّد أيضاً على قسمين فى هذه الآية : قسم كذب الكاذبُ فيه على الله سبحانه ، وقسم كذب الكاذب فيه على نفسه ، فالأول قوله : ﴿ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ والثانى قوله : ﴿ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ ولو وقع الاقتصار على قوله : ﴿ أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ لكان المعنى المراد تامّا ، لكنه علم سبحانه أنه بعد التمام يحسن أن يكمل فقال : ﴿ أَوْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ فتكمل المعنى بذلك بعد التمام .

* * *

باب المناسبة *

هى على ضربين : مناسبة فى المعانى ، ومناسبة فى الألفاظ ، فالمعنوية هى أن يبتدئ المتكلّم بمعنًى ، ثم يتمّ كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ ،

---

(١) سوره الأعراف آية ١٥٦ . (٢) سورة الأنعام آية ٩٣ .

(*) بحثها فى روضة الفصاحة : ١٥ ، خزانة ابن حجة : ١٦٦ ، حسن التوسل : ٧٩ ، نهاية الأرب ٧ : ١٥٨ .

والفرق بين هذا الضرب و بين الملاءمة أن الملاءمة تكون فى مفردات الألفاظ ومعانيها ، وهذا الضرب من المناسبة بين الجمل المركّبة ومعانيها ، ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللطِيفُ الْخَبِيرُ [(١)] ﴾، فإن معنى نفى إدراك الأبصار للشىء يناسب اللطف ،

٥ وهذا الكلام خرج مخرج التمثيل ، لأن المعهود عند المخاطب أن البصر لا يدرك الأجسام اللطيفة ، كالهواء وسائر العناصر، ولا الجواهر المفردة ، وإنما يدرك اللّون من كل متلوّن ، والكونَ من كل متكوّن ، فجاء هذا التمثيل ليتخيّله السامع فيقيس به الغائب على الشاهد ؛ وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأبْصَارَ ﴾ ، فإن ذلك يناسبه وصف المدرك بالخبرة ؛ فإنه سبحانه لما أثبتَ له

١٠ إدراكَ الأبصارِ :أى ألبابَ الأبصار التى نَفَى عنها إدراكَه تكميلا للتمدح [(٢)] [٧٣] حسب ما اقتضته البلاغه من تصحيح معنى التمدّح ، واحتراسا ممّن يظن أنه إذا لم يكن مدركا لم يكن موجوداً ، فوجب أن تقول : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ [(٣)] ﴾ ، لتثبت لذاته الوجود وزيادة ، ثم عطف على الأول والثانى ﴿ وَهُوَ اللطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ : ليناسب معنى آخر الكلام أوّله ،وعجزه صدره

١٥ ورجّح لفظة الخبير على لفظة البصير لما فيها من الزيادة على الإبصار والإدراك ، إذ ما كل من أبصر شيئاً ،أو أدركه كان خبيراً به ، فتضمّنتْ على ذلك الفاصلة معنى زائداً على معنى الكلام وُصفتْ لأجله بالإيغال ، وهو إيغال متمّم لمعنى التمدّح . فحصل فى هذه الآية على ذلك اثنا عشر ضرباً من البديع وهى :

---

(١) سورة الأنعام آية ١٠٣ .

(٢) كذا فى الأصل ا ، ب . والذى فى د ، س ، ت « للمدح » وهو أظهر .

(٣) وردت هذه العبارة فى ا ، ب «وهو يدرك ذوى الأبصار» وما أثبتناه عن الأصل .

التعطف الذى هو قوله : ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ ﴾ لمجئ لفظة « الأبصار » فى أول الكلام وآخره ؛ والمقارنة ، لاقترانه بالمطابقة فى قوله : ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ ؛ والإدماج لما أدمج فى التعطف من الاحتراس الذى شرحناه ؛ والمناسبة التى هى أمّ الباب ؛ والترشيح بالمناسبة إلى الإيغال ؛ والإيغال الذى بيّناه ؛ والإشارة لدلالة اللفظ القليل على المعانى الكثيرة ؛ والمجاز لحذف المضاف من قوله : وهو يدرك الأبصار ، أى ذوى الأبصار لتقرب ألفاظ التعطف بعضها من بعض ، فيكون ذلك أحسن وأبين ؛ والتخيير للعدول فى الفاصلة عن البصير ، والمدرك إلى الخبير ؛ والإيجاز فإن هذه الآية تسع لفظات تضمّنت اثنى عشر ضرباً من البلاغة ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ[١] ﴾ فإنه سبحانه لمّا أسند جعل الليل سرمداً إلى يوم القيامة لنفسه ، وهو القادر الذى جعل الشىء ، لا يقدر غيره على مضادّته ولا لغيره قال فى فاصلة الآية : « أَفَلاَ تَسْمَعُونَ » لمناسبة السماع للظرف المظلم من جهة صلاحيّة الليل للسماع دون الإبصار ، لعدم نفوذ البصر فى الظُّلمة ، ولمّا أسند جعل النهار سرمدا إلى يوم القيامة لنفسه ، كان الوجود كأن لم يخلق فيه ليل البتّة ، قال فى فاصلة هذه الآية : « أَفَلاَ تُبْصِرُونَ » لمناسبة ما بين النهار والإبصار ، ومثل ذلك

---

(١) سورة القصص آيتا ٧١ — ٧٢ .



[٧٤] قوله تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ . أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (١) ﴾ ، فانظر إلى قوله تعالى فى صدر الآية التى الموعظة فيها سمعيّة لكونهم لم ينظروا القرون الهالكة ، وإنما سمعوا بها : ﴿ أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ لم يقل كما قال فى التى بعدها : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا ﴾ وقال تعالى بعد الموعظة السمعية : « أفلا يسمعون » وبعد الموعظة المرئية « أفلا يبصرون » لأنّ الزرعَ مرئىّ لا مسموع ليناسب آخرُ كلّ كلام أولَه.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢) ﴾ ، فإن الكلام لو اقتصر فيه على دون الفاصلة لأوهم ذلك بعض الضعفاء أن هذا الإخبار موافق لاعتقاد الكفّار فى أن الريح التى حدثت كانت سبباً فى رجوعهم خائبين ، وكفى المؤمنين قتالهم ، والريح إنما حدثت اتفاقاً كما تحدث فى بعض وقائعهم ، وقتال بعضهم لبعض ، وظنوا أن ذلك لم يكن من عند الله ، فوقع الاحتراس بمجيء الفاصلة التى أخبر فيها سبحانه أنه قوى عزيز ، قادر بقوّته على كل شيء ، ممتنع لعزّته من كل شيء ، قاهر لكلّ شيء ، ليثبّت المؤمنين على اعتقادهم أنه موصوف بهذه الصفات ، وأن حزبه عز وجل هو الغالب ، وأنه سبحانه لقدرته ينوّع للمؤمنين النصر ليزيدهم إيمانا وتثبيتا ، فينصرهم مرة بالقتال

(١) سورة السجدة آيتا ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) سورة الاحزاب آية ٢٥ .



كيوم بدر وأمثاله ، وطَوْراً بالريح كيوم الأحزاب ، وتارةً بالرعب ، كبنى النَّضِير ، وآونة ينصر عليهم أولا ، و يجعل العاقبة لهم آخرا كيوم أُحُد ، وحينا يريهم أن الكثرة لاتغنى شيئا ، وأنه ينصر مع القلّة ليتحقّقوا أن النصر من عند الله كيوم حنين،ليتيقّنوا أنه سبحانه يأتى بالشدّة ابتلاء ، و يعقبها بالفَرَج تفضلا و إحسانا ، وأن الخير والشرّ من عنده ، وأن لافاعل فى الحقيقه سواه ، ٥
لأنه خالق كل شىء، ومقدّر كلّ شىء .

ومن هذا الضرب أيضا قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ[1] ﴾،فانظرإلى[2] مناسبةما بين الفاصلة وما تقدّمها ، حيث أخبربأنّهم لا يخرجون من النار ، وأخبر بأن لهم عذابا مقيما لما يقتضى الخلود الدائم من المقام فى العذاب ؛ وكذلك قوله تعالى : ١٠
﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[3] ﴾، فإنّ عزتّه وحكمته قضتا بقطع السارق ؛لأن من عزّ حكم، ومن ثبت تنزيهه عن سمات النقص والظلم ثبت عدله ، ومن عدله قطع السارق [٧٥]
لما فى قطعه من صيانةالأموال . وذلكمقتضى الحكمه،فهذه أمثلةالمناسبة المعنوية.

وأما المناسبة اللفظية التى هى عبارة عن الإتيان بلفظات متّزنات مقفاة وغير ١٥
مقفّاه : فالمقفاةمع الاتزان مناسبة تامة،والمتزنة من غير التقفية مناسبة ناقصة ، ووقع الناقصة فى الكلام الفصيح أكثر ؛ لأن التقفية غير لازمةفيها، فإن تطوعت بها الفصاحةفى الكلام من غير قصد كان الكلام أحسن ، و إلا فالأصل فيها الاتزان

---

(١) سورة المائدة آيتا ٣٧ .

(٢) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت . والذى فى ١ ، ب «أى» وهو تصحيف .

(٣) سورة المائدة آية : ٣٨ .



ليس إلا . فمن أمثلة الناقصة قوله تعالى : ﴿ قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ . بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ[١] ﴾ ومن شواهد التامة قوله تعالى : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ . مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ[٢] ﴾، وكقوله تعالى: ﴿ لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ[٣] ﴾ ، ومن هذا القسم من المناسبة قول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فيما روى عنه من الدعاء (مما كان[٤] يرقى به الحسنين — عليهما السلام — : أعيذكما بكلمات الله التامه ، من كل شيطان وهامّه ، ومن كل عين لامّة ، ولم يقل — عليه السلام — « ملمّة » وهى القياس لمكان المناسبة اللفظية) .

١٠ ومنه قول ابن[٥] نباتة فى الخطبة المنامية[٦] : أسكنهم والله الذى أنطقهم ، وأبادهم الذى خلقهم ، وسيجدهم كما خلقهم ، ويجمعهم كما فرّقهم .

* * *

(١) سورة قٓ الآيات من ١ — ٢ .

(٢) سورة نٓ الآيات من ١ — ٣ .

(٣) سورة يونس آية ٤ .

(٤) هذه التكملة التى بين قوسين ساقطة من جميع الأصول وبدونها لا يستقيم الكلام . وقد أثبتناها عن خزانة الأدب لابن حجة ص ١٦٨ طبع المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٤ هـ .

(٥) إمام أهل الأدب ، الحجة فى لسان العرب ، أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل ابن نباتة الفارقى ولد سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، وتوفى بميافارقين سنة ٣٧٤ هـ .

(٦) فى جميع النسخ «الثامنة» تصحيف . وإنما سميت منامية لأن ابن نباتة قال : لما عملت خطبة المنام وخطبت بها يوم الجمعة رأيت ليلة السبت فى منامى كأنى بظاهر ميافارقين عند الجبانة فقلت ماهذا الجمع ؟ فقال لى قائل : هذا النبى — صلى الله عليه وسلم — ومعه أصحابه ، فقصدت إليه لأسلم عليه ، فلما دنوت التفت فرآنى فقال : مرحباً بأخطب الخطباء ، كيف تقول وأومأ إلى القبور — فقلت : لا يخبرون بما إليه آلوا ، ولو قدروا على المقال لقالوا ؛ قد شربوا من الموت كأساً مرة ، ولم يفقدوا من أعمالهم ذرة ...... أسكنهم والله الخ ديوانه : ٩٦



باب التكرار*

وقع التكرار فى الكلام الفصيح على أنواع : منها ماجاء للمدح ، ومنها ماجاء للوعيد والتهديد ، ومنها ماجاء للاستبعاد .

مثال الأول قوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ(١) ﴾ ، فهذا مثال ماجاء منه بالمفردات .

وأما ماجاء منه بالمركّبات فقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا(٢) ﴾ .

ومثال الثانى قوله تعالى : ﴿ الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ(٣) ﴾ ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ(٤) ﴾ ومثال المركّب من هذا القسم قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ . ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ(٥) ﴾ وكقوله سبحانه أيضا : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(٦) ﴾ . ومثال الثالث قوله تعالى : ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ(٧) ﴾ وكذا التكرار الذى جاء فى سورة الرحمن ومثلها ؛ والله أعلم .

* * *

(*) بحثه فى العمدة ٢ : ٥٩ ، المثل السائر : ٣٥٤ ، بديع بن منقذ : ١٠٠ ، الإيضاح ٣ : ٢٢٥ ، خزانة ابن حجة : ١٦٤ .

(١) سورة الواقعة آيتا ١٠ و ١١ . (٢) سورة المائدة آية ٩٣ .

(٣) سورة الحاقة آية : ١ ، ٢ . (٤) سورة القارعة آية ١ ، ٢ .

(٥) سورة الانفطار آيتا ١٧ ، ١٨ . (٦) آيتا ٣ ، ٤ من سورة التكاثر .

(٧) سورة المؤمنين آية ٣٦ .

باب نفي الشيء بإيجابه*

وهو أن يثبت المتكلّم شيئا في ظاهر كلامه ، بشرط أن يكون المثبت مستعارا ، ثم ينفي ما هو من سببه مجازا ، والمنفيّ حقيقة في باطن الكلام هو الذي أثبته لا الذي نفاه ، كقوله عز وجل ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا [٧٦] أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا[1]﴾ ، فإن ظاهر هذا الكلام يقتضي نفيَ هذه الجوارح ، وباطن الكلام يقتضي نفي الإلهية جملةً عمّن يبصر ويسمع من الآلهة المتّخذة من دون الله تعالى ، فكيف من لا يسمع ، ولا يبصر منها ، وقد اندمج هذا النوع — وهو نفي الشيء بإيجابه — من هذه الآية الكريمة في تجاهل العارف الواقع موقع التوبيخ ؛ وكقوله تعالى : ﴿لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا[2]﴾ ، فالمنفي في ظاهر الكلام الإلحاف في السؤال لا نفس السؤال مجازا ، والمنفي في باطن الكلام حقيقة نفس السؤال إلحافا كان ، أو غير إلحاف ، وهذا الذي يقتضيه المدح ، وقد نقل ذلك عن ابن عبّاس — رضي الله عنهما — وكقوله تعالى :﴿وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ[3]﴾، فظاهر الكلام يقتضي نفي الشفيع المطاع مجازا ، لا نفي الشفيع مطلقا ، وباطن الكلام يقتضي نفي الشفيع مطلقا حقيقة إلا من ارتضاه سبحانه للشفاعة .

(*) بحثه في العمدة ٢ : ٦٥ ، خزانة ابن حجة : ٢٧٣ ، بلوغ الأرب: ٢٣٢ ، حسن التوسل : ٢٨١ ، نهاية الأرب ٧ : ١٦٣ .

(١) سورة الأعراف آية ١٩٥ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٣ .

(٣) سورة غافر آية ١٨ .



ومن مشكل هذا الباب قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾(١)، فظاهر اللفظ يقتضى أنهم ما تولّوا، ولا أعرضوا، والواقع منهم خلافه، وإنّما قلنا: إن الظاهر يدلّ على أنهم ما تولّوا ولا أعرضوا، لأن قاعدة «لو» فى العربية أن يمتنع بها الشىء لامتناع غيره فى الموجب دون المنفى، وعلى هذا يكون إسماع هؤلاء الكفّار ممتنعا لامتناع علم الخير فيهم، والتّولى والإعراض عنهم ممتنعين لامتناع الاسماع، وباطن الكلام الذى يصح به المعنى يقتضى وقوع التولّى والإعراض منهم، وكذلك كان، وإنما كان ذلك كذلك لأن التقدير والله أعلم: أن هؤلاء لو أسمعهم الله لتولّوا وأعرضوا، فكيف وهو سبحانه لم يسمعهم؟.

ومثله فى الحديث قول رسول الله — صلى الله عليه وسلم —: «نِعْمَ العبدُ صُهَيب(٢) لو لم يخفِ اللهَ لم يَعْصِه» فظاهر الكلام يقتضى عصيان صهيب — رضى الله عنه —، ولو كان كذلك لكان الكلام متناقضا لتصدّره بما يقتضى المدح من الإتيان بلفظة «نعم» وتعقيب ذلك بما يقتضى الذم على ظاهر اللفظ، فلا بدّ من تأويل يميط عن الظاهر هذا التناقض، وهو أن يقال: لو قدر أنّ صُهَيبا لم يخف الله لم يعصه، فكيف وهو يخافه.

والأصل المعتمد عليه فى هذا الباب العلم بأن العرب متى أرادت المبالغة التامّة فى شىء قلبت الكلام فيه عن وجهه ليتنبه السامع عندما يرد على سمعه كلام قد خولف فيه عادة أهل اللسان إلى أن هذا إنما ورد لفائدة، فينظر فيرى حصول زيادة الكلام مبالغة لو لم يقلب لم تحصل كما جاء فى قوله تعالى: ﴿ وَاشْتَعَلَ

[٧٧]

(١) سورة الأنفال آية ٢٣.

(٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢: ٣٢٣.

الرّأسُ شَيْباً ﴾ وقد مضى الكلام على ذلك فى باب الاستعارة[1] وكما يعبر الإعراب عند تكرار النعوت لينبّه على مدح المنعوت ، وكثيرا ما تفعل ذلك إذا قصدت المدح أو الذمّ من مخالفة ظاهر الإعراب لتنوّه بالممدوح أو المذموم ، والله أعلم .

* * *

باب التفصيل*[2]

التفصيل على قسمين : متّصل ومنفصل ، فالمتصل منه كلّ كلام وقع فيه أمّا وأمّا ..؟ وقيل ذلك إجمال وما بعد أمّا تفصيل مثل قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُم[3] ﴾ إلى آخر الكلام ، ثم قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ ، إلى آخر الكلام ، وكقوله عز وجل : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ . فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ[4] ﴾ ، ثم قال ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي[5] الْجَنَّةِ ﴾ ، الآية الأولى روعى فيها حسن الجوار ، فقدم على الترتيب ، والآية الثانية روعى فيها الترتيب :

وأما المنفصل من التفصيل : فهو ما يأتى مجمله فى سورة ومفصّله فى أخرى ، أو فى مكانين مفترقين من سورة واحدة ، كقوله تعالى فى سورة المؤمنين :

---

(١) انظر هامش رقم ٣ ص ٢٠ من هذا الكتاب .

(٢) هذا الباب بأكمله ساقط من ا ، ب .

(*) بحثه فى خزانة ابن حجة : ٢٢٢ .

(٣) سورة آل عمران آيتا ١٠٦ و ١٠٧ .

(٤) سورة هود آيتا ١٠٥ و ١٠٦ .

(٥) سورة هود آية ١٠٨ .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، إلى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ[١] ﴾ ، إلى قوله تعالى ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى[١] وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ ، فإن قوله تعالى « وراء ذلك » إجمال المحرّمات جاءت مفسّرة فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ[٢] ﴾ ، إلى قوله تعالى : ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ[٢] ﴾ ، فإن هذه الآية اشتملت على خمسة عشر محرّماً من أصناف النساء ذواتِ الأرحام ثلاثة عشر صنفاً ، ومن الأجانب صنفان ؛ والله أعلم .

* * *

باب التذييل*

وهو على ضربين : مَعِيب ، وحَسَن .

فالمعيب منه أن يزيد اللفظ على المعنى لا لفائدة .

والحَسَن أن يذيّل المتكلّم كلامه بعد تمام معناه بجملة تحقّق ما قبلها ؛ والزيادة على ضربين : ضرب لا يزيد على المعنى الأوّل ، وإنما يؤكده ويحققه ؛ وضرب يُخرجه المتكلّم مخرج المَثَل السائر، ليشتهر المعنى لكثرة دَوَرانه على الألسنة ، والفرق بينه وبين التكميل ، أن التكميل يرد على المعنى المفتقر بعد التمام إلى التكميل ، ولا كذلك التذييل : ثم التكميل مختصّ بمعانى البديع والفنون ، والتذييل لا يختصّ بشيء من الكلام دون

---

(١) سورة المؤمنين الآيات ١ و ٥ و ٧ .

(٢) سورة النساء آيتا ٢٢ ، ٢٤ .

(*) بحثه فى الصناعتين : ٣٧٣ ، بديع ابن منقذ : ٦٣ ، الإيضاح ٣ : ٢٣٠ ، بلوغ الأرب : ١٥٣ ، خزانة ابن حجة ١٠٦ ، الطراز ٣ : ١١١ ، حسن التوسل : ٧٠ ، نهاية الأرب ٧ : ١٤٠ .



[٧٨] شيء ، فالتذييل أعمّ .

ومما جاء منه في الكتاب العزيز قوله تعالى وهو مما تضمّن قسمَي التذييل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ[1] ﴾ ، فجاء في هذه الآية الكريمة تذييلان : الأوّل قوله تعالى : (وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا) فإن الكلام قد تمّ وكمل قبل ذلك ، ثم أتت جملة التذييل لتحقّق ما قبلها وتؤكّده ، إذ صرّح سبحانه بلفظ العدة الّتي كانت مفهومةً من الجملة[2] الأولى ، ووعده حقّ ، بدليل قوله عزّ وجلّ : (وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا) لكن لمّا كانت دلالة الخبر قبل التذييل على العدة دلالة تضمُّن ، وأراد سبحانه التصريح والإفصاح بلفظ الوعد ، ليدل عليه دلالة مطابقة ، أخرج الدلالة مخرج التذييل الذى يَصلُح أن يتمثّل به في كل واقعة تشبه واقعته ، قال : (وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا) والتذييل الثاني في قوله بعد الفراغ من الدلالتين : « وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ » (مُخرجاً[3]) ذلك مخرجَ المثل أيضاً ، فتضمنت الآية تذييلين ومَثلين

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ[4] ﴾ فإن المعنى

---

(١) سورة التوبة آية ١١١ .

(٢) كذا في الأصل ، د ، س ، ت والذى في ا ، ب « من الجزء الأول » وكلاهما يتضح به المعنى .

(٣) ماأثبتناه عن د ، س ، ت وفي ا ، ب « مخرج » وهو صحيح أيضاً . وفي الأصل « نخرجا » وهو تصحيف من الناسخ .

(٤) سورة الأنبياء آية ٣٤ .

مستوفًى فى الإخبار بأنه سبحانه لم يجعل لبشر من قبل نبيِّه الخُلْدَ ، ثم ذيّل ذلك الإخبارَ بما أخرجه مخرج تجاهُل العارف و قوله تعالى : ﴿ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾، وذيّل هذا التذييل بما أخرجه مخرج المثل السائر حيث قال : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ،وعَظَّمَ الناسُ قدرَ قول المتنبّى (البسيط) :

تُمْسِي الأمانِيُّ صَرعَى دونَ مَبْلَغِه ... فما يقولُ لِشَىْءٍ لَيْتَ ذلكَ لِي[1]

ولم يزل سيف الدولة لهجا بهذا البيت معظِّماً له ، مُثْنِياً عليه ، مقرّاً له بأنّه لا يُلحَق سَبقا ، ولا يأتى أحد فى بابه من المبالَغة بمثل ما أتى به ، حتى قال ابن نُباتة السّعدىّ فيه (البسيط) :

لم يُبْقِ جُودُكَ لِي شيئاً أؤمِّلُه ... تَرَكْتَنِي أَصْحَبُ الدّنيا بلا أملِ[2]

وقد استوفيت الكلامَ على هذين البيتين والتفضيل بينهما فى كتاب (تحرير التحبير[3]) ، و إنما ذكرتهما هاهنا على خلاف شرط هذا الكتاب ، لينظر الناظر فيه بين ما وقع فيهما من المبالَغة ،و بين قوله تعالى من باب التذييل : ﴿ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ[4] ﴾ لما تستغرق لفظة « كلّ » من جميع الأشياء التى يقع واحدُها على البسيط والمركّب، والقديم والمحدَث ، والخالق والمخلوق ، و إن كان وقوعها هاهنا على كلّ موجود سوى الله تعالى ، وكلّ معدوم ممكن الوجود ، [٧٩]

(١) العكبرى ج ٢ ص ٧٦ طبع بولاق . الأمانى جمع أمنية ، وغرض الشاعر أن يقول : لا تصل الأمانى إلى قلبه فتستميله ، ولا إلى لسانه فتجرى عليه لأنه لايحتاج أن يتمنى شيئاً ، فلا يرى شيئاً الا وله خير منه أوصار له ذلك الشيء، فالأمانى تقصر عن بلوغ قدره،وتصغر عن جلالة أمره وتمسى صرعى دون إدراك مجده فما يتمنى فى الرفعة أكثر مما قد بلغه .

(٢) ديوانه ص ٤١١ طبع مطبعة التمدن بمصر سنة ١٣٢٣ هـ .

(٣) انظر باب التذييل منه .

(٤) سورة النمل : آية ٩١

وهذه اللفظات الثلاثُ جاءت تذييلا لقوله تعالى : ﴿ رَبِّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ [١] ﴾ ،
وفى ذكر البيتين تذييل سوّغ دخولها فى هذا الباب ؛ والله أعلم .

* * *

باب التهذيب *

وهو على ثلاثة أقسام : قسم يكون بعد الفراغ من نظم الكلام بإعادة
النظر فيه لينقّحه ويحرره ، وهذا القسم لا يقع فى الكتاب العزيز ، لأنّه لا يحتاج
إليه إلاّ من جُبِل على السهو والغلط ، أو الغفلة والذُّهول ، أو ضعف العارضة
فى العمل ، وقد يكون نقدُه أجود من نظمه ، وعِلمُه فوق عمله ، وهذه من
صفات المخلوق الناقص ، والقرآن العزيز كلامُ قادرٍ منزّهٍ عن صفات النقص .
والقسمان الأخيران اللّذان يقعان حالة الإنشاء أحدهما حُسنُ الترتيب فى النَّظْم ،
إمّا بالارتقاء من الأدنى إلى الأعلى ، أو بتقديم ما يجب تقديمه ، وتأخير ما يجب
تأخيره .

والقسم الآخر بحيث يعضد المعنى أو يُقلّ التركيب ، أو سوء الجوار ،
إما فى حروف مفردات الكلمة ، فيتجنب وقت التأليف تلك اللفظة التى وقع
فيها ذلك[٢] من المواضع الأول ، أو سوء الجوار فى مجاورة الكلام بعضه لبعض
إذا كانت بهذه المثابة . وعلى الجملة ، إن هذا القسم عبارة عن تجنّب عيوب
النظم ، وهذان القسمان هما اللّذان جاء نظمُ القرآن عليهما غير مقصود ولا متكلّف

(١) مكان هذا الجزء من الآية بياض فى جميع الأصول والسياق يعين ما أثبتنا .
(*) بحثه فى بديع ابن منقذ : ١٣٩ ، خزانة ابن حجة تحت اسم التهذيب والتأديب :
٢٣٥ ، بلوغ الأرب تحت اسم الترتيب : ١٤٤ .
(٢) ما أثبتناه عن الأصل ، د ، س ، والذى فى ا ، ب ، ت « فى » وهما بمعنى واحد .

لكونه كلام قادر مطلق القدرة ، وإنما هذا النظر وهذا التحرير بالنسبة إلى أعمالنا لنقصنا ؛ والله أعلم .

مثال القسم الأول من القرآن قوله تعالى : ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ[1] ﴾ ، فانظر كيف جاء هذا النظم مرتبا على طريق البلاغة ، حيث انتقل فيه من الأدنى إلى الأعلى على الترتيب .

فإن قيل : فقد جاء فى الكتاب العزيز مواضع على غير هذا الترتيب ، فما العذر عنها ، كقوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ[2] ﴾ فإن التمدح بعلم الغيب أبلغ من التمدح بعلم الشهادة ، وقد حصل الانتقال من الأبلغ إلى ما هو دونه .

قلتُ : علم الشهادة فى حقّ الله سبحانه أبلغ ، فإنا لا نعقل أنّ علم الشهادة يُعلَم إلا بواسطة الحواسّ ، (ومتى فقدنا[3]) الحواس فقد علم الشهادة ، وعلم الغيب لا يفتقر فى تحصيله إلى الحواس ، وقد ثبت بالبرهان القاطع تنزيهُ الحقّ سبحانه عن الحواسّ ، وثبت أنه يعلم علم الشهادة ، وحصول علم لا يعلمه إلا من له حواس لمن لم تكن له حواسّ أبلغ وأعجب من حصول علم لا يفتقر فى حصوله إلى الحواس ، فثبت أن علم الشهادة هاهنا أبلغ . [٨٠]

---

(١) سورة المائدة آية ٨٩ .

(٢) سورة الرعد آية ٩ .

(٣) كذا فى الأصل ، د ، س . والذى فى ا ، ب ، « ومتى قدرنا عدم الحواس عدم علم الشهادة » والمعنى بهما يستقيم أيضا .

وأما القسم الّذى جاء فيه النظم موصُوفاً بحُسن الجوار فقوله تعالى :
﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ[1] ﴾،
فإن نظم هذه الآية عُدِل فيه عن الترتيب إلى حُسن الجوار ، فإن الترتيب عبارة
عن ترتيب الجمل وترتيب مفرداتها فى الوضع والتأليف ، فيجب على من قصد
الترتيب فى النظم أن يقدِّم الفعلَ فى الجملة الفعلية ويعقبه بالفاعل ، ثم يقدّم بعد
الفاعل المفعول المطلَق ، ثم المفعول به ، فيقدم منه ما تعدّى الفعل إليه بنفسه ،
ثم يأتى بعدهَ بما تعدّى الفعل إليه بغيره ، إلاّ أنْ يمنع من ذلك مانع لفظىّ
أو معنوىّ ، ومن الموانع ترجيح ضَرْب من ضُروب البديع على هذا الترتيب
يكون الـكلام به أفصح وأبلغ ، أو أخف وأسهل ، أو المعنى به أتمّ وأكمل
كهذه الآية ، فإنها لو جاء نظمُها على الترتيب بحيث يقال : لئن بسطت يدك
إلىّ لتقتلنى ، كما قال فى آخرها ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك ، يحصل فيها
العيب المسمَّى سوء الجوار الموجِب للتركيب ثقلا[2] يعسُر النطق به بعض
العسر . فعدل عن الترتيب لأجل ذلك إلى حسن الجوار ، وإنما كان سوء
الجوار يحصل من الترتيب لتوالى ثلاثة أحرف متقاربات المخارج ، وهى الطاء
والتاء والياء عند قوله : لئن بسطت إلىّ يدك ، وإذا جاء النظم على ما جاء عليه
أمن هذا المحذور ، ولمّا كان هذا المحذور معدوماً فى ترتيب نظم عجزُ الآية
أتى نظم العجز على الترتيب ، فقدم فيه المفعول الّذى تعدّى الفعل إليه بنفسه
على المفعول الّذى تعدى إليه بالحرف فقال : ﴿ مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ
لِأَقْتُلَكَ ﴾ .

ومن هذا القسم قوله تعـــالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ

---

(١) سورة المائدة آية ٢٨ .

(٢) سقطت من ا ، ب .



مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ[1] ﴾

ومثل هذا المكان تقتضى البلاغة مجيئه على ما جاء عليه ، فإنه متى جعل أوسط الكلام أحد طرفيه الأول والآخر لزم منه توالى لفظة « إلى » فثقل النظم بتوالى كثرة الحروف ، وعدم التعديل من النظم ، فعيب بسوء الجوار ، فلزم أن يجىء على ما جاء عليه . ومما يقرب من هذا الموضع قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ[2] ﴾ ، فإن لقائل أن يقول : ما فائدة الفاصلتين وقد أغنى عنهما ما قبلهما ؟ فيقال : فى الكلام تقديم وتأخير إذا عُلِم سقط معه السؤال ، وهو أن يقال : ومنهم من ينظر إليك ولو كانوا لا يبصرون أفأنت تهدى العمى ، والأخرى كذلك ، ويَرد على ذلك قولُ من يقول : فما الداعى إلى وضع الكلام على التقديم والتأخير الذى هو أحد أسباب التعقيد ؟ قلت : الداعى إليه توخّى الإتيان بمقاطع الكلام مماثلةً ما قبلها وما بعدها من الفواصل ، فان قبلها ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ، وبعدها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ[2] ﴾ ، ومعظم فواصل السورة على هذه الزِّنة والتّقفية .

ومما جاء من باب التهذيب على ما ينبغى من التأديب قوله تعالى حكايةً عن الخليل — عليه السلام — حيث قال : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ . وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي

[81]

---

(١) سورة يونس آية ٣٥ .

(٢) سورة يونس الآيات ٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ .

وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ[١] ﴾ ، فإنّه — عليه السلام — أسند جميع أفعال الخير لربّه عزّ وجلّ[٢] وأسند فعل الشرّ إلى نفسه تأدبياً مع ربّه ، وقد تقدّم الكلام على هذه الآية مستوفًى ، ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى[٣] ﴾ ، فان صحة المقابلة في هذا النظم أن يقال : ليجزى الذين أساءوا بالإساءة ، حتّى تصحّ مقابلته[٤] بقوله : ﴿ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ ، لكن منع من ذلك التزام الأدب مع الله — سبحانه — في إسناد فعل الإساءة إليه ، فعدل عن لفظ الإساءة الخاصّ إلى لفظٍ عامّ يدخل فيه ذلك الخاصّ فيحصل المعنى المراد مع لزوم الأدب فيه ، ويكون معناه أبلغ من معنى الأوّل ، ولما كان قوله تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا[٥] ﴾ ، قد أمن فيه ذلك المحذور[٦] ، أتى نظمُه على مقتضى البلاغة من مجيء تجنيس الازدواج فيه على وجهه من غير تغيّر إذ لا ضرورة تدعو إلى تغييره .

ومن أحسن ما وقع في هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ[٧] ﴾ ، وإن كان قد تقدّمت هذه الآية وتقدّم الكلام عليها ، ولا نكير على الإتيان بالآية الواحدة في أبوابٍ عدّة بحسب ما يكون فيها من أنواع البديع وأصناف المحاسن ، ونحن ها هنا تدعونا الحاجة إلى إعادة الكلام عليها ، لينساق فيه ما يتعلّق بهذا

(١) سورة الشعراء الآيات من ٧٨ — ٨٠ .
(٢) كذا في الأصل ، ا ، ب ، والذى في باقى النسخ « إليه تعالى » .
(٣) سورة النجم آية ٣١ .
(٤) كذا في جميع النسخ . والذى في ت « حتى تصح المقابلة » .
(٥) سورة الشورى آية ٤٠ .
(٦) سقطت من ا ، ب .
(٧) سورة هود آية ١١٣ .

الباب ، فنقول : أدمج فى هذه الآية وصف الله — سبحانه — بالعدل ، فعلق فن الفخر [٨٢]
بفنّ الأدب ، إذ ظاهر الآية التأديب ، ومن أجله جاءت فى هذا الباب الموعظة،
ووصف الحقّ عزّ وجلّ بالعدْل ، وذلك فخر قد تعلق[1] بما قدّم من الأدب،
مع ما فى ألفاظ الكلام من الملاءمة الّتى حصل بها ائتلاف اللفظ مع المعنى ،
لأن الركون للظالم دون فعل الظلم[2] ، ومسّ النار دون إحراقها ، والعدل يقتضى ٥
أن يكون العقاب على قدر الذّنب ، فلأجل ذلك كان ذكر المساس ملائماً
لذكر الركون دون غيره ، فالحظ ما انطوى[3] عليه نظمُ هذه اللّفَظات السبع
التى هى بعض آية من المعنى وأنواع البديع مثل الائتلاف الذى دلّت عليه
الملاءمة والإدماج ، والتعليق ، والافتنان ، والمقارنة ، والبسط ، إذ عدل عن
قوله : ولا تركنوا إلى الظالمين إلى قوله : ﴿ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ ١٠
لما يحتمل الأوّل من استمرار الظلم الّذى لا يلائم التناسى ، ولا تحصل به
المبالغة التى تحصل من لفظ الثانى ، من وقوع الظلم على سبيل النــدُور ليلائم
المعنى معنى الركون ومعنى المساس ، وتحصل المبالغة الحقّة لأنه — سبحانه — إذ
نهى عن الركون إلى من وقع منه الظلم فى وقت دون وقت ، وتوعّـد عليه كان
نهيُـه عن الركون إلى من استمرّ منه الظلم بطريقٍ أَوْلَى ، وإذا نهى عن الركون ١٥
إلى الظالم كان النهى عن فعل الظلم بطريق أحرى ؛ والله أعلم .

* * *

(١) كذا فى الأصل ، ت ورواية د و س « قد يتعلق » ، وهو أظهر ، وفى ا ، ب « وذلك فخر متعلق » وبها يستقيم المعنى أيضاً .

(٢) كذا فى الأصل ، ذ ، س ، ت والذى فى ا ، ب « الظالم » .

(٣) فى الأصل : « ما انطوت » ، وهو تصحيف ؛ وما أثبتناه عن باقى النسخ.

باب حسن النسق*

حسن النسق عبارة عن أن يأتي المتكلّم بالكلمات من النثر، والأبيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحماً سليما مستحسناً لا معيباً مستهجناً. من ذلك أن يكون كلُّ بيت إذا أفرد قام تامّاً[1] بنفسه، واستقلّ معناه بلفظه، وإن رَدِفَه مجاوره صارا[2] بمنزلة البيت الواحد، بحيث يعتقد السامع أنهما إذا انفصلا تجزّأ حسنهما، ونقص تمامُهما، وتقسّم معناهما، وهما ليسا كذلك، بل حالهما في تمام المعنى وكمال الحسن مع الانفراد والافتراق كحالهما مع الالتئام والاجتماع.

ومن شواهد هـذا الباب من الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يا أرضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ[3] ﴾.

فأنت ترى إتيانَ هذه الجمل معطوفاً بعضها على بعض بواو النّسق على الترتيب الّذي تقتضيه البلاغة؛ لأنه سبحانه بدأ بالأهمّ إذ كان المراد إطلاق أهل السفينة من سجنها، ولا يحصل ذلك إلا بانحسار الماء عن الأرض، فلذلك بدأ بالأرض فأمرها[4] بالابتلاع. ثم علم عزّ وجلّ أن الأرض إذا ابتلعت ما عليها من الماء، ولم تنقطع مادّة السماء، تأذّى بذلك أهل السفينة عند خروجهم منها، وربّما كان ما ينزل من السماء مخلفاً لما تبتلعه الأرض من الماء، فلا يحصل الانحسار، فأمر

* بحثه في خزانة ابن حجة: ٤١٥، بلوغ الأرب: ١٧٩.

(١) كذا في الأصل. والذي في د، س «إذا أفرد تاماً بنفسه» وهو غير مستقيم، والذي في ا، ب «إذا أفرد قائم بنفسه» وهو غير مستقيم أيضاً وفي، ت «إذا أفرد قام بنفسه» وبه يستقيم المعنى وإن كانت عبارة الأصل أوضح.

(٢) في الأصل، «صار» والمقام يقتضي التثنية؛ وما أثبتناه عن جميع النسخ.

(٣) سورة هود آية ٤٤.

(٤) هنا بالأصل خرم يستغرق بقية باب حسن النسق وباب الانسجام جميعه وباب براعة التخلص إلى قوله «في بيتين متجاورين» وقد أكملنا هذا النقص عن بقية النسخ.



سبحانه السماء بالإقلاع ، ثم أخبر بغَيْض الماء عندما ذهب ماء الأرض ، وانقطعت مادّة السماء ، ومقتضى الترتيب أن تأتى هذه الأخبار ثالثَ الجلتين المتقدّمتين . ثم قال سبحانه : ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ أى هلك من جفّ القلم بهلاكه ، ونجا من سبق العِلم بنجاته ، وهذا كُنْهُ الآية ، وحقيقةُ المعجزة ، ولا بدّ أن تكون معلومة لأهل السفينة ، ولا يمكن علمهم بها إلا بعد خروجهم ٥ منها ، وخروجُهم موقوف على ما تقدّم ، فلذلك أقتضت البلاغة مجىء هذه الجملة رابعة الجمل ؛ وكذلك أستقرار السفينة على الجودىّ : أى استقرارها على المكان الذى استقرت عليه استقرارا لا حركة معه لتبقى آثارُها آيةً لمن يأتى بعد أهلها ، وذلك يقتضى أن تكون بعد كلّ ما ذكرناه ، وعدل عن لفظة أستقرت إلى لفظة استوت لما يحتمله الأُستقرار من الزَّيْغ والمَيْل ، ويدلّ ١٠ عليه الآستواء من عدم ذلك ، وفى هذا طُمأنينة أهل السفينة وأمنهم من المَخافة ، إذْ لو كان أستقرارُها أستقراراً لا تؤْمَن معه الحركة ، لكانت حالهم فى مكابدة الحركة ، وأضطراب القلوب لأجلها واحدة فى حال سيرها ووقوفها ، ولم يحصل لهم الأنتقال من أذى الحركة وتعبهم بها إلى دعة السكون ، وقوله سبحانه : ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ . وهذا دعاء أوجبه ١٥ الأحتراس ممّن يظن أن الغرق لشموله الأرض ربّما هلك به من لا يستحقّ الهلاك ، فدعا سبحانه على الهالكين ، ووصَفَهم بالظلم ليُعلم أنّ الهلاك إنّما شمل من يستحقّ العذاب أحتراساً من هذا الأحتمال ، وذلك يقتضى أن يكون مجىء هذه الجملة بعد جميع ما تقدّم ، والله أعلمُ .

فانظر إلى حُسن هذا النّسق ، وصحة هذا الترتيب فى الجمل المعطوف بعضها على ٢٠ بعض لِتَعلم قدرَ هذا النّظم ؛ والله أعلم .

* * *

باب الانسجام *

وهو أن يأتى الكلامُ متحدِّراً كتحدُّر الماء المنسجم ، بسهولة سبك وعذوبةِ ألفاظ ، وسلامةِ تأليف ، حتى يكون للجملة من المنثور ، وللبيت من الموزون وقع فى النفوس ، وتأثير فى القلوب ما ليس لغيره ، وإن خلا من البديع وبَعُد عن التصنيع ، وأكثر ما يقع الانسجام غير مقصود ، كمثل الكلام المتّزِن الذى تأتى به الفصاحة فى ضمن النثر عَفواً كأشطار وأنصاف أبيات وقعت فى أثناء الكتاب العزيز ، ورويت عن النبىّ الكريم — عليه أفضل الصلاة والتسليم — ، فان وقع من ذلك بيتان فى غير القرآن فصاعداً عدّ ذلك شعراً وإن لم يقصد ، وأما القرآن العزيز فلم يقع فيه من ذلك إلا ما هو على مثال البيت المفرد[1] فقط ، والبيت المفرد لا يسمّونه شعراً قصد أو لم يقصد ، وعلى ذلك أدلة لا يتّسع هذا المكان لذكرها ، وقد أتيتُ بها مستقصاةً فى كتابين أحدهما (الشافية فى علم القافية) والآخر (الميزان فى الترجيح بين كلام قدامة وبين كلام خصومه) ، عملتُ منه قطعةً ، وشُغِلت عن تمامه .

والانسجام على ضربين : ضرب يأتى مع البديع الذى لم يقصد ، وضرب لا بديع فيه ، فمن أمثلة الضرب الأول من القرآن قوله تعالى : ﴿ إنّما أشكوا بَثِّى وحُزْنِى إلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ[2] ﴾ ، فأنت ترى سهولة هذا النظم ، وعُذوبة هذه الألفاظ ، وما فى هذا الكلام من الانسجام مع ما وقع فيه من التعطّف فى قوله تعالى : « الى الله » « وأعلم من الله » فإنه انما عدل

* بحثه فى بديع ابن منقذ : ٦٦ ، خزانة ابن حجه : ٨٩ ، ١

(١) كذا فى جميع النسخ ، وهو الصواب . والذى فى ت «المنثور» وهو تحصيف .

(٢) سورة يوسف آية ٨٦ .

عن قوله « وأعلم «منه» وهو أوجز من الأول ، ليأتى فى الكلام تعطف يزيده حُسناً ، وفيه زيادة خضوع وترقق مع تمكين فاصلة الآية ، ومثلها الآيةُ التى بعدها وهى قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ[(١)] ﴾، لوقوع التعطف فيها كالأولى ، ومثال الضرب الثانى من الانسجام وهو الخالى عن البديع قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ[(٢)] ﴾ وقوله عزّ وجلّ : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ[(٣)] ﴾، وأكثر آى القرآن من شواهد هذا الباب .

* * *

باب براعة التخلص*

وهو امتزاج ما يقدّمه الشاعر من البَسْط ، إما المدح أو الذمّ ، أو غيره من نسيب، أو ، وصف، أو أدب، أو زهد ، أو فخر، أو مُجون ، أو غير ذلك من الفنون بأول بيت من المدح ، وقد يقع ذلك فى بيتين متجاورين . وقد يقع فى بيت واحد ، وهذه وإن لم تكن طريقة المتقدّمين فى غالب أشعارهم ، فإن المتأخّرين قد لهجوا بها وأكثَروا منها ، وهى لعمرى من محاسن المحدَثين ، على أن الأوائل فتحوا لهم باباً كما فتحوا غيره من الأبواب .

(١) سورة يوسف آية ٨٧ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٩٩ .

(٣) سورة هود آية ١٢٣ .

* بحثه فى الوساطة : ٥٨، التبيان للزملكانى : ١٣٨، بديع ابن منقذ تحت اسم التخلص، روضة الفصاحة : ٤٥ ، المثل السائر تحت اسم التخلص والاقتضاب : ٤١٧ ، الطراز ٣: ١٧٩، بلوغ الأرب تحت اسم براعة التخلص : ٥٤، خزانة ابن حجة : ١٤٩، نهاية الأرب ٧ : ١٣٥ .



وهى فى الكتاب العزيز معرفة الوصل من الفصل، وقد ألف[1] فيها ابن أبى البركات كتاباً مقصوراً عليها، وقد ذهب بعض المتكلمين إلى أنها أحد وجوه الإعجاز، وهو دقيق يكاد يخفى فى غير الشعر إلا على الحاذق من ذوى النقد، وهو مبثوث فى الكتاب العزيز إذا تُتُبِّع وُجِد، كابتداء فصول تجدها منافرةً فى الظاهر لما قبلها من الفواصل، أو غيرها فلا يكاد يجمع بينها إلا بعد إنعام النظر، وتدقيق الفكر، هذا إذا كنت ممن له دُرْبة بهذه الصناعة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ . وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِى إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِى وَكِيلاً . ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا[2] ﴾، فانك إذا انظرت إلى قوله: ﴿ وَآتَيْنَا موسى الكتاب ﴾، وإلى ما قبله وجدتَ بين الفصلين « مباينةً شديدةً فى الظاهر حتى تفكَّر فتجد الوصل بين الفصلين[3] » فى قوله سبحانه: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً ﴾ إلى قوله: ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾، فإنه تبارك وتعالى أخبر أنه أسرى بمحمد — صلى الله عليه وسلم — إلى الأرض المقدّسة لِيُرِيَه من آياته، ويرسله إلى عباده، كما أسرى بموسى — عليه الصلاة والسلام — من مصر إلى مدينَ حين خرج خائفاً يترقّب وأسرى به وبابنة شعيب إلى الأرض المقدَّسة ليريه من آياته، ويرسله إلى فرعون وملائه، وآتاه الكتاب، فهذا هو الوصل بين الفصلين المذكورين.

وأما الوصل بين قوله سبحانه: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ وبين ما قبله

(١) فى ا، ب « صف ».

(٢) سورة الإسراء الآيات من ١ — ٣.

(٣) سقطت هذه العبارة من ا، ب، وقد أثبتناها عن جميع النسخ.



فقد كان بنى اسرائيل بأوّل نعمه عزّ وجلّ عليهم . بنجاة آبائهم مع نوح فى السفينة[1] من الغرق إذ لو لم تَنْجُ أباؤهم لما وجدوا ، فأول نعم الله عليهم نجاة آبائهم من غرق الطوفان ، وآخر نعمه عليهم نجاتهم من الغرق حين شقّ لهم البحر فنجوا، وغرق عدوّهم فرعون وملائه وذكرهم أنهم أبناء نوح ، وأخبر أن نوحاً كان عبداً شكورا ، وهم أولاده ، فيجب أن يكونوا شاكرين كأبيهم لأن الولدَ سِرُّ[2] أبيه .

[٨٣] وأما مثال ما جاء من هـذا الباب من غير هذا القسم من الـكلام الذى يوطّىء المتـكلّم فيه بفصل[3] لفصل يريد أن يأتى به بعده[4]،إما بنـكتة تشير إلى معنى الفصل المستقبل،أو غير ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ[5] ﴾، فإنه سبحانه وطّأ بهـذا الفصل ، إلى ما يأتى بعده مِن سَرْد قصّة يوسفَ ـ عليه السلام ـ ، فتخلص به إلى ذكر القصّة تخلّصا بارعاً، وجعل سبب براعة هذا التخلّص ما جاء به فى التوطئة من التنـكيت ، فإن النـكتة الّتى أشارت إلى وصف هـذه القصّة بنهاية الحسن دون سائر قصص الأنبياء المذكورة فى القرآن هى قوله : ﴿ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ ، فإن المخاطب إذا سمع هذا الوصفَ لهذه القصّة تنبّـه إلى تأملها،فيجد كلّ قضية[6] فيها خُتِمتْ بخير، وكلّ ضيق إلى سَعَة ، وكلّ شدّة إلى رخاء ، فإن يوسف ـ عليه السلام ـ رُمِىَ فى

---

(١) فى ا ، ب « السفين » ، وهو جمع لايناسب المقام إذا المقصود هنا المفرد وإن كان بعضهم يجعل السفين مفرداً .

(٢) انظر الـكلام على هذا الحديث فى كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢ : ٣٣٨ .

(٣) فى الأصل « تفصيل » وهو تصحيف من الناسخ ؛ وما أثبتناه عن باقى النسخ .

(٤) فى الأصل « وأما » بزيادة الواو ؛ ولا معنى لها ؛ وما أثبتناه عن بقية النسخ وهو الصواب .

(٥) سورة يوسف آية ٣ .

(٦) كذا فى جميع النسخ . والذى فى ت « قصة » ؛ وهو تصحيف .

الجبّ فنجا ، وبِيعَ بالثمن البخس ، فنزّله الذى اشتراه منزلة الولد ، وَرَاوَدَتْهُ الّتى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ، فعصمه الله ، ودخل السجن فخرج منه مَلِكاً ، وظفر إخوتُه به ، فأظفره الله بهم ، وَأظهرَه عليهم ، وسره الله بلقاء أخيه شقيقه فتأنس به ، وفارقه أبوه ، ثم اجتمع به وجزِع لفراقه ، ثم سُرّ بلقائه ، وَعَمِىَ من بكائه عليه ، فردّه الله بصيراً ، وجاء به من البَدْو ، وأجلسه بمصرَ على سرير المُلْك ، وغضب أعنى أباه ويوسف على بقية الأولاد ، ثم رَضِيَا عنهم ، وَاستغفَرا لهم ، وأسجد له أبويه وإخوته تحقيقاً لرؤياه من قبل ، فكانت القصة لذلك جديرةً بأن توصَف بنهاية الحسن دون غيرها من القصص .

ومن براعة التخلّص فى الكتاب العزيز أيضاً قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ[1]﴾ ، فإنه سبحانه وطّأ بها إلى سياقه خبر ميلاد المسيح — عليه السلام — ، فذكر سبحانه اصطفاء آدم عليه السلام توطئة يخلص بها إلى ذكر ولده نوح — عليه السلام — وذكر اصطفاء نوح توطئةً يتخلّص إلى ذكر ولده إبراهيم عليه السلام وعلى آله ، وذكر اصطفاء آل ابراهيم بعد ذكر آل نوح توطئة ليتخلص بذكرهم إلى آل عمران من ولد ابراهيم ، وتخلص بذكر آل عمران إلى ذكر امرأة عمران ليسوق[2] قصة حملها بمريمَ عليهما السلام وكفالة زكريّا — عليه السلام — لها ، وذكر ولده يحيى عليه السلام ، وقصة حمل مريم بالمسيح عليهما السلام ، وما كان فى ذلك من الآيات الباهرات ، وغير ما آتاه الله تعالى من المعجزات ، فوقع فى هذه الآية [٨٤] من التخلّصات البارعة التى أتت على أحسن ترتيب ، وأبين تهذيب ما لا يقع فى شىء من الكلام حيث ذكر سبحانه الآباء من الأعلى إلى الأدنى ، فابتدأ بذكر آدم الأب الأعلى ، وتلاه بذكر نوح الأب الثانى ، الذى انتشرت

---

(١) سورة آل عمران آية ٣٣ .

(٢) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت . والذى فى ا ، ب « لتشوف » ولا معنى لها .



الأُمَم مِن عَقِبِه، وأتت كافة البَشَر من ذريته ، ثم ذكر بعده إبراهيم أبا الأنبياء والمرسلين ، وخص من ولده بالذكر آلَ عمران، ليتخلص إلى ذكر المسيح — عليهما السلام ، — فسبحان المتكلم بهذا الكلام ؛ والله أعلم .

* * *

باب التعليق*

وهو أن يأتى المتكلم بمعنى فى غرض من أغراض الكلام ، ثم يعلق به معنى آخر يقتضى زيادة معنى من معانى ذلك الفن ، كمن يروم مدح إنسان بالكرم فيعلق به شيئاً يدل على الشجاعة ، بحيث لو أراد تخليص ذكر الشجاعة من ذكر الكرم لما قدر ، بشرط أن يبقى كلامُه غيرَ مدخول .

ومنه قسم يتخلص فيه الوصفان فى اللفظ وهما متلاحمان فى المعنى ،ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ[1] ﴾ ، فإنه سبحانه لو اقتصر على وصفهم بالذل لإخوانهم المؤمنين ، لاحتمل لن يتوهم ضعيفٌ أن ذلهم عن عجزٍ وضعف ، فنفى ذلك بذكر عزتهم على الكافرين ، ليعلم أن ذلهم للمؤمنين عن تواضع ، فحصل بهذا الاحتراس تتميمٌ للمعنى وتكميل للمدح ، وجاء هذا الاحتراس مدمجا فى المطابقة ، وحصل من المطابقة تعليق التواضع بالشجاعة فى فن المدح . وهذا مثال القسم الثانى من التعليق .

ومن القسم الأول قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

---

* بحثه فى الصناعتين تحت اسم المضاعفة ٤٢٣ ، بديع ابن منقذ تحت اسم التعليق والإدماج: ٣٠ ، الطراز ٣ : ١٥٩ .

(١) سورة المائدة آية ٥٤ .

كفرو وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزًّا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا(١) ﴾، فإنه سبحانه علّق وصفهم بالكفر بوصفهم بالجبن تعليقاً متلاحماً ، والفرق بين التعليق والتكميل: أن الوصفين فى التكميل مفترقان فى اللفظ والمعنى؛ وهما فى التعليق متلاحمان إمّا فى المعنى ، وإما فى اللفظ والمعنى ؛ والله أعلم .

* * *

باب الإدماج*

وهو أن يُدمِج المتكلّم إما غرضا فى غرض ، أو بديعاً فى بديع ، بحيث لا يظهر فى الكلام إلا أحد الغرضين أو أحد البديعين، والآخر مدمج فى الغرض الذى هو موجود فى الكلام ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ(٢) ﴾، فإن هذه الجملة أُدمجتْ فيها المبالغة فى المطابقة ، لأن انفراده — سبحانه — بالحمد فى الآخرة، وهى الوقت الذى لا يُحمد فيه سواه ، مبالغة فى وصف ذاته بالانفراد بالحمد ، وهذه وإن خرج الكلام فيها مخرج المبالغة فى الظاهر فالأمر فيها حقيقة فى الباطن ، فإنه أولى بالحمد فى الدارين ، ورب الحمد والشكر والثناء الحسن فى المحلين حقيقة ، وغيره من جميع خلقه إنما يحمد فى الدنيا مجازا ، وحقيقة حمده راجعة إلى ولىّ الحمد سبحانه ، والفرق بين الإدماج

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٦ .

* بحثه فى الصناعتين تحت اسم المضاعفة : ٤٢٣ ، بديع ابن منقذ : ٣٠ ، التلخيص ٢٥٢ ، الإيضاح ٦ : ٨ مع أن السكاكى لم يذكره فى مفتاحه ، خزانة ابن حجة : ٤٥٧ ، الطراز ٣ : ١٥٧ ، بلوغ الأرب ٣٠٢ ، حسن التوسل : ٨٢ ، نهاية الأرب ٧ : ١٦٤ .

(٢) سورة القصص آية ٧٠



و بين القسم الّذى أدمج فيه أحد الوصفين فى الآخر من التعليق : أن قسمى التعليق لابدّ وأن يكون الوصفان فيهما ظاهرَين لفظا ، وأحدهما معناه مدمَج فى معنى الآخر ، والقسم الآخر وصْفاه مفترقان لفظا ومعنًى ، والإدماج لايظهر منه إلا أحد الفنّيين،أو أحد المعنيين ؛ والله أعلم :

* * *

باب الاتساع*

وهو أن يأتىَ المتكلّم بكلام يتّسع التأويل فيه بحسب ماتحتمله ألفاظه من المعانى ، فيتسع الرواة فى تأويله على مقدار عقولهم . ومن ذلك فواتح السُّوَر الفرقانيّة المعجمة ، فإن العلماء قد اتّسعوا فى تأويلها اتساعا كثيرا ، ولم يترجّح من جميع ذلك إلا أنها أسماء للسور أقسم الله سبحانه وتعالى بها ، وقد رُوِى ذلك عن ابن عبّاس — رضى الله عنهما — ، واختلفوا فى إعراب ما يأتى فيه الإعراب منها،فبعضهم يرى فيه الحكاية كما رأى ذلك فى (صاد) ، (قاف) و (نون) فإن هذه الأسماء محكيّة ليس إلاّ ، و بعضهم يرى الإعراب فى المجموع خاصّة ، ويُنشِد قولَ شُرَيْح بن أوْفَى[1] العبسىّ قاتل محمد بن طلحة السجّاد (الطويل)

يُنَاشِدُنى حَاميمَ والرُّمحُ شاجرٌ فهلا تلاحم قَبْلَ التقـدُّمِ

وأما ما جاء من باب الاتساع فى غير الفواتح فقوله تعالى : ﴿ وَإنْ خِفتُمْ

---

* بحثه فى العمدة ٧٥ ، خزانة ابن حجة : ٤٤٠ ، بلوغ الأرب : ٢٤٩ ، الطراز (تحت اسم التوشيع أو التوسيم) ٢ : ٨٩ .

(١) انظره فى اللسان مادة ،(حمم) وورد فيه « يذكرنى » مكان « يناشدنى » .



أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً[١] ﴾ ، فإن ظاهر هذه الآية يتوجه عليه إشكالات ، منها لِمَ عدل عن العدد الصحيح إلى المعدول ؟ فقال سبحانه : ﴿ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ ولَمْ يقل أثنتين وثلاث وأربع ، ولِمَ عطفت

٥ جملها بالواو المقتضية للجمع حتى ألتبس الأمر فيها ؟ ، فجاء ظاهرها يدل على إباحة الجمع بين تسع نسوة ، ولِمَ نزل عن الأربع لمن يخاف ألا يعدل بين النساء إلى الواحدة ؟ ، ومن لا يعدل فى الأربع يجوز أن يعدل فى الثلاث ، [٧٦] ومن لم يعدل فى الثلاث يجوز أن يعدل فى أثنتين ، ولِمَ لم يأت لفظ الواحدة معدولا ليناسب ما قبله من العدد المعدول ؟ ، والجواب عن الأول أن ذلك

١٠ للإيجاز ، لأن قول العرب : مثنى وثلاث ورباع يَسُدّ مَسَدّ اثنتين ،اثنتين ، وثلاث ثلاث ، وأربع أربع ، مع التكرار ، ومثنى وثُلاثَ ورباع أخصر من الأول ، لأن المراد من الآية تعريف ما أبيح للناكح من الجمع بين حرائر النساء ، فعدل عن الصحيح إلى المعدول توخيا للإيجاز ، وأما الجواب عن عطف الجمل بالواو دون (أو) فلأن الخطاب لكافة المسلمين[٢] لا للواحد منهم ، فوجب العدول

١٥ عن (أو) فى العطف إلى (الواو) المقتضية للجمع ، لأن الخطاب للجمع ، ليصيب كلّ مكلّف ما أبيح له من الجمع ، ولو عطف (بأو) لأختصّ الحكم بالمفرد الواحد من المكلّفين . وأما الجواب عن النزول من الأربع إلى الواحدة ، ولم ينزل على الترتيب إلى الثلاث ، ثم من الثلاث إلى الأثنتين فلقصد بناء الكلام

---

(٢) سورة النساء آية ٣ .

(١) كذا فى الأصل . وفى بقية النسخ « المكلفين » وبهما يصح المعنى

على الاختصار ، فإن النزول على الترتيب يُفضِي إلى إطالة فى الكلام له مَنْدُوحةٌ عنها ، فلأجل ذلك قدر أنه قال : فإن خفتم ألا تعدلوا فى اثنتين فواحدة ، وألغى الوسائط ، لدلالة ما ذكره على ما لغاه ، ليأتى النَّظْم على السنن المحمودة من البلاغة ، فإن من خاف ألاّ يعدل فى اثنتين كان من ألاّ يعدل فى الثلاث أحْرَى ، فضلا عن الأربع .

وأما قول السائل لِمَ لَمْ يأت لفظ الواحدة معدولا ، لأن العرب إنّما جعلت العدول للأعداد ، والواحدة والواحد كلّ واحد منهما أوّل العدد وليس من المعدود، ولأن العدول فى هذه الأعداد إنما جاءت للاختصار ليقوم مقام العدد المكرّر ، وهذا العدد مأمون فى الواحدة ، فلأجل ذلك جاء لفظها على أصل وضع غير معدول؛ والله أعلم .

* * *

باب المجاز*

المجاز خلاف الحقيقةَ ، والحقيقة فِعيلَة بمعنى مفعولة مِن أحق الأمر يُحُقّه إذا أثبته أومن حقفته إذا كنت منه على يقين ، وإنما سّمى خلاف المجاز بذلك لأنه شىء مثبت معلوم بالدلالة ، والمجاز مفعل من جاز الشىء يجوزه ، إذا تعداه ، فإذا عدل باللفظ عمّا يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز ، على أنهم جازوا به موضعه الأصلى ، أو جاز هو مكانه الّذى وضع فيه أولا .

---

* بحثه فى سيبويه ١ : ١٦٩ ، العمدة ١ : ١٧٧ ، الصناعتين ٢٦٨ ، اسرار البلاغة : ٣٣٠ دلائل الإعجاز : ٥٢ ، المفتاح : ١٩٢ ، الإيضاح ٥ : ٣٤ ، خزانة ابن حجة : ٣٩٦ بلوغ الأرب : ٢٠٩ ، الطراز : ٦٣ .

واللفظ لايكون مجازا إلا بشرطين : أحدهما أن يكون منقولا عن معنى وضع اللفظ بازائه أولا ، وبهذا يتميز عن اللفظ المشترك، وعن الكذب الذى ادعى فيه أنه مجاز .

[٨٦] والشرط الثانى أن يكون النقل لمناسبة بين الأصل والفرع وعلاقة ، ولأجل ذلك لاتوصف الأعلام المنقوله بأنها مجاز ، مثال ذلك تسميتك رجلا بالحجر ، و يقال:

٥ إن ذلك مجاز ، و إن كنت نقلت اسم الحجر للانسان إلاّ أنه نقل لغير مناسبة ، إذ لا مناسبة بين حقيقة الحجر وحقيقة الإنسان ، ومتى تحقق هذان الشرطان فى لفظٍ كان ذلك اللفظ مجازاً ، هذه حكاية [1] لفظ فخر الدين بن الخطيب فى المجاز . وقد تقدم قوله فى حدّ الأستعارة أنها جعل الشيء الشيء للمبالغة فى التشبيه كقولك : لقيتُ أسدا ، وأنت تعنى أنكَ لقيت شجاعا ، ولا خلاف

١٠ فى أن الأستعارة على أختلاف أقسامها مجاز ، وقد قال هاهنا : إنه لا يكون شيء من الكلام مجازا إلا بأعتبار الشرطين المتقدّمين ، وقد عدم أحد الشرطين وهو النقل فى هذه الأستعارة ، فتدبَّرْ ذلك ، اللّهم إلا أن يكون فخر الدين قد عمل على قول من قال : المجاز مجازان ، مجاز استعارة ، ومجاز حذف ، (وشرطاه اللّذان وقعت صحّة المجاز عليهما غير معتبرين فى القسمين [2]) .

١٥ والمجاز على ثلاثة أقسام : قسم فى الإثبات ، وقسم فى المثبت ، وقسم فيهما معاً : مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا [3] ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا [4] ﴾، وقوله سبحانه: ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ [5] ﴾

---

(١) ملخصاً من نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز ص ٤٦ — ٤٧ .

(٢) هذه العبارة ليست بالأصل . وقد أثبتناها عن باقى النسخ إذ بدونها لايستقيم الكلام .

(٣) سورة الأنفال آية ٢ .

(٤) سورة الزلزلة آية ٢ .

(٥) سورة إبراهيم . آية: ٢٥

فهذه الأفعال مسندة فى هذه المواضع إلى غير الفاعل الحقيقى ، لأن الآيات لا توجد العلم ، ولا الأرض تخرج الأثقال ، ولا النخلة تؤتى الأُكل ، ومن ذلك قول الشاعر[١] :

أشابَ الصغيرَ وأفنى الكبيـــ ــرَ كرُّ الغداةِ ومرُّ العشِى

فالمجاز وقع فى إثبات الشيب فعلاً لكرِّ الغداة ، وهو فى الحقيقة فعل الله تعالى . ٥

ومن هذا القسم قولهم : نهارُكَ صائم ، وليلُكَ قائم .

والقانون فيه أن ينسب الشىء إلى غير ما هو منتسب بذاته إليه .

ومثال ما دخل المجاز منه فى[٢] المثبَت دون الإثبات قوله تعالى : ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا[٣]﴾ ، جعلَ خضرةَ الأرض ونُضرتها بما فيها من النبات والأزهار حياةً ، فالمجاز دخل فى المثبت وهو الأرض ، ١٠ وأما الإثبات فحقيقته من الله لأن الفاعل لذلك هو الله تعالى .

ومثال ما دخل المجاز منه فى الإثبات والمثبت معاً قولك للرجل : أحيتْنى رؤيتُك : تريد سرتنى رؤيتك ، فجعل للسرّة حياة ، وهو مجاز فى المثبت ، ثم أسندها إلى الرؤية وهو مجاز فى الإثبات .

والمجاز فى المثبت لا يكون إلا فى المفرد ، والمجاز فى الإثبات لا يكون ١٥ إلا فى الجملة ، وقد ذهب الإمام العلاّمة عبد القاهر الجرجانى[٤] إلى أن حدّ المجاز إذا كان الموصوف به منفردا[٥] غير حده إذا كان الموصوف به جملة ،

---

(١) البيت للصلتان العبدى وهو قثم بن خبيئة بن عبد القيس ، وهو شاعر مشهور وكان معاصرا لجرير والفرزدق وكان يقضى بينهما ملخصا من معاهد التنصيص ١ : ٧٣ ، ٧٤ طبع مطبعة السعادة والكامل للمبرد ٢ ص ٥٤٠ من أبيات أولها :

أرى أمة شهرت سيفا وقد زيد فى سوطها الأصبحى

(٢) كذا فى الأصل ، ا ، ب والذى فى باق النسخ «فيه» وهما بمعنى واحد .

(٣) سورة فاطر آية ٩ .

(٤) ملخصاً من أسرار البلاغة : ٣٠٢ وما بعدها .

(٥) كذا فى الأصل ، والذى فى بقية النسخ «مفرداً» وفى أسرار البلاغة «الفرد» .

ثم قال عقيب ذلك : ولنبدأ بحدِّهما يعنى المجاز والحقيقة فى المفرد .

وحدّ الحقيقة فى المفرد أن يقال : هو كل كلمة أريد بها ما وقعتْ له فى وضع واضعها (وقوعا لاتستند فيه إلى غيره كالأسد للبهيمة المخصوصة .

وحدّ المجاز فى المفردوهو كلّ كلمة أريدَ بها غير ما وقعتْ له فى وضع[١]) واضعها[٢] الأوّل للملاحظة بين الأول ، والثانى . ٥

[٨٨] وأمّا حدّ الحقيقة فى الجملة فهو كلّ جملة وضعتها على أن الحكم المستفاد بها على ما هو عليه فى العقل ، وواقعة موقعه ، فهو حقيقة ، ومثاله قولك : خلق الله العالم .

وكل جملة أخرجت الحكم المستفاد بها من موضعه لضرب من التأويل فهى مجاز : (وإذا أدعيت هذا الفصل من كلام القاضى حين كان مخالفا لحدّ فخر الدين بن الخطيب[٣]) فإما أن نصحّح كلام الجرجانى أو كلام (فخر الدين[٤]) بن الخطيب ، فإن عملنا بكلام الجرجانى كان كل ما ضربْنا عليه صحيحا من باب المجاز ، وإن عملنا على كلام فخر الدين فهو غير صحيح ، والصحيح ما أبقيناه بعد المضروب عليه ، والله أعلم . ١٠

والمجاز عند أرباب علم البيان على ضربين : ضرب مع الحذف ، وضرب مع غيره ، فالّذى مع غيره أُشتق له النّقاد أسماء مشتقّة ممّا لا يقع الكلام فيه كالأستعارة ، اشتُقّت من كون اللفظ يستعار فيه شىء لشىء ، وهذا كما قال بعضهم : المجاز مجازان : مجاز استعارة ، ومجاز حذف ، فمجاز الأستعارة ١٥

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ت» .

(٢) فى الأصول «واضعه» والسياق يعين التأنيث ، إذ الضمير هنا عائد على الكلمة التى وضعها واضعها . وفى أسرار البلاغة «وضع واضع» .

(٣) ما بين قوسين ساقط من ا ، ب وهو عن الأصل وباقى النسخ .

(٤) تكملة عن ت .



قد مضى تعريفه فى باب الاستعارة، ومجاز الحذف كقوله تعالى : ﴿ وَاسْئَلِ الْقَرْيَةَ(١) ﴾ و « العير » وماأشبهه كقوله تعالى : ﴿ يَاسَمَاءُ أَقْلِعِى(٢) ﴾ وكالأسماء التى قدمّنا ذكرها آنفا ، وقد تجاوزت العرب حذف المضاف إلى حذف مضاف ثان بعد حذف المضاف الأول كقول جرير (الوافر)(٣) :

إذا نزلَ السماء بدارِ قومٍ رَعَيناهُ وإن كانوا غِضاباً

إلاّ أنّ مثل هذا لايجوز إلا فى ضرورة الشّعر لبُعده من الحقيقة وإنما أبقوا على هذا الضرب اسمَ المجاز لخلوّه عن معنى زائد على تجوّز الحقيقة(٤) يليق أن يشتقّ له منه اسم كمجاز الاستعارة ؛ والله أعلم .

* * *

باب الإيجاز*

الإيجاز اختصار بعض الألفاظ ليأتى الكلام وجيزا من غير حذف لبعض الاسم ، كحذف المضاف ، أو لبعض الجملة ، كحذف الفاعل، أو حذف الخبر ١٠

---

(١) سورة يوسف آية ٨٢ .

(٢) سورة هود آية ٤٤ .

(٣) نسب هذا البيت لمعاوية بن مالك المعروف بمعود الحكماء ، كما فى المفضليات ص ٦٩٧ طبع أوربا ، وهو من قصيدة أولها :

أجد القلب عن سلمى اجتنابا وأقصر بعد ما شابت وشابا

وكذلك فى لسان العرب «مادة سما» ومعاهد التنصيص ١ : ٢٦١ والصناعتين ص٢٧٦ طبع الحلبى ونسبه صاحب تاج العروس «مادة سما» للفرزدق ، ونسبه ابن رشيق فى العمدة ج ١ ص ١٤٤ لجرير وكذلك فى نهاية الأرب ج٧ : ١٤٤ طبع دار الكتب ، ويرجح لدى أن المؤلف تأثر بنسبة هذا البيت لجرير تبعاً لما جاء فى العمدة ، والصواب نسبته لمعاوية بن مالك ونسب فى الحماسة البصرية ورقة ٣٠ من النسخه المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٩٠) أدب لمعاوية أيضاً ، وكذلك الفاضل للمبرد ط دار الكتب المصرية : ١٠٩ وعيار الشعر ٨٤ ، الموشح ٢٤٥ .

(٤) ساقطه من «ب» .

(*) بحثه فى سيبويه ١ : ٢٢ ، البيان والتبيين ١ : ٩٦ ، رغبة الآمل ١ : ٢٥٢ ، =

أو بالعدول عن لفظ المعنى كالإرداف وشبهه ، أو بتغيير لفظ المعنى كالاستعارة وغيرها .

هذا حدّه الصناعيّ الخاص وهو رسمى ، وسيأتى حده اللغوىّ العامّ ، ومثاله أن يقتصّ المتكلم قصّة بحيث لا يغادر منها شيئاً فى ألفاظ قليلة بحيث لو اقتصّها غيره ممّن لم يكن فى مثل طبقته من البلاغة أتى بها فى أكثر من تلك الألفاظ ، ومن شرط الإيجاز ألا يخرج الكلام مخرج الإشارة التى تقدم ذكرها وحدها ، وأكثر قصص القرآن المجيد من هذا النّمط ، كقصّة موسى — عليه السلام — فى سورة «طه» ، فإن معانيها أتت بألفاظ الحقيقة تامّة غير محذوفة ، ولا مغيّرة بلفظ الإشارة ، ولا بلفظى الإرداف ، والتمثيل ، وهى مستوعبة فى تلك الألفاظ ، وهذا ماقرره المتقدّمون فى الإيجاز . [٨٩]

١٠ وعندى أن الإيجاز على قسمين : قسم مجازىّ ، وقسم حقيقى ، فما كان حقيقياً بقى عليه اسم الإيجاز ، وما كان مجازياً وضعوا لكلّ نوع منه اسماً يخصه ويناسب اشتقاقه فإن المجاز إيجاز ، فكل مجاز إيجاز ، ولا ينعكس ، وهو حذف بعض الكلام لدلالة الباقى عليه ، أو للاستغناء بالقرينة عنه ، مثال الأول ، ﴿ وَاسْئَلِ الْقَرْيَةَ[١] ﴾ ، ومثال الثانى : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ[٢] ﴾ ، وما أشبه ذلك .

= قواعد الشعر : ٦٨ ، النكت فى إعجاز القرآن للرمانى : ٣ ، العمدة ١ : ٦٧ ، سر الفصاحة تحت اسم الإيجاز والاختصار وحذف الفضول : ١٩٦ ، التبيان للزملكانى : ٧١ ، بديع ابن منقذ تكلم عنه مرة تحت اسم الإسهاب والإطناب والاختصار والإكثار : ٩٥ ومرة أخرى تحت اسم التضييق والتوسيع والمساواة : ٧٩ ، المفتاح تحت اسم تقليل اللفظ ولا تقليله : ٢٢٧ ، المثل السائر : ٢٩٧ ، الإيضاح ٣ : ٢٠١ ، الطراز ٢ : ٨٨ ، بلوغ الأرب : ١٩٨ ، خزانة ابن حجة : ٣٦٤ .

(١) انظر ص ١٧٩ من هذا الكتاب .

(٢) سورة ص آية ٣٢ .

والإرداف والتمثيل إيجاز بمجيء الكلام فيهما بغير ألفاظه الموضوعة له ، والإشارة إيجاز لا مجاز ، لكون ألفاظها ألفاظ الحقيقة ، أو ما يشير إلى الحقيقة بلمحة دالّة ، ولا يكون بما يشير به منقولا ، إلا أن ألفاظها مختصرة ، يدلّ القليل منها على المعانى الكثيرة .

وما ذكره المتقدّمون مما قررته أوّلا هو الإيجاز الحقيقىّ ، فإن قيل : إذا كان المجاز نوعا من الإيجاز جاز أن يسمى كلّ صنف من ذلك النوع إيجازا .

قلت : فالتسميات علامات تعرف بها المسميات ، ومن سمّى النوع باسم الجنس فهو غير معرّف لذلك النوع تعريفا تاما ، فإنك لو قلت فى حد الإنسان : هو حيوان من غير ذكر الفصل ، لكنت غير معرّف لحقيقته تعريفا تاما ، لكونك لم تأت إلا بالقدر المشترك دون القدر المميّز ، ولمّا كان من الإيجاز ما يدلّ على المعنى بلفظ المعنى الموضوع بإزائه .

ومنه ما يدلّ على المعنى بلفظ هو رِدْف لفظه تارة ، ولفظ هو مثل لفظه مرة ، و بلفظ مستعار له آونة . والحقيقة أصل ، والمجاز فرع ، والإيجاز أصل . بقى الاسم الأصلىّ على الكلام الّذى دل لفظُهُ على معناه بظاهره ، وسمّى ما دلّ على معناه بالتأويل بأسماء مجازيّة ، إذ كانت مسمّياتها مجازيّة .

فإن قيل : فما الفرق إذاً بين الإيجاز والمساواة ؟ قلت : المساواة لا تكون إلا فى المعنى المفرد يخبر عنه بلفظ مساوٍ له لا يزيد عليه ولا ينقص عنه .

والإيجاز يكون فى ذكر القِصَص والأخبار الّتى تأتى فى قطع من الكلام مطوّلة متضمّنة معانى شتّى .

وخلاصة ذلك أن المساواة في معاني الجمل التي تركبت منها الأبيات والفصول . والإيجاز في الأبيات والفصول . ثم المساواة تكون مع الإطناب كما تكون مع الإيجاز ، فإن الكلام الذي يراد تفخيمه [٩٠] أو توكيده ، أو التهويل به تتعدد معانيه بتعدد ألفاظه ، أو تتغاير فيه الألفاظ على معنى واحد لقصد التوكيد ، و إفهام البعيد والبليد ، وهو مع ذلك موصوف بالمساواة . ٥
فمن الإيجاز ما يوصف بالمساواة ، ومنه ما لا يوصف بها ، والمساواة يكون منها شيء في الأبيات والفصول، ويكون الفرق بين هذا القسم منها و بين الإيجاز[1] أن الإيجاز تنقص فيه الألفاظ عن المعاني ، والمساواة لا تزيد الألفاظ فيها على المعاني ولا تنقص عنها .

١٠ ومن الإيجاز نوع تُختصَر فيه بعض الألفاظ ويأتي كله بلفظ الحقيقة ، لكن اختصاره من اختصار ألفاظ المجاز ، وهو يسمى اختصار الاتباع ، وصورته قريبة من صور التلفيف ، كقوله سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ[2] ﴾ فإن التقدير والله أعلم تبوؤوا الدار وأخلصوا الإيمان ، كما قال الشاعر[3] (الرجز) :

١٥ * عَلَفْتُها تِبْناً وَماءً بَارِداً *

أي وسقيتها ، وكقول الآخر[4] (مجزوء الكامل) :

---

(١) كذا في الأصل ، د ، س،وهي ساقطة من ا ، ب ، ت .

(٢) سورة الحشر آية ٩ .

(٣) هذا عجز بيت لذي الرمة وصدره:* لما حططت الرحل عنها واردا * . ديوانه ص ٦٦٤ طبع أوربا .

(٤) هذا البيت لعبد الله بن الزبعرى كما في الكامل للمبرد ١ ص ١٨٩ وورد غير منسوب أيضاً في سيبويه ١ ص ٣٠٧ ط بولاق وروايته فيهما « يا ليت زوجك » الخ وورد في الجامع لأحكام القرآن ١ ص ٩٥ غير منسوب أيضاً وروايته فيه « أرأيت زوجك » .

وَرأيت زَوْجكِ فى الوَغَى متقـــلِّدًا سيْفًا ورُمحا

أى ومعتقلا رُمحا .

ومن إيجاز الكتاب العزيز مما جاء على الضرب الأوّل منه قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ يأمُرُ بِالعَدلِ وَالإحْسَانِ وَإيتَاء ذِى القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاء وَالمُنْكَرِ وَالبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ[1] ﴾ فإنه عزّ وجلّ أمر فى أوّل الآية بكل معروف ، ونهى بعد ذلك عن كلّ منكر ، وختم الآية بأبلغ موعظة ، وذكر فى فاصلتها ألطف تذكرة بألفاظ اتفق فيها ضروب من المحاسن ، مع كونها ألفاظ الحقيقة ، فمن محاسنها صحة التقسيم ، لأنه سبحانه استوعب جميع أقسام أجناس المعروف والمنكر ، والطباق اللفظى ، وحسن النسق ، والتسهيم ، وحسن البيان ، وائتلاف اللفظ مع المعنى ، والمساواة وصحة المقابلة ، وتمكين الفاصلة[2] ، والإيجاز . فأما استيعاب الأقسام فإنه سبحانه أمر بالعدل وهو[3] معاملة المكلّف نفسه وغيره بالإنصاف ، ثم أمر بعد العدل بالإحسان وهو اسم عامّ يدخل تحته التفصيل بعد العدل ، وقدّم ذكر العدل لأنه واجب ، وتلاه بالإحسان لأنه مندوب ، ليقع نظمُ الكلام على أحسن ترتيب ، وخصّ ذا القربى بالذّكر بعد دخوله فى عموم من أمر [٩١] بمعاملته بالعدل والإحسان لبيان فضل ذى القربى ، وفضل الثواب عليه ، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى بصيغة تعريف الجنس ، ليستغرق كلّ ما يجب

(١) سورة النحل آية ٩٠ .

(٢) فى « ت » « القافية » ، وهو خطأ من الناسخ .

(٣) فى ت « وهذه » ، وهو تحريف .

أن ينهى عنه ، كما أستغرق كلّ ما يجب أن يؤمر به . والمطابقة اللفظية فى قوله تعالى : «يأمر» و «ينهى» ، والمقابلة فى قوله سبحانه «بالعدل والإحسان و إيتاء ذى القربى» ، وقابل ذلك بقوله : «الفحشاء والمنكر والبغى» ، فقابل ثلاثة بثلاثة ، والآخر مخالفة الأول. وحُسن النسق فى ترتيب عطف الجمل بعضها على بعض كما ينبغى ، حيث قدّم العدل ، وعطَفَ عليه الإحسان ، لكون الإحسان ما زاد على الواجب ، والعدل الواجب ، وعطف إيتاء ذى القربى على الإحسان لكون الاحسان أسما عامّا ، و إيتاء ذى القربى خاصّ ، فكأنه نوع من ذلك الجنس ، ثم أتى بجملة الأمر مقدّمة ، وعطفَ عليها جملةَ النَّهى ، ثم رتّب جمل المأمورات والمنهيّات بحيث لم يتقدّم ما يجب تأخيره ، ولا يتأخر ما يجب تقديمه ، فأتى حسن الترتيب مقترنا بحسن النَّسَق . وأمّا التسهيم فلأنّ صدر الكلام يدّل على عجُزه ، كدلالة صدر البيت المسهّم على عَجُزه . وأمّا حُسنُ البيان فلأنّ لفظ الآية لا يتوقّف فى فهم معناه مَن سَمِعه ، إذْ سلم من التعقيد فى لفظه[1] فقد دلّ على معناه دلالةً واضحةً بأقرب الطُّرق وأسهلِها ، وأستوى فى فهمه الذكىّ والبليد ، والقريب من الصناعة والبعيد . وأما الأئتلاف فلأنّ كلّ لفظة لا يصلح مكانَها غيرُها ، وأما المساواة فلأن ألفاظ الكلام قوالب لمعانيه لا تفضل عنها ، ولا تقصر دونها . وأما تمكين الفاصلة فلأن مقطع الآية مستقرّ فى قراره ، معناه متعلّق بما قبله إلى أول الكلام ، لأنه لا تحسن الموعظة إلا بعد التكليف ببيان الأمر والنهى ، فإن الوعد والوعيد إيجازهما مرتّب على امتثال الأمر والنهى

(١) كذا فى الأصل ؛ وفى ا ، ب «نظمة» وفى د ، س ، ت «إذ سلم من التعقيد لفظه» .



ومخالفتهما ، والتذكرة بعد الموعظة . أما الإيجاز فهو دلالة الألفاظ القليلة على المعانى الكثيرة بألفاظ الحقيقة الصريحة لا بلفظ الإشارة ، ولا الإرداف ، ولا التمثيل ، ولا ضرب من ضروب الحذف والتغيير.

ومن إيجاز الحذف ضرب تُحذَف منه المفعولات ، وذلك حين يكون غرض المتكلم بيان حال الفاعل فقط ، فحينئذ لا يعدّى الفعل فإنّ تعديته ٥ تُنقص الغرض ، ألا ترى أنك لو قلت : فلان يُعطِى الدّنانيرَ لما كنت إلاّ مبيناً جنسَ ما يعطيه لا مخبرا بأنّه معطٍ فى نفسه ؛ وقد يحذف المفعول لأمر آخر غير هذا كما جاء فى شعر طفيل الغَنَوى [1] فى بنى جعفر بن كلاب [٩٢] حيث قال (الطويل) :

جزَى الله عنّا جعْفرا حين أزلقتْ ... بنا نعلُنا فى الواطئين فزلّتِ ١٠

أبَوْا أن يَمَلّونا ولو أنّ أمّنا ... تُلاقِى الّذى لاقوه [2] منّا لملّتِ

همُ خلطونا بالنّفوس وألجأُوا ... إلى حُجُراتٍ أدفأَتْ وأظلّتِ

فقد حذف المفعول المعيّن فى أربعة مواضع من هذا الشعر من قوله : لملت وألجأوا ، وأدفأت ، وأظلّت . فإن الأصل لملّتنا . وألجأونا ، وأدفأتنا ، وأظلّتنا إلا أنه جعل نفسه كالمتناسى حتى لم يقصد إلى مفعول ألبتّة ، وكأن الفعل قد أبهم أمره ، ١٥ فلم يقصد به قصد شىء يقع عليه كما يكون إذا قلت : قد ملّ فلان ، تريد أن تقول : دخله المَلال من غير أن تخصّ شيئا بل لا تزيد على أن تجعل المَلال من صفته .

---

(١) ديوانه : ٨٥ طبع أوربا ، ونهاية الأرب ٧ : ٧٦ ، وحسن التوسل : ٣٦ ، ودلائل الإعجاز ١١٥ .

(٢) كذا فى الأصل ، د ت ، س وعبارة ا ، ب « يلقون » .



واعلم أن لك فى قوله « مللت » فائدة ، وهى أنّ من حكم « مللت » أن تكون كلّ أُمّ بهذه الصفة تملّ وتسأم فيكون نحوى قوله :

* ولو أن أمّنا تلاقى الّذى لاقوه مللت *

أن الذى لاقوه منا (فيه[1]) من المشقّة العظيمة ما تملّ معه الأمّهات على ماجُبِلْن عليه من الصبر على المكاره فى مصالح الأولاد ، ففى قوله « أمّنا » دليل على أن كلّ الأمهات مع أولادهن كذلك ، ولو قال لملّتنا لفسد العموم الذى به تحصل المبالغة ، لأنه إذا قال : لملّتنا بعد قوله أمّنا تناول الخصوص دون العموم، فيخلو الكلام من المبالغة المطلوبة ، ولما قال : « مللت » أفاد العموم الّذى تحصل به المبالغة ، إذ تلك المشقّة الّتى لاقاها هؤلاء القوم منّا مما يمل معها كلّ ولد ، وكذلك قوله : والجأوا، وأدفأت، وأظلت ، كل ذلك يفيد العموم ، ولوقال : الجأونا ، وأدفأتنا ، وأظلّتنا لم يُفِد إلا الخصوص ، فتسقط المبالغة .

والضابط أن العناية متى كانت متوفّرة على مجرّد إثبات الفعل ، لا على أن يُعلم المفعول ، فالأولى حذف المفعول ، وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾[2] معناه أغنامهم ومواشيهم ، ﴿ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾[2] معناه غنمهما ، (قَالَتَا لَا نَسْقِي[2]) يعنى غنمنا (فَسَقَى لَهُمَا) يعنى غنمهما ، والسبب ما قلناه: من أن المقصود أنه كان فى تلك الحالة من الناس سَقْى ومن المرأتين ذَوْد ، وقولهما (لا نسقى) أى لا يكون منّا سقى حتى يُصدر الرِّعاء ، وأنه كان من موسى — عليه السلام — بعد ذلك سقى ، فأما ما كان

(١) تكملة عن ا و ب وبها يستقيم المعنى ويتضح الغرض .

(٢) سورة القصص آيتا ٢٣ و ٢٤ .

[٩٣] المسقىَّ أغناما أم إبلا فخارج عن الغرض ، وموهم خلافه ، لأنه لو قيل ﴿ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ غنمهما جاز أن يكون لم يُنكر مطلقَ الذَّوْد ، وإنما أنكر ذودَ الغنم حتى لو كان مكانَ الغنم إبل لم ينكر ، كما أنك إذا قلت . مالك تمنع أخاكَ ؟ كنت منكرا المنع المخصوص ، لا من حيث هو منع ، بل من حيث هو منعُ الأخ . ٥

الغرض الثانى فى حذف المفعول المعينّ أنْ يكون المقصود ذكره ، لكنك تحذفه لتُوهِم أنك لم تقصد ذكره ، كقول البحترى[١] (الخفيف):

شَجْوُ حُسادِهِ وغَيظُ عِداهُ   أنْ يَرى مُبْصِرٌ ويسمعَ واعِ

المعنى لا محالة أن يرى مبصر محاسنَه ، ويسمعَ واعٍ أخبارَه ، ولكنه تغافلَ عن ذلك لأنه أراد أنْ يقول : إن فضائلِه يكفى منها أنْ يقعَ عليها بصرٌ ١٠ أو يعيَها سمع ، حتى يعلم أنه المنفرد بالفضائل ، وأنه الشخص الذى ليس لأحد أنْ ينازعه فيها ، فليس لهم أشجَى مِن عِلمهم بأنَّ ها هنا مبصرا وسامعا .

الغرض الثالث أن يحذف المفعول لكونه معلوما بيِّنا مثل قولهم : أصغيت إليه ، وهم يريدون أذنى . وأغضيت عليه ، وهم يقصدون جفنى ، وقد يضمر المضمر بشريطة التفسير كقولهم : أكرمنى وأكرمنى عبد الله بالرفع والنصب ١٥ معاً ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ[٢] ﴾ ومفعول

---

(١) ديوانه ص ٨٤ طبع الجوائب سنة ١٣٠٠ هـ ، ونهاية الأرب ج ٧ : ٧٧ طبع دار الكتب ، وحسن التوسل ص ٢٦ .

(٢) سورة النحل آية ٩ .



المشيئة من حقه إذا كان أمرا عظيما أو غريبا أن يذكر ولا يضمر فى الكلام الأفصح ، و إن لم يكن عظيما ولا غريبا فالحذف أولى ، مثال الأوّل قول الشاعر[١] (الطويل) :

ولو شئتُ أنْ أبكي دماً لبكَيتُه عليه ولكن ساحةُ الصَّبرِ أوسعُ

لمَّا كانت مشيئة الإنسان أن يَبكيَ دما أمرا عظيما ، كان الأَولى التصريح به ، ومثال الثانى قولك : لو شئت خرجت ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هَذَا ﴾[٢] وقد تترك الكناية إلى التصريح لما فيه من زيادة الفخامة ، ومن النادر فى ذلك قول البحترى[٣] :

قد طلبْنا فلم نَجِدْ لك فى السُّؤْ دَدِ والمَجْدِ والمكَارِمِ مِثْلاَ

والمعنى : قد طلبنا مِثلا فلم نجِدْه ، وحُذِف لأنّ هذا المدح إنما يتمّ فى المثل، وأما الطلب فكالشيء الذى يُذكَر ليُبنَى عليه الغرض المطلوب، وإذا كان كذلك، قال : قد طلبنا مثلا (فى السؤدد والمجد) فلم نجده[٤] لم يُوقِعْ نفيَ الوجود على المثل وأوقعه على ضميره ، ومعلوم أن الكناية لاتبلغ مبلغ التصريح ، وعليه جاء قوله

(١) البيت للخريمى ، وهو إسحاق بن حسان، ويكنى أبا يعقوب، وكان من العجم ، وهذا البيت من قصيدة له يرثى بها أبا الهيذام وهو عامر بن عمارة الخريمى . انظر نهاية الأرب ج ٧ ص ١٠٩ طبع دار الكتب المصرية وفيه « الخزيمى » بالمعجمة، وهو خطأ . وهو فى حسن التوسل : ٣٧ غير منسوب .

(٢) سورة الأنفال آية ٣١ .

(٣) ديوانه ١ : ١٠٠ ، وحسن التوسل : ٣٧ .

(٤) بعد هذه الكلمة فى ت عبارة هذا نصها : « لكان قد ترك أن » وهى رواية صحيحة أيضاً .

تعالى : ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ[١] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ[٢] ﴾ فإنه لو ترك الإظهار إلى الإضمار فقيل وبالحق [٩٤] أنزلناه وبه نزل ، وقل هو الله أحد وهو الصمد ، لم يكن فيه من الفخامة ما فيه الآن .

قال الشيخ الإمام القاضى عبد القاهر الجرجانى رحمه الله فى (دلائل ٥ الإعجاز[٣]) : من الإيجاز حذف المبتدأ ، وأنشد عليه أبياتا كثيرة ، وحكم بحسن ذلك الحذف ، ولم يذكر السبب ، وقال فخر الدين بن الخطيب[٤] : ويشبه أن يكون السبب هو أنه بلغ فى استحقاق الوصف ما جعل وصفا له إلى حيث يعلم بالضرورة أن ذلك الوصف لا يليق إلا به ، ولا يكون إلا له إذ ليس فى الوجود من هو كذلك سواه ، سواء كان فى نفسه كذلك، أو بحسب ١٠ دعوى الشاعر على طريق المبالغة ، وإذا كان كذلك كان ذكره يبطل هذه المبالغة ، فلهذا قال الامام عبد القاهر : ما من اسم حذف فى الحالة التى ينبغى أن يحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره ، وفى هذا الذى ذكره الامام عبد القاهر نظر ، وذلك أن الذى ذكره لا يأتى فى كل مبتدأ ، وإنما يحسن فى مبتدأ خبره وصف يقتضى المدح أو القدح وتقبل المبالغة فيه ، وتكون تلك المبالغة تفيد الموصوف معنى ، وفى المبتدآت ما هو بخلاف ١٥ ذلك فإن قولنا : « زيد قائم » لا نجد فى وصف زيد بالقيام خصوصية يمتاز بها زيد

---

(١) سورة الإسراء آية ١٠٥ .

(٢) سورة الإخلاص : ١ و ٢ .

(٣) ص ١١٢ — ١١٧ طبع المنار .

(٤) نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز ص ١٤٣ طبع الآداب ١٣١٧ هـ .

عن غيره : فإنّ القيام يوصف به كلُّ أحد إذا أريد به ضدّ القعود ، ولا يقبل المبالغة ، وليس هو من صفات المدح ، ولا من صفات الذّمّ ، ولا هو ممّا يبلغ به الموصوف إلى أنه استحق الوصف به دون غيره ، وهذا كما تراه ، فإن كان القاضي رحمه الله أراد مبتدأ مخصوصا فيحتمل ، وإن كان أطلق فالأمر مشكل ، والسبب فيما ذكر من حسن حذفه غير معلوم، والله أعلم .

وظاهر قول القاضي رحمه الله أنه أراد مبتدأ مخصوصا ، ولم يطلق لأنه قال : حذف فى الحالة التي ينبغى أن يُحذف فيها ، فقد خصّص ولم يعمّ ، وعلى هذا لا يُشكل الأمر فيه .

ومن باب حذف المبتدأ لغير هذه العلّة قوله عزّ وجل : ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا[1] ﴾ أى هذه سورة ، وقوله تعالى : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ[2] ﴾ وهذا عكس الأوّل ، فإنه حذف الخبر فإن التقدير طاعة وقول معروف أمثل ، ويمكن أن تجعل هذا الحذف من باب حذف المبتدأ ، فيكون التقدير : أمثل قولنا طاعةٌ وقول معروف ، أو غير ذلك من التقديرات المناسبة والله أعلم . والمشكل العظيم فى هذا الباب قراءة من قرأ : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ بْنُ اللهِ[3]﴾ باسقاط[4] التنوين صورة ومعنًى.

وقد يُضمِرون المبتدأ إشارةً ، كما قيل فى هذه الآية ، فإنه قد قيل فيها : المعنى هو عزير بن الله، وتارة يضمرون الخبر كما قيل فيها أيضا . [٦٥]

---

(١) سورة النور آية : ١ .

(٢) سورة القتال آية ٢١ .

(٣) سورة التوبة آية ٣٠ .

(٤) هى قراءة ابن كثير، ونافع، وأبى عمرو (القرطبى ٨ : ١١٦) .

وقالت اليهود عزير بن الله معبودنا ، وهذا التأويل الأخير خطأ ، فإنك قد علمت أنك إذا أخبرت عن مبتدأ موصوف بخبر فالتكذيب إنما ينصرف الى الخبر ؛ وتبقى الصفة على أصل الثبوت ؛ وتصحيح هذه القراءة أن يقال : إن اليهود قد بلغوا فى رسوخ اعتقادهم فى هذا الشرك أنهم كانوا يذكرون هذا الذكر، كما إذا حاولت أن تصف قوما بالغلو فى حق صاحبهم فإنك تقول: إنى أراهم قد اعتقدوا فيه أمرا عظيما ثابتا، يقولون : زيد الأمير ، وهذا التأويل إنما يستقيم إذا لم يفد خبرا معينا ولكن تريد أنهم كانوا لا يخبرون عنه بخبر إلا كان ذكرهم أن هكذا هو .

ومن المشكلات أيضا قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ[١] ﴾ ذهبوا فى رفع ثلاثة إلى أنها خبر مبتدأ محذوف والمعنى ولا تقولوا : آلهتنا ثلاثة ، وهو أيضا باطل ، لانصراف التكذيب إلى الخبر فقط كما بيناه ، وإذا قلنا : ولا (تقولوا[٢]) آلهتنا ثلاثة كنا قد نفينا الثلاثة ولم ننف الآلهة جل الله عن ذلك . والوجه أن يقال : الثلاثة صفة المبتدأ الأخير والتقدير ولا تقولوا لنا آلهة ثلاثة «ثم حذفت الخبر الذى هو «لنا» خذفك (لنا[٣]) فى قولك لا إله إلا الله ، فبقى ولا تقولوا آلهة «ثلاثة»[٤] ولا إلهان فصح الفرق .

واعلم أن القدح فى هذا التأويل إنما يصح بناء على القول بدليل الخطاب.

---

(١) سورة النساء آية ١٧١ .

(٢) ساقطة من الأصل وهى تكملة عن ت .

(٣) ما بين القوسين ساقط من الأصل ت ، وهى عن باقى النسخ

(٤) كذا فى الأصل ، ا ، ب ، وهى ساقطة من د ، ت س.

وحد الإيجاز أن يقال : هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف من غير إخلال ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ[١] ﴾ وكان الناس يضربون المثل بقولهم : « القتل أنفى للقتل » استحسانا له ؛ فلما جاءت الآية تركوا ذلك ، قال الإمام فخر الدين رحمه الله[٢] ، ووجه الترجيح بين الكلامين من سبعة أوجه .

الأول أن قولهم : « القتل أنفى للقتل » متناقض ، لأنه جعل حقيقة الشيء منافية لنفس ذلك الشيء ، فإن قيل : المراد أن كل واحد من أفراد هذا النوع ينفى غيره ، فهو أيضاً ليس بأنفى للقتل قصاصا ، بل هو أدعى له ، وإنما يصح إذا خصص : فقال القتل قصاصا أنفى للقتل[٣] (ظلما[٤]) وهو بذلك يصير كلاما طويلا مع أن هذه التقييدات جميعها حاصلة فى الآية (مع إيجاز أوجز من التركيب المفيد عندهم) .[٥]

الوجه الثانى وهو أن القتل قصاصا لا ينفى القتل ظلما من حيث إنه قتل ، بل من حيث إنه قصاص ، وهذه الجهة[٦] غير معتبرة فى كلامهم (بخلافها فى الآية[٧]) .

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٩ .

(٢) ملخصا من نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز ص ١٤٥ .

(٣) هذه التكملة من ت ، ا .

(٤) الزيادة عن ت ونهاية الإيجاز ، وبها يتضح المعنى .

(٥) تكملة ساقطة من الأصول ونهاية الإيجاز . وقد أثبتناها عن ت إذ بها يستقيم الكلام .

(٦) فى نهاية الإيجاز و ا ، ب « الجملة » وهو تصحيف لا يستقيم معه المعنى وما أثبتناه عن جميع الأصول

(٧) تكملة عن ت . وهى ساقطة من جميع النسخ ونهاية الإيجاز .

الوجه الثالث وهو أن حصول الحياة هو المقصود الأصلى ونفى القتل إنما يراد لحصول الحيـاة ، والتنصيص على الغرض الأصلى أولى من التنصيص على غيره . [٩٦]

الوجه الرابع هو أن التكرير عيب ، وهو موجود فى كلامهم دون الآية .

الوجه الخامس أن حروف « القصاص حياة » عشرة ، وحروف كلامهم أربعة عشر حرفا .

الوجه السادس وهو أنه ليس فى قولهم : «القتل أنفى للقتل» ، كلمة يجتمع فيها حرفان متلاصقان متحركان إلا فى موضع واحد بل كلها أسباب خفيفة أكثرها[1] متوالية ، وذلك[2] ينقص من سلاسة الكلمة وجريانها على اللسان بخلاف قوله تعالى : ﴿ ولكم فى القصاص حياة[3] ﴾ وهذا الوجه أيضا جيّد ، وسبب عدم السلاسة من الكلام إذا وقع كذلك بكونه فى وضع النظم غير متعادل التركيب ، لأن الوتد المجموع الذى فى كلامهم جاء بعد سببين خفيفين ، وجاء بعده ثلاثة أسباب خفيفة آخرها مسبّغ[4] لشرطهم فى الوقوف على الساكن

وهذا النظم غير متعادل القسمة ، وإذا كان نظم الكلام كذلك كان غير سلس عند النطق به[5] بالنسبة إلى ماهو غير كذلك ، والذى يجب أن يرجح به نظم

---

(١) ساقطة من ا ، ب

(٢) فى ا ، ب «ومن المعلوم أن ذلك مما ينقص الخ» وبها يتضح المعنى أيضا .

(٣) من هنا إلى الوجه السابع ساقط من ا .

(٤) مسبغ من التسبيغ وهو عند أهل العروض زيادة حرف ساكن على آخر فاعلان من الواقع فى ضرب مجزوء الرمل فيصير فاعلانان كقول الشاعر .

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون

(محيط المحيط مادة سبغ) .

(٥) ساقطة من ت .



القرآن على نظمهم ماجاء فى تلك اللفظتين من البديع الّذى لم يأت فى نظمهم على طوله بالنسبة ، فإنهما جاء فيهما المجاز، والإدماج ، والإيضاح، وحسن البيان والإرداف ، والطباق،وأما الإرداف فإن الأصل أن يقال : موت القصاص حياة ، فتجوزت الحقيقة بحذف المضاف ، فجاء الإرداف مدمجا فى المجاز لأنه عبرّ عن المعنى بغير لفظه الموضوع له ، وأما الطباق فى اللفظتين ، فإن الحقيقة فيهما الموت المخصوص حياة مخصوصة ، وهذا طباق معنوى ، فهذه ستّة أضرب من البديع فى لفظتين عدّة حروفها عشرة ، والايضاح فيهما فهو إيضاح ما على نظم العرب .

الوجه السابع وهو أن الدافع لضرر[1] القتل عن الإنسان كراهيته لذلك ، وصارفه القوى عنه ، حتى إنه ربما يعلم أنه لوقتلَ قتلِ ، ثم لا يرتدع إما طمعا فى الثواب أو رغبة فى الذكر الجميل ، وإذا كان كذلك(فليس القتل بأنفى للقتل ، بل أنفى الأسباب له[2]) هو الصارف القوىّ،وقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ هو الصارف ، ولذلك لم يجعل القصاص مقتضيا للحياة على الإطلاق ، بل جعل الحياة منكرة .

والسبب فيه أن شرعية القصاص تكون رادعة للاقدام على القتل غالبا لا دائما .

وأعلم أن فى هذا التنكير فائدة أخرى لطيفة ، وهى أن الإنسان إذا علم أنه إذا قتلَ قتِل ارتدع بذلك عن القتل ، فسلم صاحبه ، فصارت حياة هذا الموهوم قتله فى المستقبل مستفادة بالقصاص ، وصار

---

(١) كذا فى الأصل ، د ، س ، ب والذى فى نهاية الايجاز (لصدور »

(٢) كذا وردت هذه العبارة التى بين قوسين فى الأصل وعبارة د ، ا ، ب فليس القتل بأنفى الأسباب للقتل . بل أنفى الأسباب له الخ وعبارة « ت » ونهاية الإيجاز فليس أنفى الأشياء للقتل هو القتل بل الأنفى لذلك هو الصارف » والعبارات الثلاثة بها يستقيم المعنى ويتضح الغرض مع تباين فى ألفاظها .



كأنه حتى فى باقى عمره ، ولذلك وجب التنكير وامتنع التعريف من جهة أن التعريف يقتضى أن تكون الحياة قد كانت بالقصاص من أصلها ، وليس الأمر كذلك .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ[1] ﴾ وفائدة التنكير أن الحريص لابدّ وأن يكون حيًا ، وحرصه لا يكون على الحياة الماضية والراهنة[2] فإنهما حاصلتان ، بل على الحياة المستقبلة ، ولما لم يكن الحرص متعلّقا بالحياة على الإطلاق بل بالحياة فى بعض الأحوال ، وجب التنكير .

واعلم أن فى تنكير حيـاة فائدة أخرى ، وهى أن القاتل[3] لا يرتدع بالقصاص حتى لا يكون داعيا إلى القتل ، لـكن من الجائز ألاّ يكون للإنسان عدوّ فيقصد قتله حتى ينفعه خوف القصاص ، (وحينئذ لا تكون حياة ذلك الإنسان لأجل الخوف من القصاص[4]) ، ولما دخل الخصوص فى هذه القضيّة وجب أن يقال حياة ، ولا يقال الحياة ، كما قال سبحانه : ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ[5] ﴾ ، ولم يقل فيه الشفاء للناس حين لم يكن شفاء لجميع الناس ، والله أعلم .

وفى هذه الوجوه السبعة مقال ، إذ لا يسلم منها إلا الأوّل ، وذلك أن قوله فى

---

(١) سورة البقرة آية ٩٦ .

(٢) فى ا ، ب « الذاهبة » وهو تصحيف . وما أثبتناه عن الأصل ، د ، س ، ت ، ونهاية الإيجاز .

(٣) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت والذى فى ا ، ب ونهاية الإيجاز « الرجل » وما أثبتناه أعم وأدق .

(٤) هذه التـكملة ساقطة من الأصل ، د ، ا ، ب ، س . وقد أثبتناها عنت « ونهاية الإيجاز » إذ بها يستقيم الـكلام .

(٥) سورة النحل آية ٦٩ .



الوجه الأول : إن قولهم : القتل أنفى للقتل متناقض لأنه جعل حقيقة الشيء منافية لنفس ذلك الشيء ، وهذا لا يصح إلا إذا كان القتل الأول هو[1] الثانى بعينه ، وليس الأمر كذلك لأنهم أرادوا بالقتل الأول القصاص ، وبالثانى العدوان ، فكأنهم قالوا : القتل قصاصا ينفى القتل عدوانا ، وحذفوا هذه

٥ الفَضَلات اختصارا لدلالة القرينة التى يقترن بها هذا القول عليه ، والحذف ليس بمستنكر فى اللسان ، وقد جاء فى الكلام الفصيح بل فى الأفصح كالقرآن ، وقوله لا يتمّ هذا المعنى إلا بقولهم : القتل قصاصا (أنفى للقتل عدوانا[2]) وإذا قالوا ذلك صار فى الكلام طول ، فإنّهم لا يحتاجون إلى ذكر ذلك ليطول الكلام ، بل قرينة الحال تُغنِى عنه ، والله أعلم .

١٠ والقول فى الوجه الثانى من هذا النّمط ، فإنه قال فيه : إن القتل قصاصا لا ينفى القتل ظلما من حيث إنه قَتْل ، بل من حيث إنه قصاص ، وزعم أن هذه الجهة غير معتبرة فى كلامهم ، وهى معتبرَة لدلالة الحال عليها ، واستغنائهم بالقرينة عن التصريح بذكرها.

والوجه الثالث قوله : إن حصول الحياة هو المقصود الأصلى ، ونفى القتل إنما

١٥ يراد بحصول الحياة ، والتنصيص على الغرض الأصلّى أولى من التنصيص على غيره ، وهذا كلّه بناء على جعله لفَظى القتل على ظاهرها ، ونحن نعلم أن العرب لم [٩٠] تقل ذلك وهى تريد مطلق القتل ، فإنها لعلمها بأن القرائن إذا حُقّقت بالألفاظ المحتمَلة جرّدتْها لما تدلّ عليه ، وإذا كان كذلك فقد وقع التنصيص على

---

(١) فى ت بعد هذه الكلمة كلمة « القتل » .

(٢) ما بين القوسين ساقط من ا ، ب .



الغرض الأصلى بباطن النّص لابظاهره ، وهذا أمر غير مستنكر فى اللغة .

الوجه الرابع قوله : إن التكرير عيب ، وهذا أيضا بناء على أن لفظة القتل الأول هى الثانى[1] بعينه ، وقد فرغنا من ردّ ذلك ، وبيّنا أنها ليست بعينها وأن مادلت عليه القرينة من المحذوف من الكلام المقدّر فيه أصارت كلا من اللّفظتين غير الأخرى ، فكيف ينكر ذلك؟ والأسماء المشتركة كلّها بهذه المثابة ، فإن النّية والقرينة تجعل الأشياء المتّحدة فى اللفظ أغيارا لاختلاف معانيها .

والوجه الخامس لعمرى هو جيّد لامقال فيه ، وهو قوله : إن حروف « القصاص حياة » عشرة وحروف كلامهم أربعة عشر حرفا ، وهذا أمر معتبر فى الإيجاز .

والوجه السادس وهو قوله : إنه ليس فى قولهم : « القَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ » كلمة يجتمع فيها حرفان متلاصقان متحرّكان إلا فى موضع واحد ، بل كلّها[2] إلا ذلك الموضع أسباب خفيفة أكثرها متوالية ، وذلك ينقص من سلاسة الكلمة ، بخلاف قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ ، الإشكال من جهة أنّه لايدل على المعنى المراد بظاهره ، وإنّما يدل عليه بالتأويل ، ونَظْم القرآن يدلّ على المعنى المراد بظاهره ، وحسن البيان من حيث أن السامع يفهم منه المعنى المراد من غير مراجعته بخلاف الأوّل ، والله أعلم .

ومن معجز هذا الباب قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ

(١) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت والذى فى ا ، ب « وهى الثانية بعينها » وهى أنسب بالسياق كما لايخفى .

(٢) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت وهو الصواب . والذى فى ا ، ب « بل إلا فى ذلك » ولا يخفى ما فيها من اضطراب مخل بالمعنى .



فإذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِى ولاتَحْزَنِى إنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (١)﴾، فإنه عز وجل أتى فى هذه الآية الكريمة بأمرين ونهيين وخبرين متضمنين بشارتين فى أسهل نظم، وأسلس لفظ، وأوجز عبارة، ولم يخرج الكلام عن حقيقته.

٥ واعلم أن الإيجاز على ضربين : ضرب طويل، وضرب قصير. والطويل طوله بالنسبة للقصير منه لا لغيره من الكلام، كما جاءت قصص الأنبياء – عليهم السلام – ، وأحسن ما جاء منها قصة يوسف – عليه السلام – ، فإنها جاءت على الطريقتين فى سورة واحدة، وإن كان غيرها من القصص قد جاء كذلك، لكن فى غير باب الإيجاز، لأن غيرها من القصص

١٠ لم يأت على الطريقتين فى سورة واحدة، وقصة يوسف جاءت على الطريقتين فى سورة واحدة، فأتت بعبارة بسيطة من قوله : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

[٩٩] أَحْسَنَ الْقَصَصِ (٢) ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا (٢) ﴾ وجاءت على الطريق المختصرة فى قوله تعالى على لسان يوسف – عليه السلام – : ﴿ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاىَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِى إِذْ أَخْرَجَنِى

١٥ مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِى ﴾، وأنه سبحانه اختصر جميع القصة التى سبقت فى سورة كاملة فى آية واحدة حيث ذكر الأسباب التى تسببت عنها جملة القصة، فإن قوله ﴿ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاىَ مِنْ قَبْلُ ﴾ حتى ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ مقتصرا على

(١) سورة القصص آية ٧ .

(٢) سورة يوسف آيتا ٣ و ١٠٠ .



ذكر الرؤيا التى كانت سبب حسد إخوته له ، وفعلهم به مافعلوا ، وفيه إشارة إلى القصّة من حين أخذه إخوته من أبيهم إلى قُبيل دخوله السجن ، وقوله : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ﴾، ومقتصرا على ذكر السجن الذى[1] كان السبب فى ملكه مصر ، إذ كان سببا فى تعبيره رؤيا المسجونين معه ، وكان هذا التعبير سببا فى تعبيره رؤيا الملك ، وتعبيره رؤيا الملك سببا للملك ، وملكه سببا فى اجتماعه بأخيه شقيقه[2] وبقية إخوته وأبويه ، فذكر سبحانه القصّة أولا على طريق البسط مفصلة لمن لم يشارك فى طريق علمها ، وذكره عزوجل لها أخيرا مختصرة[3] لمن شارك فى طريق علمها ، وقدم ذكرها مبسوطة على كونها مختصرة ليعلمها مفصّلة من لم يكن يعلمها ، حتى إذا جاءت مجملة علم الإشارات فيها ، وهذا أحسن ماجاء من هذا الباب ، ١٠ وجاء غيرها من القصص على الطريقتين أيضا ، لكن ما جاء منها على طريق الإيجاز لا يتضمّن الأسباب المنبِّهة على القصّة المبسوطة .

* * *

(١) فى الأصل « إلى » وهو تحريف من الناسخ ؛ وما أثبتناه عن باقى النسخ .

(٢) فى الأصل ، ت ، س « وشقيقه » والواو زيادة من الناسخ . وما أثبتناه عن ا ، ب وهو الصواب .

(٣) كذا فى ا ، ب وقد وردت هذه العبارة فى بقية النسخ مضطربة لا يستقيم بها الكلام .



باب سلامة الاختراع من الاتباع*

وهو أن يخترع الأول معنى لم يسبق إليه ولم يتبع فيه ، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ[1] ﴾ ٥

فانظر إلى غرابة هذا التمثيل الذى تضمن الإفراط فى المبالغة مع كونها جارية على الحق ، خارجةً مخرج الصدق ، وذلك حين اقتصر سبحانه على ذكر أضعف المخلوقات وأقلّها سلبا لما تسلبه ، وتعجيز كل من دونه سبحانه كائنا من كان عن خَلْق مثله مع التضافر[2] والاجتماع ثم نزل فى التمثيل عن رتبة الخلق ، إذ هما مما يعجز عن مثلهما كلُّ قادر غير الله عزّ وجل إلى استنقاذ النّزْر التفِه الّذى يسلبه [١٠٠] هذا الخلْق الضعيف على ضعفه ، ويَعْجز كلُّ قادر من المخلوقين عن استنقاذِه منه ، فتنقل فى النزول فى التمثيل على ماتقتضيه البلاغة على الترتيب فى هذا المكان لما علم سبحانه أنه لامبالغة فى تعجيزهم عن الخلْق ، والاختراع الّذى لايدّعيه ، جبّار ولا يتعاطاه من المخلوقين أحد ، وإن أوتِىَ قدرةً وأُعطى قوّة ،

---

* هذا النوع وما بعده تغلب عليهما صفة النقد أكثر من صفة البديع ، وهذه الأنواع تكلم عنها ابن منقذ فى بديعه تحت اسم السرقات المحمودة والمذمومة ونقل الجزل إلى الجزل : ص ٦٨ والرذل الى الجزل : ٩٧ وباب مساواة الآخذ من المأخوذ منه : ١٠٢ وفضل السابق على المسبوق : ١٠٧ وغير ذلك مما لو تأمله باحث لعرف صحة ماقلوا. (خزانة ابن حجة : ٤٠٤ : بلوغ الأرب ١٩٢ ،حسن التوسل : ٨٢ ،نهاية الأرب ٧ . ١٦٤ .

(١) سورة الحج آية ٧٣ .

(٢) التضافر ، من قولهم : تضافروا على الأمر ، أى تظاهروا واجتمعوا عليه .



وكان فيه من التغالى فى الكفر والجهل مايدعى معه الإلهية وينتحل الربوبيّة ، فنزل بهم إلى استنقاذ ما يسلبه هذا المخلوق الضعيفُ على ضعفه وقوّتهم ليُرِيَهم عجزهم فتستيقنهُ نفوسهم ، وإن لم تقر به ألسنتهم ، فجاء بما يقضى الظاهر أنه أيسر من الخلق وهو الحقيقة مثله فى العمر ، فإن الظفر بنفس هذا المخلوق أيسر من الظفر بما يسلبه ، فاستنقاذ ما يسلبه فى العجز عنه مثل خالقه ، ولم يسمع مثل هذا التمثيل فى بابه لأحد قبل نزول القرآن العزيز ، ولم يتناوله متناوِل كما فعل فى كثير من معانى الكتاب الكريم ، وهذا مثال يحذو عليه من تتبع ما فى الكتاب العزيز من ذلك .

* * *

باب حسن الاتباع*

وهو أن يأتى المتكلّم إلى معنى اخترعه[1] غيرُه فيحسن اتّباعه فيه بحيث يستحقّه ويحكم له به دون الأول ، وهذا الباب مما يخصّ كلام المخلوقين ، ومما أخذ بعضهم من بعض ، ولا مدخل لشئ من القرآن العزيز فيه ، فإن القرآن متبَّع لامتبع ، إلا أنى عثرتُ على موضع لطيف يسوغ دخول هذا الباب من أبواب بديعه والتخلّص إلى هذا الموضع ، مفتقراً إلى تقديم أبيات للشعراء اتبع بعضهم فيها بعضا، وذكرها خارج عن شرط هذا الكتاب إلا أن ذكرها يدعو إلى ذكر مايذكر فى هذا الباب من القرآن ، فيسهل ذلك صعوبة هذا القد ،

---

* ينظر فى النوع السابق ، بحثه فى خزانة ابن حجة : ٤٠٩ ، حسن التوسل : ٢٨٣ ، بلوغ الأرب : ٢٤٤ ، نهاية الأرب ٧ : ١٦٥ .

(١) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت . والذى فى ا ، ب « اخترعه » والرواية الأولى أجود وأخصر وإن كانتا بمعنى واحد .



ومنها اتباع أبى تمام غيره (أى عنترة[1]) فى قوله واصفا فرسه (الكامل) .

فازورَّ مِنْ وقعِ القنا بِلبانِه   وَشكا إلىَّ بِعَبْرةٍ وَتحمْحُمِ[2]

فقال : (البسيط)

٥ لو يعلمُ الرُّكنُ من قدجاء يلثِمُه   لخرَّ يلثِمُ منه مَوطِئَ القَدَمِ

وأتبع البحترى[3] أبا تمام فى ذلك فقال : (الكامل)

لو انَّ مُشتاقاً تكلَّف فوقَ ما   فى وُسْعِهِ لسعَى إليكَ المِنبَرُ

وأتبع المتنبى البحترى[4] فى ذلك فقال : (الكامل)

[١٠١] لو تَعقِلِ الشَّجرُ التى قابلتَها   مدَّتْ مُحيِّيَةً إليكَ الأغصُنَا

١٠ وكل هذا من قول الفرزدق فى زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين فى كلمته التى أولها : (البسيط)

* هذا الذى تعرف البطحاء وطأته *

يكاد يُمسكه عِرفانَ راحتِهِ   رُكنُ الحَطيم إذا ماجاء يَستلِمُ[5]

---

(١) تكملة عن ت وفيها زيادة لإيضاح والبيت فى منتهى الطلب ١ ص ١٠٦ من نسخة مخطوطة ومحفوظه بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣ ش.

(٢) شرح المعلقات للتبريزى : ١٠٥ طبع أوربا .

(٣) ديوانه ١ . ١١ .

(٤) شرح العكبرى ٢ : ٤١٢ .

(٥) الأغانى ١٩ : ٤٠ واستلم الركن : قبله . وفى أمالى المرتضى ١ : ٤٨ للفرزدق يقولها فى هشام بن عبد الملك، وزهر الآداب ١ : ٦٠، وفى ديوان الحماسة ٢ : ٢٨٤ للحزين الكنانى فى عبد الله بن مروان، أو للفرزدق فى على بن الحسين كما فى العمدة ١ : ١، أو لكثير بن كثير السهمى فى محمد بن على بن الحسن : المؤتلف : ١٦٩، وهذا مثل لاختلاف الرواة فى نسبة الشعر وقد سكت الجاحظ =



فإن هذه المعانى أتبع فيهـا المخترع الأول الإسلامى وهو فى غلبة ظنى الفرزدق قولَ الله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ[١] ﴾ ،وقوله سبحانه : ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا[٢] ﴾، وقوله تعالى : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ[٣] ﴾، وقوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ[٤] ﴾،والجامع بين هذه الآيات وبين الأبيات إسناد أفعال من يعقل إلى مالا يعقل .

* * *

باب حسن البيان*

حسن البيان إما أن يكون بالأسماء والصفات المفردة ، وإما بهما مؤتلفةً ، ودلالة الأوّل متناهية ، ودلالة الثانى غير متناهية ، فإن قائلا لو قال : قد انتهى تأليف الشعر بحيث لايمكن أن يؤتى بقصيدة إلا وقد قيلت من قبل كان قوله محالا ، إلا أن يريد الوزنَ والقافية[٥] لاغير ، وأما جملة القصيدة ومجموع صورتها فلا ، لأن دلالة التأليف غير متناهية ، كما أن الأعداد الممكنة ليست لها نهاية ، غير أن البيان فيه الأقبح والأحسن ، والوسائط بين هذين الطرفين ،

١٠

= عن النسبة فى الحيوان ٢ ص ٣٢ والبيان ١ . ٣٣٥ ، ٣ : ٢٢ وكذا ابن قتيبة فى عيون الأخبار ١ : ٢٩٤ و ٢ : ١٩٦ .

(١) سورة ق آية ٣٠ .

(٢) سورة الفرقان آية ١٢ .

(٣) سورة الملك آية ٨ .

(٤) الـكهف آية ٧٧ .

* لا يخرج هذا النوع عن الإيضاح ، وقد تكلم عنه من سبقه من العلماء

(٥) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت ، والذى فى ، ب (التقفية) وهما بمعنى واحد .

فالأقبح كبيان باقل[1] وقد سئل عن ثمن ظبي كان معه ، فأراد أن يقول : أحد عشر ، فأدركه العِيّ ففرق أصابعَ يديه وأدْلعَ لسَانَه ، فأفلت الظبي ، وهذا أقبح بيان ، مع أنه قد بالغ في الإفهام لكونه أخرج تعريف العدد من السَّمَاع إلى العيَان ، لكنه بيان ناقص لتخصيص البصر دون السمع ، وصناعة البيان يجب أن يكون المستحسن منها يخص السمع فإنها مختصَّة بالكلام ، والعبارة دون الإشارة .

ومن هاهنا يعلم أنه ليس كل إيجاز بلاغة ولا كلّ إطالة عيّا ، فإنه لا إيجاز في الافهام أوجز من بيان باقل ، فإن المخاطب فهم عنه بمجرّد نظرة واحدة ما أراد ، وهو مع ذلك مضروب به المثل في العيّ ، والأحسن أن تقول أحد عشر ، والوسائط أن تقول ، ستة وخمسة ، أو عشرة وواحد ، أو سبعة وأربعة ، والأقبح أن تقول : خمسة وخمسة وواحدا ، وماأشبه ذلك ، والوسائط تعلو وتسفل على مقدار إطالة الألفاظ وقصرها ، والقرب من البلاغة ، والبعد عنها بالنسب والإضافات ، وبيان الكتاب العزيز ، وكلّ بيان بليغ فصيح من الأحسن دون الأقبح ، ودون الوسائط البعيدة من البلاغة والقريبة . وكل طبقة من هذه الطبقات الثلاث تنقسم أيضا ثلاثة أقسام : أحسن ، وأقبح ، وأوسط بالنسبة.

وحقيقة حسن البيان إخراج المعنى في أحسن الصُّوَر الموضّحة له ، وإيصاله إلى فهم المخاطب بأقرب الطرق وأسهلها ، فإنه عين البلاغة ، وقد تأتى العبارة عنه من طريق الإيجاز ، وقد تأتى من طريق الإطناب بحسب ما تقتضيه الحال :

---

(١) رجل من إياد ، وقال أبو عبيدة : باقل : رجل من ربيعة : مجمع الأمثال : ١ : ٤٢٧ :



والإطناب بلاغة ، والإسهاب عِيٌّ على ما يحكم به لهما الاشتقاق ، ونحن قد شرطنا فى هذا الكتاب اختصار الاشتقاق وما يجرى مجراه ، وهو مستوعب فى الكتاب الأصلىّ الذى هو (تحرير التحبير)

وقد أتى بيان الكتاب العزيز من الطريقين ، ومن ذلك قوله تعالى وقد أراد أن يحذّر من الاغترار بالنِّعَم : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . ٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ[١] ﴾ وكقوله سبحانه وقد أراد أن يبين عن الوعد ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ[١] ﴾ ، الآية وكقوله عزّ وجلّ وقد أراد أن يبين عن الوعيد ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ[١] ﴾ ، وكقوله فى الاحتجاج القاطع للخصم : ﴿ وَضَرَبَ ١٠ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ[٢] ﴾ ، وكقوله تبارك وتعالى وقد أراد أن يبين عن تقريع الكفّار : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ[٣] ﴾ ، وكقوله سبحانه وقد أراد أن يبين عن التحسير : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ[٣] ﴾ ١٥ وكقوله تعالى وقد أراد أن يبين عن العدل : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ[٤] ﴾ ، وأمثال هذه المواضع كثيرة لمن يتتبعها .

والفرق بين حسن البيان ، والإيضاح من وجهين : أحدهما أنّ الإيضاح

---

(١) سورة الدخان الآيات ٢٥ — ٢٧ ، ٥١ ، ٤٠ .

(٢) سورة يس آيتا ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) سوره الزخرف آية ٥ ، ٣٩ .

(٤) سورة الأنعام اية ٢٨ .

لا يرد إلا على ما فيه إشكال من الكلام فيوضحه ولا كذلك حسن البيان، والثانى أن الإيضاح يكون بالعبارة الفاضلة والعبارة النازلة، وحسن البيان لا يكون إلا بالعبارة الفاضلة.

وحسن[1] البيان منه المتّصل ومنه المنفصل، فالمتصل منه الكلام الّذى يأتى حسن بيانه فى نفس نظمه، ويفهم من تأليفه، والمنفصل: الكلام الّذى لا يحصل الإبانة عن معناه إلا من خارج، وما تقدّم من الآيات كلّها شواهد لقسم المتّصل إلا قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾ الآية فإنه سبحانه صرّح بذكر المثل، وليس فى الكلام كلّه ولا قبله ولا بعده، ما خرج مخرج المثل، ولا ما يصلح أن يكون مثلا، وهو أنّ أمية[2] بن خلف أتى رسولَ الله — صلّى الله عليه وسلّم — بعظم نخرٍ فى يده وقال: يا محمد أنت أن تزعم ربك يحيى هذا بعد أن صار إلى هذه الحال؛ فنزلت.

* * *

(١) من هنا إلى آخر الباب ساقط من ا، ب

(٢) كذا فى جميع الأصول، وفى الكشاف للزمخشرى ٢ : ٢٢٩ ط بولاق، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٥ : ٥٨ ط دار الكتب المصرية «أبى» وفى تفسير أبى حيان ٧ : ٣٤٧ — ٣٤٨ (يقول وقائل ذلك العاصى بن وائل، أو أمية بن خلف، أو أبى بن خلف. أقوال) ثم يقول: (والقول إنه أمية) ثم يقول (ويحتمل أن كلا منهم وقع ذلك منه).



باب التوليـــد*

التوليد على ضربين : من الألفاظ ، ومن المعانى ، فالذى من الألفاظ على ضربين أيضاً : توليـد المتـكلّم من لفظه ولفظ غيره صورة من الـكلام ، وتوليد صورة من موضعين من لفظ نفسه .

والأول هو أن يزوّج لفظةً من لفظه للفظة من لفظ غيره،فيتولّد بينهما كلام مناقضٌ غرض صاحب اللّفظة الأجنبيّة ، وذلك فى الألفاظ المفردة دون الجمل المؤتلفة ، ومثاله ماحكى عن مصعب بن الزبير أنه كان قد وسم خيله بلفظة «عُدّة»،وهو يريد عدّة الحرب ، فلما قُتِل وصارت خيله عند الحجّاج ورأى ذلك الوَسْم أمر أن يوسم إلى جانب عدّة بلفظة « الفرار» فتولّد بين اللفظين غير ما أراده مصعب ، وانقلب المدحُ قَدْحا ، وقد أضربتُ عن ذكر الضّرب الثانى من توليد المعانى من الألفاظ المفردة وتوليد المعانى من القسم الثانى من الجمل المؤتلفه لأنّ ذلك كلّه لا يليق بكتابنا فإن مثل ذلك لا يأتى فى الـكتاب العزيز ، وإنما يَدْخل فى كتابنا توليد البديع من البديع ، فإنّ المتـكلّم يزوّج ضرْباً من البـديع لضرْب آخرَ فيه ، فيتولّد بينهما ضرب ثالث غيرهما ، أو توليد الفنون من

(*) بحثه ابن منقذ تحت اسم التلطيف والتوليد : ١٣٣ ، خزانة بن حجة : ٣٥، وهذا النوع بالنقد أولى وأقرب ، وقد تـكلم عنه من تقدم المؤلف مرة تحت اسم التضمين والاقتباس ومرة تحت اسم نقل الجزل إلى الجزل كما فعل ابن منقذ فى بديعه : ٩٨ . أو تحت اسم النقل كما فى ١٠٨ .

البديع ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ[1] رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾ فإن هذه اللفظات يتوجه على ظاهرها إشكال ، وهو أن يقال :

ما الحكمة فى كونه سبحانه وتعالى أمر نبيّه — صلى الله عليه وسلم — أن يسأله الحكم بالحق وهو — عز وجل — يعلم أن نبيه — صلى الله عليه وسلم — متيقّن أنه

٥ سبحانه لا يحكم إلا بالحق ، فلو أُقتصر على قوله ربّ أحكم فقط كان ذلك كافياً إذ هو تعالى لا يحكم إلا بالحق ، فلم عدل عن الأوجز الموفى بالمعنى المراد مع سلامة الظاهر من الإشكال إلى الأطول الموجب للإشكال؟ ، والجواب أن الأنبياء عليهم السلام لا يدعون على من خالفهم حتى يؤذن لهم فى ذلك ،

[١٠٤] لأنهم بُعثوا مؤلِّفين لا منفِّرين ، وهم لا يعلمون من الغيب إلا ما أعلمهم

١٠ الله به ، فإذا أعلمهم بمن لا يمكن إيمانه من قومهم ساغ لهم الدعاء على ذلك ، ألا ترى أن نوحا — عليه السلام — لم يتجاسر أن يقول: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا[2] ﴾ ، إلا بعد قوله تعالى له : ﴿ إِنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ[3] ﴾ ، ولذلك أحترس فى الدعاء بقوله : على الأرض فإن من آمن معه كان فى السفينة ، ولم يبق على الأرض إلا من

١٥ حقّ عليه العذاب ، ولمّا علم سبحانه أن هؤلاء الذين عاندوا نبيّه محمدا — صلى الله عليه وسلم — لا يُرجى فلاحُهم ، أمَرَه بالدعاء عليهم إلا أنه علّمه كيف يدعو عليهم دعاء غيرَ منفِّر لغيرهم ، فأراد سبحانه — وهو أعلم — أن يقول : قل رب أهلك

(١) كذا فى جميع الأصول . وهى قراءة ورش عن نافع على الأمر . ومعلوم أن قراءة حفص « قال » على الخبر ا هـ ملخصا من النشر فى القراءات العشر ٢ ص ٣١٢ طبع دمشق سنة ١٣٤٥ هـ .

(٢) سورة نوح آية ٢٦ .

(٣) سورة هود آية ٣٦ .



الظالمين ، فعدل عن هـذا اللفظ الخاصّ لما فيه من التنفير إلى لفظ الإرداف فقال : ﴿ قُلْ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾ فإنه سبحانه إذا حكم بالحقّ وهو العدل عاقب من يستحقّ العذاب ؛ وأمّا قول مورد الإشكال : لم عدل عن الأوجز إلى الأطول؟ولو قال : رب احكم لـكان كافياً ، وليس الأمر كما زَعَم ، لأن للحاكم المختار الّذى لا شريك له أن يحكم بالفضل فينزلَ عن حقّ نفسه ، وله ٥ أن يحكم بالعـدل فيستوفىَ حقَّه وحقّ غيره ، وطلب مطلق الحـكم لا يوفى بذلك ، فلهذا عدل عن الأوجز إلى الأطول ليوفىَ بالمعنى المراد .

فقد تنخّل عن هذا الجواب أربعة عشر ضرباً من البديع اتفقت فى هذه اللّفَظات الثلاث ، وهى الإرداف الّذى قدّمنا ذكره ، والإيضاح ، لأن إيضاح الإشكال الوارد على ظاهر الـكلام جاء مدمجا فى الإرداف ، والتتميم إذ لو وقع الاقتصار على ١٠ قوله : « رب احكم » لـكان المعنى المراد ناقصاً ، لأن مطلق الحـكم لا يوفى بالمقصود كما بيّنا . والمقارنة ، لأن الإدماج والإيضاح اقترنا فى التتميم ، والافتنان لجمع هذه اللّفَظات الثلاث بين فنّين من الفنون التى يقصدها المتـكلّمون وهما فنّا الأدب فنى تعليم الحقّ سبحانه وتعالى نبيّه — صلى الله عليه وسلم — كيف يدعو على من خالفه دعاء غير منفّر عنه ، وأما فن الهجاء فلأنّ عدل ١٥ الله سبحانه يأبىَ أن يأمر نبيّه بالدعاء إلا على من علِم تصميمه على العصيان ، وبراءته من الإيمان ، ومن كان كذلك كان مستحقّاً للذّم ، فأدمج سبحانه فى أمر الرسول — صلى الله عليه وسلم — ، بالدعاء عليهم ، هجاءهم بمقتضى ما تضمنه الـكلام من استحقاق الملام . والإيجاز فى العبارة عن المعنى المراد بأقلّ [١٠٥]



ما يمكن من الحروف ، فإنه عبّر عما أراد سبحانه من أمر رسوله بالدعاء على من كفر دعاء بلغ فيه النهاية ، مع ما فيه من تعليم الأدب ، وما تضمّنه من هجاء المدعو عليه فى ثلاث لَفَظات عدّة حروفها تسعة أحرف على اللّفظ لا الخطّ[1] ، وهذا غاية الإيجاز ، وحروف هذه اللفظات التى تركّبت منها سهلة المخارج ، تركّبت الـكَلِم منها تركيباً سليما من سوء الجوار ، لجاء النّطق بها سهلا، لتيسير[2] جرَيانِها على اللسان وسلامتها فى النطق والأُئتلاف ، لأنّ كل لفظة لا يصلح مكانَها غيرُها ، ولا يجوز تقديم المتأخّر منها ولا تأخير المتقدّم ، فإنك لو قلت: «ياألله أقض بالعدل» أو «اللهم اقض بالعدل[3] » ، أو «رب اقض بالحق» ، أو «احكم رب بالحق» ، أو «رب بالحق أحكم » ، أو « بالحق ربّ أحكم » ، أو «احكم بالحق ربّ» ، لوجدتَ نظم القرآن أصحّ وأبيَن ، وأسهل وأحسن . والتهذيب فى كون تركيب الجلة وضع على أصح ترتيب ، وأسهلِ تهذيب إذ تقدّم فيها ذكر المدعوّ وثنى بالطلب ، وثلّث بالمطلوب . وحسن البيان ، فلأن الذّهن يسابق إلى فَهْم معنى الـكلام من غير توقف بمجرد سماعه أولّ وَهْلة لعدم التعقيـد فى النظم وخلوّه من أسباب اللّبْس من التقديم والتأخير وسلوك الطريق الأبعد ، وإيقاع المشترك . والتمزيج ، فلامتزاج الفنون بمعانى البديع ، فإنّ فنى الأدب والهجاء امتزجا بمعنى الإرداف والتتميم ، ولم يظهر

---

(١) فى الأصل : « إلا » وهو تحريف من الناسخ يفسد به المعنى .

(٢) فى د ، س ، « التيسير » .

(٣) كذا فى ا ، ب وهو الصواب والذى فى الأصل ، د ، س ، «فى» وهو خطأ أيضاً .

فى اللفظ لكل معنيين سوى صورة واحدة ، فظهر فن(١) الأدب ، وأدمج فيه فن الهجاء ، وظهر الإرداف ، وأدمج فيه التتميم . والإبداع المتضمّن كلّ لفظة من الجملة الضربَ والضربين فصاعدا من البديع ، والتمثيل ، فلأن قوّة البلاغة ورونق الفصاحة أخرجت هذه اللفظات مخرج المَثَل السائر الذى يَصلُح لأن يتمثّل به فى كلّ واقعة تُشبِه واقعتَه .

والتوليد لأن الإرداف لمّا زُوج بالتتميم تولَّد بينهما الإيضاح ، وتولّد من الإيضاح ، والإرداف ، الإدماج ، ولما ظهرت فائدة الإتيان بالجارّ والمجرور ، وثبت التتميم ، وظهرت العلّة فى العدول عن لفظ الدعاء الخاصّ إلى لفظ الإرداف ، وثبت فنّ الأدب تولّد من ذلك ، ومن فنّ الأدب فنّ الهجاء ، ولمّا ثبت الأئتلاف والتهذيب وما وقع فى النظام من حسن الترتيب ، تولّد من ذلك المَثَلُ السائر ، ولذلك غلب التوليد على جميع ما فيها من الضروب ، وأثبِتت فى بابه دون أبوابها ؛ والله أعلم .

***

(١) عبارة الأصل « فظهر فى الأدب وأدمج فيه من الهجاء » وهو تحريف ، وما أثبتناه عن باقى النسخ .



باب التنكيت*

وهو أن يقصد المتكلّم إلى شيء بالذكر دون غيره مما يسدّ مسدّه ، لأجل نُكتة فى المذكور ترجّح مجيئه على سواه ، ومن ذلك فى القرآن العزيز قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّه هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى[1] ﴾ ، فإنه عزّ وجل خصّ الشّعْرَى بالذكر دون غيرها من النجوم ، وهو ربُّ كلّ شيء ، لأنّ العربَ كان قد ظهر فيهم رجلٌ يُعرَف بابن أبى كبشة عَبَدَ الشِّعْرى ودعَا خَلْقا إلى عبادتها ، فأنزل الله ـ عزّ وجلّ ـ (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى) التى ادعيت فيها الربوبيّة دون سائر النجوم ، وكقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ[2] ﴾ ، فإنه سبحانه خَصّ تفقهون دون تعلمون لما فى الفقه من الزّيادة على العِلم ، لأنّه التصرّف فى المعلوم بعد علمه واستنباط الأحكام منه ، والمراد الّذى يقتضيه معنى الكلام التفقه فى معرفة التسبيح من الحيوان البهيم والنّبات والجماد وكلّ ما يدخل تحت لفظة شيء مما لا يعقِل ولاَ ينطِق ، إذ تسبيح ذلك بمجرّد وجوده الدالّ على قدرة مُوجِده وحكمته ؛

ومن أمثلة التنكيت قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ[3] حُدُودُ اللهِ وَمَنْ

(*) بحثه فى بديع ابن منقذ « ٢٩ » ، خزانة ابن حجة ٣٧٥ .

(١) سورة النجم آية ٤٩ .

(٢) سورة الإسراء آية ٤٤ .

(٣) من هنا ساقط من ا ، ب وما أثبتناه عن باقى النسخ . وهما آيتا ١٣ ، ١٤ من سورة النساء .



يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ فالنكتة التى من أجلها جاءت الجنّات بلفظ الجمع ، والخالد فيها بلفظ الجمع ، ولفظ النار بلفظ الواحدة والخالد فيها بلفظ الواحدة أن أهل الطاعة فيها ، وَفَوْا بالطاعات ، ولذلك قال سبحانه ٥ وتعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ[1] ﴾ ، لكلّ أهل الطاعة وإن تعدّدتْ طاعاتهم ، وتفاوتت درجاتُهم ، فكلّهم خالدون ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ[2] ﴾ ، وإن تعدّدت المساكن ، فلهذا أتى لفظ مساكن أهل الطاعة مجموعاً ، وأتت هيئتهم بالخلود مجموعة أيضاً ، ولمّا كان المخلّدون فى النار فرقة واحدة كان مسكنهم واحداً ، فاقتضت البلاغة ١٠ مجىء مسكنهم بلفظ الوحْدة ، وصفة[3] خلودهم بلفظ الوحدة ، كما اقتضت صفة [١٧٠] أهل الطاعة ، لفظ الجمع ، ومساكنهم كذلك ، وإنما قلت : إنّ مسكنَ أهل الخلود فى النار واحد لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ[4] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً[4] ﴾ ، والمنافقون كفار[5] فى الحقيقة ، لأنّ ماأظهروا من الإيمان غير معتدّ ١٥

---

(١) الزخرف آية ٣٢ .

(٢) سورة الحجر آية ٤٨ .

(٣) كذا فى الأصل . والذى فى د ، س « وهيئة » وكلاهما بمعنى واحد

(٤) سورة النساء آية ١٤٥ ، ١٤٠

(٥) مكان هذه الكلمة بياض فى « ت » .

به ، لمخالفته مايبطنون ، فإنما الأعمال بالنيّات ، وقوله تعالى « فى الدَّرْكِ الأسفل » يؤذن بأن النار دَرَكات : منها ما هو أسفل ، ومنها ما هو أعلى ، ولهذا كانت أبوابُها سبعةً فآذنت بأن دركاتها سبع لكل دركة قوم على اختلاف معبوداتهم[1] ، قال الله تعالى : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ[2] ﴾ .

فان قيل : ما النكتة التى لأجلها أبواب النار سبعة ، وأبواب الجنة ثمانية ؟ فالجواب عن ذلك من خمسة أوجه :

الأول أن النار سِجْن ، والحكمة تقتضى ضيق السجن ليضيّق فيه على المسجون ، والجنة دار رحْبَة ، فتقتضى الحكمةُ سعتَها ، ولهذا قال سبحانه : ﴿ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾ ، مقتصراً على وصف العرض المستلزم ذكر الطول ، وإذا اتسعت الدار احتملتْ كثرة الأبواب ، وإذا ضاقت لا تحتمل كثرتها .

والثانى أن عدّة دركات النار — أعاذنا الله منها — جاءت وَفق عدد سكانها وعدد داخليها ، وَوفق عدد معبوداتهم[1] ؛ والأمم سبع : أمة عَبَدت اللهَ وَحدَه ، وأمة عبدت الجنّ ، وأمة عبدت الإنس ، وأمة عبدت النبات ، وأمة عبدت المعادن ، وأمة عبدت الكواكب ، وأمة عبدت النار ، وهم فى الدركات طبقات بحسب معبوداتهم ، فعبّاد الله سبحانه إنما يَدخُل منهم النارَ أصحابُ الكبائر مع التوحيد ، فهم غير مخلدين فى أعلى الدركات ، لأنها أقرب إلى الروح ، وأدنى إلى الخروج ، ثم بعضهم فوق بعض وخلاصة المؤمنين الّذين لم يذنبوا[3] الذين قيل فيهم ﴿ لاَ يَسْمَعُونَ

---

(١) كذا فى جميع النسخ . والذى فى ت «معبودهم» وكلتاهما تؤدى المعنى المراد .

(٢) سورة الحجر آية ٤٤ .

(٣) كذا فى د ، س ، ت والذى فى الأصل «يندبو» وهو تصحيف من الناسخ .



حَسِيسَهَا[١] ﴾ فرقة ثامنة ، ومؤمنو كل فرقة سبع ، لهذا كانت أبواب الجنّة ثمانية ، ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ[٢] ﴾ ، فإن لقائل أن يقول : ما النكتة[٣] الّتى رجّحت اختلاف الصيغتين ، من الفعل واسم الفاعل ، على اتفاقهما مع اتفاق زمانيهما ؟ فإن مدّة مقام الرسول — صلّى الله عليه وسلم — فى المخاطبين منقسمة على الحال والاستقبال ، وكذلك مدّة الاستغفار ، وهل يجوز مجىء كلّ واحدة [١٠٨] من الصيغتين فى مجاز الأخرى أم لا يجوز إلا ما جاء به الرسل ؟ أو هل يجوز الاقتصار على الفعل الدالّ على الزمانين دون اسم الفاعل ، (أم لا[٤]) ؟ والجواب أن معرفة النكتة الّتى رجّحت مجىء الكلام على ما جاء عليه بحيث لا يجوزُ غيره ، أنّ المخاطبين بها هم المنافقون الّذين لم يؤذن النبىّ — صلى الله عليه وسلم — فى إمهالهم مدة مقامه فيهم . لا من قَبل نزول الآية ولا مِنْ بعدِها ، والخبر الصادق يجب أن يكون طبق المخبر .

ولمّا كان الرابع الّذى أمر الخبر به نفى تعذيبهم فى الماضى[٥] والحال دون الاستقبال ، فإن الخبر الصادق قد أخبر بعذابهم فى الاستقبال حيث قال : ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ[٢] ﴾ ، اقتضت البلاغة مجىء الفعل المضارع الدالّ مع الإطلاق على الزمانيين مع القرينة على

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٢ .

(٢) سورة الأنفال آية ٣٣ ، ٣٤

(٣) كذا فى الأصل ، د ، س والذى فى ت « بالثلاثة » وهو خطأ من الناسخ مفسد للمعنى الذى نحن بصدده .

(٤) هذه التكملة التى بين قوسين ساقطة من ت ؛ وما أثبتناه عن باقى النسخ .

(٥) كذا فى الأصل ، د، س . وهو الصواب. والذى فى ب » « المعاصى » وهو تحريف.

أحدهما ، بحسب ما يدلّ عليه ، واقترن به قوله تعالى : « وأنت فيهم » فأفاد دلالته على الحال دون الاستقبال،ونفى حصول العلم بنفى تعذيبهم فيما مضى من الزمان قبل نزول الآية ، فأتى سبحانه بصيغة اسم الفاعل المضاف ليدلّ على الماضى ، فاقتضى حسن الترتيب أن يقدّم صيغة الفعل لدلالتها على الحال الّذى هو مدةُ مقام الرسول-صلّى الله عليه وسلم-، لأنّ نفى العذاب فيما هو الأهمّ[1] .

ومن أمثلة التنكيت قوله تعالى أيضاً : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ[2] ﴾ .

فإن لقائل أن يقول : لأى نكتة عدل عن لفظ الحقيقة ؟ فلم يقل : ومن يعرض عن ذكر الرحمن ، فاستعار لفظة العَشَا للضلال[3] ، فنقول : النكتة فى ذلك أن لفظ الاستعارة موفٍ بالمعنى المراد ، بخلاف لفظ الحقيقة ، فإن الإعراض إعراضان : إعراض يُرْجى بعده الإقبال ، لأن المعرض متمكّن من الإقبال ، وذلك إعراض المؤمن المعتقد أحسنَ معتقد ، فيعرض له من الملاذّ الّتى تستغرق فِكْرَه ، وتَشْغَل قلبه وعقله شغلا بتلك اللّذة أو ضدّها أو غيرها من أمور الدنيا ، فيعْرض عن الذكر فى تلك الحالة ، فمصاحبة الشيطان لذلك غير دائمة ، لأنه يمكن أن يؤوب إلى الله سبحانه و يتوب من ذلك ، فيقبل على ما كان أعرض عنه من الذكر الذى عرف قديماً طريقه ، واهتدى إلى سبيله بنور بى عليه ، أو لأجل عناية إلهيّة اقتضتها سابقة أزليّة تجذبه إليه .

---

(١) إلى هنا ساقط من ا .

(٢) سورة الزخرف آية ٣٦ .

(٣) من هنا ساقط من د ، س .



وإعراض ضلال عن طريق الرشد وسبيل الخير ، حتّى لو قدّرنا أنه أراد الإقبال على الخير لمنعته منه سابقة الضلال والشِّقوة الّتى غلبتْ عليه .

[١٠٩] والمراد بالإعراض فى الآية إعراض الضلال لا إعراض الغفلة ، فلا جرم أنّه حسن استعارة العشا للضلال فيها ، وهذا المُعرض هو الذى يقيّض لمقارنة الشيطان أين كان وحيث كان ، وبذلك يتبيّن موضع النكتة التى رجّحت العدولَ عن لفظ الحقيقة إلى لفظ الاستعارة[١] .

ومن هـــذا الباب قوله تعالى : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ[٢] ﴾ ، ثم قال سبحانه بعد ذلك : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ[٢] ﴾ الآية ، فإن لقائل أن يقـــول : ما النكتة الّتى أوجبتْ وصفَ المنافقين والمنافقات بالتلاحم الشديد دون المؤمنين والمؤمنات ، بحيث لا يجوز التبديل فى الخبرين فيجعل التلاحم بين المؤمنين ، وغيره بين المنافقين ؟ فيقال : لمـا كان المنافقون والمنافقات كلّهم يهود ، وهم من بنى إسرائيـل كان اتّصال بعضهم ببعض اتّصال نسب ، ولمّا كان المؤمنون من شعوب متفرقة ، وأمم شتّى كان اتّصالهم اتّصال سَبَب ، وهو جعل الإسلام بينهم من التحابّ فى الله والوَلاء فيه والتّناصُر فى سبيله ، ومن هٰهنا لم يجز التبديلُ بين الخبرين ، بأن يجعل اتّصال النسب للمؤمنين واتصال السبب للمنافقين .

---

(١) إلى هنا ساقط من د ، س .
(٢) سورة التوبة آية ٦٧ ، ٧١



ومن[1] التنكيت قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ[2] ﴾ يقال ما النكتة التى لأجلها عدل عن طويل إلى عريض ؟ فيقال: لأن الداعى يتوجّه إلى السماء إذ هى قبلة الدعاء ، وهو تحتها ، والذى يظلّه منها إنما هو نصف الكرة ، إذ هو تحت مكوَّرِها ، (فالذى يظله[3]) إذاً عَرْضٌ لا طُول، وإذا كان الظرف عرضاً وجب أن يوصف المظروف بالعرض دون الطول ، فيكون المراد — والله أعلم — فذو دُعاء يملأ السماء ، يعنى ما يتوجّه إليه من السماء، فإنه الذى يطلق عليه سماء ، بالنسبة إليه ، فإنّه الذى يظلّه ، وهذا إرداف ، فإن الحقيقة فذو دعاء يملأ السماء فعدل إلى لفظ الإرداف موجهاً للإيجاز[4] ، فإن لفظَهُ أوجز من لفظ الحقيقة[5] .

ومن غريب التنكيت قوله تعالى : ﴿ وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ[6] ﴾ فيقال : لأى نكتة خصص الماء بالذّكر دون سائر العناصر، وكلّ دابة بل كل نوع من المولَّدات الثلاث مخلوق من التراب ، كما هو مخلوق من الماء ، ومن الهواء ومن النار؟ والجواب مبنىّ على قاعدةٍ نأخذ فى تقريرها أولاً ، وهى أن المولَّدات الثلاث وإن كانتْ مخلوقات من العناصر الأربع ، لا بدّ أن يغلب عنصر فيها على بعض أنواعها حتى ينسبَ إليه دون بقيّتها ، وإن كان مخلوقاً من مجموعِها ، كالضِّباب، والحيّات، وكثير من الحَشَرات ، فإنّ هذا النوع

(١) من هنا ساقط من ا ، ب .
(٢) سورة فصلت آية ٥١.
(٣) هذه العبارة التى بين قوسين ساقطة من ت .
(٤) هذه الكلمة ساقطة من ت.
(٥) إلى هنا ساقط من ا ، ب .
(٦) سورة النور آية ٤٥ .



قد غلبت عليه الترابيّة حتى صارت حياتهُ في[1] التُّراب وغذاؤه منه ، وبقاؤه فيه ، ومنه ما لا يقرب المائية كالذُّباب ، ولا يمكن أن يعيش فيه جملةً ، وهذا النوع يُعرف بالحيوان التّرابيّ ، ومنها الحيوان المائيّ الذى خلق منه ، فمزاجه مزاجُه ، وطبعهُ طبعهُ ، وحياته فيه ، وبقاؤه معروف بالانغماس فيه ، بحيث لو فارقه مات ، بخلاف بقيّة الحيوانات ، ولأجل ذلك عرف به فقيل : الحيوان المائيّ ، وقد يكون بعض الحيوانات الغالب عليه الاعتدال ، فالعناصر الأربع فيه على حدّ سواء غالباً ، كالإنسان ، وبعض الحيوان ، ولا بدّ من غلبة التراب عليه ، ولذلك كان يحسن نسبته إليه ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ[2] ﴾ لأنّ ما مركزه التراب ومقرّه فيه تغلّب التراب عليه أولى فى البلاغة ، بخلاف الحيوان المائيّ فإنه لايجوز أنْ يغلّب عليه ٩٠ شيء من العناصر إلاّ الماء ، فإنه لا حياة له إلا فيه ، ولا بقاء له إلا به ، وبقيّة الحيوانات تعيش فى غيره ، ويطول بقاؤه فيه ، ولا يمكن أنْ يكون مُقامه [١١١] فى الماء ولا يعيش فيه ، ولا يبقى مع الانغماس فيه ، فلو قال سبحانه : والله خلق كلّ دابّة من تراب أو من هواء أو من نار ، لما دخل فيه الحيوان المائى ، فأوجبت البلاغةُ ترجيحَ ذكر الماء ، ونسبة جميع الدوابّ إليه ليدخل ٩٥ الحيوان المائى فى ذلك العموم ، لما تقتضيه لفظة كلّ من استغراق أجناس

(١) فى الأصل «من» وهى مفسدة المعنى ، والتصويب عن باقى النسخ .

(٢) سورة آل عمران آية ٥٩ .



ما تضاف إليه ، ولو خصّ غير هـذا العنصر بالذكر لتناقض المعنى ، لـكون كلّ يقتضى الاستغراق ، وقد أضيفت إلى لفظة دابّة ، فاقتضى ذلك استغراق كل ما دبّ ودَرَج[1] ، وإذا خرج من الدواب بعض الحيوان ناقَضَ ذلك مفهوم كلّ ، فهـذه النـكتة التى رجّحت تخصيصَ الماء بالذكر على بقيـة العناصر . والله أعلم .

فإن قيل : تخصيص الماء أيضاً بالذكر يلزم منه المحذور الّذى خفتموه ، فإنه يخرج بعض الحيوان من العموم . قلت : إنما يخرج من ذلك الضِّباب فقط ، فقطع النّظر عن الصِّنف من الحيوان لقلّته وقلة انتفاع المـكلّف المعتد عليه بهذه النّعمة من جملة النِّعَم به واجب ، ويحسن الأدب مع الخالق سبحانه وتعالى ، فإنه عزّ وجلّ وإن كان خالق كلّ شىء . لا ينسب إليه إلا أعظم المخلوقات وأشرفها من كلّ جنس ، ولذلك قال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا[2] ﴾ وقد علمنا أنه لا يقال : يا خالق الضِّباب ، ولا يا خالق الحيّات ولا الحشرات فى مَعرِض الثناء على الله سبحانه والتمدّح بذلك ، ويجوز أن ينسب إليه خلق المحقّرات فى معرض تعجيز من أدعى الإلٰهية أو ادعيت له ، لا فى معرض التمدّح بذلك كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ[3] تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ ولما أراد سبحانه التمدح قال : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ

---

(١) مادب ودرج ، يعنى الأحياء والأموات (قاموس) .

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٠ .

(٣) سورة الحج آية ٧٣ .



عَلَّمهُ الْبَيَانَ (١) ﴾، والآية التى نحن نتكلم فيها خرج الإخبار فيها مخرج التمدّح بالقدرة على خلق كلّ دابة ، فإذا فسّر هذا المجمل وجب إلغاء ما كان منه محقرا قليلا، قليل النفع ، ثم إنه سبحانه لم يُهْمل كلّ الحيوان البرّى ، بل ذكر منه ما خَلْقُه أعجب ، وما هو أقوى فى بابه ، وأشدّ تسليطاً من بقية أصناف نوعه

٥ فقال تعالى بعد قوله كل دابة مفسراً لذلك المجمل : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ (٢) ﴾ فذكر الحيّات وما شابهها (٣) فإن قيل على ظاهر هذه الآية سؤالان داخلان فى هذا الباب :

أحدهما أن يقال: لأية نكتة قدّم ما يمشى على بطنه على ما يمشى على رجلين وعلى أربع ؟

١٠ الثانى لم حصل فيها الإخلال بصحة التقسيم إذ أهمل منها قسم ، وهو [١١٢] ما يمشى على أكثر من الأربع ؟

والجواب عن الأول أن الآية سيقت للتمدّح بالخلق والقـــدرة عليه ، ولتعجب المخاطب ، فلذلك قدّم ما يمشى على بطنه ، لأن خلق ما يمشى بغير آلة أعجب من خلق ما يمشى بآلة، فاقتضت البلاغة مراعاة الترتيب فى التنقل

١٥ على طريق البلاغة من الأدنى إلى الأعلى ، فأتبع ذلك بما يمشى على رجلين ليقع وسطاً لأنه خير الحيوان ، وهو الإنسان ، ويشركه الطائر لما فى كمال خلق الإنسان من الإتقان والحكمة ، ولما فى الطائر من الخفة والطيران مع ما فيه من كثافة الأرضيّة ، وانتقل إلى أقوى الحيوان ، وهو ما يمشى على الأربع ، وأهمل القسم القليل نفعُه وقوته مما يمشى على أكثر من الأربع .

* * *

(١) سورة الرحمن آيتا ٣ و ٤ .

(٢) سورة النور ٤٥ .

(٣) كذا فى جميع الأصول . والذى فى ا ، ب وما شاكلها .

باب النوادر*

وهو الذى سماه قدامة[1] الإغراب والطُّرْفَة ، وهو على أقسام : قسم يكون الإغراب منه فى اللفظ ، وهو الإغراب فى البديع كما جاء لأبى تمّام ، فإنه وقع له من الإغراب فى التشبيه مالم يقع لغيره ، فإن عادة الفصحاء قديما وحديثا أن يشبّهوا الحسانَ من النساء بالشمس ، ويُخرِجوا ذلك فى صوَر مختلفة على مقادير قَوامٍ ، فلما أراد أبو تمام أن يفعل ذلك أتى بنوعٍ أغرب به لم يسمع لمن قبله حيث قال[2] (الطويل) :

فَرُدَّتْ علينَا الشمسُ والليلُ فَاحِمٌ ... بشمسٍ لهمْ من جانبِ الخِدْرِ تَطلُعُ
فواللهِ ما أدرى أ أحلامُ نائمٍ ... أَلَمَّت بنا أمْ كانَ فى الرَّكْبِ يوشَعُ[3]

فانظر إلى حذق الشاعر كيف جاء إلى معنى قد ابتذله الناس حتى ذهبت طلاوته ، وهو تشبيه النساء الحسان بالشمس ، فلما أراد ارتكابه تحيّل على الإتيان بزيادة يصوّر بها ما كان معروفا غريبا طريفا ، فأخرج التشبيه مخرج الحقيقة ، إذ أخبر فى بيته الأوّل أن الشمس فى الليل ردّت عليهم من وجه هذه المحبوبة ، وأتى

(*) بحثه فى نقد الشعر تحت اسم الإغراب والطرفه ٥٤ ، بديع ابن منقذ تحت عنوان النادر والبارد ٨٣ ، خزانة ابن حجة : ٢٢٣ .

(١) نقد الشعر : ٥٤ .

(٢) ديوانه : ١٨٩ طبع المعارف ؛ وقد ورد فيه بين هذين البيتين بيت هذا نصه :

نضا ضوؤها صبغ الدجنة وانطوى ... لبهجتها ثوب الظلام المجدع

(٣) كذا فى ت وفى الديوان «راغم» وهما بمعنى ؛ والذى فى باقى النسخ : «فاعم» بالعين المهملة ؛ وهو تصحيف من الناسخ . والفاحم : صفة لليل بمعنى الشديد الظلمة . (القاموس) .



فى البيت الثانى بتشكيك أخرج مخرج تجاهل العارف ، لتحقق أن ذلك النور الذى أصار الليل نهاراً حتى ظن أنه نور الشمس الحقيقية لتساوى المشبَّه بالمشبَّه به بلفظ عدل فيه عن مجاز التشبيه إلى حقيقة الخبر ، فقال (الطويل) :

فوالله ما أدرى أ أحلامُ نائمٍ ألمّت بنا أمْ كان فى الرّكب يوشَعُ (١)

فأغرب فى هذا البديع إغرابا لم يسبق إليه ولم يلحق فيه ، وإنما كان [باب] الإغراب أولى به من باب سلامة الاختراع من الاتباع ، لكون أبى تمام لم يخترع [١١٣] معنى تشبيه الحسان بالشمس ، وإنما زاد فيه زيادةً صار بها غريبا بعد أن كان معروفا .

٥

وقسم يكون الإغراب فيه فى المعنى كقول المتنبى (٢) (البسيط) :

يطمِّعُ الطيرَ فيهم طولُ أكلِهِمُ حتى تكادَ على أحيائهمْ تقَعُ

١٠

فأنه عمد إلى المعنى المعروف فى هذا الفنّ من كون الطير تقع على القتلى وتتبع الجيوش ثقة بالشبع ، فتجاوزه بزيادة المبالغة المستحسنة لاقترانها بتكاد إلى ما قال ، لحصل فى بيته من الإغراب والطرفة مالا يحصل لغيره .

وقسم لا يكون الإغراب فى معناه ولا ظاهر لفظه ، بل فى تأويله وهو الّذى إذا حمل على ظاهره كان الكلام معيباً ، وإذا تؤوّل ردّه التأويل

١٥

---

(١) يوشع : فتى موسى عليه السلام وأراد الشاعر هنا الشمس ، وهو من أسمائها

(٢) ديوانه ١ : ٤١٩ بشرح العكبرى ، وقد ورد هذا البيت فى الصناعتين طبع الحلبى غير منسوب للمتنبى وإنما نسبه محققوه كما فعل أبو هلال الى بعض المحدثين وهو موجود أيضاً فى ابن معصوم ٦٩٩ . (وروايته على هامتهم)

إلى نَمَط الكلام الفصيح ، فأماط عن ظاهره العيب ، فيكون التأويل هو الموصوف بالإغراب .

ولَم أظفر فى الكتاب العزيز بشىء من أقسام هذا الباب إلا بهذا : القسم فوجدت فيه قوله تعالى: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ[1]﴾ ، فإن على ظاهر هذه الآية مؤاخذة من حيث إن لفظة « أصبحوا » فى الظاهر حشو لا فائدة فيه ، فإن هؤلاء المُخبَر عنهم بالخسران قد أمسَوا فى مثل ما أصبحوا ، ومتى قلت : أصبح العسل حلوا « كانت لفظة » أصبح « زائدة من الحشو الذى لا فائدة فيه ، لأنه أمسى كذلك ، وقد تحيَّل الرّمانىّ لهذه اللفظة فى تأويل تحصُل به الفائدة الجليلة التى لولا مجيئها لم تحصل ، وهو أنّه قال : لما كان العليل الّذى قد بات مكابدا آلاما شديدة تعتبر حالهُ عند الصّباح ، فإذا أصبح مفيقا مستريحا من تلك الآلام رجى له الخير، وغلب على الظنّ برؤه ، و إفاقته من ذلك المرض ، و إذا أصبح كما أمسى تيقّن هلاكه بجريان العادة بهيَجَان الإعلال[2] فى الليل وسكونه فى الصباح ، وشبهت حال الأشقياء بالعليل الّذى أصبح من الألم على ما أمسى ، فهو ممّن يئس من صلاحه ، وعلى هذا تكون لفظة « فأصبحوا » قد أفادت معنًى حسنا جليلا ، وخرجت عن كونها حشوا غير مفيد ، وعندى أن ظاهر الآية لا عيب فيه يحتاج إلى تكلّف هذا التأويل الّذى يميط عنه العيب ، وأن لفظة « أصبحوا[3] » يحتاج الكلام إليها ، ومعناه مبنىّ عليها ، وذلك أنه لمّا كان

---

(١) سورة المائدة آية ٥٣ .

(٢) كذا فى الأصل ، د ، س ، ا ، ب ، والاعلال : جمع علة . والذى فى ت الأعلول ولا معنى له .

(٣) تكملة من ا ، ب إذ بدونها لا يستقيم الكلام .



مدّة الموت والمقام فى البَرْزخ كالليل ، والليل محلّ النوم لكون الموت كالنوم ، ويؤيّد ذلك قوله تعالى : ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا[1] ﴾، وكان آخر ليلة من ليالى البرزخ يتمخّض عن يوم القيامة ، والصباح أوّل كلّ يوم ، وأول يوم القيامة هو وقت الحساب ، ووزن الأعمال ونشر الصحف ، والوقت الّذى ينطق فيه الكتاب ، وهناك يتبيّن الرِّبْح من الخُسْران ، وذلك الوقت هو صباح يوم القيامة ، وباقى ذلك اليوم ظرف للثواب والعقاب فمن قبلتْ أعماله أصبح فيه رابحا ، ومن حبطت أعماله أصبح فيه خاسرا ، ولمّا أخبر سبحانه عن هؤلاء الأشقياء (بأنّهم حبطت أعمالهم[2]) علم بالقطع أنهم أصبحوا خاسرين ، فلفظة « أصبحوا » لايصلح غيرها فى موضعها ، ولايتمّ المعنى إلاّ بها ، وماشثل به من قوله : أصبح العسل حلواً ، وقد أمسى كذلك . إنما يقال هذا فى الأمور الواقعة فى دار الدنيا ، لأنّ زمانها فيه صباح ومساء ، فلما أصبح فيه على الحال التى يمسى عليها فذكر الصباح فيه والمساء حشوٌ لافائدة فيه ، وأمّا يوم القيامة الّذى لا مساء فيه فإن تمثيله بما أصبح فى الزمن الذى اصاحبه مساء تمثيل غير مطابق له .

* * *

(١) سورة الزمر آية ٤٢ .

(٢) هذه العبارة التى بين قوسين ساقطة من ت .

باب الإلجاء*

وهو أن تكون صحة الكلام المدخول ظاهرهُ موقوفة على الإتيان فيه بما يبادر الخصم إلى رده بشىء يلجئه إلى الاعتراف بصحته ، وملخص تعريفه أن يقال : لكل كلام يرد فيه على المعترض عليه جواب مدخول إذا دخله الخصم به التجأ إلى تصحيح الجواب كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ[1] ﴾ قال الله تعالى فى جواب هذا القول · ﴿ لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ ﴾ . فإن للخصم أن يقول : نحن إنما أردنا القصص والأخبار ، ونحن نعلم أن الأعجمى إذ ألقى الكلام إلى العربى لا يخرجه عن كونه تعلم معانيه من الأعجمى ، فظاهر الكلام لايصلح أن يكون ردّا على المشركين ، فيقال لهم : هب أن الأعجمى علّمه المعانى فهذه العبارة الهائلة التى قطعت أطماعكم عن الإتيان بمثلها من علّمها له ؟ فإنْ كان هو الّذى أتى بها من قبلِ نفسه كما زعمتم ، فقد أقررتم أن رجلا واحدا منكم [١١٥] أتى بهذه المقدار من الكلام الذى هو مائة سورة وأربع عشرة سورة ، وقد عجزتم بأجمعكم ، وكلّ من تدْعونه من دون الله عن الإتيان بأقصر سورة . فإن قلتم : إن الأعجمى علمه المعانى والألفاظ ، فهذا أشد عليكم لأنه إقرار بأن رجلا أعجميا قدر على مابين من الآيات المتضمّنه للأخبار والقصص

(*) هذا الباب بأ كمله ساقط من ا ، ب ، وقد تكلم عنه أسامة بن منقذ فى بديعه تحت اسم الالتجاء والمغالطة ورقة ٨٢ .

(١) سورة النحل آية ١٠٣ .



وقد عجزتم عن ثلاث آيات منهن ، يلجئهم ذلك إلى الإقرار بأنه من عند الله .

* * *

باب الالتزام*

وهو أن يلتزم (الناثر[1] فى نثره) ، والشاعر فى شعره حرفا أو حرفين فصاعدا قبل حرف الروى على قدر طاقته ، ومقدار قوة عارضته ، مشروطا بعدم الكلفة .

وقد جاء من ذلك فى الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ[2] ﴾ فجاءت الطاء قبل واو الردف لازمة ، والواو ردفا مع جواز تبديلها بالياء ، وقوله عز وجل : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ[3] ﴾ ، فالتزمت[4] النون قبل السين .

وقوله عز وجل : ﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ[5] ﴾ ، فلزمت السين . وكقوله سبحانه : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ[6] ﴾ ، فلزمت الهاء قبل الراء ، وفى هاتين الفاصلتين مع الالتزام تنكيت عجيب ، فإنه يقال : هل يجوز التبديل فى القرينتين فتأتى كل واحدة منهما مكان أختها ؟ فيقال :

(*) هذا النوع هو الأول من أنواع الأجنابى ، وهو بعينه لزوم ما لا يلزم الذى تكلم عنه ابن المعتز وغيره من علماء البديع ، ومنهم من سماه الإعنات .

(١) مابين قوسين ساقط من ا ، ب وما أثبتناه عن الأصل وباقى النسخ .

(٢) سورة الطور آيتا ١ و ٢ .

(٣) سورة التكوير آيتا ١٥ و ١٦ .

(٤) فى ا ، ب فاتت وهما بمعنى واحد .

(٥) سورة الانشقاق آيتا ١٧ و ١٨ .

(٦) سورة والضحى آيتا ٩ و ١٠ .

لايجوز ذلك ، لأن النكتة فى ترجيح مجيئهما على ماجاءتا عليه أن اليتيم مأمور بأدبه وأقل ما يؤدب به الانتهار ، فلا يجوز أن ينهى عن انتهاره ، وإنما (الذى[1]) ينهى عنه قهره وغلبته لانكساره باليتم وعدم ناصره . فمن هاهنا ترجّح مجىء كل قرينة على ماجاءت عليه ولم يجز التبديل ، كقوله تعالى :

٥ ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا[2]﴾ ، وهذه الآية كأول آية فى الباب ، فإنها لزمت فيها ألفاء قبل ياء الردف ، ولزمت الياء مع جواز تبديلها بالواو . وكقوله تعالى : ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ . وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ[3]﴾ ، وهذه كالتى قبلها للزوم الواو ردفا بعد النون . وكقوله جلت قدرته : ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ . وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ[4]﴾ ، وقد التزمت فى هاتين

١٠ الفاصلتين الصاد ، والراء ، والواو ، ردفا مع جواز التبديل . وقوله جلّ جلاله ﴿كَلَّا[5] إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ . وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ[6]﴾ ، فلزمت

[١١٦] الراء فى هذه الفواصل قبل ألف الردف ، وقوله فى الآية ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ[6]﴾ فلزمت السين قبل ألف الردف و بعد لام التعريف فى الحرفين ؛ ثم قال بعد ذلك ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ[6]﴾ على لزوم السين ؛ وكقوله عز وجل :

---

(١) ساقطة من الأصل ، وهى عن باقى النسخ .

(٢) سورة الإسراء آية ١٦ .

(٣) سورة القلم آيتا ٣ و ٤ .

(٤) سورة الأعراف آيتا ٢٠١ و ٢٠٢

(٥) فى جميع الأصول حتى ، وهو خطأ من الناسخ .

(٦) سورة القيامة ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ .

﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا (١) ﴾ ، فلزمت التاء قبل النون فى أشياء كثيرة من فواصل القرآن العزيز تُعجِز الفصحاء أشدَّ تعجيز ، لمجيئها سهلةً منسجمةً كما ترى ؛ فسبحان المتكلم بهذا الكلام .

* * *

باب تشابه الأطراف*

هذا الباب أنفرد الأجدابى (٢) أبو إسحاق صاحب (كفاية المتحفّظ) فى اللّغة باستنباطه ، وسمّاه تسمية غيرَ هذه التسمية ، فإنه سماه التسبيغ ، فلما تدبّرتُ شواهده لم أجدْها تطابق تسميتَه ، لأن أصل التسبيغ فى اللّغة الطول ، ومن ذلك قولهم : دِرْع سابغة ، إذا كانت طــــويلةَ الأذيال ، والتسبيغ فى اصطلاح العروضيين عبارة عن زيادة حرف ساكن على السبب الخفيف فى آخر الجزء وهو من الأول ، وعلى هذا لا تكون تسمية أبى إسحاق لائقة بمسمى الباب. وإذا سمعت ما أنشده بالباب علمت صحّة ما قلتُ ، فإنه أنشد فى الباب

١٠

---

(١) سورة الأعراف آية ٨٨ .

(*) هو من أنواع الأجدابى وقد تكلم عليه تحت اسم التسبيغ، خزانة ابن حجة : ١٠٢ ، حسن التوسل : ٩٠ ، نهاية الأرب ٧ : ١٨١ .

(٢) كذا ورد هذا الاسم فى جميع الأصول . والمعروف أنه ابن الأجدابى ، وهو ابو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل بن أحمد بن عبد الله الطرابلسى اللغوى المغربى الإغريقى، له أدب وحفظ ولغة وتصانيف ومن مشهورها كتابه « كفاية التحفظ ونهاية المتلفظ » وهو فى اللغة وما يحتاج اليه من غريب الكلام اهـ . ملخصا من معجم المطبوعات لسركيس .



قول ليلى الأخيلية[1] في الحجّاج بن يوسف (الطويل) :

إذَا نزلَ الحجّاج أرضاً مريضةً تتبّع أقصَى دائِهـــا فشفَاهَا

شفَاهَا من الدّاء العُضَالِ الّذى بهـا غلامٌ إذَا هَزّ القناةَ سقَاهَا

سقَاهَا فروّاها بشربِ سِجَالِه[2] دِماءَ رجالٍ يحْلُبُـون صرَاهَا[3]

وقد كنت رأيت في شعر أبي نواس[4] ما يدخل في هذا الباب ، ورأيته أكثر بديعاً لكونه شعر مولد ، والأول أجزل وهو (السريع) :

خزيمةٌ خيرُ بنى خازِم وخازمٌ خيرُ بنى دارم

ودارمٌ خيرُ تميمٍ وما مثلُ تميمٍ في بنى آدم

إلا البهَا ليلُ بنى هاشم وهم سيوفُ لبَنِي هاشم

١٠ والبيتان الأوّلان أردتُ ، لأنهما من شواهد هذا الباب ، وقد تبيّن ما أراد ، وأن التسمية لا تليق بما أتى به من الشواهد ، ولم أظفر من الكتاب العزيز في هذا الباب إلا بقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ[5] ﴾ فالحظْ تشابهُ أطراف هذه الجُمَل ، لتقدُر هذا النظمَ قدرَه . [١١٧]

* * *

(١) الأغاني ١١ : ٢٤٨ طبع دار الكتب المصرية ، والأمالي ١ : ٨٦ و٨٧ طبع دار الكتب ، وسيف بني مروان للاستاذ عبد الرازق حميدة : ١٦٨ طبع دار الفكر ، ونهاية الارب ٧ : ١٨١ طبع دار الكتب ، وحسن التوسل ص ٩٠ طبع بولاق سنة ١٨٨١ هجرية .

(٢) السجال : جمع سجل بفتح فسكون ، وهو الدلو العظيمة (القاموس) .

(٣) الصرى : بقية اللبن في الضرع . وعنت بها هنا اللبن الفاسد المتغير الطعم : استعارته هنا للدماء . (نهاية الأرب ٧ : ٨١ طبع دار الكتب المصرية) :

(٤) لم نجد هذه الأبيات في الديوان ، ولا فيما راجعناه من المظان التي فيها شيء من شعره .

(٥) سورة النور آية ٣٥ .



باب التوءم*

وهذا الباب أيضاً مما استنبطه أبو إسحاق وسمّاه التشريع ، وفسره بأن قال هو أن يبنى الشاعر بيته من الشعر ، والناثر الفصل من النثر على قافيتين إذا اقتصر على الأولى كان للشعر وزناً غير وزنه إذا أتى بعد الأولى بالقافية الثانية ، ولا يختلف الوزن إلا من جهة الضروب ، وإلا فالشعر لا بد أن يكون من بحر واحد ، والقافيتان يجوز تماثلهما ويجوز اختلافهما ، وكذلك يكون الحكم فى الفصل من النثر فإنه إذا اقتصر (فيه[1]) على السّجعة الأولى كان الكلام تاماً مفيداً ، وإن ألحقت بها السجعة الثانية كان فى التمام والإفادة على حاله مع زيادة معنى ما زاد من اللفظ . وأنشد أعنى أبا إسحاق قول الشاعر[2] (الكامل) :

وإذا الرّياحُ مع العَشِىِّ تناوحَتْ ... هدج الرئال تكبهن شمالا[3]
ألفيْتَنا نَفرِى العَبيطَ لضيفِنا ... قبل القِتال ونَقْتُل الأبطالا

(*) هو من أنواع الأجدابى وسماه التشريع ، ونقله عنه بهذا الاسم ابن حجة فى خزانته ١١٩ ، ونقل فيه عن ابن أبى الإصبع وهو بعلم العروض أولى ، ومن علم البديع براء .

(١) ساقطة من الأصل . وهى عن بقية النسخ .

(٢) الأخطل ديوانه : ٤٣ .

(٣) هكذا فى جميع النسخ ورواية الديوان :

ولقد علمت إذا العشار تروحت ... هدج الرئال تكبهن شمالا
أنا نعجل بالعبيط لضيفنا ... قبل العيال ونقتل الأبطالا

وهما أيضا فى الطراز ٣ : ٧١ ، ومعاهد التنصيص ٢ : ٢٠٠ وفى أنوار الربيع وخزانة ابن حجة غير منسوبين وبروايات مختلفة . والرئال : أولاد النعام ، والهدج : عدو متقارب ، العبيط : جمع عبط وعباط وهو الذبيحة تنحر من غير علة وهى سمينة فتية .

فإن هذا الشاعر لو اقتصر على الرئبال والقتال كان البيتان من الضرب المجزوء المرفّل من الكامل ، وإذا أتم[1] البيتين صارا من الضرب المقطوع على تمام أجزائه منه ، فيقدر لكل بيت قافيتين على تساوى القافيتين فى الرِّدف وتماثلهما فى الروىّ ، وإن اختلف المجرى فيهما .

٥ وعلى هذا بنى الحريرىُّ قوله فى المقامات[2] (الكامل) :

يا خاطبَ الدّنيا الدنيّة إنّها شركُ الردى وقرارةُ الأكدارِ
دَارٌ متى ما أضحكتْ فى يَوْمِها أبكَت غداً بُعْداً لها مِن دارِ

لأن اقتصاره على قوله : شرك الردى « وأبكت غدا » يجعل الشعر من الضرب المجزوء السالم من الكامل ، وتمام البيت يجعل كلّ بيت من الضرب المضمَر المقطوع منه ، وإن اختلفت القافيتان والرَويّان والمَجرى فيهما .

وقد جاءت من هـذا الباب معظم سورة الرحمن ، كقوله تعالى فيها ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ [١١٨] وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ . فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنْتَصِرَانِ . فَبِأَيِّ ١٥ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ[3] ﴾ ، وهكذا إلى آخر السورة ، فإن الكلام لو اقتصرنا فيه على أولى الفاصلتين دون الثانية — لو كان التنزيل كذلك — لكان

---

(١) عبارة ا ، ب التام البيتان .

(٢) مقامة ٣٣ : ١٢٧ ، الإيضاح ٦ : ١١٥ وخاطب الدنيا : طالبها. وشرك الردى : الهلاك . وقرارة الأكدار : مجتمع الهموم .

(٣) سورة الرحمن الآيات من ٣٣ — ٣٦ .

الكلام تامّا مفيداً ، و بتكميل الكلام بالفاصلة الثانية يفيد معنى زائدا على معنى الكلام الّذى خرج مخرج تجاهُل العارف للاستفهام فيه عمّا هو معلوم لقصد التوبيخ بعد تعديد النعم ، والتحذير من حلول النِّقَم ، فكانت الفاصلة الأولى فى غاية التمكين ، والثانية متضمِّنةً إيغالا حَسَنًا جاء مقترنًا بتجاهُل العارف ، وقس على ذلك ما تلحظه مثله من سُوَر الكتاب العزيز . ٥
والله أعلم .

تمّت جميع أبواب المتقدّمين من الأصول والفروع ، ومن هنا أبتدئُ سياقة أبوابى الّتى استنبطتُها ، والأنواع الّتى استخرجتُها ، فأولها :

* * *

باب التخيير*

وهو أن يأتى الشاعر أو الناثر بفصل من الكلام ،أو بيتٍ من الشعر ١٠ يسُوغ أن يقفىّ بقواف شتّى ، فيتخير منها قافية مرجّحة على سائرها بالدليل ، يدلّ اختيارُه لها على حذقه ، كقول الشاعر (البسيط [1]) :

إنّ الغريبَ الطويلَ الذيْلِ ممتَهَنٌ فكيف حالُ غريبٍ ماله قُوتُ

---

* اختلط هذا النوع على ابن أبى الاصبع فظن أنه من مخترعاته ، وقسمه إلى قسمين ومثل له ببيت من الشعر ، وعلق على هذا البيت بأنه يجوز أن يقال فيه كذا وكذا وهذا الذى عده تخييرا عده غيره تمكينا وتقسيما ، وقد تكلم عن ائتلاف الفاصلة مع مايدل عليه سائر الكلام ، ومن شاء أن يعرف ذلك فلينظر التمكين فى خزانة ابن حجة : ٧٨ .

(١) البيت للحريرى وهو فى شرح المقامات : ٢٩٥



فإنه يَسوغ أن يقـــول : ماله حال ، ماله نَشَب[١]، ماله سبب ، ماله صَفَد[٢] . ماله سَبَد[٣] ، ماله أحَد ، وإذا نظرت فى قوله : « ماله قوت » وجدتها أبلغ من الجميع، وأدلّ على الفاقة ، وأمسّ بذكر الحاجة ، وأبين للضرورة، وأشجى للقلوب ، وأدعى للاستعطاف ، فلذلك رجحتْ على كلّ ماذكرناه .

٥ وفى الكتاب العزيز من هـذا النوع ما لا يلحق سَبْقاً كقوله تعـالى فى أول سورة الجاثية : ﴿ إِنَّ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ . وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ[٤] ﴾ فإن البلاغة تقتضى أن تكون فاصلة الآية الأولى

١٠ للمؤمنين دون غيرها ، لأنه سبحانه ذكر العالم بجملته حيث قال :

السموات والأرض ، ومعرفة ما فى العالم من الآيات الدالة على أن مخترعه قادر عالم حكيم مختار ، فرع على التصديق بوجود صانع على هذه الصفات ، إذ لا بد من اعتقاد وجود ذات أولا موصوفة بهذه الصفات، وإذا اقتضتْ البلاغةُ تقديم التصديق بالذات حتى يترتب عليها الصفات ، ترجّح أنْ تكون

[١١٩] ١٥ الفاصلةُ المؤمنين دون غيرها ، لا سيما والعلم بذلك ، والإيمان به متلقّى من الشّرع ، فهو موقوف على التّصديق بالرسول الذى تلقّينا منه ذلك ، فلا تكون الفاصلة إلا كما جاءت . وكذلك قوله تعـالى فى الآية الثانية : ﴿ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ فإنّ نفس الإنسان ، وتدبّر خلق الحيوان ، أقرب إلى فهمه من الأول

---

(١) النشب بالتحريك : المال الأصيل من الناطق والصامت (شرح القاموس) .

(٢) الصفد محركة : الوثاق (تاج العروس) .

(٣) السبد بالتحريك : القليل (القاموس) .

(٤) سورة الجاثية الآيات من ٣ — ٥ .

وتفكّره في ذلك مما يزيده يقيناً في معتقده الأول ، وكذلك معرفة جزئيات العالم من اختلاف الليل والنهار ، وتعاقبهما بسبب ظهور الشمس للحسّ من وراء مخروط ظل الأرض ، واستتارها عن الحس بمخروط ظل الأرض ، فإن الأول عبارة عن النهار ، والثاني عبارة عن الليل ، وإنزال الرزق من السماء ، وإحياء الأرض به بعد موتها ، وتصريف الرياح التي تلقّح السحاب فتمطر الماء به ، فينبت به النبات ، وتعيش الحيوانات ، يقتضي رجاحة العقل ورصانته ، ليُعلم أن من صنع هذه الجزئيات هو الذي صنع الكليات التي هي كرة الأفلاك وما اشتملت عليه ، لأن هذه الجزئيات من عوارض تلك الكليات ، ولا يجوز أن يكون بعضها صَنع بعضا بعد قيام البرهان على أن للعالم الكلّي صانعاً مختاراً ، وإذا كان الكلّي مركّباً من أجزاء ، فالأحكام الجارية عليه من حيث هو كلّي جارية على الأجزاء التي هو مركب منها . فلذلك اقتضت البلاغة أن تكون فاصلة الآية الثالثة « يعقلون » ، وإن احتيج إلى العقل في الجميع إلا أن ذكره هاهنا أمس بالمعنى من الأول ، إذ بعض الناس مع كونه يعتقد أنّ للعالم صانعاً ، أو يرى أن العالم بعضه يصنع بعضاً ، كما تزعم أهل الهيئة أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد فلا بد من التدبر بتدقيق الفكر وراجح العقل في هذه الأمور ، ليعلم أن من قدر على اختراع خلق الفلك التاسع أو العاشر على ما يرى بعضهم لا يعزب عن قدرته خلق الفلك الثامن ، وهكذا إلى أن يستغرق جميع العالم ، ومن العجب أن أرباب علوم الأوائل يزعمون أن فلك زحل (هو النحس الأكبر ، وفلك المشترى هو السعد الأكبر ، ويرون أنّ فَلَكَ زُحل[1]) هو الذي صنع فلك المشترى ، وما يتعقل عاقل كيف يصدر السعد عن النحس ، وهذا لعمرى من أدل الدلائل على أن صانع فلك المشترى غير ما يزعمون ؛ والله اعلم .

---

(١) مابين قوسين ساقط من ت .



ومن شواهد هذا الباب قوله تعالى : ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ[1] ﴾، فإنّ قوله سبحانه : « وإن تغفر » يوهم أن الفاصله تكون الغفور الرحيم ، لمناسبة مابين الغفران والغفور ، ويذهل هذا المتوهّم عن كونهم مستحقّين العذاب دون الغفران، فيجب أن يكون [١٢٠] العزيز الحكيم ، إذ لو جاءت الغفور الرحيم بعد ذكر الغفران لكان فى ذلك ٥ تسجيل بالغفران ، وهم لايغفر لهم ، فوجب أن تكون الفاصلة العزيز الحكيم لأنه[2] لما جاء فى تقسيم الشرط الذى جاء توطئة ، « وإن تغفر لهم » وجب أن يقول ، العزيز، لأنه لايغفر لمن يستحقّ العذاب إلا من ليس فوقه أحد يردّ عليه حكمه ، ولا يعارضه فيه ، فهو ممتنع من القهر والمعارضة ، والعزيز : ١٠ الممتنع القاهر ، ولا بد أن يوصَف بعد وصفه بالعزة بالحكمة لأنه الحكيم الذى يضع كل شىء فى موضعه ، وربما ظهر من فعله مايتوهم الضعفاء أنه جار على غير الحكمة لخفاء وجوه الحكمة ، وامتناع علم الغيب على المخلوق القاصر عن إدراك أسرار الربوبية .

ومن التخيير ضرب غير هذا ، وهو أن يؤتى بقطعة من الكلام ، أو بيت ١٥ من الشعر جملة ، وقد عطف بعضها على بعض بأداة التخيير ، كقوله تعالى : ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ[3] ﴾ ، ومن شرط هذا النوع من التخيير أن

---

(١) سورة المائدة آية ١١٨ .
(٢) فى الأصل « لالماجا » ، وهو خطأ من الناسخ .
(٣) سورة المائدة آية ٨٩ .



يتضمن صحة التقسيم ، فيستوعب كلامه أقسام المعنى الذى المتكلم آخذ فيه ، كما جاء فى هذه الآية فإنه — سبحانه وتعالى — حصر فيها أصناف الكفارة التى لا يجزئ الموسر غيرها .

ومن هـذا القسم أيضاً قوله تعالى : ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ[1] ﴾ ، فانظر إلى هذا التخيير ، وصحة التقسيم ، وحسن الترتيب فى الانتقال على طريق البلاغة من الأدنى إلى الأعلى حتى بلغ سبحانه النهاية فى أوجز إشارة ، وأعذب عبارة ، حيث قال بعد الانتقال من الحجارة : « أو حديداً » فانتقل من الحجارة إلى ماهو أصلب من الحجارة وأقوى ثم قال بعد ذلك : « أو خلقا مما يكبر فى صدوركم » غير حاصر لهم فى صنف من الأصناف .

والفرق بين التخيير « بأو » ، و بين حسن النسق من وجهين : أحدهما أن حسن النسق يكون بجميع حروف النسق ، وأغلب وقوعه بالواو للجمع ، وربما جاء بالفاء للتعقيب ، أو بثم للمهلة ، أو ببل للإضراب ، أو بلكن للاستدراك ، ووقوعه بالواو أكثر ، والتخيير لا يكون إلا بأو للتخيير خاصة[2] . والثانى أن التخيير يشترط فيه صحة التقسيم ، ولا كذلك حسن النسق .

والفرق بين تخيير مقطع الكلام ، و بين التسهيم ، أن صدر الكلام من التسهيم يدل على مازاد على المقطع إلى أن يبلغ نصف البيت أو الجملة ، وصدر الكلام من التخيير لا يدل على المقطع بشرط ألا يكون المقطع منه متعلقاً بالصدر .

(١) سورة الإسراء آيتا ٥٠ و ٥١ .

(٢) فى ت « خاص » وهو تحريف .

والفرق بين التخيير والتوشيح أن التوشيح مقطع يتقدم مقطع الكلام فيه ما يكون فى معناه، ومحله أول الصدر.

والفرق بينه و بين التصدير أن تكون لفظة المقطع فى أول الصدر، أو فى أثنائه، أو فى آخر الصدر، ولا كذلك التخيير.

* * *

باب التنظير*

وهو أن ينظر الإنسان بين كلامين إمّا متفقى المعانى، أو مختلفى المعانى ليظهر الأفضل منهما : مثال الأول قولُ يزيد بن الحَكَم الثَّقَفى من شعراء الحماسة [1] (كامل مجزوء) :

يابدر والأمثالُ يَضْ ... رِبُها لِذِى اللُّبِّ الحكيمُ
دُمْ للخليلِ بودّهِ ... ما خيرُ ودٍّ لا يدومُ
واعرف لجارك حقَّه ... والحقُّ يعرفُه الكريمُ
واعلم بأنّ الضيف يو ... ماً سوف يَحْمَدُ أو يَلُومُ

فنظر بين هذه الوصايا و بين قوله تعالى ﴿وَبِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ [2]﴾ وما جمعت هذه الآية من الوصايا

(*) هذا النوع من الأنواع التى لم تسلم للمؤلف وقد تكلم عنه ابن الأثير فى كتابه الاستدراك : ٧٥ تحت اسم المفاضلة بين الشعراء وهو أيضا بعينه نوع الموازنة الذى تكلم عنه فى الفروع وهو إلى النقد أقرب منه إلى البديع.

(١) الحماسة شرح التبريزى : ٢٢٩ طبع أوربا.

(٢) سورة النساء اية ٣٦.



وما حصـل فى نظمها من صحّة التقسيم لاستيفائها جميع أقسام من تجب الوصيّة به والاحسان إليه ، والايجاز ، والمساواة لكون لفظها طبق معناه ، والتهذيب لما وقع فيها من حسن الترتيب ، إذ بدأ سبحانه بذى القربى ، وعطف عليهم اليتامى ، لما يجب من تقديمهم على المساكين ، وعطف الجارذى القربى مقدِّما ذكره على المساكين ، وأفرده بالذكر بعد دخوله فى عموم المساكين لينبِّه على العناية به ، وعطف عليه الجارَ الجُنُب، أى الصاحب، وقدّمه على الصاحب المجاور[1] فى السَّفَر والحَضَر ، وعطف على ذلك ابن السبيل ، وختم الوصيّة بحسن المَلَكة .

ومثل ذلك أيضاً قوله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا[2] ﴾ إلى آخر الوصايا .

ومثال الثانى مااقتصّه الأعشى[3] من قصّة السموءل فى وفائه بأدراع امرئ القيس التى أودعه إيّاها عند دخوله الروم ، وقصد الحارث الأعرج الغسّانى صاحب الشأم السموءل ، ومحاصرته له فى حصنه المعروف بالأبلق الفَرْد ، وقتله لولد السموءل ، وهو مشرف ينظر ، ولم يسلِّم الأدراع ، ولم تزل عنده حتى سلّمها لورثة

(١) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت . والذى فى ا ، ب « المحاذى » والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٢) سورة الأنعام آية ١٥١ .

(٣) هو أعشى ميمون ، ديوانه ص ١٢٦ و ١٢٧ مع اختلاف فى الرواية .

أمرئ القيس فى قصيدته الرائية المشهورة ، وذلك قوله فى القصيدة يخاطب النعمان بنَ المنذر (البسيط):

[١٢٢] كنْ كالسموءلِ إذطافَ الهُمامُ به ... فى جحفلٍ كسوادِ الليل جرّارِ[1]

بالأبلق الفَرْدِ مِنْ تيْماء منزلُهُ ... حِصنٌ حَصينٌ وجارٌ غيرُ غدّارِ

إذْ سامه[2] خُطّتَىْ خسْفٍ فقال له ... مهماً تقُلْه فإنّى سامعٌ حارِ

فقال غدرٌ وثُكلٌ أنت بينهما ... فاخترْ فما فيهما حظٌّ لمختارِ

فشكَّ غيرَ طويل ثم قال له ... أُقتلْ أسيرَك إنّى مانع جارِى

إنّ له خلفاً إن كنت قاتلَه ... وإنْ قتلتَ كريما غيرَ عُوّار[3]

مالاً كثيرا وعرضا غير ذى دَنَسٍ ... وإخوةً مثله ليسوا بأشرارِ

١٠ جروا على أدبٍ منّى بلا نَزَقٍ[4] ... ولا إذا شمّرتْ حربٌ بأغمارِ[5]

وسوف يخلُفه إنْ كنت قاتلَه[6] ... ربٌّ كريمٌ وبيضٌ ذاتُ أطهارِ

لاسِرّهُنّ لدينا ضائعٌ هَدَراً ... وكاتمات إذا استُودِعْن أسرارِى

فقال تقدمـــــةً إذ قام يقتلُه ... أشرِفْ سموءلُ فانظرْ للدّمِ الجارِى

---

(١) الجحفل : الجيش الكثير (قاموس) .

(٢) سامه خطتى خسف ، أى أهانه ، من قولهم سمته ذلا : إذا أذللته وأهنته (المصباح المنير) .

(٣) العوار : الضعيف الجبان (قاموس) ، ورواية الديوان « إناله خلف » .

(٤) النزق بالتحريك : الخفة والطيش (قاموس) .

(٥) الأغمار : جمع غمر ، وهو الذى لم يجرب الأمور (قاموس) .

(٦) رواية الديوان « وسوف يعقبنيه إن ظفرت به » . وأراد بالبيض النساء .

أأقتلُ أبنكَ صَبْرا(١) أو تجيءُ بها … طوعاً فأَنكَرَ هذا أىَّ إنكارِ
فشكَّ أوداجَه(٢) والصدرُ فى مضضٍ … عليه مُنطوياً كاللذعِ بالنارِ
واختار أدراعَه كَيْلا يُسبَّ بها … ولم يكن عهدُه فيها بختَّارِ(٣)
وقال لا تشترى عارا بمكرُمةٍ … فاختارَ تكرِمةَ الدُّنيا على العارِ
والصبر منه قديماً شيمةٌ خُلُقٌ … وزندُه فى الوفاء الثاقبُ الوارِى ٥

هذه القصيدة أجمع العلماء البُصَراء بنقد الكلام على تقديمها فى هذا الباب على جميع الأشعار التى اقتصّت فيها القصص وتضمنت الأخبار ، وإذا نظرت بينها و بين قوله تعالى فى سورة يوسف : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاىَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِى إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِى إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ(٤) ﴾ ، رأيت تفاوت ما بين الكلامين ، وأدركتَ الفرق ما بين البلاغتين ، وكذلك اقتصاصه سبحانه قصّة الطُّوفان مستقصاةً بجميع ما اتفق فيها من قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِى مَاءَكِ(٥) ﴾ ١٠

* * *

(١) صبرا : حبساً .
(٢) الأوداج : جمع ودج ، وهو عرق الأخدع الذى يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة
(٣) الختار : صيغة مبالغة للخاتر ، وهو الغادر ، المبالغ فى الغدر .
(٤) سورة يوسف آية ١٠٠ .
(٥) هود : ٤٤ .

باب التدبيج*

[١٢٧] وهو أن يذكر المتكلّم ألوانا يقصد الكناية بها ، والتورية بذكرها عن أشياء ، من وصف ، أو مدح ، أو هجاء ، أو نسيب ، أو غير ذلك من الفنون ، أو لبيان فائدة الوصف بها، كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ[١]﴾ فإن المراد بذلك — والله أعلم — الكناية عن المشتبه والواضح من الطرق ، لأن الجادّة البيضاء هي الطريق المَلْحوب الّتي كثر السلوكُ عليها جدّا ، وهي أوضح الطرق وأبينُها ولهذا قيل ركب بهم المحجة البيضاء ، ودونها الحمراء ، ودون الحمراء السوداء ، كأنها في الخفاء والالتباس (ضد[٢] البيضاء) في الظهور والوضوح ، ولما كانت هذه الألوان الثلاثة في الظهور للعين طرفين وواسطة بينهما فالطرف الأعلى في الظهور البياض ، والطرف الأدنى في الخفاء السواد ، والأحمر بينهما على وضع الألوان في التركيب .

وكانت ألوان الجبال لا تخرج عن هذه الألوان الثلاثة ، والهداية بكل

(*) ذهب المؤلف إلى أنه من مخترعاته ، وأنه لم يسبق إليه ، والحقيقة أنه مسبوق اليه من علماء البديع ، فهو بعينه التورية أو الكناية أو هو بعينه ما سماه ابن سنان (المخالف) وألحقه بالطباق فالمؤلف لم يكن له من النوع الا الإسم فقط ، بحثه في خزانة ابن حجة ٤٤١ ، حسن التوسل : ٩٠ نهاية الأرب ٧ : ١٨٠ : والتدبيج مشتق من الديباج وهو ثوب سداه ولحمته ابريسم وهو معرب (ديبا) ثم كثر حتى أشتقت العرب منه فقالوا: دبج الغيث الأرض دبجا من باب ضرب ، ودبجها تدبيجا بالتضعيف إذا سقاها فأنبتت أزهارا مختلفة لأنه عندهم أسم للمنقش

(١) سورة فاطر آية ٢٧ .

(٢) العبارة التي بين قوسين ساقطة من ت .



عَلَمَ نصب للهداية منقسمة هذه القسمة ، أتت الآية الكريمة على هذا التقسيم لحصل فيها ، التدبيج ، وصحة التقسيم ، وهى مَسُوقة للاعتداد بالنِّعم على ماهدت إليه من السعى فى طلب المصالح والمنافع ، وتجنُّب المَعاطب والمهالك الدنيويّة والأخرويّة .

وألطف خَبْء وقع فى هـــذه الآية إشارته سبحانه فيها بقوله تعالى : (مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا) إلى ما فى الألوان من الوسائط بين مركَّباتها ، وهى لاتَدخُل تحت الحَصْر ، فعبَّر — سبحانه وتعالى — عنها بعبارة غير حاصرة لها ، واكتفى بذكر الاختلاف عن تعديد الألوان ، والله أعلم .

ومن التدبيج قول بعض العرب العَرْباء[1] (الطويل)

زيادُ بنُ عَيْن عينهُ تحتَ حاجِبِهْ   وبيضُ الثَّنايا تحتَ خُضْرَةِ شاربِهْ

وقد ساق بعضُ النقّاد هذا البيتَ فى شواهد العيوب ، وقال : وجه العيب فيه كون العين لاتكون إلا تحت الحاجب ، والثنايا تحت الشارب . وقال بعضهم فى الرد على هذاالعائب : إن الشاعر أراد أن هذا الممدوح خُلِقَ فى أحسن تقويم ، وولد كذلك ، ولم يولَد مشوّه الخَلْق ولا معيبَ الصُّورة ، ولم يطرأ عليه وهو جَنِين ما ينقص خلقَه أو يشوّهه .

وعندى أن مثل هذا لايعدّ عيبا ، ولا يحتاج إلى تكليف مثل هذا العذر ، لمجىء أمثاله فى الكلام الفصيح ، ويكفى ما جاء منه فى الكتاب العزيز قوله تعالى:

---

(١) البيت فى بديع أسامه : ٨٥ غيرمنسوب ورواية تختلف قليلا . وساقه شاهدا على الرذالة .

[١٢٤] ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ[١] ﴾ ، والسقف غالباً لا يكون إلا من فوق قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً[٢] ﴾ ، لا سيما فى هذا الموضع الذى رفع سبحانه وتعالى فيه الاحتمالَ الذى يتوهم من أن السقف قد يكون تحت بالنسبة ، فإن كثيرا من السقوف يكون أرضا لقوم ، وسقفا لقوم آخرين .

٥ فرفع الله تعالى هذا الاحتمال بجملتين ، وهما قوله « عليهم » وقوله « خر » لأنها لا تستعمل إلا فيما يهبط أو يَسْقُط من العلوِّ إلى السفلِ كقوله تعالى ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقاً[٣] ﴾ وقوله سبحانه ، ﴿ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ[٤] ﴾ فلم يبق لقوله : (من فوقهم) محمل إلا التهويل على سامع هذه الموعظة ليحصل الازدجار عن فعل من حلّ به ذلك ، وهو من بليغ المواعظ ، ومن ذلك حديث أبى بكر

١٠ ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطب فى حجته فقال : (إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة فيها[٥] اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات ، وهى ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب الذى بين جمادى وشعبان ، ورجب لا يكون إلا كذلك ، وإنما هو ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما علم أن العرب كانت تارةً تُحِل المحرَّم فتقاتل فيه ، وتحرِّم عوضه

١٥ صَفَر ، ولهذا نهى عنه بقوله ـ عليه السلام ـ « لا صفر » فى حديث الترمذىّ وأبى

---

(١) سورة النحل آية ٢٦ .

(٢) سورة الأنبياء آية ٣٢ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٤٣ .

(٤) سورة ص آية ٢٤ .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ا ، ب ، والحديث فى تفسير الطبرى ١٠ : ٧٧

داود ، وهذا هو النسىء الذى ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز ، وعلم — صلى الله عليه وسلم — أنهم إذا عظّموا صفر، وحرّموا فيه ما كانوا يحرمونه فى المحرّم ، لزم تبديل الشهور ، فعلى هذا يجىء تبديل شهر رجَب على هذا الحُكم من تحليلهم القتال فيه ، وتحريم مايليه عوضا عنه ، كما فعلوا ذلك فى المحرّم وصفر ، وعلم — صلى الله عليه وسلم — أن الأشهر الثلاثة السّرْد [1] لاتلتبس لتواليها ، وأن رجب هو الذى يلتبس لكونه فرداً ، عرّفه بما قبله وما بعده حتى يُعرف بعينه ولا يجعل موضع غيره ، والله أعلم .

والتأويلات أوسع وأفصح من أن يخطىء معها عربى فى لغته التى وضعها وهو أعرف بمواقعها منا ، لاسيما وقد قال امرؤ القيس ما يؤيّد ذلك (متقارب) :

لها ذَنَبٌ مِثْــلُ ذَيْلِ العرُوسِ تَسُدُّ به فَرْجَهـــا مِنْ دُبُرْ [2]

وفرج الفرس لا يكون إلاّ من دُبُر ، فإن فرجها الّذى يسدّ بذنبها هو ما بين قائمتى رجليها من عَجْب [3] الّذنَب إلى حافرى الرجلين ، وفى بعض ذلك ما يُخرِج بيتَ الشاعر عن العيب، ولا يخرجه عن التأويل .

* * *

---

(١) السرد : المتتابعة، وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم .

(٢) ديوانه ١٢ طبع المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٧ هـ من قصيدة أولها :

أحارِ بن عمرو كأنى خمر ويعدو على المرء ما يأتمر

(٣) عجب الذنب : أصله ، وهو مؤخره الذى يدق

باب التمزيج*

[١٢٥] وهو أن يمزج المتكلم معانىَ البديع بفنون الكلام ، بشرط أن يكون (ذلك[1]) فى الجملة الواحدة ، أو الجمل من النثر ، والبيت الواحد من الشعر أو البيوت ، والتمزيج يلتبس بأربعة أبواب من البديع ، وهى التكميل ، والافتنان ، والتعليق ، والإدماج .

والفرق بينهما أن التمزيج لا يكون إلا بالفنون ومعانى البديع .

والمعانى فيه ظاهرة ، وإن كان فى الكلام فنّان فلا بد أن يظهر أحدهما ويخفى الآخر بخلاف التكميل ، فإن التكميل بالفنون ومعانى النفس ، لا معانى البديع ، ولا بد أن يكون الفنّان فيه إمّا ظاهرين

١٠ معاً ، أو مخفيين[2] معاً . وهما فى التمزيج يظهر أحدهما ويخفى الآخر . والفرق بين التمزيج والافتنان : أن الافتنان مثل التكميل فى كونهما لا يكونان إلا بالفنون دون المعانى ، لأن التكميل يكون فيه الفنّان ظاهرَين أو مخفيين أبداً ، وهما فى الافتنان يجوز ظهورهما وخفاء أحدهما . والفرق بين التمزيج والتعليق : أن الفنّين فى التعليق يكونان ظاهرين معاً

١٥ وأحدُهما متعلّق بالآخر يلزم من ثبوته ، ومن عدمه بخلاف التمزيج

---

* الذى ثبت لنا بعد البحث وكثرة الاطلاع أن هذا النوع مما سلم لابن أبى الأصبع

(١) تكملة عن ا ، ب .

(٢) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت ، والذى فى ا ، ب « مختفيين »

فى الإتيان بالمعانى والفنون فيه ، ويكون أحد الفنّين ممتزجاً بالآخر متّحداً به .

والفرق بين التمزيج والإدماج : (أن الإدماج[١]) لا يكون إلا بالمعانى البديعيّة دون الفنون .

وقد جاء من هذا البـــاب فى الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿قُلْ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ[٢]﴾ ، فإنها أمتزج فيها فنّا الأدب والهجاء بمعنى الإرداف والتتميم ، وتولّد من ذلك ما تقدّم ذكرُه من الأنواع ، وهى أربعة عشر نوعاً ، وقد تقدم ذكرُها مفصّلة فى باب التوليد .

* * *

باب الاستقصاء*

وهو أن يتناول المتكلّم معنًى فيستقصيَه ، فيأتى بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصى جميع أوصافه الذّاتيّة بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده فيه مقالا يقوله ، كقول البحترىّ فى وصف الإبل التى بَراها السّير[٣] والسُّرَى وأنضاها[٤] مكابدة جذب البرى[٥] فقال فيها ما أجمع الناس على تقديمه فى بابه ، وهو قوله[٦] (الخفيف) .

---

(١) تكملة عن ا، ب،د ، س ، وهى ساقطة من الأصل ، ت .

(٢) انظر باب التوليد .

* هو من الأبواب التى سلمت للمؤلف ولم يسبقه أحد إلى هذه التسمية .

(٣) السرى : سير عامة الليل

(٤) أنضاها : أهزلها وأهلكها كثرة السير (قاموس)

(٥) البرى : جمع برة وهى الحلقة تكون فى أنف البعير (اللسان)

(٦) هذا البيت له من قصيدة يمدح فيها ابا جعفر بن محمد ، ويستوهبه غلاما وهذه القصيدة أولها

ابكاء فى الدار بعد الدار وسلوا بزينب عن نوار

ديوانه ٢ . ٣ ، المثل السائر ٢ . ٣٦

كالقِسيّ المُعطَّفاتِ بَل الأسـ ـهُـمِ مبريَّةً بَـلِ الأوتَار

فإن هذا البيت جمع التشبيه ، والتتميم فى موضعين ، وحسن النسق ، والتهذيب ، والإيغال ، وذلك أنه شبّه هذه الركائب بالقسيّ ، وهو من التشبيه البايغ الذى[1] ما وراءه مطمع ، ولم يقف عند ذلك حتى تمّم معنَى الوصف [١٢٦] ليقع التشبيه من أكثر الوجوه الّتى يقرب بها المشبه من المشبَّه به، فقال: «المعطَّفات» لما فى خَلْق الإبل من الحدب والانحناء ، فكان التشبيه بذلك أوقع ، والمعنى فى الوصف أتمّ ، ثم انتقل على مقتضى طريق البلاغة من الأدنى إلى الأعلى ، فنسبها بعد التشبيه بالقسيّ إلى الأسهم ، لأنها أنحف من القسيّ ، ثم تمّم معنى الوصف ليقع التشبيه الثانى موقع الأوّل فى القرب ، فقال : « مبريّة » ثم انتقل من الأسهم مبريّة إلى « الأوتار » الّتى هى أنحف من الأسهم ، وكلّ ذلك على الترتيب المرضى الّذى استحق الكلام بسببه وصفه بالتهذيب ، ونسق جمل البيت بعضها على بعض بلفظة « بل » الّتى هى للاضراب ليشير إلى أنه غلط أوّلا فى تشبيهها بالقسيّ ، إذ كانت أنحف منها ، فشبّهها بالأسهم ، ثُمّ تبين أنه غلط أيضاً فانتقل إلى تشبيهها بالأوتار ، ولذلك أضرب عن كلّ تشبيه كان آخذاً فيه ، وأخذ فى غيره ، وجعل الأوتار قافية لشدّة مشابهتها بتلك الركائب ، إذ كانت لم تبق إلا أعصابا جافة فكانت أشبه الأشياء بها ، وأقرب إليها من كل ما تقدم من الكلام ، ولم يخرج عن الألفاظ الملائم بعضها لبعض ، ليأتى

(١) من هنا خرم بالأصل الى آخر هذا الباب ، وسطرين من باب البسط .



الكلامُ موصوفاً بالائتلاف ، إذ الأسهم من أنسب الأشياء للقسيّ ، والأوتار أنسب وأقرب إليها ، وهذا أفضل بيت وقع فيه الاستقصاء لمولّد ؛ وما بلغ هذا المبلغ فى الجودة إلا لأنه[1] أشرقتْ عليه أنوار كلام النبوّة الّذى أخذ معناه بلفظه مصالتة[2] منه ، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لو صلّيتم لله حتى تعودوا كالقسيّ ، وصمتم حتى تعودوا كالأوتار » وقال فى الأول : كالحنايا أو كما قال عليه الصلاة والسلام .

وإذا نظرت بين بيت البحترى وبين قوله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ[3] ﴾ ، علمت مقدار ما فى نظم القرآن من البلاغة ، وتبيّنت أن الإعجاز فيه بالفصاحة ، وذلك أنه سبحانه بعد قوله « جنة » التى لو اقتصر على ذكرها لكان كافيا ، فلم يقف عند ذلك حتّى قال فى تفسيرها : « من نخيلٍ وأعناب » إذ لفظة الجنة تطلَق على أى شجر كان ساتر بظلّه ورقه الأرض ، فإذا قال « من نخيل وأعناب » كان مصاب ربّها بها أعظم ، ثم لم يقف عند ذلك حتى قال سبحانه : « تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ » متمما لوصفها بذلك ، ثم كمل وصفها بعد التتميمين بأن قال عزّ وجلّ

---

(١) كذا فى ا ، ب ، ث . وهو أنسب . والذى فى د ، س « إلا أنه » والمعنى عليها يستقيم أيضا .

(٢) مصالتة : من الصلتان محركة وهى الحدة والالتهاب .

(٣) سورة البقرة آية ٢٦٦ .



«له فيهامن كلّ الثمرات»، وذلك لمّا علم ـ الله سبحانه وهو أعلم ـ أن الاقتصار على وصفها بالنخيل والأعناب لا يكون به وصفها كاملا، فأتى بكل ما يكون فى الجنان ليشتدّ الأسف على إفسادها، ثم قال فى وصف صاحب الجنـــة ﴿ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ ﴾، ثم استقصى (المعنى[1]) فى ذلك بما يوجب تعظيم المصاب بقوله بعد وصفه بالكبر: «وله ذرّية»، ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بالضَّعف، ثم ذكر استئصال تلك الجنّة التى ليس لهذا الّذى أصابه الكبر، وليس لذريته الضعفاء غيرها بالهلاك فى أسرع وقت حيث قال: «فأصابها إعصار» ولم يقتصر على ذكر الإعصار للعلم بأنه لا تحصل به سرعة الهلاك، فقال: «فيه نار»، ثم لم يقف عند ذلك حتى أخبر سبحانه باحتراقها، لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا تفى باحتراقها، لما فيها من الأنهار، ورطوبة الأشجار، فاحترس عن هذا الاحتمال بقوله: «فاحترقت» وهذا أحسن استقصاء وقع فى كلام وأتمّه وأكمله. (وكنتُ ذكرتُ هذه الآية للفقيه تقىّ الدين محمد بن على بن وهب القشيرىّ رحمه الله تعالى، وهو من الذكاء والمعرفة على حالة لا أعرف أحدا فى زمنى عليها، وذكرتُ له عدّة وجوه المبالَغة فيها، وهى العشرة المذكورة هاهنا، ولم أذكرها له مفصّلة، وغبت عنه قليلا ثم اجتمعت به فذكرلى أنه استنبط منها أربعة وعشرين وجها من المبالغة، وسردها علىّ فسألته أن يكتبها لى، فكتبها بخطه، وسمعتُها منه بقراءته، واعترفتُ له بالفضل فى ذلك، وكنت قد استخرجت ممّا وقع لى فيها عشرةً من البديع، وسأنظر

---

(١) ساقطة من د، س.



فيما وقع له ، فإن حصل فى ضروب بديعها زيادة على تلك العشرة ذكرتها ، وكان هذا الفاضل قد سألنى عن قوله تعالى: ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾[1] إلى آخر الآية ، فاستخرجت منها عشرةَ أوجه من المبالغة لم يتّسع هذا الهامش لذكرها ، قد علّقتها فى أوراق مفردة تُوضَع فى هذا الباب إن شاء الله تعالى .

والفرق بين الاستقصاء (والتكميل[2]) والتتميم ، ورود التتميم على المعنى الناقص ليتم ، والتكميل على المعنى التامّ فتكمل أوصافه ، والاستقصاء على المعنى التامّ الكامل ، فتستقصى لوازمه وعوارضه وأوصافه وأسبابهُ ، حتّى يستوعب جميع ماتقع الخواطر عليه فيه فلا يبقى لأخذه مساغ ، ولا لاستحقاقه مَجال ؛ والله أعلم .

* * *

باب البسط*

وهو ضد الإيجاز وغير الإطناب ، وهو أن يأتىَ المتكلّم إلى المعنى الواحد الذى يمكنه الدلالة عليه باللّفظ القليل فيدلّ عليه باللفظ الكثير ، لاالقصد إفهام البليد وإسماع البعيد ، والتقرير والتوكيد ، بل الإتيان بمعانٍ من معانى

(١) سورة ابراهيم آية ١٧ .

(٢) الكلمة التى بين قوسين مكانها بياض فى نسخة (ت)

* هذا النوع اختلط على المؤلف فظن أنه سابق إليه والحقيقة أنه مسبوق إليه ، فهذا النوع بعينه الذى يعرف بالإطناب ، وتكلم عنه ابن منقذ تحت اسم التضييق والتوسيع والمساواة : ٥٩ ، أوهو التمام انظر خزانة ابن حجة : ٤٢٠



البديع ، ومعانى النفس لا يتأتى مجيئها فى اللفظ الوجيز ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ . ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا [1] ﴾ ، فانظر ـ هداك الله ـ إلى هذا البسط بالنسبة إلى قوله تعالى فى هذا المعنى فى غير موضع من القرآن : « إنه خلق السموات السبع والأرضين وما بينهما فى ستة أيام لتعلمَ أنه سبحانه بَسَط الكلامَ هاهنا ليفيد البسطُ معانىَ شتّى من إيضاح إشكال ، وتفصيل إجمال ، وإخراج الكلام مخرج التقريع لمن جعل لله سبحانه أنداداً من مخلوقاته .

فإن قلت : التقريع يحصل مع الإيجاز بقوله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ [2] ﴾ فما فائدة البسط؟ قلت : فائدته فائدة جليلة ، فإن الاستدلال بما قرب من نظر الخصم أوضح من الاستدلال بما بعد ، فإن تقدير أقوات الحيوان البرّىّ والبحرىّ ، وتخصيص كلّ صنف بقوت مألوف يميل إليه بطبعه الذى خُلق له وطُبع عليه كاللحوم للسباع ، والحبوب للبهائم والأوساخ للهمج ، والتراب للحشرات ، والبقول والخضروات لغير هذه

(١) سورة فصلت الآيات من ٩ إلى ١٢

(٢) سورة السجدة آية ٤ .

الأصناف ، وجعل بعض الحيوان يجمع فى الأكل بين ذلك كله ، أعنى اللحوم والحب والنبات على اختلاف أصنافه ، كالإنسان ، و بعض الحيوان ، وتركه تلك الأقوات الموجبة لكفاية جميع الحيوانات بما تخرجه الأرض من الأقوات أقرب لفهم المخاطب وأرفع لاحتمال ما يقع لبعض الضعفاء من توهم أنّ هذه الأمور من صنع السموات والأرض ، لامن صنع صانعهما المختار كما يعتقد بعضُ الناس من الطبائعيين وأمثالم ، فاقتضت البلاغة أن يقدّم ذكر الأرض وما يترتب على ذكرها من ذكر لوازمها ، لقربها من المخاطب ، ولأن الأنداد التى عُبِدت منها ، فالأصنام من حجارتها ، والأوثان من خشبها ، وألوان الشخوص من معادنها ، ليعرف سبحانه بعظمة قدرته فى خلقه الأرض كلها فى يومين ، ثم ثنى بذكر الجبال التى تثبّت الأرض بإذنه ، والتى تكون الجواهر المعدنيّة وغيرها منها ، ثم ذكر البركة التى لولاها لما نبت النبات ، ولا عاش الحيوان ، ولا تنوّع الجماد ، ولا حصلت المنافع التى بها قوام الأجسام ، ممتنًّا بذلك على عباده ، وحقّ له الامتنان ، ثم ثلّث سبحانه بذكر تقدير الأقوات فى جميع الأوقات ؛ ليحضّ بذلك على التوكل ، ويبعثَ النفوس على الاشتغال عن التفكّر فى التكسب بصالح الأعمال ، كما قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى خُطبة خطبها عند منصرَفه من أُحُد: « أيها الناس ، اقبَلوا على ما كُلِّفتموه من أمرِ آخرتكم ؛ وأعرضوا عمّا ضُمِنَ لكم من أمر دنياكم ؛ ولا تستعملوا جوارح غُذِيتْ بنعمته ؛ فى التعرّض لسخطِه بمعصيته ؛ واجعلوا سعيكم لالتماس معرفته ، وأصرفوا هِممكم للتقرّب إليه

بطاعته ، إنه من بدأ بنصيبه من الدنيا فاته نصيبُه من الآخرة ، ولا يدرك منها ما يريد ، ومن بدأ بنصيبه من الآخرة وصل إليه نصيبه من الدنيا وأدرك من الآخرة ما يريد ، ثم أخبر سبحانه أن ذلك كله فى يومين آخرين داخلين فى اليومين المتقدّمين حيث قال : ﴿فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ يعنى — وهو أعلم — أنه أرسى الجبال ، وبارك فى الأرض ، وقدّر فيها الأقوات ، مع خلقه لها فى أربعة أيام ، ثم ختم بذكر خلق السموات السبع ، وما تعرف العرب وغيرهم من نجومها والهداية بها ، وأنوائها وإنزال الغيث من جهتها ، ومُقَدِّمات ذلك من الرعد والبرق وتصريف الرياح ، ومنافع النَّيِّرَين ، ثم أخبر أنه سبحانه خلق ذلك كله فى يومين ، ثم اقتصر — عزّ وجلّ — فى هذه الآية وفى غيرها على ذكر الأفلاك السبعة ، لِمَا فى هذا العدد من السرّ الإلهى الّذى لا يتسع هذا المكان لذكره ، وقد ذكرته فى مواضع من كتابين : أحدهما (الخواطر[1] السوانح فى ذكر سرائر الفواتح) ، وفى (الكافلة ، بتأويل تلك عشرة كاملة) ، ولكون العرب لا تعرف من الأفلاك إلا المكوكبة منها ، لرقبتها لها عند سَمَرِها فى الليالى ، ومُسْراها فيها ، ولمعرفتها لكواكب الفَلَك الثامن من المزيّة التى ليست لغيرها ، لكونها كواكب الأنواء التى ينتجع عليها ، وتعرف علامات الجدب والخصب منها ، أتى بذكر فلكها فى الكتاب العزيز منفرداً لينبئ عن فضله على سائر المكوكبة حيث قال تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ[2]﴾ ، ولكون الفلك

---

(١) لم نقف على هذين الكتابين فيما راجعناه من المظان على كثرتها فتأمل .

(٢) سورة البروج آية ١ .



التاسع أطلس ، لا كواكب فيه ، لاتعرفه العرب ، فألغى ذكره فى الكتاب العزيز ، وإنما استدل أهل الهيئة على وجوده بحركته اليومية ، فإن بها تطلع الشمس بإذن الله سبحانه وتعالى فى كل يوم ، من المشرق ، وتغرب فى المغرب ، ثم تعود تطالع من الموضع الذى طلعت منه أبداً ، فيظهر الحس أنها [١٢٩] قطعت دائرة الفلك فى يوم وليلة ، وقد دلت أدلة الهيئة على أن فلكها الرابع ٥ يقطع دائرته فى اثنى عشر شهراً ، فعلم أن حركته اليومية ليست حركة فلكه الطبيعية ، وإنما هى حركة قسرية قسره عليها الفلك التاسع بحركته .

وهذه ليست من علوم العرب ، فلذلك لم يصرح الكتاب العزيز بذكره وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الفلك التاسع هو العرش ، والثامن هو الكرسى واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ١٠ ثَمَانِيَةٌ[١] ﴾ وزعم أنه سبحانه أراد الأفلاك الكوكبية وأراد وهو أعلم بالعرش الفلك التاسع ، وبقوله سبحانه : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ[٢] ﴾ يريد الفلك الثامن المسمى منطقة البروج ، كأنه محيط بالأفلاك السبعة : زُحل وفلك المشترى ، وفلك المريخ ، وفلك الشمس ، وفلك الزُّهَرة ، وفلك عُطارد ، وفلك القمر ، وبكرة الأرض وما بينها ، وبين فلك ١٥ القمر من كرات بقية العناصر ، وهذا التفسير فيه نظر ، لأنه مستند لقائله من جهة النقل الصحيح ، ومثل هذا لا يُتلقى إلا من الرسول — صلى الله عليه

---

(١) سورة الحاقة آية ١٧ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥ .



سلّم ، فقد أفاد (١) هذا البسط ماذكرت من المعانى ، وتضمّن لفظُه عدّةَ ضروب من البديع ، لولا البسط لم يحصل ذلك ، فإنه تضمن المذهب الكلامىّ، والإدماج، والإرداف، والتعليق ، والافتنان .

فأما المذهب الكلامى ففى قوله تعالى (ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ) فإن ذلك نتيجة قوله سبحانه: (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)، فإن تقدير الكلام أن يقال : لا تطيع السماء والأرض إلا ربهما لأنهما عبارة عن العاملين، وقد أطاعتا الله سبحانه فهو ربّ العالمين .

والإدماج: هو إدماج الإرداف فى المذهب الكلامىّ لأنه أراد — وهو أعلم — أن يقول: « قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ) بالقدر المطلق ، فعدل عن اللفظ الخاصّ إلى إفادة لفظ الإرداف من ذكر تفاصيل المخلوقات لينبهِّ على عظمة القدرة ، فعظّمَ سبحانه الإنكار على من عَبَد غيرَه .

والتعليق فى كونه سبحانه علّق فنّ الفخر إذ يمدح بالقدرة على اختراع هذه المصنوعات بفن العتاب فإنه — عز وجل — وصف نفسه بما يستحقه، وأثنى على ذاته بما هو أهله، فى ضمن العتب الموبّخ، والتقريع المثرِّب (٢) حيث قال سبحانه: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي﴾

---

(١) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت ، والذى فى ا ، ب « لما أفاد البسط » ; والمعنى عليها يستقيم أيضا .

(٢) والمثرب : اللائم المعير بالذنب قال تعالى : لا تثريب عليكم اليوم » وفى الحديث « أقيموا الحد ولا تثربوا »

« وقال الشاعر :

وعفوت عنهم عفو غير مثرب وتركتهم بعقاب يوم سرمد



فعل وصنع ﴿ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ﴾ لحصل التعليق والافتنان ، فهذه فائدة البسط فى الكلام الذى عُدِل فيه عن الإيجاز والاختصار .

* * *

باب العنوان*

وهو أن يأخذ المتكلم فى غرض له من وصف ، أو فخر ، أو مدح ، أو عتاب ، أو هجاء ، أو غير ذلك من الفنون ، ثم يأتى لقصد تكميله وتوكيده بأمثلة من ألفاظ تكون عنوانات لأخبار متقدمة وقصص سالفة .

ومنه نوع عظيم جدا وهو ما يكون عنوان العلوم (وذلك[1]) أن تذكر فى الكلام ألفاظ تكون مفاتيح لعلوم ، ومداخل لها ، وقد جاء النوعان معا فى الكتاب العزيز . فمن النوع الأول قوله تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ[2] ﴾ ، إلى آخر الكلام ، فإن هذا عنوان قصة بلعام[3] . ومن النوع الثانى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ[4] ﴾ . الآية فيها عنوان العلم المعروف بالآثار العلوية .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ إِنْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ

---

* هذا من الأنواع التى سلمت للؤلف (بحثه فى خزانة ابن حجة : ٣٨٢ ، وحسن التوسل : ٨٤ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٦٦) .

(١) مكان هذه الكلمة بياض بالأصل . وهى عن جميع النسخ .

(٢) سورة الأعراف آيه ١٧٥ .

(٣) تقدم التعريف به فى ص ٢٦ من هذا الكتاب .

(٤) سورة النور آية ٤٣ .



ذِى ثَلَاثِ شُعَبٍ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ[1] ﴾ ، وهذا عنوان العِلْم المنسوب إلى إقليدس[2] فإن الشكل المثلث أول الأشكال وهو أصلها ، ومنه تتركب بقية الأشكال ، وهو شكل إذا نصب فى الشمس كيفما نُصِب على أى ضلع كان من أضلاعه ، لا يكون له ظل ، لتحديد رءوس زواياه ، فأمر الله سبحانه هؤلاء الجهنميين بالانطلاق إلى ظل هذا الشكل تهكمًا بهم .

ومن العنوانات أيضاً فى الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ[3] ﴾ ، ثم ذكر سبحانه فى تفصيل ما أجمل (من ملكوت السموات والأرض[4]) ، أفول الكواكب والنيرين ، وأفول ذلك إنما يكون بما يَحُول بين الأبصار وبين رؤية الكواكب والنيرين من مخروط ظل الأرض ، وهذا عنوان العِلْم المعروف بالمِجَسْطى ، وهو علم الهيئة .

وفى قوله تعالى من هذا الكتاب فى بقية[5] هذه الآية : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ ﴾ إلى آخر الآية ، عنوان عِلم الكلام ، لأن منها ينتظم الدليل على حدث العالم بما دل عليه من أفول الكواكب وبُزوغ القمر وأفوله ، وبُزوغ الشمس وأفولها ، فإن فى ذلك تصريحاً بقبول العالم الحوادث ، وقبوله التغيير دليل على كونه ممكناً ،

---

(١) سورة المرسلات ٣٠ و ٣١ .

(٢) اقليدس ويقال اوقليدس : أسم رجل وضع كتابا فى علم الهيئة والهندسة والحساب ونقله إلى العربية الحجاج بن يوسف الكوفى (ملخصا من تاج العروس) .

(٣) سورة الأنعام آية ٧٥ .

(٤) مابين القوسين ساقط من « ت »

(٥) ليست بقية آية وإنما هى آية قائمة بذاتها ، الأنعام آية ٧٦ .

أعنى ممكن الوجود ، والممكن ما تساوى طرَفا وجوده وعدمه ، فلا يترجّح أحدهما على الآخر إلا بمرجّح ، ولا يجوز أن يكون المرجّح ممكناً [١٣١] وإلا لزم أحد المحالَين، إما الدور، وإما التسلسل ، فيجب أن ينتهى الأمرُ إلى مرجح هو واجب الوجود لذاته ، ولا بدّ وأن يكون وجوده متقدّماً على وجود العالم بالزمان ، إذ لا يجوز أن يكون متقدماً بالرتبة تقدُّم العلّة على معلولها ، ٥ فإنه يكون غير مختار ، ووجود العالم فى الهيئة التى وجد عليها فى غاية الإتقان ، فلا بدّ وأن يكون مُوجِده مختاراً .

* * *

باب الإيضاح *

وهو أن يذكر المتكلّم كلاماً فى ظاهره لَبْس ، ثم يوضّحه فى بقيّة كلامه . والإشكال الذى يحله الإيضاح يكون فى معانى البديع من الألفاظ ، وفى إعرابها ، ١٠ ومعانى النفس دون الفنون .

والفرق بينه وبين الاحتراس وقوع الاحتراس فى الفنون . ومنه قوله تعالى ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا(١) ﴾ ، فإن هذه الآية لو اقتصر فيها على قوله «مِنْ قَبْلُ» دون بقيّة الآية لأشكل على المخاطب ، لا يدرى هل أراد سبحانه ١٥

---

* وهو من الأنواع التى سلمت للمؤلف ، ولا يصح أن يجعل من التفسير ، لأن الايضاح هو إبراز المعنى فى صورتين مختلفتين : الإبهام ثم الإيضاح ، لتمكين المعنى فى النفس تمكينا زائدا تحصل به لذة العلم ، لأن الشيء إذا علم من وجه دون وجه تشوقت النفوس إلى العلم بالمجهول فتحصل لها بسبب العلم لذة لسبب حرمانها من الباقى (بحثه فى ابن حجة : ٤١٣ ، حسن التوسل : ٨٥ ، نهاية الأرب ٧/١٧٩) .

(١) سورة البقرة آية ٢٥



بما حكاه أهل الجنّة إشارتهم إلى صنف الثمرة ، أو مقدار ما يؤتون[1] منها ، بحيث تكون مقادير الثّمار متساويةً ، فأوضح سبحانه هذا الإشكال بقوله تعالى : ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ أى يشبه بعضُه بعضاً فى الكميّة وإن تغايرتْ أصنافُه . وتقرير الإشكال فى قولهم : ﴿هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ (فإن ظاهر هذا اللفظ يدلّ على أن الذى رُزقوه الآن هو عَيْن ما رُزقوا من قبل[2]) والمداومة على المأكول الواحد وغيره من اللاذّ موجِب للسآمة والملل ؛ وكمال النعم ، وغاية التفكّه ، والتلونّ فى المطاعم ، والتفنن فى المآكل . ونعيم الجنّة أتمّ نعيم وأكمله ، فمقتضى البلاغة أن يكون سبحانه وتعالى أراد — وهو أعلم — المقدار لا عين الصِّنف ، ويؤيِّد ذلك قوله فى تتمّة الآية : «وأتوا به متشابهاً» أى متغايراً ، فإن الشىء لا يُشبه نفسَه ، فاتضح أنه سبحانه أراد بقوله « هذا الذى رزقنا من قبل » أى هو فى المقدار لا فى الصنف والله أعلم .

ومن الإيضاح نوع آخر يأتى موضِّحاً لإشكال فى جملتين من الكلام متضمّنتين معنى واحدا قد اختلفت العبارة فيهما ، فيتوجّه على الظاهر إشكال أوجبَه اختلاف العبارة ، فيجب إيضاحُه ، كقوله تعالى فى الأنعام : ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ[3] ﴾ وقال سبحانه فى بنى إسرائيل :﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ وتقرير الإشكال أن المعنى فى الآيتين هو النهىُ عن قتل [١٣٢]

---

(١) هكذا فى جميع النسخ . والذى فى ا ، ب « يوزن » وهو تصحيف .

(٢) ساقطة من ت .

(٣) انظر باب التغاير من هذا الكتاب .



الأولاد ، لما تقتضيه زيادة الكُلَف من الفقر ، والعِدَة بأن الرزق من عند الله ، فيقال : لم قال فى الآية الأولى : « نحن نرزقكم وإياهم » ؟ بتقديم : عِدَة الوالدَين بالرزق على عدة الأولاد به ، وبالعكس فى الآية الثانية ، وهل يجوز العكس فيهما أم لا يجوز إلا ما جاء به التنزيل ؟ ولمّا علم سبحانه أن ذلك قد يُشكل على من لم يُنعِم النظرَ فى الكلام جاء فى الآيتين خبء[1] يوضّح هذا الإشكال ، وذلك قوله تعالى فى الأولى (من إملاق) ليشير إلى الخطاب للفقراء دون الأغنياء ، فأوجبت البلاغة تقديمَ عِدَتهم بالرِّزق وتكميل العِدَة برزق الأولاد ، لاحتمال ، أن يظنوا أنهم إذا رزقوا رزقا فاستغنوا به استنفدَته كُلفة الأولاد ، فعادوا إلى الفقر . وقال فى الآية الثانية (خشية إملاق) ليشير إلى أن الخطاب للأغنياء دون الفقراء ، الّذين يخافون أن تَسلُبهم كُلَف الأولاد ما بأيديهم من الغِنَى ، فوجب تقديمُ العِدَة برزق الأولاد ليعلَموا أنّه سبحانه المتحمّل عنهم كلفَتَهم ، فيأمنوا ماخافوه من الفقر ، ثم كمل العدة بضَمان رزقهم بعد الأولاد ، ليعلموا أن ما بأيديهم من الغنى هو الّذى رزقه ، وهو قادر على أن يرزقهم مثله .

ومن معجز هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ[2] ﴾ ، فإن على ظاهر هذه الآية إشكالين : أحدهما من جهة الإعراب ، والآخر من جهة المعنى ؛ فأما الّذى من جهة الإعراب فعطف ما ليس

---

(١) الخبء هنا : من خبأ الشىء إذا ستره (قاموس) .

(٢) سورة آل عمران آية ١١١ .

بمجزوم على المجزوم ، والذى من جهة المعنى أن صدر الآية يغنى عن فاصلتها ،لأن تولّيهم عندالمقاتلة دليل على الخِذلان ، والخذلان والنصر لايجتمعان والجواب أن الله سبحانه أخبر المؤمنين بأن عدوّهم هذا إن قاتلهم انهزم ، ثم أراد ـ وهو أعلم ـ تكميل العِدَة بإخبارهم أنه مع تولّيه الآن لا يُنصر أبداً فى الاستقبال ، فهو

٥ مخذول أبدا ما قاتلهم ، فيثق المؤمنون بنصر الله تعالى لهم على هذا العدوّ ، ويتيقّنوا أنه متى قاتلهم كان مخذولا ، فيُقدِموا على لقائه كلّما أرادوا ذلك بثبات قلوب ، وقوّة نفوس ، وطُمأنينة وسكينة ، لايتوقّفون فى لقائه ، ولا يخشون مَغبَّة قتاله ، ولو وقع الاقتصار على دون الفاصلة لم يوف الكلام بهذا المعنى المراد ، لأنه لايعطى قوله : ﴿ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ﴾

١٠ أنهم متى قاتلوهم كان الأمر كذلك ، فإن قولك : إن جاء زيد أكرمته ، [١٣٣] لا يلزم منه أنه متى جاء على الدوام والاستمرار كان له عليك الإكرام، وإنما يعطى أنه إن جاءك أكرمته لتلك المجيئة ، ولمّا علم سبحانه وهو أعلم أن الاقتصار على ما دون الفاصلة لايفهم منه دوام هذه البشارة إلى آخر الأبد ، والمقصود دوامها ، قال : « ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ » ومُنع الفعل

١٥ الجزم ، وإن عطف على مجزوم ليبقى على المعنى الذى وُضعت له صيغة المضارع من الدلالة على الحال والاستقبال، فيعلم أنه أراد ـ وهو أعلم ـ أنهم لاينصرون فى الحال ولا فى الاستقبال ، ونوى فى الفعل الاستئناف لا العطف على ماتقدّم فيقدّر أنه قال : «ثم هم لاينصرون» ، وسوّغ العدول عن الظاهر إلى هذا التأويل مايوجبه التأويل من تمام المعنى الّذى هو بدونه ناقص ، وتصحيح المراد من استمرار

البشرى . وأحسن ماوقع فى هذا النظم اختيار لفظة «ثُمَّ» دون سائر حروف العطف لما تدل عليه من التراخى والمهلة الملائمة لما قصد من الاستقبال ، فاتضح المعنى ، وارتفع الإشكال ، فتضمنتْ هذه اللفظات السبعُ ستَّةَ عشر ضربا من البديع ، وهى التعليق ، والمطابقة المعنوية ، والاحتراس ، والتكميل ، والتنكيت ، والمقارنة ، والإيضاح ، والإدماج ، والترشيح ، والإيغال ، والإيجاز ، والافتنان ، وحسن النَّسَق ، والتهذيب ، وحسن البيان ، والمثل السائر ؛ وأعجبُ ماوقع فيها أن حرفا واحدا منها وقع فيه على انفراده من ذلك ثمانية أضرب ، والحرف لفظة « ثم » وقع فيها الاحتراس ، والتنكيت ، والمقارنة ، والإيضاح ، والإدماج ، و التكميل ، وحسن النَّسَق ، والترشيح ، توجد هذه الضروب بوجودها ، وتعدم بعدمها ، وبيان ذلك أنّا لو قدّرنا موضعَها الواو سقط ذلك كلُّه .

فأما تفصيل ماجاء من المحاسن فى جملة الآية ، فالإيضاح منها فى عطف آخر الكلام على أوّله بـ « ثم » لتحصل الفائدة الّتى شرحناها ، ولأجلها أتى بالآية ، وهى تبشير المؤمنين بأنّ عدوّهم مخذول أبدا ، كما تقدّم ، ولأجل ذلك منع الفعل المضارع من الجزم ليدلّ على الاستقبال فيتكمّل المعنى المراد . والإدماج هو إدماج التكميل فى الإيضاح ، فإن لفظ الإيضاح ظاهر ، والتكميل مدمج فيه ، لا يظهر إلا بعد التفسير ، وكذلك الاحتراس ، فإن الكلام الآخر لو عطف على الأوّل بالواو لظَنّ من لايجب أن يتسرّع إلى الموت إنما وعدوا بالنصر فى تلك الحالة لاغير ، ويحتمل أن ينصر العدوّ بعد هذه ، لأن الحرب أكثر [١٣٤]

مايقع سجالا ، فيكون ذلك مُوجِبا لقعوده عن القتال بعدها ، فأتى بالجملة الثانية معطوفة : بـ« ثم » ليحترس بها من ذلك . والتنكيت وهو النكتة التي رجّحت العطف بـ« ثم » دون بقية حروف العطف لما يقتضى من المهلة الملائمة لما يدلّ عليه الفعل المضارع من الأستقبال ، لتكميل المعنى المراد . وأمّا التعليق ، وهو تعليق الوعيد بالوعد ، فإنها تضمّنتْ وعدَ المؤمنين بالنصر ووعيد الكافرين بالخذْلان . وأما المطابقة المعنويّة فلجمع الكلام بين الوعد والوعيد بغير لفظهما . وأما المقارنة فلأقتران الأفتنان الّذى دلّ عليه الوعد والوعيد والمدح والهجاء بالمطابقة . وأما الإيغال فلأن معنى الكلام تمّ عند قوله (يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ) ، ولمّا أحتاج الكلام إلى فاصلة تُوافِي بقيّة فواصل الآيِ أفادتْها معنًى زائدا يكمل بهمعنى الكلام التامّ ؛ وأمّا الترشيح فهو ترشيح « ثمّ » لمجيء الفعل الثانى الّذى عطف بها على الأوّل دالّا على الأستقبال . وأما الإيجاز فلدلالة هذه الألفاظ السبع على ما دلّت عليه من معانى النفس ، ومعانى البديع ، وأما الأفتنان فإشارة الوعد والوعيد إلى من سبق لهم الوعد أهلٌ للمدح ومن سبق لهم الوعيد أهلٌ للذم ، وأما حسن النَّسَق ، ففى أختيار العطف بـ«ثم» دون حروف النَّسَق ، وأمّا التهذيب ففى تقديم ما يجب تقديمُه من الوعد فى حال المقابلة ، وتأخير ما يجب تأخيره من الوعد والوعيد بعد ذلك فى الاستقبال ، وملاءمة العطف بـ« ثم » للمعطوف حيث كان[1] صيغته صيغة المضارع الدالّ على

---

(١) فى ا ، « جاءت » وهما بمعنى واحد .



الاستقبال . وأما حسن البيان فلإبانتها عن بشارة المؤمنين بما يثبّت قلوبهم ، ويُثلِج صدورَهم ، ويحرضهم على قتل المشركين أبدا بأرشق عبارة دلّت على المعنى المراد وأوْصَلِه إلى الأفهام بأقرب الطرق وأسهلها . وأما المثل السائر فلخروج الكلام فيها مخرج مثل يليق بكل واقعة تشبه واقعتها .

٥ ومما يؤيد هذا التأويل ويدل على أن المتوعدين فى هذه الآية مخذولون أبدا فى كل مكان وزمان ماقاتلوا المسلمين ، قوله تعالى على سياقتها : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ[(١)] ﴾ فأخبر سبحانه أنهم أينما أدركهم المسلمون ذَلُّوا ، واستثنى منهم من دخل تحت الذّمّة طلبا للسلامة، وذيّل سبحانه وعيدَ الدنيا بوعيد الآخرة حيث قال : ﴿ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ [١٣٥] اللَّهِ ﴾ ، وأخبر عزّ وجلّ بضرب المسكنة عليهم مع الذلة ، وعلّل وقوع ذلك ١٠ ليدلّ على استحقاقهم ماحل بهم بقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ .

ومن إيضاح الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ[(٢)] ﴾ ، الآية فإن الإشكال ١٥ فيها مجىءُ هذا الحرف منها على خلاف ماجاء عليه أمثاله ، وهو قوله تعالى : «وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ» باسم الفاعل ، ولم يأت كما أتى فى آل عمران﴿ وَتُخْرِجُ[(٣)]

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٢ .

(٢) سورة الأنعام آية ٩٥ .

(٣) ساقطة من الأصل ، د ، س ، ت وهى عن ا ، ب وهى آية ٢٧ من سورة آل عمران .



الحىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ ﴾ ، ولا كما جاء فى يونس[١] ، فإنه جاء فيها أيضاً بصيغة الفعل كما جاء فى آل عمران ، وكما جاء فى الروم[٢] ، وعلى الجملة لم يأت فى القرآن كله « ومخرج الميت من الحى » إلا فى هذا الموضع من الأنعام ، فلقائل أن يقول : ما النكتة التى أوجبت مجىء هذا المكان على ما جاء عليه مخالفا لأمثاله ؟ والجواب الذى يتضح به هذا الإشكال أن يقال : إنما جاء كذلك توخيا لحسن الجوار فى النظم ليجاور كلّ لفظ مايلائمه فى مناسبة الزنة ، لتتعادل ألفاظ النظم عند التركيب ، ولو أتى هذا الحرف فى الأنعام كما جاء أمثاله فى آل عمران ، و يونس ، والروم لخرج نظم آية الأنعام عن الاعتدال ، لمجىء صيغة الفعل حيث يقول : « ويُخرج الميتَ من الحى » متوسطا بين أسماء الفاعلين من قوله فالق الحب والنوى وقوله : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَناً[٣] ﴾ ، كما أنه لو جاء مكان « ويخرج الميت من الحى » فى آل عمران « ومخرج الميت » لتنافرت الألفاظ ، وعيب نظم الكلام لسوء الجوار ، لمجىء اسم الفاعل بين صيغ الأفعال من قوله تعالى : ﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ

---

(١) آية ٣١ منها.

(٢) آية ١٩ .

(٣) سورة الانعام آية ٩٦ وهذه قراءة أهل المدينة ، وأما قراءة حفص فهى وجعل وعليها رسم المصحف (القرطبى ٧ ص ٤٥ طبع دار الكتب المصرية)



مَنْ نَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ وكذا آيتا يونس والروم مركبة كلتاهما من صيغ الأفعال ، فمجيء اسم الفاعل فى آية الأنعام ملائم لما جاورها من أسماء الفاعلين . وبقيّة الآيات صيغة الفعل فيها ملائم لما جاورها من صِيَغ الأفعال فإنه سبحانه وتعالى قال فى آية يونس : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ[1] ﴾ [١٣٧]

وكذلك جاءت آية الروم ، فإنه سبحانه وتعالى قال فيها : ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ[1] ﴾ .

فإن البليغ إذا نظم كلاما وجب عليه أن يلائم بين ألفاظه ، ليأتى كلامه موصوفا بالائتلاف ، بحيث لا تأتى لفظة منافرة لأخواتها موضوعة فى غير موضعها ، فإنّ الكلامَ إذا وقع فيه مثل ذلك عِيبَ بسوء الجوار ، ولمّا أوجبت البلاغة أن يأتى خبر «إن» فى سورة الأنعام بصيغة اسم الفاعل فى قوله تعالى : (إنّ الله فالق الحب) لكون اسم الفاعل المضاف يدلّ على المُضِيّ ، والفعل المضارع يدلّ على الحال والاستقبال دون المضى ، والآية سيقتْ للتمدّح بالقدرة المطلقة التى هى صفة ذاتيّة لله سبحانه ، والاعتداد بالنعم على عباده ، فكان التمدّح بها مع الإتيان بصيغة اسم الفاعل أبلغ من الإتيان بصيغة الفعل ، لما يدل عليه اسم الفاعل

---

(١) انظر الصحيفة السابقة الهامش ١ ، ٢ .



من المضىّ المطلَق الدالّ على العدم ، فإن مجىء ذلك على ماجاء عليه يستفاد منه قدم القدرة ، ويلزم من قِدَمها قدم الموصوف بها ، ولما علم — سبحانه وتعالى — أن تمدحه بمجرّد فَلْق الحبّ والنوى فى بطن الأرض غير تام لأنه لا ينتفع به حتى يخرج نباته إلى ظهر الأرض ، فحينئذ يكون نعمة يعتدّ بها على العبيد لانتفاعهم به ، وليظهر لأعينهم فيشاهدون به قدرة مُخرِجه ، ومخترعه ، أخبر بأنه يخرج نباتا من الأرض ليتمّ معنى التمدح ، ووجب أن يكون الخبر عنه بصيغة الفعل المضارع ليقع الإخبار به على ترتيب وقوعه فى الوجود ، لا[1] يتقدّم منه مايجب تأخيره ، ولا يتأخر مايجب تقديمه ، إذ كان انفلاق الحبّ والنوى فى بطن الأرض مقدّما على خروج النبات إلى ظهر الأرض ، فكان زمن انفلاق الحبّ والنوى ماضيا بالنسبة إلى زمن خروج النبات ، وخروج النبات مستقبلا بالنسبة إليه استقبالا أوله زمن الحال ، وآخره زمن الاستقبال ، فكان مقتضى البلاغة الإتيان بصيغة المضارع الدالّ على الحال والاستقبال بعد اسم الفاعل المضاف الدالّ على المضىّ فوقع هذا التهذيب [١٣٧] فى هذا الحرف مدمجا فى الكناية ، فإنه سبحانه — وهو أعلم — كنّى بالحىّ عن النبات لكونه مغتذيا ناميا . وكنى بالميّت عن الأرض لكونها جماد ، وكان حمل هذا الكلام على هذا التأويل أولى من حمله على مايدلّ عليه الظاهر من كون الحىّ والميت من الحيوان ، لكون الحىّ والميت من الحيوان لايلائم ذكر الحبّ والنوى ، فيجب الرجوع إلى تأويلنا لما تقدّم من ذكر الحبّ والنوى ليرتبط بعضُ

---

(١) فى الأصل « ولا » بزيادة الواو ، والسياق يقتضى حذفها .



الكلام ببعض ، ويتمّ المعنى المراد من التمدّح بهذه الأفعال ، والاعتداد بهذه النعم على الحيوان، فكان مقتضى البلاغة أيضا تقديم ذكر الحبّ على ذكر النوى لكونه قوت المخاطب المعتدّ عليه بهذه النِّعَم ، وقوت دوابّه (و[١]) وجب أن يقتصر على ذكر الحبّ دون النوى لأن فى ذكر النوى إشارة إلى مايعتدّ به على المخاطب أيضا من الثمرات التى يتفكّه بها ، وتتنوّع له الملاذّ بسببها ، فكان ذكرها من كمال معنى التمدّح ، ثم لمّا علم سبحانه أن القدرة المطلَقة إذا وصفت بإيجاد النبات والتصرّف فى الجماد دون إيجاد الحيوان ، كان الوصف ناقصا فاستأنف الإخبار عنه بإخراج الميّت من الحىّ ، لأن المعنى الأول قد تم الكلام فيه ، وحسن السكوت عليه ، فقطعه وأفاد ما أفاده ممّا أبديناه آنفا ، فقال بعد ذلك منتقلا من الإخبار عن إخراج النبات من الجماد إلى الإخبار عن إخراج الحيوان من الحيوان لتمام المعنى الذى كان بدون ذلك ناقصا وصار قوله ﴿ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾ مكملا ، وأتى فى هذه الجملة باسم الفاعل لأنه خبر مبتدأ مستأنف تقديره ، وهو مخرج الميت من الحى ، ليأتى نظم الجملة الثانية على ما أتى عليه نظم الجملة الأولى ، حيث قال — عز وجل — : (إن الله فالق الحب والنوى) فجاء خبر إنّ إسما ، فكذلك أوجبت البلاغة أن يأتى خبرُ المبتدأ فى الجملة الثانية (اسما[٢]) واقتصر سبحانه على التمدّح بإخراج الميت من الحىّ ، واكتفى بذلك دون إخراج الحىّ من الميت ، لكون إخراج

(١) سقطت هذه الواو من الأصل ، د ، ت ، س وقد أثبتناها عن ا ، ب إذ بها يستقيم الكلام .

(٢) مابين قوسين ساقط من الأصل ؛ وهو عن باقى النسخ ؛ ولا يستقيم المعنى بدونه .



الميّت من الحيّ أعسر من إخراج الحيّ من الميت فى معترَف عادتنا ، ومدارِكِ عقولِنا ، لأن الحيّ ربما أعان على خروجه بحركته ، وربما ركّب الله فى طبيعته من طلب الخروج من الضِّيق إلى السعة عند صلاح قوته للخروج ، ومن قدر على إخراج الأصعب كان على إخراج الأسهل أقدَر ، كما قال سبحانه فى المعاد : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ[1] ﴾ .

٥

وإذا علمت ذلك تحققت الحكمة فى مجىء آية الأنعام مخالفةً لبقيّة أمثالها من الآيات ، فيتّضح الإشكال وينذفع السؤال ، والله أعلم .

[١٣٨] ومن الإيضاح نوع يتقدّم الإيضاح فيه على الإشكال ، كقوله تعالى :

﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ[2] ﴾ ، فإن ظاهر هذه الآية يحتمل إباحة الوطء فى أىّ محل شاء الزّوجُ من المحلّين ، وفى ذلك من الإشكال مالم يخفَ عن ذى عقل ودين ، لكن لمّا تقدم قوله تعالى : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لكم فأتوا حرثكم) والحرثُ موضع البذر ، ومحل الزرع ، ورجاء النبت ، ومظنّة النموّ والزيادة ، علم أن المراد بقوله «أنى شئتم» تخيير الواطىء فى الهيئات التى يأتى أهله عليها فى المحلّ ، فيكون معنى « أنّى شئتم » أى كيف شئتم من الهيئات ، أو يكون بمعنى متى ، فيكون المعنى متى شئتم من الزمان والله أعلم .

١٠

١٥

---

(١) سورة الروم آية ٢٧ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٣ .



ومن الإيضاح قوله تعالى ﴿ وَلاَ عَلَىَ أَنفُسِكُمْ(١) أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُم أَو بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاَتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ ، فإن على ظاهر هذه الآية أسئلة أولها : ما الفائدة فى الإخبار برفع الجُناح عمّن أكل مِنْ بيته ؟ وكيف يظن أن على من أكل بيته جناحا ؟

والثانى أن يقال لِمَ لَمْ يذكر بيوت الأولاد كما ذكر بيوت غيرهم من الأقارب القريبة ؟

والثالث مافائدة قوله تعالى : (أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ) وظاهر الحال أن هذا القسم داخل فى قوله مِن بيوتكم ؟

والرابع ، كيف وقعت التسوية بين الصديق وبين هؤلاء الأقارب ؟ والجواب الذى تتضح بهذه الإشكالات الأربعة أن تقول : أما فائدة الإخبار برفع الجناح عمّن أكل بيته فإنما ذكر ذلك توطئه ليبنى عليه ما يعطفه على جملته من البيوت التى قصد إباحة الأكل منها ، فانه إذا علم أن الإنسان لاجناح عليه أن يأكل من بيته ، فكذلك لاجناح عليه أن يأكل من هذه البيوت ، ليشير إلى أن أموال هذه القرابة كمال الإنسان ، وإذا تساوت هذه الأموال سرى ذلك التساوى إلى الأزواج ، فيكون سبحانه قد أدمج فى ذلك الحض على صلة الأرحام ، و معاملتهم بما يعامل الإنسانُ به نفسه . والجواب عن السؤال الثانى وهو قول السائل . لم لم يذكر بيوت الأولاد ؟ أنا نقول : إنما ذكر من الأموال مايظن بأن الأكل منه

---

(١) سورة النور آية ٦١ ويلاحظ أن فى الأصول تقديما وتأخيرا فى ترتيب الآية إذ قدم قوله تعالى « ليس عليكم جناح » فى أول الآية مع وروده فى آخرها ؛ والصحيح ماأثبتناه .



محظور ، فاحتاج إلى بيان الإباحة ، وأما أموال الأولاد فتصرُّف الوالدين فيها كتصرّفهم فى أموال أنفسهم ، ألا ترى أن الشرع يوجب على الولد نفقة الوالدين إذا كانا محتاجَيْن. والجوابُ عن الثالث وهو قول السائل : إن الكلام فيه تَداخُل ، لأن [١٣٩] قوله : (أَوْ مَامَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ) هو ما فى بيوتهم ، أنا نقول: يحتمل أن يراد بما فى البيوت المال التليد المتيد، وما ملك الإنسان مفاتحه : المال الطريف المكتسَب الذى يتسبّب الانسان فى تحصيله ، ويتعب فى اكتسابه . والجواب عن الرابع ، وهو قوله (أوصديقكم) تعريف حقّ الصديق الذى ساوى باطنُه ظاهره فى إخلاص المودّة ، ولا يسمّى، صديقا حتى يكون كذلك ، فإن اشتقاق اسمه من صدق المحبّة وصفاء المودّة ، وهو الذى أشار سبحانه وتعالى بقوله : ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ[1]﴾ فاذا كان الصديق بهذه المثابة ، وعلى هذه الصفة ساوى هذه القرابة القريبة ، فليس على الانسان جُناح إذا تصرف فى ماله تصرُّفه فى مال نفسه .

وقد جاء فى هذه الآية الكريمة بعد إيضاح هذه الإشكالات عشرةُ أضرب من البديع ، وهى صحةُ التقسيم ، والتهذيب ، وحسن النَّسَق ، والكناية ، والمناسبة ، والمثل السائر، والمطابقة ، والمقارنة ، والتمكين. فأما صحة التقسيم فلاستيعاب الكلام جميع أقسام الأقارب القريبة، بحيث لم يغادر منها شيئا. وأما التهذيب ففى الانتقال على مقتضى البلاغة فى هذا المكان ، فإن مقتضى البلاغة تقديم الأقرب فالأقرب ، كما جاء فيها . وأما حسن النسق فاختيار «أو» لعطف الجمل للإباحة . وأما الكناية فكنايته سبحانه عن الأموال بالبيوت التى هى حرز الأموال ومقرها من باب

(١) سورة الشعراء آية ١٠١ .



تسمية الشيء بما جاوره ، كقولهم : « سالَ المِيزاب » « وجرى النهر » .
وأما المناسبة فلمناسبة الألفاظ بعضها ببعض فى الزِّنة ، لما بين لفظة آبائكم وأخواتكم ، وأعمامكم ، وأخوالكم من المناسبة فى الزنة . وأما المَثَل فلأن قوله : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً ﴾ ، خرج مَخرجَ المثل السائر (١) الذى يصلح أن يتمثّل به فى كلّ واقعة تشبه واقعته . وأما التذييل فإن الكلام الذى خرج مخرج المثل جاء تذييلا لمعنى الكلام المتقدّم ، لقصد توكيده وتقريره . وأما المطابقة ففى قوله تعالى : « جميعا أو أشتاتا » فإن هاتين اللفظتين تضادّتا تضادًّا أوجب لهما وصفهما بالمطابقة ، لأن المعنى جميعاً أو متفرّقا . وأما المقارنة ففى موضعين : أحدهما اقتران التمثيل بالتذييل ، كما تقدّم بيانُه ، والثانى اقتران المطابقة بالتمكين ، فإن فاصلة هذا الكلام فى غاية التمكين فقد حصل بهذا التمكين ، وما تقدّم فيه من الإيضاح أحد عشر ضربا من البديع والله أعلم .

[١٤٠] ومن الإيضاح قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِى سَبِيلِى وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (٢) ﴾ ثم قال بعد ذلك : ﴿ لَـكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ

---

(١) ساقطة من ت .
(٢) سورة آل عمران آية ١٩٥ .

تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ[1] ﴾ ، فإن هذه الآية يتوجّه على ظاهرها أسئلة منها قوله تعالى « منكم » بعد قوله « أنى لاأضيع عمل عامل منكم » فيقال : ما فائدة هذا التفسير وقد أغنى عنه ما قبله ؟ ومنها قوله تعالى « من ذكر أو أنثى » والأول يغنى عنه . ومنها قوله تعالى : « بعضكم من بعض » ، ومنها قوله فى جزء أعمال الّذى وصفهم بتلك الأعمال الصالحة « ثوابا » . ومنها قوله تعالى فى الذين وصفهم من بعد « نزلا » ، وهل يجوز التبديل ليأتى قوله (نزلا) موضع « ثوابا » والعكس أم لايجوز إلا ماجاء به التنزيل ؟ ومنها وصف مقام الطائفة الثانية فى الجنة بالخلود دون الأولى . فهذه الإشكالات يجب الانفصال عنها ، وإيضاح ما ألتبس منها .

والجواب : أما قوله « منكم » فإن بعض الناس[2] أجاب عنه بأنه محتاج إليه لأنه سبحانه يضيع عمل من شاء من العمّال ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا[3] ﴾ ، وهذا الجواب مدخول من أجل أن هذا العامل هاهنا لا يظن به أنه ممّن يضيع عمله ، لما احتفّت به من القرائن الدالّة على أنه ممّن قبل عمله ، فإن ذكره جاء بعد قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ[4] ﴾

(١) سورة آل عمران آية ١٩٨ .

(٢) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت والذى فى ا ، ب « المشايخ » .

(٣) سورة الفرقان آية ٢٣ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٩١ .

إلى قــــوله : ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا[(١)]﴾ إلى أن قال سبحانه لهم بعد انتهاء دعائهم : (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ) فقـد وضح أن العامل المذكور هاهنا المراد به منهم ، وإنما أتى به منـكّرا ليتناول هذا الوعد كلّ من عمل مثلَ أعمالهم ، وعقّب ذلك بقوله : (فالذين هاجروا) إلى آخر الآية ، ولمّا توسط ذكر العامل بين هذين الـكلامين المتضمّنين وصف هؤلاء بهذه الأعمال الصالحة ، علم أنه لا يـدخل فيمن قال سبحانه وتعالى فيه : (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) لأنه وقع ذكره فى نفس إجابة الدعاء ، وقد قال سبحانه : (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا[(٢)]) .

وقد أخبر أن هؤلاء ممن أحسن العمل ، وهذا الدّخل إنما يتوجه على الاستشهاد بقوله تعالى : (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) لا غير ، وأما كون الـكلام لو اقتصر فيه على قوله تعالى : (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ) دون « منكم » لـكان المعنى ناقصا ، لأنه من حيث الجملة سبحانه يضيع عمل بعض العمال ، فلابد من الإتيان بمنكم ليتمّ المعنى ، وعلى هذا يبقى الإشكال على حاله .

[١٤١]

ووجه الانفصـــــال عنه أن يقال : إنه سـبحانه أخرج هؤلاء الداعين من عموم مادلّت عليـه لفظة « عامل » ليفـردهم بالذكر عناية منـه — سبحانه وتعالى — بهم ، ورفعا لشأنهم ، كما قال تعالى :

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩٣ .

(٢) سورة الكهف آية ٣٠ .



﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ[1]﴾ ، وأما الجواب عن قوله بعد ذلك : «مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى» ، فإن سبب نزولها أن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ قالت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يارسول الله ، ذهب الرجال بالخير كلّه فى كلام غير ذلك قالته[2] ، فنزلت ليعلّم سبحانه النساء الصالحاتِ أن لهم ما للرجال من الخير .

• وأما الجواب عن قوله تعالى : «بعضكم من بعض» فإن فى ذلك إشارةً إلى أن حال نساء الموعودين بذلك الخير كحال رجالهم لأنّهن من الرجال بمنزلة البعض من الكلّ . أو يكون المراد بذلك أنّ قوّة الايمان لاحمتْ بين الأباعد من المؤمنين إلى أن صيرّتْهم[3] أقارب ، فقامت لُحمة الإيمان مقام لُحمة النَّسب ، وعرّفهم ذلك ليحضّهم على التراحم بينهم والتعاطُف والتواصُل ، ونهى فى ضمن ١٠ ذلك عن التقاطُع كما أمر بصلة الأرحام ، ونهى عن قطعها ، وقد كانوا كذلك ، قال الله تعالى مُخبرا عنهم : ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ[4]﴾ .

وأما الجواب عن قولهم فى جزاء الّذين وصفهم بالإيمان والهجرة والجهاد فى سبيله بعد وعدهم بالجنّة : ﴿ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فإن وعدهم بالجنّة جزاء لأعمالهم ، فوجب أن يسمّى ثوابا كما قال سبحانه : ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا[5]﴾

---

(١) سورة البقرة آية ٩٨ . كـذا فى الأصل ، د ، ت ، س ، وفى نسختى ا ، ب وجبرائيل وميكائيل ، وهى قراءة حمزة .

(٢) الضمير من « قالته » ساقط فى الأصل ، د س ، ت ، وقد أثبتناه عن ا ، ب إذ به يستقيم الـكلام .

(٣) فى (ا) « أصارتهم » ، وهو يستقيم أيضا

(٤) سورة الفتح آية ٢٩ .

(٥) سورة المائدة آية ٨٥ .

ولهذا قال : (وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) . وأما الجواب عن قوله تعالى في جزاء الذين اتقوا ربهم (نُزُلًا) . وتخصيص مقامهم في الجنة بالخلود دون الفرقة الأولى التي وصفها بتلك الأعمال ، لكون التقوى أشرف الأعمال وأعظمها ثوابا عند الله ، ولأن المتقين هم الأبرار ، بدليل قوله تعالى : (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ [١٤٢] فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ[١]) وبذلك احتج أبو بكر الصديق — رضي الله عنه — على الأنصار يوم السقيفة حين قالوا : (منّا أمير ومنكم أمير) فقال : إن الله أمركم أن تكونوا معنا معاشر المهاجرين حيث قال مخاطبا لكم : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ[٢]) وإذا كان المتقون هم الأبرار ، وقد سألت الفرقة الأولى في دعائهم فقالوا : (رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ) ، فسألوا الله أن يكونوا مع الأبرار ، وأخبر عن الفرقة الثانية أنهم هم المتقون حيث قال : (لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ) فعلم

(١) سورة البقرة آية ١٧٧ .

(٢) سورة التوبة آية ١١٩ .

أنهم أعلى درجةً ، وأرفع منزلةً ، وأحسن حالاً من الفرقة الأولى ، فوجب تمييزهم عليهم بتخصيص مُقامهم فى الجنّة بالخلود دون أولئك ، وإن كان كلّ من دخل الجنة خالدا فيها ، بدليل قوله تعالى : (وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ) لكن تمييز هؤلاء بهذا الوصف إنما جاء تنبيها لنا على فضلهم وميزتهم على إخوتهم الأُول ، فلا جرم أنه جعل ما وعدهم به من الخلود فى الجنة وما أعد فيها نُزُلا ، والنُّزُل ما يُمدّ للضيف النازل من الكرامة والقِرَى ، ولّما كان الضيف لم يُقدِّم للمضيف شيئا من الأعمال ، يستحق به قِراه سوى قصده له ، والقصد من أعمال الباطن ، والتُّقَى من أعمال الباطن ، ناسب أن يسمّى ما أعد للمتقين نُزُلا ، تشبيها بما أعد للضيف . ولّما كانت أعمال الفرقة الأولى الغالب عليها أعمال الظاهر الّذى يستحق عليه العامل الأجرة ، ناسب أن يسمّى ماوعدوا به ثوابا ، ولا خلاف فى أن الأبرار أرفعُ درجةً من غيرهم من سائر العمّال ، لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (حسنات[1] الأبرار سيئات المقرّبين) وقد ثبت أن المتّقين هم الأبرار ، وقد أخبر سبحانه عن الفرقة الثانية أنهم متقون ، فوجب أن يأتى لفظ ما وعدوا به على ماجاء .

* * *

(١) ليس هذا كلام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما زعم المؤلف، وإنما هو كلام أبى سعيد الخزاز وكان من كبار المتصوفة انظر الكلام عليه مطولا فى كشف الخفاء ومزيل الالباس ١ . ٣٥٧ .



باب التشكيك *

وهو أن يأتى المتكلم فى كلامه بلفظة تشكك المخاطب هل هى حشو، أو أصلية لا غنى للكلام عنها، مثل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ[1] ﴾ الآية فإن لفظة «بدين» ـ الجار والمجرور ـ تشكك السامع هل هى فضلة؟ إذ لفظة «تداينتم» تغنى عنها، ٥
أم هى يحتاج[2] إليها؛ والجواب أنها أصلية، لأن لفظة الدين لها محامل [١٤٣]
فى اللسان تقول: داينت فلانا المودة، يعنى جازيته، ومنه: (كما تدين تُدان[3]) قال رؤبة بن العجاج[4] (السريع):

دَايَنْتُ أَرْوَى والدُّيونُ تُقضَى ... فَمَطَلَتْ بعضاً وأدَّتْ بَعْضاً

وكل هذا هو الدين المجازى الذى لا يكتب به، ولا يشهد عليه ولا فيه. ١٠
ولما كان المراد فى الآية تبيين الدين الذى يكتب عليه وفيه، وتبيين الأحكام المتعلقة به، وما ينبغى أن يعمل فيه، أوجبت البلاغة أن يقول سبحانه: (بدين) معناه يكتب به ويشهد عليه ليقول بعد ذلك: (فاكتبوه) فيعود

(*) من الأنواع التى سلمت للمؤلف (بحثه فى حسن التوسل: ٨٥، ونهاية الأرب ٧: ١٦٩).

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢.

(٢) كذا فى الأصل، ت، س، والذى فى ا، ب «مما يحتاج».

(٣) هذه عبارة من حديث أوله، «البر لا يبلى والديان لا يموت اعمل ما شئت فكما تدين تدان» الجامع الصغير ٢: ١٧٦، كشف الخفاء ٢: ١٢٦.

(٤) تاج العروس مادة (دين) وروايته فيه (فماطلت) والبيت فى تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات ٧٤، مجموعة أشعار العرب جمع وترتيب وليم بن الورد ٣: ٧٩.

الضمير على الدين المخصوص الّذي يكتب ، لا على مطلق الدين الّذي يدل عليه (تداينتم) ، والمصادر تأتي في موضع لبيان النوع ، كقولك : ضربت ضرباً شديداً ، فإنك إنما جئت بالمصدر لتصفه بالشدّة لتبيين نوع الضرب ، فإن الضرب يكون شديدا ويكون غير ذلك ، ولم ترد أن يخبر بوقوع الضرب منك ، فإن ذلك عُلم من قولك ضربت .

ومن التشكيك نوع آخر : وهو أن يأتيَ المتكلِّم بجُمَل من المعاني معطوفٍ بعضها على بعض (بأو) الّتي للتشكيك خاصّة ، لا الّتي للتخيير ، ولا التي للإباحة ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىَ عَلَىَ اللهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ[1] ﴾ ، وكقوله عز وجل (أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنكُمْ مِنْ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ[2]) .

* * *

باب الحيدة والانتقال*

وهو أن يجيب المسئول بجواب لايصلح أن يكون جوابا عما سُئل عنه ، أو ينتقل المستدل إلى استدلال غير الّذي كان آخذا ، فيه وإنما يكون هذا بلاغة إذا أتى به المستدلّ بعد معارضته بما يدلّ على أن المعارض لم يفهم وجه استدلاله ، فينتقل عنه إلى استدلال يقرب من فهم الخصم يكون فيه قطعه

(١) سورة الأنعام آية ٩٣ .
(٢) سورة المائدة آية ٦ .
(*) هذا النوع مما سلم لابن أبي الإصبع ولم يسبق إليه .



عن المعارضة ، فيكون استدلاله الأوّل محتملا للمعارضة ، واستدلاله الثانى لا يحتمل ما يبطله بوجه صحيح ولا بوجه سقيم ، كما جاء فى مناظرة الخليل — صلوات الله عليه وسلامه — مع الجبّار [1] لمّا قال (له) [2] الخليل ﴿ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ [3] ﴾ فقال الجبّار: (أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ) ، ثم دعا من وجب عليه القتل فأعتقه ، ومن لا يجب عليه فقتَلَه ، فعلم الخليل — عليه السلام — أنه لم يفهم معنى الإحياء والإماتة ، أو علم ذلك وغالط بهذا الفعل ، فانتقل — صلوات الله عليه — إلى استدلال لا يجد الجبّار له وجها يتخلّص منه ، فقال : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ فانقطع الجبّار ، وكان منة ما أخبر الله — سبحانه وتعالى — به عنه حيث قال : ﴿ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ ﴾ [144]

ورأيت الإمام فخرَ الدّين بن الخطيب — رحمه الله — تعالى قال فى تفسيره فى هذا الموضع كلاما معناه : إن الله سبحانه أراد حراسة نبيّه وخليله عن التكذيب ، فصرفَ الجبّار عن أن يقول : أنا آتى بالشمس من المشرق ، فإن ذلك كان يمكنه أن يقوله عنادا .

وعندى أن الجبّار أبان بسكوته عن ذلك — و إن كان ممكنا له — عن رجاحة عقله ، لأنه لو قال هذا لأكذَبَه أهلُ مجلسه خصوصا ، وأهل مملكته عموما ؛ ومن لم يجسر على مواجهته بالتكذيب أسرّ ذلك فى نفسه ، فإن من كان أسنّ منه يعرف أن هذه الشمس تطلُع فى كلّ يوم من المشرق من قبل وجود

---

(١) هو النمرود بن فالح بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ، حكى ذلك ابن عطية الجامع لأحكام القرآن ٣ : ٢٨ طبع دار الكتب المصرية .

(٢) هذه الكلمة التى بين قوسين ساقطة من الأصل .

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٨ .

الجبّار ، ويرى ذلك عيانا ويسمع به صاغر عن كابر من آلاف من السنين وهذا أمر لايحتاج إلى دليل (الوافر) :

وليس يصحُّ فى الأذهانِ شىءٌ إذا احتاجَ النّهارُ إلى دَليلِ [1]

فلو قال ذلك لـكان من الخذلان الّذى هو أشد الأشياء تنفيرا عنه ، وربّما كان ذلك سببا للخروج عن طاعته ، وداعيا لِهَدْم مملـكته .

* * *

باب الشماتة*

ولم أظفر منه فى الـكتاب العزيز بشىء إلا قوله تعالى لفرعون وقد قال فرعون : ﴿ آمَنتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ [2] ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ [2] ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا ، فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِى كُنتُمْ بِهِ تُـكَذِّبُونَ [3] ﴾ وعجز الآية أردت ، وكقوله سبحانه : ﴿ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَـكْنِزُونَ [4] ﴾ ومن تَتَبّع هذه المعانى وجدها كثيرةً .

* * *

(١) البيت للمتنبى انظر ديوانه (شرح البرقوقى) ٢ : ٧٦ طبع الرحمانية سنة ١٣٤٨ هـ . وروايته فى الأفهام .

(*) من الأنواع التى سلمت للمؤلف ولم يسبق إليها .

(٢) سورة يونس آيتا ٩٠ و ٩١ .

(٣) سورة السجدة آية ٢٠ . وفى جميع الأصول فنى «النار» وهو خطأ .

(٤) سورة التوبة آية ٣٥ .



باب التهكم*

التهكم فى الصناعة عبارة عن الإتيان بلفظ البشارة فى موضع النذارة ، والوعد فى مكان الوعيد تهاونا من القائل بالمقول له ، واستهزاء به ، كقوله تعالى: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا[١] ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ[٢] ﴾ وكقوله عز وجل : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ٥ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ[٣] ﴾ ، فقد ذهب بعض المفسرين إلى أنهم [١٤٥ أ] حول السلطان يحفظونه على زعمه من أمر الله على سبيل التهكم به ، فإنهم فى الحقيقة لا يحفظونه من أمر الله إذا جاء .

ومن هذا الباب أيضا قوله تعالى : ﴿ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ[٤] ﴾ ، وقوله سبحانه : « إيمانكم » تهكم به ، ومنه قوله ١٠ تعالى خطابا لمشركى قريش يوم بدر : ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ[٥] ﴾ فإنهم كانوا عندما عزموا على الخروج تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا:

(*) هذا النوع مسبوق إليه من الزمخشرى حيث قال فى تفسير قوله تعالى : (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) تهكما (بحثه فى الخزانة لابن حجة : ٩٨ ، وحسن التوسل :٨٩) . والتهكم فى اللغة : الاستهزاء والسخرية .

(١) سورة النساء آية ١٣٨ ،

(٢) سورة الدخان آية ٤٩ .

(٣) سورة الرعد آية ١١ .

(٤) سورة البقرة آية ٩٣ .

(٥) سورة الأنفال آية ١٩ .

«اللهم أنصر أقْرانا للضَّيف ، وأوَصَلنا للرَّحِم ، وأفكَّنا للعانى (١) ، إن كان محمّد على حق فانصره ، وإن كنا على حقّ فانصرنا» وروى أنهم قالوا : «اللهم انصر أعلى الجندين ، وأهدى الفئتين ، وأكرم الحزبين» ، وروى أن أبا جهل قال : «اللهم أينا كان أهجر وأقطع للرحم فاخذله (٢) اليوم ، فقال سبحانه (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ) إن تدعوا فقد أجبتم إلى مادعوتم به ، وأخرج ذلك بلفظ التهكم فى تسميته فتحا .

وقد قيل إن الخطاب فى الآية للمؤمنين ، وقوله تعالى بعد ذلك : (إِنْ تَنْتَهُوا) خطاب للمشركين ، وهو على هذه الرواية لايكون تهكّما ، والأوّل اردت .

والفرق بين التهكم ، وبين الهَزْل الذى يرادبه الجدّ «أن التهكّم ظاهرُه جدّ وباطنه هَزْل ، لمجيئه على سبيل الاستهزاء . هذا على ما تعارفناه بيننا ، والتهكّم من الله تعالى حقّ كلُّه ، والهزل الذى يراد به الجدّ ظاهره هَزْل وباطنُه جدّ .

* * *

(١) العانى : الأسير (قاموس) .

(٢) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت والذى فى ا ، ب «فاحنه» أى امته وهى أبلغ معنى .



باب التندير *

وهو أن يأتى المتكلم بنادرة حلوة، أو نُكتة مستطرَفة، وهو يقع فى الجدّ والهزل.

ومن لطيف ماجاء منه فى الجدّ وبديعه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ(1)﴾، فانظر إلى مبالغته سبحانه وتعالى فى وصف المنافقين بالجبن والخوف، حيث أخبر عنهم بالخبر الصادق أنهم عند الخوف تدور أعينهم حالةَ الملاحظه كحالة من يُغشَى عليه من الموت، ولو اقتصر سبحانه — وهو أعلم — على قوله كالذى يُغشَى عليه من الموت لكان كافيا فى المقصود، ولكنه لم يقف — سبحانه — عند ذلك حتى زاد شيئا بقوله من « الموت » إذ حالة المغشىّ عليه من الموت أشدّ حالةً من غيره ولو جاء — عزّ وجلّ — فى موضع الموت بالخوف لكان الكلام بليغا، والذى جاء به التنزيل أبلغ، وهو مع ذلك خارج مخرج الحق، وجارٍ مجرى الصدق، فانّ المنافقين من الجُبْن والجزَع بهذه المثابة، وذلك الذى دعاهم إلى النفاق، [١٤٦] فإن من كان قوىّ النفس، شجاعَ القلب، لايرضى بالنفاق، بل يُظهِر مايُبطنه الخائف لقلّة مبالاته بالموت.

وفى هذا الكلام من التندير لمن يتدبّره مايبهرج كلّ نادرة.

والفرق بين التندير، والتهكم، والهزل الذى يراد به الجدّ، أن التندير

(*) من الأنواع التى لم تسلم للمؤلف وهو مسبوق إليه، فهو بعينه المبالغة، بل إنه يأتى بنص فى كلامه على هذا النوع يدل على صدق ما نقول حيث يعلق على قوله تعالى (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك) الخ فانظر إلى مبالغته سبحانه فى وصف المنافقين بالجبن والخوف حيث أخبر عنهم بالخبر الصادق أنهم عند الخوف تدور أعينهم، انظر نهاية الأرب ٧ : ١٧٢.

(1) سورة الأحزاب آية ١٩.

ظاهر لفظه جدّ ، وباطنه هزل ، بخلاف البابين بالنسبة إلى كلامنا .

* * *

باب الإسجال بعد المغالطة*

وهو أن يقصد المتكلّم غرضا من ممدوح فيأتى بألفاظ تقرّر بلوغه ذلك الغرض إسجالا منه على الممدوح به ، وبيان ذلك أن يشترط شرطا يلزم من وقوعه وقوع ذلك الغرض ، ثم يخبر بوقوعه مغالطةً ، وإن لم يكن قد وقع بعد ، ليقع المشروط. وقد يقع الإسجال لغير مغالَطة ، والقسم الأوّل يأتى فى الشعر ، وغيره من كلام البَشَر ، ولا يقع فى الكتاب العزيز إلا القسم الثانى ، وهو الإسجال بغير مغالطة ، ومثاله قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَاوَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ[1]﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ[2]﴾ إلى كثير من هذه المواضع لمن تتبّعها .

ومثال القسم الأوّل من هذا الباب وهو ما تقع فيه المغالطة قول الشاعر[3] (البسيط) :

جاء الشتاء وما عندى له عُدَدٌ ... إلا ارتِعادِى وتصفيقى بأسنانِى

فإنْ هلكتُ فمولانا يكفّننى ... هبنى هلكتُ فهبنى بعضَ أكفانِى

وهو من ألطف ما رويتُ فى هذا الباب .

* * *

(*) سلم هذا النوع للمؤلف ، بحثه فى نهاية الأرب ٧ : ١٧٣ ، حسن التوسل : ٨٦ .

(١) سورة آل عمران آية ١٩٤ .

(٢) سورة غافر آية ٨ .

(٣) هو ابن نباتة السعدى كما فى معاهد التنصيص ٣ : ١١ ، والبيتان فى نهاية الأرب ٧ : ١٧٣ غير منسوبين ، وروايته « وما عندى لقرته » أى لشدة برودته .



باب الفرائد *

وهو مختص بالفصاحة دون البلاغة ، لأنه عبارة عن إتيان المتكلم فى كلامه بلفظة تتنزل منزلة الفريدة من حب العقد ، وهى الجوهرة التى لا نظير لها ، تدل على عظم فصاحته ، وقوة عارضته ، وجزالة منطقه ، وأصالة عربيته بحيث تكون هذه اللفظه إذا سقطت من الكلام عزت على الفصحاء غرابتها ، فقد جاء من ذلك فى الكتاب العزيز غرائب لا يقع مثلها لمخلوق ، وهى من الكثرة فى القرآن بحيث يعسر (١) حصرها ، ومنها قوله تعالى : ﴿ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ (٢) ﴾ [١٤٧] وقوله سبحانه : ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا (٢) ﴾ فألفاظ هذه الجملة كلها من هذا الباب ، وأجزلها قوله تعالى : (اسْتَيْأَسُوا) وأفصحها قوله سبحانه : (خَلَصُوا نَجِيًّا) ، وقل أن تجتمع الفصاحة والبلاغة فى جملة من هذا الباب إلا فى هذه الجملة ، فإن هاتين اللفظتين تضمنتا مع الفصاحة الإيجاز — وهو أعلى ضروب البلاغة —

ولقد رأيت بعض شعراء المحدثين ضمنها شعرا له ، فأتى له من الوقع فى النفوس ما لا تطيق الألسن الفصيحة أن تعبر عنه ، وإن كان كل شعر ضمن شيئا من لفظ القرآن فهو كذلك ، ولا مثل الشعر الذى يتضمن أفصح ألفاظه ، فقال هذا الشاعر (٣) (الطويل) :

(*) هذا النوع مما سلم للمؤلف ، ولم يسبق إليه ، بحثه فى خزانة ابن حجة : ٣٧٢ .

(١) فى ا ، « يعز » والمعنى يستقيم عليها أيضا .

(٢) سورة يوسف آيتا ٥١ ، ٨٠ .

(٣) لم أوفق لقائل هذين البيتين بعد البحث الكثير « فتأمل » .

أجيرتَنا بالغَوْرِ كيف خَلَصتُمُ نجيًّا وأخفيتمْ حديثَكمْ عنّى
لقد سمعتْ أذْناىَ نجوى فراقِكمْ فلا أبصرتْ عيناى ما سمعتْ أذْنى

فتأمّل هذا الشعر الّذى يجد اللّبيب لسماعه نشوةً كنشوة الخمر ، وما ذاك إلا أنه ألقى على شَبَه [(١)] ألفاظه اكسيرا من لفظة القرآن ، فصار ذلك الشَّبه تبرا خالصا ، ومزج باطله بحقه ، فتجلى على الصدق ، وللصدق رونق .

ومن هذا الباب فى الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ [(٢)] فانظر إلى لفظة « فزع » وتأمّلْ غرابة فصاحتها لتعلم أنّ الفكر لايكاد يقع عليها ، وكقوله تبارك وتعالى : ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [(٣)] فالمحْ هذه الألفاظ تجدها كلّها فى الطبقة العليا من الفصاحة ، وكقوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [(٤)] وهذه الفريدة أعجب من كلّ ماتقدّم ، فإن لفظة « خائنة » بمفردها سهلة مستعمَلة ، كثيرة الجرَيان على الالسُن ، فلما أضيفت إلى الأعين حصل لها من غرابة التركيب ما جعل لها فى النفوس هذا الوقع بحيث لايستطاع الإتيان بمثلها ، ولا يكاد يقع ذو فكر سليم ، وذهن مستقيم على شبهها ، وأشباه ذلك فى الكتاب العزيز لاتدْخُل تحت الحَصْر .

* * *

---

(١) الشبه بالتحريك : النحاس الأصفر (القاموس) .
(٢) سورة سبأ آية ٢٣ .
(٣) سورة الصافات آية ١٧٧ .
(٤) سورة غافر آية ١٩ .

باب الاقتدار*

وهو أن يُبرِزَ المتكلّم المعنى الواحد فى عدّة صوَر اقتدارا منه على نظم الكلام وتركيبه، وعلى صياغة قوالب المعانى والأغراض، فتارةً يأتى به فى لفظ الاستعارة وطورا يُبرِزه فى صورة الإرداف، وآونة يُخرجه مخرج الإيجاز، وحينا يأتى به فى ألفاظ الحقيقة، كقول امرىء القيس[1] فى صفة اللّيل مما [١٤٧] أخرجه بلفظ الاستعارة (الطويل):

وليلٍ كَموجِ البحرِ أرخَى سُدُولَهُ ... علىّ بأنواع الهموم ليبتلِي

فقلتُ له لمّا تمطّى بصُلْبِه ... وأردَفَ أعجازا وناء بكَلْكَلِ

ثم أتى بهذا المعنى بعينه فى لفظ البَسْط فقال[2] (الطويل):

فيالَكَ من ليلٍ كأنّ نُجومَه ... بكلّ مغارِ الفَتْلِ شُدّتْ بيذْبُلِ

فانّ ملخص معنى هذا البيت: فيالك من ليل طويل، فبسط الصفة ليحصل من البسط ما حصل من التشبيه الدالّ على عدم سير النجوم، ليدلّ بذلك على طول الليل ثم أخرج هذا المعنى بلفظ الإرداف، فقال (الطويل):

---

* هذا النوع سماه المؤلف فى تحرير التحبير ص ٢٦٤ (٤٨ بلاغة تيمور) التصرف وسار على هذه القسمية صاحب حسن التوسل: ٥٩، وهو من الأنواع التى سلمت المؤلف

(١) ديوانه ٣٢ المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٨هـ، بديع ابن المعتز: ٢٤، العمدة ١: ٢٤٥، الصناعتين: ٢٤٧، حماسة ابن الشجرى ٢١٦، الموشح ٣١

(٢) المغار: المحكم (هامش بالأصل)، ديوانه ٣٣، الموشح ٣١، حماسة ابن الشجرى ٢١٦.

كأنَّ الثُّريَّا عُلِّقتْ فى مَصامِها[1] بأمراسِ كتّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ

فإنه أراد أن يقول مستشهدا على صحة ما أدعاه فى البيت الذى قبله من شد النجوم بحبال إلى صُمّ حجارة ، ألم تر إلى الثريا — التى لا تكاد تخفى على أحد لكبرها واجتماع نجومها وشهرتها — واقفة ، فعدل عن ذلك إلى قوله : « كأن الثريا » البيت لما أفاد الإرداف من التشبيه ، ثم أبرز هذا المعنى فى لفظ الحقيقة بطريق الإيجاز فقال[2] :

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألاَ انْجلِ بصبحٍ وما الإصباحُ منكَ بأمْثَلِ

ولا شبهة فى أن هذا إنما يأتى من قوة الشاعر ، وقدرته على التلاعب بالكلام ، وعلى هذا أتت جميعُ قصص القرآن العزيز ، فإنك ترى القصةَ الواحدة التى لا تختلف معانيها كيف تأتى فى صور مختلفة ، وقوالبَ من الألفاظ متعدِّدة ، حتى لا تكاد تشتبه فى موضعين منه ، ولابدَّ أن تجد الفرق بين صُوَرِها ظاهرا ، وإلى هذا المعنى أشرتُ بقولى فى وصف القرآن العزيز من قصيدة مدحتُ بها رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — نظمت فيها ما فى (الشفاء) للقاضى عياض بن محمد بن موسى — رحمه الله عليه — من دلائل نبوة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وخصائصه ، عدتها ثلاثمائة بيت وخمسة عشر بيتا ، أولها (الطويل) :

بِسُكْرِ الصِّبا أعطافُها تتأوّدُ فألحاظُها سُكْرا علينا تعرْبِدُ

---

(١) المصام : موضع الوقوف (هامش بالأصل) ديوانه ص ٣٣ .

(٢) ديوانه ٣٣ طبع مصر ١٣٠٧ هـ ، نقد الشعر : ١٤ ، الموشح ٣١ ، حماسة ابن الشجرى : ٢١٦ .



جاء فيها من وصف القرآن العزيز بعد تعديد معظم آياته :

وآيته العُظمى بلاغـــةُ ما به أتى من كتابٍ فضلُه ليس يُجحَدُ

تفرَّد فى عصر البيان بيانُه بأسلوبه إذْ نظمُه متفرِّدُ [١٤٨]

وفى نظمِه بعد الغرابة مُعجِزٌ محاسنُه لم تنحصرْ فتُعدَّدُ

هَدَى الناسَ منه للبديع بديعُه فصاغوا حُليَّ القوْلِ منه وولَّدُوا ٥

بمعنًى يزينُ المرءَ(١) منه كلامَه فيحلو بأسماع الوَرَى حين يُورَدُ

ويُضحِى لِمَا يأتى به أىّ رونقٍ يعظِّمه المُصغِى له ويُمجِّدُ

وجاء سليماً نظمُه مِن معايبٍ بلا سَقَطٍ فيه لمن يتفقَّد

به قصصٌ تأتيك طَوْراً بسيطةً ليَفهمَها من بَسْطِها المُتبلِّدُ

وطَوْرا بإيجاز يُبَثُّ لِذِى حِجًى له زَندُ فَهْمٍ ثاقبٍ ليس يَصْلُدُ ١٠

والبيتان الأخيران أردتُ ، لدخولها فى هذا الباب ، وفى أوصافه بعد هذه الأبيات أبيات أخرى تأتى على معظم أوصافه ، تركتُ ذكرَها لئلا نطــول بذكرها فى غير موضعه ، فإن هذا الكتاب لم نذكر فيه من الشِّعر إلاّ ما يتعلّق به ، وتمسَّ الحاجة إلى ذكره ، والقصيدة مشهورة من أراد الوقوفَ عليها بجملتها وجدها فى جزء أفردتُه مِنْ شعرى بمدائحه — صلّى الله عليه وسلّم — ومدائح ١٥ الخلفاء الراشدين الأربعة من أصحابه ، وقطعٍ فى مدائح أهلِ بيته — عليهم السلام — وسمّيته (صحاح المدائح)(٢) .

* * *

(١) كذا فى ا ، ب ، د ، س ، والذى فى الأصل ، ت « الحر » وهو تصحيف .
(٢) لم أعثر على هذا الكتاب فيما لدى من المظان فتأمل .

باب النزاهة*

وهو مختصٌ غالبا بالهجاء ، وإن وقع نادرا فى غيره من الفنون ، فإنه عبارة عن نزاهة ألفاظ الهجاء وغيره من الفُحْش حتى يكون الهجاء كما قال فيه أبو عمرو بن العلا وقد سئل عن أحسن الهجاء ، فقال : هو الّذى إذا أنشدته العذراء فى خدرها لا يقبح عليها ، مثل قول جرير[1] (الكامل) :

لو أنّ تغلبَ جَمَعَتْ أحسابَها   يومَ التّفاخُرِ لم تَزِنْ مِثقالاَ

وكقوله[2] فى الراعى النّميرى (الوافر) :

فغُضّ الطَّرْفَ إنّك مِن نُمَيْرٍ   فلا كعباً بلغت ولا كِلاَبا

وكقول عمرو بن معدى كربَ الزُّبيدى[3] (الطويل) :

١٠ فظلْتُ كأنى للرِّماح دريئةً   أُطاعِنُ عن أبناء جَرْمٍ وفرَّتِ

(*) من الغريب أن يخفى على المؤلف قول أبى عمرو بن العلاء : خير الهجاء ما تنشده العذراء فى خدرها فلا يقبح بمثلها ، وقول ابن بسام فى الذخيرة : الهجاء ينقسم إلى قسمين : قسم يسمونه هجاء الأشراف ، وهو ما لم يبلغ أن يكون سبابا أوهجوا مستبشعا ، والثانى السباب الذى أحدثه جرير وطبقته . فهذا النوع مسبوق إليه ، ولم يسلم للمؤلف إلا التسمية فقط (خزانة ابن حجة : ٧٧ . وهى ضرب من الهجو غير أنه يتعين أن يكون بألفاظ منزهة عن الفحش) .

(١) ديوانه ص ٤٥٢ مطبعة الصاوى .

(٢) ديوانه ص ٧٥ مطبعة الصاوى

(٣) الخزانة ١ : ٤٢٢ والحماسة بشرح التبريزى ١ : ٨٤ مع اختلاف فى الرواية حيث يقول فيها « ظللت » مكان « فظلت » ويروى فى نسخه (١)، (ب) «حرب» بدل «جرم» وما أثبتناه من الأصل وبقية النسخ، والخزانة، والحماسة، والدريئة : هى الحلقة يتعلم عليها الطعن ، وقد تكون من الدرء بمعنى الدفع .



وقال ابن الأعرابى : أهجى بيت وأمضّه قول الشاعر[(١)] (الطويل) :

وقد علمتْ عِرسكَ أنك آيبٌ تخبرّهم عن جَيْشِهم كلّ مرتَعِ

وكقول أبى تمام[(٢)] فى الموقدين (البسيط) : [١٤٩]

مودّةٌ ذَهَبٌ أثمارُها شَبَهٌ وهِمّةٌ جوهرٌ معروفُها عَرَضُ

وكقوله[(٣)] أيضاً (البسيط) :

بَنِي لهيعةَ ما بالى و بالُـكُمُ وفى البلاد مَنادِيحٌ ومُضطرَبُ

لَجاجَةٌ لى فيكمْ ليسَ يُشبِهها إلاّ لجاجتكم فى أنكم عَرَبُ

فأنت ترى مضاضةَ هذا الهجاء ، ونزاهة ألفاظه من الفُحش .

ومن أمثلة هذا الباب فى الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ

وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ . وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ ١٠

الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ . أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ

يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ[(٤)] ﴾ فإن ألفاظ ذم

هؤلاء المخبر عنهم بهذا الخبر أتت منزّهة عما يقع فى الهجاء من غير هذا القسم .

واتفق فى الآية مع النزاهة ، صحة التقسيم ، فإنها لم تُبْقِ قسما يقع

---

(١) هو أوس بن حجر ، النقائض : ٣٨٦ ، سمط اللآلى : ٧٦٧ تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمنى

(٢) ديوانه باب المعاتبات ص ٤٠١ الجامع الكبير لابن الأثير ٢٤٩ ، الطراز ٣ : ٣٢٩ .

(٣) ديوانه باب الهجاء ص ٤٨٨ وهما من أبيات يهجو بها عياش بن لهيعة أولها :

النار والعار والمكروه والعطب والقتل والصلب والمران والخشب

(٤) سورة النور الآيات من ٤٨ — ٥٠ .

فى القلوب من الصوارف عن القبول حتى جاءت به ، ألا ترى أنه سبحانه بعد قوله : « أفى قلوبهم مرض » ذكر الريبة لأنه لابد أن يكون الصارف عن الإجابة لحكم الله ورسوله إما إبطان الكفر وإظهار الإسلام وهو المرض ، أو التشكك والتردد والتذبذب فى حكم الله هل هو جار على العدل أو على غيره ، وذلك هو الريبة ، أو يكون الصارف خوف الحيف الذى لا يشعر به رجاء الإنصاف ، فلم يبق قسم من الصوارف حتى ذكر فيها ، ثم ختمها سبحانه بقوله « بل أولئك هم الظالمون » وأخر القسم الأخير وهو الخوف الصرف من الحيف الذى غلب على ظنهم ، ليكون هذا القسم مجاورا لقوله : « بل أولئك هم الظالمون » فيكون مرشحا للإيغال الذى [illegible] فاصلة الآية [illegible] الظالم ووصفهم فى الرد عليهم [illegible] ليحصل من ذلك الافتنان .

وهو جمع الكلام بين فنى [illegible] [illegible] بالظلم وصفهم فإنهم بالعدل ، ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك ، [illegible] الافتنان [illegible] مرشحا للإيغال الذى وقع فى فاصلة الآية ، فاقترن التشكيك الذى خرج فى لفظ تجاهل العارف بصحة التقسيم وأدمج الافتنان فى الإيغال مع ما فى لفظ الكلام من النزاهة مع [illegible] الهجاء بهؤلاء الأشقياء ، ونسأل الله العافية . [١٥٠]

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾[1] وصفهم بوصف النزاهة يظن مدحا والمراد به الهجو .

(١) سورة الزخرف آية ٥٨ .

باب التسليم*

وهو أن يفرض المتكلّم فرضا مُحالا إمّا منفيّا أو مشروطا بحرف الامتناع ليكون ما ذكره ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه ، ثم يسلم وقوع ذلك تسليما جدليّا ، ويدلّ على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه ، كقوله سبحانه : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾(١) خلاصة معنى هذا الكلام أن ليس مع الله من إله ، وكأنّ قائل ذلك قال : ولو سلمنا أن معه سبحانه إلٰها لزم من ذلك التسليم ذهاب كلّ إله من الاثنين بما خلق وعلوّ بعضهم على بعض ، فلا يتمّ في العالم أمرٌ ولا ينفذ حُكم ، ولا تنتظم أحواله والواقع ، خلاف ذلك ، ففرض إلٰهين فصاعداً مُحال ، لما يلزم منه من المحال .

* * *

باب الافتنان*

وهو أن يفتنّ المتكلّم فيأتى فى كلامه بفنّين إما متضادّين أو مختلفين أو متفقين ، مثال المتضادّين جمع المتكلّم بين الغزَل والحماسة ، لأن الغزَل

(*) هذا النوع مما سلم لابن أبى الإصبع وإن كان بعلم البحث والمناظرة أجدر كما لا يخفى

(١) سورة المؤمنين آية ٩١ .

(*) هذا النوع مما سلم للمؤلف وإن كان يلتبس بالادماج إلا أن الإدماج تضمين المتكلم للكلام معنى آخر بشرط ألا يصرح به ولا يشعر فى كلامه بأنه مسبوق لأجله بخلاف الافتنان ، بحثه فى خزانة ابن حجة : ٦١ ، حسن التوسل : ٨٦ ، نهاية الأرب ٧ : ١٧٣ .

لِين ، والحماسةَ شدّةٌ كقول عبد الله بن طاهر[١] بن الحسين من المولَّدين (الوافر) :

أحبُّكِ ياظلومُ وأنتِ مِنّى مكان الرُّوح من جَسَدِ الجبانِ[٢]

ولو انى أقولُ مكان رُوحى خَشيتُ عليكِ بادرةَ الطِّعانِ

فانظر كيف جمع فى هذا الشعر ، وخصوصاً البيت الثانى منه بين الغزل والحماسة بأرشق عبارة وأبلغِ إشارة ، وقد تقدّم غيرُه فى ذلك فى الجاهليّة[٣] فقال (الكامل) :

إن تُغْدِفِى دُونى القِناعَ فإنّنى طَبٌّ بأخْذ الفارِسِ المستلئمِ

وهذا أفضل بيت سمعتُه فى هذا الباب ، فإنه جمع فيه بين الغزل والحماسة والجدّ والهزل ، فأتى فيه بنادرة طريفة ، وطُرْفة غريبة ، حيث قال : بعد وصفها بستر وجهها دونه بالقناع حتى صار ما بين بصره و بين وجهها كالّليل المغدف الّذى يحول بين الأبصار و بين المبصرات : إننى طبٌّ بأخذ الفارس المستلئم ، يقول : إن تتبرقعى دونى فإنى خبير لدربتى بالحرب بأخذ الفارس الّذى سترته[٤] لأمته ، وحالت دونى ودون مقاتلته ، فأبرز الجدّ فى صورة الهزل ، فجاء فى بيته مع الافتنان التندير الطريف ، وعبّر عن معناه اللطيف بهـذا اللفظ

---

(١) هذان البيتان ينسبهما ابن حجة (ص ٦١) لأبى دلف مرة ، ولعبد الله هذا تارة أخرى ونسبا أيضاً فى ابن معصوم ص ١٠٣ لأبى دلف ، وكذلك فى الكامل للمبرد ٢ : ٧٠٢ طبع أوربا مع اختلاف فى روايتهما فيهما ، والأغانى ٢٠ : ١٤٨ مع اختلاف فى روايتهما أيضاً .

(٢) فى نهاية الأرب ج ٧ ص ١٧٣ « يا جنان » و « محل » .

(٣) البيت لعنترة العبسى ديوانه ٩٣ ط مطبعة هندية سنة ١٣١٥هـ — ١٨٩٨م بمصر .

(٤) اللأمة : الدرع (القاموس) .

الشريف ، فهذا شاهد ما جمع بين الغزَل والحماسة ، وأما ما جمع بين المدح والهجاء فكقول الحُطيئة[1] (البسيط) :

قد ناضلونا وَسلُّوا من كِنانَتِهمْ مجدا تَليدا ونَبْلا غير أنْـكاسِ

ومعنى هذا البيت لا يعرفه إلاّ من عرَف أنّ عادة العرب إذا مَنُّوا على أسير أعطَوْه نبلا من نبلهم عليها إشارة تَدلّ على أنها لأولئك القوم لا تزال فى كنانته . فقال الحطيئة لهـذا الممدوح الّذى عناه بهذا المدح : إن عداك لمّا فاخروك سلُّوا من كنانتهم تلك التى أعطيتها لهم حتى مننت عليهم ، تشهد لك بأنّهم عتقاؤك ، فكان هذا مجدا تليدا لك لا يَقدِرون على جَحْده ، تثبته لك هذه النَّبل الّتى ليست بأنكاس ، يعنى الصائبات الّتى لا تنكب إذا ناضلت بها عن الغَرَض ، وهذا غاية المدح للمدوح ، ونهاية الهجاء لعداه ، إذ أخبر بأنّهم مع معرفتهم بفضله عليهم يفاخرونه بما إذا أظهره أثبت له الفضلَ عليهم ، وهذا غاية الجهل منهم والغباوة ، وأما ما جمع فيه بين تهنئته وتعزيته فلم أسمع مثلَ قول المُعَزّى ليزيد بن معاوية عند ما جلس فى دَسْت الخلافة وأتت الوفود لتهنئته وتعزيته بأبيه ، فلما اجتمعوا لم يفتح على أحد بما فتح به لهم باب القول ، حتى

(١) هذا البيت من قصيدة يمدح بها بغيضا ويهجو الزبرقان وقد شكاه الزبرقان بسببها إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ديوانه ص ١٣٥ طأوربا وروايته « ناضلوك » و« نبلا » أما رواية اللسان مادة « نكس » فرواية البيت « ناضلونا » و« عزا » بدل « نبلا » وعليها يستقيم المعنى لأن المعنى على رواية الديوان يكون مدحا للزبرقان لا هجاء ولذلك علق عليه صاحب اللسان بما يفسر معناه فقال : الانكاس : النكس من السهام وهو أضعفها قال : ومعنى البيت أن العرب كانوا إذا أسروا أسيرا خيروه بين التخلية وجز الناصية ، أو الأسر فإن اختار جز الناصية جزوها وخلوا سبيله ثم جعلوا ذلك الشعر فى كنانتهم فإذا افتخروا أخرجوه وأروه مفاخرهم .



تقدّم هذا المقدّم ذكره ، فاستأذن فى الكلام ، فلما أذن له قال : « آجرك الله يا أمير المؤمنين على الرزيّة ، وبارك الله لك فى العطيّة ، فلقد رزئت عظيما ، وأعطيت جسيما ، رزئت خليفةَ الله ، وأعطيتَ خلافةَ الله ، فاصبر على مارزئت ، واشكر على ما أعطيت ، وأنشد[1] » : (البسيط)

٥ اِصبرْ يزيدُ فقد فارقتَ ذا ثقةٍ   وأشكرْ حِباءَ الذى بالمُلْك أصفاكا

لارُزْءَ أصبحَ فى الأقوام تعلمُه   كما رزئتَ ولا عقبى كعُقباكا

أصبحتَ راعىَ[2] أمورَ الناس كلِّهم   فأنت ترعاهُمُ والله يرعاكا

[١٥٢] وفى معاويةَ[3] الباقى لنا خلفٌ   إذا نُعيتَ ولا نَسْمَع بمَنعاكا

ففتح للناس باب القول : فقالوا ، وكان له فضل السَّبْق ، وما رأيت أحسنَ

١٠ من هذا الكلام فإن النثر المتقدّم هو جلّ الشعر المتأخّر ، والشعر المتأخّر عَقْد النثر المتقدّم مع مافى مفردات جُمَلِهِ من ضُروب المحاسن وفنون المقاصد ، مثل المقابلة ، والمناسبة ، والتعطّف ، والمساواة ، وتمكين المَقاطع ، إلى ما جاء فى الشعر زائدا على ما فى النثر من التنذير ، والاُحتراس ، والمقارنة ، والاُلتفات ، والإيغال فى سلامة سبك ، وبراعة عبارة ، وخفّة ألفاظ ، وصحّة معان ، وفرط إيجاز ،

١٥ وأما قول أبى نواس للعباس بن الفضل يعزّيه بالرشيد ، ويهنئه بخلافة الأمين (الطويل) :

تعزَّ أبا العبّاس عن خير هالكٍ   بأكرمِ حىٍّ كانَ أو هو كائنُ

(١) الأبيات فى زهر الآداب ١ : ٤٩ منسوبة إلى عبد الله بن همام السلولى من بنى مرة بن صعصعة من قيس عيلان ، وبنو مرة يعرفون ببنى سلول ، لأنها أمهم وهى بنت ذهل بن شيبان ابن ثعلبة انظر هامش (١) ص ٧٤ من ديوان سراقة تحقيق الدكتور حسين نصار .

(٢) فى زهر الآداب « والى أمر الناس » والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٣) يريد أبا ليلى : معاوية بن يزيد ، وولى بعد أبيه شهورا ، ثم خلع عن الأمر فقال القائل : « والملك بعد أبى ليلى لمن غلبا » انظر زهر الآداب ١ : ٤٩ وما بعدها .



حوادثُ أيّام تدورُ صُروفُهـــا لهنّ مَساوٍ مرّةً ومحـــاسن
وفى الحىّ بالمَيّت الّذى غَيَّبَ الثّرَى فلا أنت مَغْبُونٌ ولا الموتُ غابِنُ

ومما جَمعْتُ فيه بين فنّ العتاب وفنّ الأعتذار قولى (البسيط) :

أعرضتَ عنّى ولم أذْنِب وملتَ إلى الْـ واشى وَهبْنَىَ قد أذنبتُ فاغتفِرِ
ولا تُضِع ماحباكَ الفِكرُ من مِدَحى عن صفوِ وُدٍّ حماه اللهُ مِن كَدَرِ ٥

وكلّ هذه المعانى تتبهرج وتتزيّف عند قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى الّذينَ اتّقَوا وَنَذَرُ الظّالِمِينَ فيها جِثِيًّا[١] ﴾ فانظر إلى ما جَمعتْ هذه اللّفظات الّتى هى بعض آية من الوعد والوعيد ، والتبشير والتحذير ، وما يلزم من هذينِ الفنّين من المدح للمختصين بالبشارة ، والذّم لأهل النّذارة .

١٠ وقد جاء فى الكتاب العزيز من هذا الافتنان نوع غريب ، وهو الجمع بين التعزية والفخر ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْها فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ والإِكْرَامِ[٢] ﴾ فإنه سبحانه عزّى جميعَ المخلوقات من الإنس والجنّ وسائر أصناف الحيوانات ومشى على الأرض من كلّ قابل للحياة ، وملائكة السموات ، وتمدّح بالأنفراد بالبقاء بعد فناء الموجودات فى عشر لفظات ، مع وصفه سبحانه ذاته بعد أنفراده بالبقاء بالجلال والإكرام ، [١٥٣]
١٥ وحقّ له ذلك سبحانه .

* * *

(١) سورة مريم آية ٧٢ .
(٢) سورة الرحمن آيتا ٢٦ ، ٢٧ .

باب المراجعة*

وهو أن يَحكِىَ المتكلم مراجعةً فى القول جرت بينه وبين محاورٍ له فى الحديث ، أو بين اثنين غيره بأوجز عبارة ، وأبلغِ إشارة ، وأرشقِ محاوَرة ، وأعدلِ سَبْك وأسهله ، وأعذبِ ألفاظ وأجزلها ، إما فى بيت واحد أو أبيات أو جملة واحدة أو جُمَل ، ومن شواهده الشِّعْرِية قول عمر بن أبى ربيعة المخزومىّ[1] (الرمل) :

بينما يَنْعَتْنَنى أبْصرْنَنى ... مِثلَ قِيدِ الرُّمح يعدُو بِى الأغرْ

قالت الكُبرى تُرى من ذا الفتى ... قالت الوُسْطى لها هذا عمَرْ

قالتْ الصُّغرى وقد تيّمتُها ... قد عَرَفْناه وهل يَخفَى القمَرْ

وقع فى هذه الأبيات خبئان يدلّان على قوّة عارضة هذا الشاعر ، وفرطِ حِذقِه ومعرفته بوضع الكلام مواضعه ، أحدهما وهو الدّال على قوّة العارضة أنّ قوافى الأبيات الثلاثة لو أُطلقتْ لكانت كلُّها مرفوعة ، كما قيل فى أرجوزة[2] رؤبة التى أوّلها ، (الرجز) :

* قد جبر الدينَ الإلهُ فجبَر *

(*) ذكر المؤلف أن هذا النوع من مخترعاته وقد وجدته فى كتب كثيرة لمن تقدمه باسم آخر وهو السؤال والجواب والذى تحدث عنه فخر الدين الرازى فى نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز ص ١١٤ تحت هذا الاسم . والحقيقة أن هذا النوع ليس له كبير أثر فى البديع وهو بعلم النحو أخلق، وبأسلوب الحكاية الذى قتل بحثا أقرب. بحثه فى خزانة ابن حجة : ٩٩

(١) ديوانه برواية أخرى ٢٦٤ ط السعادة مع حذف البيت الثانى وفى الأغانى ج ١ ص ١١٩ طبع الدار مع اختلاف يسير عما هنا وخزانة ابن حجة : ٩٩ .

(٢) البيت لابنه وليس لرؤبة ،وهو عبد الله بن رؤبة لبيد ابن صخر بن عبيدة ابن ربيعة بن سعد بن زيد بن تميم بن مرة بن أد بن طابخة بن إياس بن مضر بن إياس بن نزار بن معد بن عدنان ، ديوانه مخطوط ومحفوظ بدار الكتب برقم ٤٥ أدب ش



فإنه قد روى عن الأصمعى أنها تزيد عن تسعين سطرا ، ولو أطلقت قوافيها لـكانت كلُّها مفتوحة .

والخبء الثانى كونه جعل الّتى عرفتْه من جملة البنات ، وعرّفت به وشبّهته تشبيها يدل على شغفِها بحبّه هى الصغرى منهنّ ، ليدل على أنّه فتىّ السنّ ، بدليل الالتزام إذ الفتيّة من النساء لا تميل إلاّ إلى الفتى من الرجال غالبا ليدمج فى ذلك عذره فى الصّبوة ، وإنه إنما كان ذلك منه فى أيام الشبيبة ، وقد ختم قوله بالتذييل الذى أخرجه مخرج المثل السائر حيث قال فى الحكاية عنها : « ... وهل يخفى القمر » ولا يقـال إنما مالت الصغرى إليه لضعف عقلهـا وعدم تمييزها وقلّة تجربتها ، فإنى أقول : قد يخلص من هذا الدخل بإخباره أوّلا عن الـكبرى أنها ما كانت تعرفه ، وقد أعجبها حين رأته حتى سألتْ عنه ، ويحتمل أن تـكون قد سألتْ عنه وهى عارفة به ، تعميةً لأمرها فيه ، من باب تجاهل العارف ، إمّا إظهـارا للتدلّه والتولّه فى الحب ، أو لقصد أن تجاب باسمـه فتلتذّ بذلك ، والوسطى صرّحت باسمه لأن منزلتها فى رجاحة العقل ورصانة اللُّب دون منزلة الـكبرى ، فلمّا سترت الـكبرى نفسها بالسؤال عنه لِما يقتضيه عقلها ، صرّحت الوسطى باسمه ومعرفته بالنسبة ، وأبانت الصُّغرى عمّا فى نفسها منـه بوصفها له بصفة تدلّ على عظم مكانه من قلبها ، لمكان سنّها من الأختين ، وإن كان ذلك لم يخطر ببال الشاعر فى وقت العمل ، فإن قوّة كلامه تقتضيه وتحتمله .

ومن شواهد هذا الباب فى الـكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ[1]﴾ فانظر إلى هذه

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٤ .



القطعة من الكلام التى عدة لفظاتها ثلاث عشرة لفظة ، وإلى ما حوته من ضروب البلاغة وهى بعض آية ، وذلك أنها جمعت معانى الكلام من الخبر والاستخبار ، والأمر والنهى ، والوعد والوعيد، أما الخبر ففى قوله تعالى : « إنى جاعلك » فأخبره بهذا الخبر الذى هو وعد فى الحقيقة باستخلاصه على الناس .

٥ والاستخبار فى ضمن الخبر ، فإنه فرع على الخبر ، إذ الخبر يصير استخبارا بتصدير ما يدل على الاستفهام والأمر فى قوله « ومن ذريتى » فإن معناه والله أعلم : الطلب لذريته ما وعد به من الاستخلاف ، فكأنه قال عليه السلام : رب وأفضل ذلك لبعض ذريتى ، وكل طلب أمر ، لكنه إذا كان من الله سبحانه وتعالى ، وإذا كان من العبد ، أوجب حسن الأدب مع الله عز وجل أن يسمى

١٠ دعاء ، ولا يطلق عليه لفظ الأمر وإن كان أمرا فى أصل الوضع ، والأمر بالشىء نهى عن ضده على أصح المذهبين ، فكأن معناه ولا تحرم بعض ذريتى ذلك . والوعد قد تقدم بيانه . وأما الوعيد ففى قوله تعالى : « لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ » فإن حاصل ذلك أن الظالمين من ذريتك لاينالهم استخلافى ، وحرمان ذلك غاية الوعيد ، وحصل فى هذا الكلام مع ذلك تنكيت عجيب فى قوله « إنى

١٥ جاعلك » بصيغة لفظ اسم الفاعل المضاف الدال على المضى ، أى إنى قد جعلتك فى سابق علمى ، بتحقيق الوعد ، ليثق الخليل — عليه السلام — بوقوعه ، فإنه وعد قد سبق به علم الله ، والله سبحانه وتعالى لايخلف الميعاد ، وعلمه لايتغير ، فانظر كم بين حاصل هذه اللفظات التى هى بعض آية وبين حاصل ماتقدم من أبيات ابن أبى ربيعة الثلاثة ؟

* * *

باب إثبات الشيء للشيء بنفيه عن غير ذلك الشيء *

[١٥٥] وهو أن يقصد المتكلّم أن يُفرِد إنسانا بصفة مدحٍ لا يشركه فيها غيره ، فينفى تلك الصفة فى أوّل كلامه عن جميع الناس ، ويثبتها له خاصّة[١] كقول الخنساء[٢] فى أخيها صخر (الطويل) :

٥ وما بَلَغَتْ كفُّ امرىءٍ متناولاً ... من المَجْدِ إلاّ وَالّذِى نِلْتَ أطْوَلُ

وما بَلَغَ المُهْدُون للناس مِدْحَةً ... وإنْ أطنبوا إلاّ الّذى فيكَ أفضَلُ

فتناوله أبو نُواس[٣] فقال فى محمد الأمين (الطويل) :

إذا نحن أثْنَيْنَا عليكَ بصالحٍ ... فأنتَ كما نُثْنِى وفوقَ الّذى نُثْنِى

وإنْ جَرَتِ الألفاظُ مِنّا بِمِدْحَةٍ ... لِغَيْرِكَ إنسانًا فأنتَ الّذِى نَعْنِى

١٠ لم يتعرّض أبو نواس للبيت الأول من بيتى الخنساء ألبتّة ، وإنما تناول معنى البيت الثانى ، فعمله برمّته فى بيته الأوّل ، وعلم لحِذْقه أن المعنى ناقص من جهة أنه لم يأت منه إلا بتفضيل ما قيل فى ممدوحه على ما قيل فى غيره من سائر الناس ، هو معنى الخنساء ، وقد بقى من تمام معنى هذا الممدوح المخصوص

(*) هذا النوع مما سلم للمؤلف ولم يسبق إليه .

(١) كذا فى الأصل، ا ، ب ، د ، س والذى فى ت « لممدوحه» .

(٢) ديوانها ٢٥ طبع بيروت وروى فيه برواية تختلف فى بعض ألفاظها .

(٣) ديوانه : ٤١٥ بتحقيق وشرح الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى .

بما يقوله هو فى مدح غير ممدوحه ، فأخبر أنه يعنى به ممدوحه وثبوته به ، وإن واجهت الألفاظ غيره لجعل لفظ مدحه لغير ممدوحه ، ولممدوحه معناه .

ومن هذا الباب قسم يقع فى التشبيه والإخبار ، وهو أن يكون للمشبّه أو المخبر عنه صفات ، فيعمد المتكلّم إلى نَفْيِ بعضها نفيا يلزم منه إثبات ما فى تلك الصفات له، كقول رسول الله — صلّى الله عليه وسلم لعلىّ — عليه السلام — : « أما ترضى [1] أن تكون منّى بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنّه لا نبىّ بعدى » ؛ فسلبه النبوّة مستثنيا لها من جميع ما كان لها من موسى عليهما السلام .

ومن القسم الأوّل من هذا الباب جميع معجزات الرسل — صلوات الله عليهم وسلامه هى ، فإن صورة المعجزة تنسب للنبىّ الّذى جاءت على يده وتُمَدّ من فعله مجازا ، وهو فى الحقيقة فعل الله تعالى ، ومن ذلك فى الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [2] فأثبت الرّمى للنبىّ صلّى — الله عليه وسلّم — إذ جاءت صورته على يده ، ونفى معناه عنه ، إذ كان لا يتأتّى مثل ذلك الرّمى إلاّ من الله سبحانه ، فإنّ كل حصاة أصابت عين كلّ إنسان من القوم ، وهذا لا يكون إلا من فعل الله تعالى .

* * *

---

(١) الجامع الصغير ٢ : ٩٨ .

(٢) سورة الأنفال آية ١٧ .



باب الزيادة التي تفيد اللفظ فصاحة وحسنا والمعنى توكيدا أو تمييزا لمدلوله عن غيره* [١٥٦]

مثال ما أفادت زيادته اللفظ فصاحة والمعنى توكيدا قوله تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾[1] فإن كل ذي ذوق سليم (وذهن مستقيم[2]) ونظر صحيح يفرق ما بين هذا اللفظ بهذه الزيادة وبينه عريًا عنها ، فإنه لو قيل : « فبرحمة من الله لنت لهم » لم تجد لها من الوقع في النفوس ما لقوله : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ ويشهد الطبع الجيد المعتدل بأنها بالزيادة أفصح ، وأن الزيادة أفادتها هذه الجزالة والطلاوة ، مع كونها جاءت مؤكدة للمعنى .

ومثال الزيادة التي من القسم الثاني قوله تعالى : ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[3] فإنه كان يمكن أن تأتي اللفظتان بغير زيادة ، فيقال : « لها ما كسبت وعليها ما كسبت » وإنما منع من ذلك ما يحصل للنظم من العيب ، وإغماض المعنى الذي قصد[4] ، أما العيب فاستثقال تكرار لفظه « كسبت » بغير زيادة في نظم قربت فيه الثانية من الأولى ، وأما الإغماض فلأن المراد الإشارة إلى أن الفطرة التي فطر الله — سبحانه وتعالى — الناس عليها فطرة الخير ، فالإنسان بتلك

(*) أرى أن المؤلف ليس له في هذا الباب فضل اختراع ، فهو بعينه ما سبق الكلام عليه تحت اسم التتميم أو الاحتراس وهو بعينه ما تكلم عنه التبريزي في بديعه تحت تسمية ابن أبي الأصبع : ٦٥ .

(١) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

(٢) العبارة التي بين قوسين ساقطة من ت .

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

(٤) كذا في ا ، وهو الصواب والذي في باقي النسخ « يصل » ، وهو تحريف .

الفطرة السابقة فى أصل الخلق لا يحسن أن ينسب إليه إلا كسب الحسنات ، وما يعمله من السيئات ، يعمله لمخالفته الفطرة ، فكأنه تكلّف من ذلك ما ليس فى جبلّته ، فوجبت زيادة التاء التى للافتعال ، فحصلت بزيادته إماطة العيب عن النظم ، لمخالفة إحدى اللفظتين أختها ، والإشارة إلى المعنى المراد ، ليوافق معنى هذا الكلام معنى قوله تعالى : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا[1] ﴾ ومعنى قوله – عليه السلام – « كل مولود[2] يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصّرانه ويمجّسانه » .

ومن هذا القسم قوله تعالى أيضاً : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴾ ، بزيادة لام التوكيد لأن أمر الزرع يحتمل أن يظن الضعيف بادىء الأمر أنه من صنع متولّى أمره ، وجعله حطاما من فعل الشمس ، وعدم السّقى فأكّد للإخبار بأنّه من فعله سبحانه لدفع هذا الاحتمال بخلاف الماء ، فإنه لا يظنّ أحدٌ أنّ أحدا يقدر على إنزاله من المزن غير الله تعالى ، فلم يحتج إلى توكيد .

* * *

باب الإبهام*

[١٥٧] بباء معجمة من تحت واحدة ، وهو أن يقول المتكلّم كلاما يحتمل معنيين متغايرين ، لا يتميّز أحدهما عن الآخر ، والفرق بينه وبين الاشتراك المعيب

(١) سورة الروم آية ٣٠ .

(٢) الجامع الصغير ٢ : ١٧١ ؛ وكشف الخفاء ٢ : ١٢٥ .

(*) لم يسلم للمؤلف من هذا النوع إلا اسمه فقط ، أما المسمى فقد سبقه إليه السكاكى تحت اسم التوجيه (المفتاح : ٢٢٦) بحثه فى خزانة ابن حجة ٣٠٧ ، وحسن التوسل : ٧٧ ، ونهاية الأرب ٧ : ٧٧ .



أن الاشتراك لا يقع إلاّ فى لفظة مفردة لها مفهومان لا يعلم أيّهما أراد المتكلّم .
والإبهام لا يكون إلا فى الجمل المؤتلفة المفيدة ، ويختص بالفنون كالمدح ، والهجاء
والعتاب ، والاعتذار ، والفخر ، والرّثاء ، والنّسيب ، وغير ذلك ، ولا كذلك
الاشتراك .

ومنه نوع آخر يقع لأحـــد أمرين : إما لامتحان جودة الخاطر ،
وإما لامتحان قوّة الإيمان من ضعفه .

ومثال هذا النوع — وهو الذى يأتى لامتحان الإيمان — ماجاء فى الكتاب
العزيز من عدم التصريح بمعجزات بعض الأنبياء — صلوات الله عليهم
أجمعين — ليقال : ما الفائدة فى اختصاص موسى وعيسى وأمثالهما — عليهم
السلام — ممّن صرح بذكر معجزاته دون نوح وهود ولوط وشعيب
وأمثالهم — عليهم السلام — ممن لم يصرح بذكر معجزاتهم ، وقد علم أنّهم رُسُل الله ،
ولابدّ لكل رسول من الإتيان بخارق قرين دعوى النبوة يتحدّى به من بعث
إليهم ليكون علامةَ صدقِه ، فيقال : إنما أبهم الأمر فى هذا لتعلم قوّة إيمان
المؤمن من ضعفِه ، فإنّ المؤمن القوىّ الإيمان يصدّق بنبوة هؤلاء الّذين نطق
الكتابُ بنبوّتهم ، وشهد برسالتهم ، وإن لم يسمع لهم بمعجزة ، كما سمع لغيرهم
فربّما كان من ضعف إيمانه ونقص عقلِه مَيْلٌ إلى اعتقاد أهل الكتاب فيهم ،
فإن أهل الكتاب لا يعتقدون نبوّة نبىّ إلا من بنى إسرائيل من لدن موسى
— عليه السلام — إلى قُبَيل زمن عيسى — عليه السلام — غير أن البلاغة وما يؤثر فيها
من حُسن البيان توجب على المتكلّم الإشارة إلى ما أبهمه فى كلامه لتأتى الإشارة
مدمجةً فى أثناء الكلام ، كما جاء ذلك فى الكتاب العزيز ، فإن قصّة نوح
— عليه السلام — قد جاءت فى هود وغيرها عريّة عن ذكر معجزله مصرّح ،

بذكره، وأتت فى سورة يونس — عليه السلام — مشاراً فيها إلى أنه جاء قومه بآيات فى الجملة، وإن لم يذكر عينها، وذلك قوله تعالى فى سورة يونس — عليه السلام: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ[1] ﴾ فأخبر عن نفسه أنه ذكرهم بآيات فى الجملة، ولم يعينها ليبقى اسم الإبهام على هذا المكان، وإن كان يجوز أن تكون الآيات التى ذكرهم بها مواعظ يذكر فيها قدرة الله[2] تعالى وصنعه فى العالم وغير ذلك، وإن لم يرد بها المعجزات، ويحتمل أن يريد المعجزات. والله أعلم.

وأصرح من هذا الموضع قوله تعالى فى قصة شعيب فى سورة الأعراف[3]: ﴿ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ وتقدير الكلام قد جاءتكم آية بينة من ربكم، فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه.

ومن القسم الذى يمتحن الخاطر فيه ما يخرجه المتكلم مخرج الملح ومنه ما حكى أن بعض الشعراء[4] هنأ الحسن بن سهل بصهره المأمون حين بنى بابنته بوران فيمن هنأه، فأثاب الناس كلهم وحرمه، فلقيه يوما وقال: والله لئن دمت على حرمانى لأعملن فيك شعراً لا يعلم أحد مدحتك فيه أم هجوتك، فضحك الحسن وقال: والله لا أعطيك شيئاً حتى تعمل ذلك، فقال (مجزوء الخفيف):

(١) سورة يونس آية ٧١.

(٢) من هنا ساقط بالأصل. وهو عن باقى النسخ.

(٣) فى جميع الأصول: «هود» وهو خطأ من الناسخ فى جميعها، والصواب ما أثبتناه وقد وردت فى هذه السورة مرتين مرة فى آية ٧٣ ومرة فى آية ٨٥.

(٤) هو محمد بن حازم الباهلى من شعراء الدولة العباسية (خزانة ابن حجة: ٧٩، ونهاية الأرب ٧: ١٧٤، وأنوار الربيع لابن معصوم: ١٣١.

بارك اللهُ للحسنِ (١) ولبورانَ فى الخَتَنْ

يا إمامَ الهدى ظفر تَ ولكنْ ببنتِ مَنْ ؟

فلم يدر أحد قوله: « ببنت من » فى العظمة والجلالة ، أم فى السفالة والدناءة ،

فما استحسن الحسن ذلك منه وسأله : هل أبتكرتَ هذا المعنى ، أو نقلته ؟ فقال :

بل نقلته فقال : عمّن ؟ فقال : من شاعر (٢) فى بلدنا خاملٍ فصّل قباء ٥

عند خيّاط أعوَر أسمه زيد ، فقال له الخيّاط بطريق العبَث به : سآتيك به

لا يعرف أحد ممّن يراه أهو قباء أم دواج (٣) . فقال : إن فعلت لأعملنّ فيك بيتا

لا يعرف أحد دعوتُ لك فيه أم دعوتُ عليك ، فوفّى الخيّاط بما وعَد ، وأتاه

بالقباء لا يَعرِف هل هو قباء أم دُوّاج فقال (الرمل) :

خاطَ لى زيدٌ قباءً ليت عينيـــه سواء ١٠

فما علم أحد ما أراد بتمنيه ، أأراد أن تُساوى الصحيحةُ السقيمةَ ، أو العكس ،

قال : فازداد الحسن إعجابا بحِذْقه وصدقِه ، وأضعف له جائزته .

ومن إبهام العرب قول رجل (٤) من بنى عبد شمس بن سعد بن تميم (الطويل) :

تَضيّفَنى وهْنا (٥) فقلتُ أسابِقى إلى الزاد شَلّتْ مِنْ يدَىّ الأصابعُ

ولَم تَلْقَ للسّعْدِىّ ضيفاً بقَفْرَةٍ من الأرض إلاّ وهو صَدْيَان جائعُ ١٥

---

(١) فى د ، س : « فى الحسن » والصواب ما أثبتناه ، والبيتان فى معاهد التنصيص ٣ : ١٣٩ .

(٢) هو بشار بن برد كما فى نهاية الأرب ٧ : ١٧٤ ، ولاأدرى كيف يصف بشارا بالخمول ؟

(٣) الدواج كرمان : لحاف يلبس .

(٤) ديوان الحماسة ج ٤ : ١٧١ طبع بولاق مع اختلاف يسير فى بعض الألفاظ .

(٥) الوهن : القطعة من الليل .

فإن ظاهر هذا الشعر مبهم معناه ، لأن سامع الشعر يظنّ أن الشاعر أراد ضيفا من البَشَر فيعتقد أنه قد هجا به نفسه ، والعاقل لا يهجو نفسَه فيبهم عليه الأمر فيه ، والشاعر إنما أراد ذئبا عضّ رجله فى الليل ، فرماه فقتله وقال ما قال .

ومن القسم الذى يمتحن به الإيمان فى الكتاب العزيز قوله تعالى فى صفة النار — أعاذنا الله منها — ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ[١]﴾ فإن معنى ذلك مبهم أشدّ الإبهام ، فإنّ لقائل أن يقول : ما النكتة فى ذكر هذا العدد ؟ ولا يقال إن هذا السؤال ساقط ، فإنه يرد على أى عدد فرض ، بحيث لو قيل عليها خمسة عشر ، أو أحد عشر ، أو عشرون ، أو غير ذلك ورد عليه السؤال ، وما كان بهذه المثابة فهو ساقط لأنا نقول : هذا فيما يرد من المخلوق الّذى يدخل خبرَه الخلف ، وليس بمعصوم عن الكذب ، ويجوز عليه أن يفرض فرضا محالاً كلامه ، أما البارى — سبحانه — الّذى لا يدخل خبرَه الخلفُ فهو إذا أخبر بشىء كان خبرُه على ما أخبر به ، فإنه إذا أخبر بعدد لا يقال فيه لو قال غيره ورد عليه السؤال ، فإنه لا يجوز لأحد أن يعتقد أنه يخبر بغير ذلك العدد ، فإنه الحقّ الواقع ، وإذا كان كذلك يمكن لقائل أن يقول : ما الحكمة فى جعل ملائكة العذاب على هذه العدّة ؟ ، فيكون السؤال واردا مستحقّا للجواب ، ليزول هذا الإبهام الّذى على ظاهر الكلام ، وقد رأيت الإمام فخر الدين

(١) سورة المدثر آية ٣٠ .



ابن الخطيب رحمه الله تعالى أجاب عنه فى (شرح أسماء الله الحسنى) بأن قال :
لمّا كان المكلّف عبارة عن حواسّ ظاهرة ، وحواس باطنة ، وهى عشر ، وطبائع
وقوى خمس ، وهى الماضمة ، والمميّزة ، والغاذية ، والماسكة ، والدافعة ، وكانت
هذه الأشياء هى الّتى تدعو إلى الاشتغال بالملاذّ الدنيويّة ، والشهوات البهيميّة ،
ودفع المضارّ البدنية عن الاشتغال بما يدنى من الجنان ، ويباعد من النّيران ، ٥
وكانت عدّة هذه الأشياء تسعةَ عشر ، جعلت الملائكة الموكّلة بتعذيب
الإنسان وَفق هذه العدة ليكون بازاء كلّ شىء من هذه الأشياء مَلَك موكّل
باستيفاء مايجب على ذلك الشىء الّذى هو أحد الأسباب المانعة من الخير .
ورأيت هذا الجواب لا يخلو مِن دَخَلٍ عليه على مافيه من التعسّف والتكلف
كما ترى ، ووجه الدَّخَل عليه أنه يلزم أن يكون لكلّ إنسان هذه العدّة ١٠
من الملائكة ، ولم تكن هى جملة عدّة الملائكة لجهنّم ، ولجميع من حوت
من المعذبين .

وعنّ لى جواب أسهل منه وأقرب وأنسب ، ولعلّه إن شاء الله تعالى
يكون سديدا ، وهو أنه[1] لا مِرْيَةَ فى أنّ أهل النار يزيدون على أهل [١٥٨]
الجنة بأضعاف مضاعَفة ، لأن المؤمنين من كلّ أمةٍ عشر معشار كفّارها ، ١٥
وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن الجنّة أن عرضها السموات والأرض ، فما
ظنُّكَ بطُولها ، والطول من كلّ شىء فى معتَرف العادة أكثر من العرض ،
فأهلها على هذا لا يُحصيهم العَدّ ، ولا يحصرهم الحَدّ ، وقد تبيّن أن أهل النار

---

(١) الى هنا ينتهى الخرم الذى نبهت عليه قبل .



أضعافهم ، فهم إلى تجاوز الحدّ فى العد أقرب ، وأقل ما يظن بالملائكة الموكلين بعذابهم أن تكون عدّتهم وَفْقَ عدّتهم ليكون بإزاء كلّ معذّب معذِّب وهذا عدد لا نهاية له ولا لكمّيّته ، فلمّا أراد الحقّ الإخبارَ بعدّة هذه الملائكة عدل عن ذكر عددهم الّذى هو معلوم عنده — وإن تجاوز النهاية بالنسبة إلينا — لئلا يخرج الكلام بكثرة الألفاظ وطول الفصول عن حدّ البلاغة إلى إشارة يفهم منها أنّ عدّة هذه الملائكة عدد لا يتناهى مرتبة ، فاقتصر سبحانه على ذكر آخر مرتبة الآحاد من العَدَد وأول مرتبة العشرات منه ، فإن مراتب العدد أربع ، آحاد ، وعشرات ، ومئين ، وألوف ، الأصول منها الآحاد ، وأول مرتبة العشرات ، فإن نهاية مرتبة الآحاد التسعة ، وهى عبارة عن تكرار الواحد تسع مرات ، ثم ينتقل إلى ذكر العشرة التى هى أول مرتبة العشرات ، ثم يكررها كما كرر الواحد من العشرين إلى التسعين ، كما فعل فى المرتبة الأولى ، ثم ينتقل إلى أول مرتبة المئين ثم يكرّرها بلفظ الآحاد والعشرات إلى التسعمائة ، ثم ينتقل إلى أوّل مرتبة الألوف ، فيكرّرها تكرير الواحد بلفظ الآحاد ، وهكذا إلى غير النهاية ، وإذا انتهت مرتبة الألوف عاد إلى مرتبة العشرات ، فقال : عشرة آلاف إلى ما لا نهاية له ، لا يزيد على أن يضيف إلى الألف لفظ الآحاد ، والعشرات ، فيعود إلى أصول الأعداد ، فدلّ ذلك على أن أصول جميع الأعداد التى تتناهى ، الآحاد ، وهى تسعة ، وأول العشرات ، وهى العشرة ، فالاقتصار على ذكرهما للعرب الواضعين لهذه الأسماء ، يشير إلى أعداد لا نهاية لها ، واستغنى عن ذكر لفظتى المائة ، والألف لما جاء فى الكلام من المثال الّذى يُحتذَى

على مثاله ، والأصل الذى يقاس الفرع عليه ، واللفظتان يعنى المائة والألف عند المخاطب معروفتان ، والطريق فى التكرير قد وضحتْ .

* * *

باب التفريق والجمع *(١) [١٥٩]

وهو أن يفرق المتكلم بين كلامين مرتبطين متلاحمين بكلام يتلو به الأول من كلامه ، يوهم السامع أنه غير مرتبط ، ليفيد بذلك معنى لا يفيده الكلام لو جاء على مقتضى وضع النظم وترتيبه ، ثم يعود فيجمع ما تفرق من الكلام بما كان يجب أن يقدّم لتأهيله لنفع (٢) الأول وملاءمته له ، وارتباطه به ، وكونه فى الظاهر لا يَصلُح أن يجاورَه غيره كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ . فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَـٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ (٣) ﴾ ومقتضى حسن الجواب فى النظم أن يقول هاهنا : أخذناهم بغتةً ، فلم يقل ذلك وقال : « فتحنا عليهم أبوابَ كلّ شىء » ، « فلما فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة » فأوهم ظاهر النَّظْم أن قوله « فتحنا عليهم أبواب كلّ شىء » بعد قوله : « فلما نسوا ما ذكروا به » غير ملائم ، وأن الأليق أن يقال : « أخذناهم بغتة » ، ولو جاء النظم على توهُّم السامع لحصل الإخلال بما أفاده الفصل من المعانى

(*) سلم هذا النوع لابن أبى الإصبع ولم يسبق إليه (خزانة ابن حجة :) ٣٥٧ ، حسن التوسل : ٧٧ ، نهاية الأرب ٧ : ٧٧ .

(١) يلاحظ أن هذا الباب بأكمله ساقط من ا ، ب .

(٢) فى الأصل ، « ليقع » وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا عن د ، س .

(٣) الأنعام الآيات من ٤٢ — ٤٤ .

لأن الإخبار بفتح أبواب كل شيء عقيب معاملتهم بما يبطل أعذارهم ، و ينبئهم بأمر معاصيهم ، و يسلكهم في خير الكتب المنزلة من الله ، المتضمّنة الوعيدَ بأخذهم من وسط ما أستدرجهم به من النعم ، لتكون المحبّة أشد ، وألم الأخذ أعظم ، والعذاب أشقّ ، ثم قال بعد الإخبار بفتح أبواب النعم العميمة « أخذناهم »

٥ فاُجتمع ما تفرّق من الكلام ، وأنتظم ما أنفصم من ذلك النظام ، وهذا سرّ من أسرار البلاغة ، ولا يَهتَدِي إليه إلا أهله .

* * *

باب القول بالموجب*

وهو أن يخاطب المتكلّم مخاطَبا بكلام ، فيعمد المخاطب إلى كل كلمة مفردة من كلام المتكلّم فيبنىَ عليها من كلامه ما يوجب عكسَ معنى المتكلّم ،

١٠ لأن حقيقة القول بالموجب ردّ الخصم كلاَم خصمه من فحوى كلامه[1] كقول أبن حجّاج[2] (الخفيف) :

(*) القول بالموجب . قال بعض العلماء إن هذا النوع والأسلوب الحكيم الذى تكلم عنه الجاحظ في بيانه ٢ : ١٤٧ نوع واحد والحقيقة أن الأسلوب الحكيم الذى تكلم عنه الجاحظ يخالف القول بالموجب ، فإنهما وإن اتفقا في أن كلا منهما إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر ، فإنهما يفترقان باعتبار الغاية والنتيجة فإن غاية القول بالموجب رد كلام المتكلم وعكس معناه وغاية الأسلوب الحكيم هو تلقى المخاطب بغير ما يترقب بجعل كلام المتكلم على خلاف مراده تنبيها على أنه الأولى (بحثه في جزانة ابن حجة : ١١٦ حسن التوسل ، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٧٠ ، وألف فيه الصفدى كتابا بأكمله سماه المول المعجب فى القول بالموجب رقم ٤٣٠ بلاغة (مخطوط) .

(١) فى ا ، ب « لفظه » وهما بمعنى واحد .

(٢) هو أبو عبد الله أحمد البغدادى المعروف بابن حجاج الشاعر الماجن المعروف كما في ديوانه . والذى فى اليتيمة ٣ : ٣ « أبو عبد الله الحسن » وهو خطأ . والشاهد فى قوله: « طولت وأبرمت » وانظر نهاية الأرب ٧ : ١٧١ خزانة ابن حجة : ١١٦ طبع بولاق ، وأنوار الربيع لابن معصوم ص ٢٠٠ .



قلتُ : ثقلتُ إذ أتيتُ مِراراً   قال ثقّلتَ كاهِلِي بالأيادِي

قلتُ : طوّلتُ قال لى بَلْ تطوَّلْـ   ـتَ وأبرمت قال حَبلَ ودادِي

والفرق بين القول بالموجب و بين التعطّف فى الصناعة أن التعطّف فى [١٦٠] الألفاظ ، والقول بالموجب فى المعانى .

ومنه قول ابن الدُّوَيْدة المغربىّ فى رجل أودعَ بعضَ القضاة مالاً فادعى ٥ ضياعَه من أبيات (الكامل) :

إنْ قال قد ضاعَتْ فصدِّقْ ، أنّها   ضاعَتْ ولكنْ مِنْكَ يعنى لَوْ يَعِى (١)

أو قال قد وقعتْ فصدِّق أنها   وَقَعَتْ ولكنْ منه أحسنَ مَوْقِعِ

ومن أمثلة هذا الباب من القرآن المجيد قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا ١٠ إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ وموجب هذا القول إخراج الرسول — صلى الله عليه وسلم — المنافقين منها ، لأنه الأعز وهم الأذلّون ، وقد كان ذلك ، ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى قال على إثر ذلك ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٢) ﴾ .

* * *

باب حصر الجزئى وإلحاقه بالكلى*

١٥ وهو أن يأتىَ المتكلّم إلى نوع ما فيجعله بالتعظيم له جنسا بعد حصر

---

(١) وردت هذه الأبيات فى كتاب الهول المعجب فى القول بالموجب للصفدى ، الإيضاح ٦ : ٨٩ .

(٢) سورة المنافقين آية ٨ .

(*) هذا النوع من مخترعات ابن أبى الإصبع ولم يسبقه أحد إليه ، خزانة ابن حجة ٣٧١ ، حسن التوسل ٨٧ نهاية الأرب ٧ : ١٧٤ .



أقسام الأنواع منه والأجناس ، كقوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَافِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مُبِينٍ[1] ﴾

فإنه سبحانه وتعالى بعد إخباره بأنّ عنده مفاتح كلّ غيب إذ اللام للجنس ها هنا مجملا فى القول ، تمدح بأنه يعلم مافى البرّ والبحر من أصناف الحيوان والنبات والجماد وحاصر الكلّيّات المولّدات ، ورأى سبحانه أن الاختصار على ذلك لا يكمل به معنى التمدّح ، لاحتمال أن يظن ضعيف أنّه يعلم الكلّيّات دون الجزئيات ، فإن المولّدات الثلاث وإن كانت جزئيات بالنسبة إلى العالم فكلّ واحد منها كلّىّ بالنسبة إلى ما تحته من الأجناس المتوسّطة والأنواع وأصنافها ، فقال لكمال التمدّح : « وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا » ، وعلم أن عِلْمَ ذلك قد يشاركه فيه من مخلوقاته كلّ من خلق له إدراكا ، وهداه إلى طريق ذلك فشارك فيه ، فتمدّح سبحانه بما لا يشارك فيه بقوله : «ولا حبة فى ظلمات الأرض» ، ثم ألحق هذه الجزئيات بعد حصرها بالكلّيّات حيث قال : « ولا رطب ولا يابس » لأن جميع المولّدات وعناصرها التى تولدت منها ما كان منها فى باطن الأرض ، وما خرج إلى ظاهرها لا يخرج عن هذين القسمين ، وألغى ذكر المعتدل فإنه ممتزج من هذين القسمين ، فاستغنى بذكر الأصل عن الفرع ، ثم قال « إلا فى كتاب مبين » إشارة إلى أن علمه بذلك علم من معلومه مقيّد فى كتاب مبين ، فهو يأمن الضلال والنسيان ، كما قال [١٦١]

---

(١) سورة الأنعام آية ٥٩ .



سبحانه : ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى[1] ﴾

ورأيت من شواهد هذا الباب الشعرية قول الشاعر[2] (الطويل) :

إليكَ طَوَى عَرْضَ البَسيطةِ جاعِلٌ قُصارَى المَطَايَا أن يَلوحَ لَهُ القَصْرُ

وكنتُ وعَزْمِي والظَّلام وصارِمِي ثلاثةَ أشباه[3] كما اجتمعَ النَّسْرُ

فبشرْتُ بآمالي لملِكٍ هو الوَرَى ودارٍ هي الدنيا ويَوْمٍ هو الدَّهْرُ[4]

والبيت الأخير أردتُ ، فإن هذا الشاعر قصد تعظيم الممدوح وتفخيم أمر داره التي قصده فيها ، وتبجيلَ يومه الذى لقيه فيه ، فجعل الممدوح جميعَ الورى ، وجعل داره التي قصده فيها كلَّ الدنيا ، وجعل يومَه الّذى لقيه فيه جملة الدهر ، فجعل الجزئى كلّيا بعد حصر أقسام الجزئى ؛ أما جعله الجزئىَّ كلّيا فإن الممدوح جزء من الورى ، وداره جزء من الدنيا ، ويوم لقائه جزء من الدهر . وأما حصر أقسام الجزئى فلأن العالَمَ عبارةٌ عن أجسام ، وظروف زمان ، وظروف مكان ، وقد حصر ذلك كله فى ذكر الممدوح، وذكر داره ، وذكر يوم لقائه .

وأما إلحاق الجزئىّ بالكلى فلكونه ألحقَ الممدوح بجميع الورى فى كونه جعله وزن جميع الورى من قول أبى نواس[5] (السريع) :

---

(١) سورة طه آية ٥٢ .

(٢) هو السلامى كما فى ابن معصوم ص ٦٢٧ وروايته جاهلا ، ومعاهد التنصيص ٢ : ١٩ وروايته « جاعلا » .

(٣) كذا فى يتيمة الدهر ٢ : ١٦٣ وخزانة الأدب للحموى : ٤٥٤ ، تحرير التحبير ، وفى الأصول « أشياء » وما أثبتناه أقرب إلى معنى البيت وأظهر .

(٤) كذا فى جميع الأصول . والذى فى خزانة ابن حجة ونهاية الأرب وحسن التوسل وأنوار الربيع واليتيمة « فبشرت آمالى بملك » والمعنى عليها يستقيم أيضا .

(٥) الصناعتين : ٢١٦ نهاية الأرب ج ٧ : ١٦٦ .

وليس لله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وألحق داره بالدنيا التي هي كلٌّ بالنسبة إلى داره ، وألحق يوم القيامة بالدهر الذي هو كلٌّ بالنسبة إلى ذلك اليوم ، ولم أسمع في هذا الباب بمثل هذا البيت .

* * *

باب المقارنة*

وهو أن يقترن بديعان في كلمة من الكلام ، والفرق بين هذا الباب و باب الإبداع ، أن الإبداع عبارة عن الإتيان ببديعين فصاعدا في الكلمة المفردة من غير اقتران .

وقد جاء من ذلك في الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ[1] ﴾ فإنه قد اقترن في لفظتين من هذه الألفاظ ضربان من البديع : التنكيت ، والمبالغة مقترنة « به[2] » فإن لقائل أن يقول : ما النكتة التي رجحت اختصاص الظهور بالحمل دون الرءوس ؟ فيقال : النكتة في ذلك الإشارة إلى ثقل الأوزار ، لأن الظهور أحمل للثقل من الرءوس ، وما يلزم من ذكر الظهور عن عجز الرءوس عن حمل هذه الأوزار من المبالغة في ثقلها مقترن بالتنكيت ، وما اكتنف هذا الاقتران من تجنيس المزاوجة في قوله تعالى «أوزارهم» قبل قوله «على ظهورهم» وقوله تعالى « يزرون »

(*) سلم هذا النوع للمؤلف فلم يسبقه إليه أحد ولكني لا أرى فرقا بينه وبين الإبداع الذي اخترعه أيضا وما ذكره لا ينهض فرقا ، حسن التوسل : ٨٧ ، نهاية الأرب ٧ : ١٧٥ .

(١) سورة الأنعام آية : ٣١ .

(٢) هذه الكلمة عن ا ، ب ، ت ، وهي ساقطة من باقي النسخ .

بعدها ، وترشيح هذا التجنيس لتمكين الفاصلة بالتصدير ، واقتران الترشيح بالتجنيس ، واقتران التجنيس بالتصدير .

ومن شواهد هذا الباب الشعرية قول إدريس بن اليمان من شعراء المغرب (الطويل) :

وكنتَ إذا استُنزِلتَ من جانبِ الرِّضَى
نزلتَ نزولَ الغيثِ فى البَلَدِ المَحْلِ[1]

وإن هَيَّجَ الأعداءُ منك حفيظةً
وقعتَ وقوعَ النّارِ فى الحَطَبِ الجَزْلِ

فإن هذا الشاعر قرن فى البيت الأول الاستعارة فى قوله من البيت : « نزلتَ نزول الغيث » أما الاستعارة فاستعارة الشاعر النزول للمدوح ، فإن حقيقة ما أراد إذا استُرْضيتَ رضيت ، وأما التشبيه ففى قوله « نزول الغيث » فإن التقدير : نزلت نزولا مثل نزول الغيث ، وقرن تجنيس التغاير فى قوله : « نزلت نزول الغيث فإن اللفظة الأولى فعل ، والثانية اسم بالترشيح ، فإنه رشح بذلك التجنيس للإيغال ، فإن كلامه تمّ عند قوله : « نزلت نزول الغيث » ولمّا احتاج إلى القافية أفاد بها معنًى زائدا على معنى الكلام فإن قوله : « فى البلد المحْل » زيادة فى المعنى ، إذ الغيْث قد ينزل فى بلد مخصب فيكون السقى له مضرًّا ، فلما قال : « فى البلد المحْل » علم أنه وقع موقعه ونزل فى الموضع الذى هو محتاج إلى نزوله ، فيكون موقعه أحسن ، ومنفعته أكثر ، وجاءت المبالغة مدمجة فى التشبيه ، إذ شبه

(١) انظر نهاية الأرب ٧ : ١٧٥ ، وتحرير التحبير ص ٢٧١ .



نزوله بنزول الغيث ، وقرن فى البيت الثانى الاستعارة التى فى قوله « وقعت » بالتشبيه الذى فى لفظ « وقوع النار » ، وأدمج المبالغة فى هذا التشبيه لأن قوله : « وقعت وقوع النار » مبالغة ، وأدمج فى تجنيس التغاير الذى فى لفظى « وقعت » « ووقوع » الترشيح للإيغال ، فإن كلامه قد تمّ عند قوله : « وقعت وقوع النار » ولما احتاج إلى القافية أفاد بها معنًى زائدا على معنى البيت ، إذ جعل وقوع النار الذى يشبه وقوعَ الممدوح بوقوعها فى الحطَب الجزْل ، فيكون أقوى لها وأشدّ إحراقا ، ولو لم يقل : وقوع النار لما حَسُن قوله : فى الحطب الجزْل ، كما أنه لو لم يقل فى البيت الذى قبله : « نزول الغيث » لما حسن قولُه : « فى البلد المحْل » ، ولقد أحسن فى هذا المعنى تميم بن مقبل[1] حيث قال (الطويل) :

[١٦٣] لَدُن غُدْوةً حتّى نَزَعْنا عشيّةً
وقد ماتَ شَطْرُ الشّمْسِ والشّطْرُ مُدْنَفُ

فإنه قرن فى هذا البيت الإرداف بالاستعارة لأنه عبّر عن الغروب بموت شطر الشمس فى أوائل العَجُز ، وهذا هو الإرداف ، واستعار للشطر الآخر الدَّنَف ، وهو شدة المرَض فى آخر العمر ، وهذا بليغ جدّا حيث أتت المقارنة منه فى قسم واحد من البيت .

والفرق بين المقارنة و بين التعليق والإدماج ، أن المقارنة فى معانى البديع فقط ، والتعليق والإدماج فى المعانى والفنون معاً .

---

(١) البيت فى نهاية الأرب ٧ : ١٧٥ طبع دار الكتب المصرية .



ومن المقارنة قسم آخر ،وهوما يقرن الشاعر به شعره من شعرغيره ، وهو عكس الإبداع . والاستعانة ، فإن الابداع والاستعانة يقدم الشاعر فيهما شعرَ نفسه على شعر غيره ، والمقارنة يقدِّم فيها شعرَ غيره و يبنى عليه ماشاء من شعره ، كما حُكِى عن الرشيد هارون أنه قال يوما للجمّاز : أجِزْ وأَبْدِه: المُلكُ لله وحدَه ، فقال الجمّاز : وللخليفة بعده ،وللمحبّ إذا ما حبيبه باتَ عندَه .

* * *

باب الرمز والإيماء*

هذا الباب نحو أن يريد المتكلّم إخفاء أمر ما فى كلامه ، مع إرادته إفهام المخاطب ما أخفاه فيرمز له فى ضمنه رمزا يهتدى به إلى طريق استخراج ما أخفاه فى كلامه ، والفرق بينه و بين الوحى والإشارة ، أنّ المتكلّم فى باب الوحى والإشارة لا يودع كلامه شيئا يُستدلّ منه على ما أخفاه لا بطريق الرمز ولا غيره ، بل يوحى مراده وحيا خفيا لا يكاد يعرفه إلا أحذق الناس ، فخفاء الوحى ، والإشارة أخفى من خفاء الرمز والإيماء ، والفرق بينه و بين الإلغاز أن الإلغاز لابدّ فيه مايدلّ على المعمّى فيه ، بذكر بعض أوصافه المشتركة بينه و بين غيره وأسمائه ، فهو أظهر من باب الرّمز ومثال الرمز قول النابغة الذبيانى[1] (البسيط) :

(*) من العجب أن يدعى المؤلف أن هذا النوع من مخترعاته ، والحقيقة أنه مسبوق إليه من ابن رشيق فى العمدة حيث تكلم عنه وجعله من أنواع الإشارة ١ : ٢٠٧ ، ٢٠٩ .

(١) ديوانه : ٣٢ وشعراء النصرانية ٢ : ٦٦٥ .



فاحكُمْ كحُكمِ فتاةِ الحىِّ إذ نظرَتْ إلى حَمامٍ سِراعٍ وارِدِى الثَّمَدِ
يَحُفُّه جانبَا نِيقٍ ويُتْبِعُهُ مِثْلَ الزُّجاجةِ لم تُكْحَل من الرَّمَدِ
قالت ألاَ ليتَما هذا الحَمامُ لنا إلى حَمامَتِنا أو نصفُه فقَدِ
فكَمَّلَتْ مائةً فيهم حَمامتَنا[1] وأسرعتْ حِسْبةً فى ذلك العَدَدِ

[١٦٤] فإنه رمز عدّة الحمام التى رأتها الزرقاء — وعدّته ست وستون حمامة — ، فأخفى هذه العدة ، ولم يدل عليها بصريح الدلالة ، ورمز الدلالة على عدّتها بهذا الطريق .

ومن هذا الباب قول الأعشى[2] ، (البسيط) :

* واختار أدراعه كيما يُسَبَّ بها *

فإنه بصيغة هذا الجمع دلّ على أن عدة الأدراع دون العشرة ، إذ جمعها جمع
١٠ القلة ، كما قيل فى تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ[3] ﴾ ، فإنه روى من طريق أنهم كانوا أربعة آلاف ، وروى من طريق آخر أنهم كانوا ثلاثين ألف ، وصحّح العلماء الرواية الثانية بقوله تعالى — « ألوف » لجمعها جمع الكثرة ، ولو كانت الرواية الأولى أصحّ لقال سبحانه : آلافا ، ولم يقل : ألوفا .

١٥ ومن أمثلة هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ

---

(١) كذا فى الأصل ، د ، س . وفى ا ، ب « حمامتها » وهو مستقيم أيضا .

(٢) هذا صدر بيت له وعجزه * ولم يكن عهده فيها بختار * انظر ديوانه ٢٥ ط سنة ١٩٣٧ م .

(٣) سورة البقرة آية ٢٤٣ .



وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ (١) ﴾ فإن صدر هذه الآية دلّ على أن الصلوات خمس ، لأنه — عزّ وجلّ — أشار إلى صلاتى النهار بقوله : « طرفى النهار » ودلّ على صلوات الليل بقوله تعالى « وزُلَفا من الليل » و بقيّة الكلام يضيق عنه هذا المكان ، وسأكتبه فى ورقة منفصلة أُودِعها هذا المكان إن شاء الله تعالى .

* * *

باب المناقضة*

وهو تعليق الشرط على نقيضَين : ممكن ومستحيل ، ومراد المتكلّم المستحيل دون الممكن ليؤثر التعليق على عدم وقوع المشروط ، فكأن المتكلم ناقَضَ نفسَه فى الظاهر ، إذ شرط وقوع أمر بوقوع نقيضين ، ومثال ذلك قول النابغة الذُّبياني (الوافر) :

وأنّك سوف تَحلُمُ أو تَناهَى (٢) ... إذا ما شِبْتَ أو شابَ الغُرابُ

فإنه علق حلم المخاطَب على شيبه وهو ممكن ، وعلى شيب الغراب وهو

---

(١) سورة هود آية ١١٤ .

(*) لم يسلم هذا النوع للمؤلف فقد سبقه إليه ابن منقذ فى بديعه ، حيث تكلم عنه تحت اسم المعارضة والمناقضة : ٧٨ (بحثه فى خزانة ابن حجة : ١١٣) .

(٢) كذا فى الأصل ، د ، س، وشعراء النصرانية ١ ص ١٥٧ ، الصناعتين ٣٠٨ ؛ مختار الشعر الجاهلى ص ١٩٢ ، أمالى المرتضى ١ : ٥٥ ، والذى فى ا ، ب « يحكم » وعليها سار ابن حجة ونرجح الرواية الأولى لأنها هى التى تناسب « يحلم » .



مستحيل ، ومراده شيب الغراب لأن حاصل مقصوده قوله : أنك لاتحلم حتى يشيب الغراب ، والغراب لا يشيب أبدا ، فأنت لا تحلم أبدا .

والفرق بين هذا الباب وبين باب « نفى الشىء بإيجابه » أن هذا الباب ليس فيه لفظ نفي ولا إيجاب ، ونفى الشىء بإيجابه ليس فيه شرط ولا معنى شرط .

ومن المناقضة معنًى آخر يرجع أصله إلى الأول ، وهو أن يأتى المتكلّم فى لفظ الوعد بما يدل على الوعيد ، فيسر المخاطب ويسوءه فى وقت واحد بكلام واحد ، فيتوجّه على ذلك اللّفظ إشكال يوضّحه ما بعده ، ومثال هذا [١٦٥] النوع قوله : ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ[1] ﴾ فقوله تعالى « إنا كاشفوا العذاب قليلا » ، وعد ، ووصف كَشْف العذاب بالقلّة وعيد ، فى هذا الكلام ما يسرّ وما يسوء فى حال واحدة وكلام واحد ، وإنما وصف سبحانه كشفَ العذاب بالقلّة المنافية لعطاء الكريم من أجل أنه علّق كشف العذاب بعدم العود إلى فعل يوجب العذاب فاقتضت البلاغة أن يقول : « قليلا » ليدمج فى دلائل النبوة الإخبار بالغيب ، وهو وقوع العود ، فرشّح سبحانه بذكر لفظ « قليلا » للايضاح والإخبار بوقوع العود الّذى اقتضى أن يكون كَشْف العذاب قليلامن أجله ، والشرط المأخوذ من قوّة الكلام هو الّذى يردّ هذا النوع إلى النوع الأول .

ومن المناقضة نوع آخر ، وهو مناقضة المتكلّم غيرَه فى معنى ما ، كمناقضة أبى القاسم بن واسانة نُصَيْبا ، أو عبد بنى الحَسْحاس[2] فى قوله (الطويل) :

---

(١) سورة الدخان آية ١٥ .

(٢) عبد بنى الحسحاس هو سحيم بن وثيل الرياحى والبيت فى ديوانه : ٢٠ بتحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمنى طبع دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م . وأنهج البرد : أخلق وبلى (القاموس) .



فما زال بُرْدِى طَيِّباً من ثيابها إلى الحَول حتى أَنهج البُرْد باليَا

فقال الواسانى[1] (المنسرح) :

فصاكَ بى طيبهُ وصاكَ به منّى صُنانٌ فى حِدّة البَصَلِ[2]

فأخذ معنى بيت المعرّى فى صدر بيته ، وناقَضَه فى بقيّته لكنه قصّر عنه .

وكذا قصة ابن حجّاج دريد بن الصّمّة فى قوله[3] (الطويل) :

صبَا ما صبَا حتى عَلاَ الشيبُ رأسَه فلمّا عَلاهُ قال لِلباطلِ ابعدِ

فقال ابن حجّاج (كامل مجزوء) :

لا تَغْــتَرِرْ بمشيبه فالشّيخ من سَقَط المتاعِ[4]

وقال أيضاً (البسيط) :

10 شيخٌ يُغازِلُه المَلْوَى ويخدَعه الـ ـمَثْنَى ويعمَلُ فيه البَمّ والزِّيرُ[5]

ومن هذا النوع قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْـكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْـكُمْ[6] ﴾ فشرط سبحانه المِثلية فى المجازاة أمرا بالعدل

---

(١) هو أبو القاسم الحسين بن الحسين الواسانى من شعراء اليتيمة (معجم الأدباء لياقوت)

(٢) اليتيمة ١ : ٣١٢ طبع الصاوى سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م — وهو من قصيدة يهجو بها أبا الفضل يوسف بن على . وصاك بى طيبه ، أى عبق بى طيبه وصاك به أى لزق به ، وصاك : عرق فهاجت منه ريح منتنة . (أساس البلاغة صوك ملخصا) .

(٣) شعراء النصرانية ج ١ : ٧٥٩ .

(٤) سقط المتاع : رديئه .

(٥) الملوى : ما تلوى به الأوتار وتربط . والمثنى : الوتر الذى يلى الزير . والبم : الوتر الغليظ من أوتار المزهر وهو يلى المثلث ، ويدعى الأنج لغلظ صوته ، والزير : الدقيق من أوتار العود . الإفصاح فى فقه اللغة . طبع دار الكتب المصرية ١١٢ .

(٦) سورة البقرة آية ١٩٤ .



فناقض فى ذلك الجاهليّة فيما كانوا عليه من مدح الظلم ، كقول عمرو بن كلثوم[1] (الوافر) :

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا فَنَجْهَل فوقَ جهلِ الجاهِلينا

* * *

باب الانفصال*

• وهو أن يقول المتكلّم كلاما يتوجّه عليه فيه دَخَل ، فلا يقتصر عليه حتى يأتى بما ينفصل به عن ذلك ، إما ظاهراً أو باطنا يُظهره التأويل ، كقوله تعالى فى القسم الثانى منه : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ[2]﴾ [١٦٦] فإن لقائل أن يقول : جملة قوله تعالى : «يطير بجناحيه» لافائدة فى الإتيان بها ظاهرا ، إذ كلُّ طائر يطير بجناحيه ، وهذا إخبار بمعلوم . والانفصال عن ذلك أن يقال : إنه سبحانه وتعالى أراد وهو أعلم بمراده أن يُدمِج فى هذا الخبر النهى عن قتل الحيوان الّذى لا يؤذِى عَبَثا ، بدليل قوله تعالى : «إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ» ففى مساواته بين ذلك وبين المكلّفين فى قوله تعالى : «أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ» إشارة إلى أن الإنسان يدان بما يفعله مع كلّ جسم قابل للحياة ، وفى دوابّ[3] الأرض ما لاحرج على قاتله ، وكذلك ما يطير فإن فيما يطير ما يطير بغير جَناح حقيقىّ كالذّباب

(١) شرح المعلقات السبع للتبريزى ص ١٢٤ طبع أوربا .

(*) سلم هذا النوع للمؤلف (بحثه فى حسن التوسل: ٨٨ ، نهاية الأرب ٧ : ١٢٢)

(٢) سورة الأنعام آية ٣٨ .

(٣) كذا فى ا ، ب ، ت . والذى فى باقى النسخ «ذوات» وهو تصحيف .

والبعوض والنمل والعقارب والجعلان وسائر الهمج ، فأراد تبيين الصنف من هذا النوع وهو أشرف أصنافه الذى امتنّ سبحانه على نبيّه داود — عليه السلام — بتسخيره له ، وعلى ابنه سليمان بتعليم منطقه ، وقال فيه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مصرّحا بأن الإنسان يدان به : « من قتل عصفورا[1] عبثا » الحديث فخصصّ هذا الصنف بصفة مميّزة له من بقية الأصناف ، فقال : « يطير بجناحيه » لأنه لا يُطلَق الجناحُ حقيقةً إلا على العضو الذى له ريش وقصب وأباهر وخوافى وقوادم ليستدلّ بكون هذا الصنف من بين جميع أصناف الطائر هو المقصود بالنهى عن قتله وتعذيبه ، على أن المراد بالدابة المذكورة فى صدر الآية هى الصنف الشريف من أصناف الدوابّ ، لتخرج الحشرات من ذلك النوع ، كما خرجت الهمج من نوع الطائر بتمييز الصنف المشار إليه منه ، واكتفى بتبيين الثانى عن تبيين الأول لعلمه أن العارف بترتيب نظم الكلام يقيس الأوّل منه على الثانى .

ومن الانفصال قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ[2] ﴾ فإن لقائل أن يقول : ما جاء فى هذه الآية جوابا للقائلين : « إنما يعلّمه بشر » لا يليق أن يكون جوابا صحيحا فى الظاهر لما يرد عليه ، فإن لقائلهم أن يقول عند سماع قوله تعالى : « لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ » نحن نعلم أن لسان المعلّم أعجمىّ ، وأن هذا لسان

(٢) الجامع الصغير ٢ : ١٨٧ .

(٣) سورة النحل آية ١٠٣ .



عربىّ مبين ، لكن ذلك لا يمنع من كون الأعجمىّ ألقى القصص والأخبار بعجمته لهذا العربى الفصيح ، فأخرج ما ألقاه إليه بعجمته فى قوالب ألفاظه العربيّة المبينة ، فجاء كما وصف ، وأما عُجمة الّذى نسبنا تعليمه إليه بأشدّ من لغة الأمم الماضين الذين يتلو علينا قصصهم وأخبارهم ، فإن ألسنتهم [١٦٧]
٥ كانت قبطيّة ، وعبرانيّة ، ورومية وغيرها ، فيأخذ معانيها و يعبرّ عنها بفصاحة لسانه العربىّ المبين ، وهذا أمرٌ ظاهرٌ لايكاد يَخفَى عنهم ، ولم ينقل أنّهم مع عنادهم وتعنّتهم على الرسول — صلى الله عليه وسلم — بأقلّ من هذا قالوا هذا القول ، ولو كانوا قالوه لنُقِل ، وحيث لم يُنقَل لم يقولوه وحيث سكتوا عنه مع ظهوره دلّ سكوتُهم عنه على أنهم لو قالوه لانقلبت الحجّة عليهم
١٠ بسببه ، فلأجل ذلك سكتوا عنه ، وإذا نظر فى السبب الّذى أسكتهم عنه استفيد منه الانفصال عن الإشكال ، والّذى يظهر من سبب سكوتهم عن ذلك تفطّنهم إلى أنهم لو قالوا ذلك لزمهم الإقرار بثبوت المعجزة ، وقيام الحجّة على صحّة النبوّة ، فإنه يقال لهم : إذا أقررتم بأن هذا النظم العجيب ، والأسلوب الغريب الّذى عبّر به عن هذه القصص هو كلامه لا كلام ربّه ،
١٥ وقد عجزتم مع فصاحتكم وتضافُركم عن الإتيان بمقدار ثلاث آيات منه فى المدة المتطاولة ، مع تكرار التوبيخ ، وتَرداد التقريع ، وأنتم من أُوتيتم قُدرةً على الكلام ، وأَنفةً من العار ، فقد اعترفتم بالعجز عما تحدّاكم به رجلٌ منكم لغتُه لغتُكم ، وأقررتم بأنّ فصاحته قد خرقت العادة المعروفة عندكم ، فحينئذ يلزمكم تصديقه ، ولا يضرّنا عنادُكم بقولكم : إنه ليس من عندالله ، فإن الحجة
٢٠ لزمت فرعون باخراج موسى — عليه السلام — يدَه بيضاء من غير سُوء ،

وظاهر الحال، وشاهد العيان يشهد أنه الّذى أخرجها، والرسول — صلى الله عليه وسلم — لم يتحدّ العربَ بمعرفة الأخبار الماضية والقصص المتقدّمة، فإنه يشاركه فى ذلك أهل الكتاب وكلّ من شارك فى طريق ذلك، وإنما تحدّاهم بنَظْم القرآن المعبَّر به عن هذه الأخبار، وإذا عجزوا عما تحدّاهم به من هذا النظم حصل المراد من إثبات الإعجاز، سواء اعترفوا أنه من عند الله أجراه على ٥ لسان نبيّه — صلّى الله عليه وسلّم — أو أتى به من تلقاء نفسه، فإن قيل: هذا لا يجوز إيرادُه، فإنه يحصل للمشركين مرادهم، لأن مرادهم تكذيب الرسول — صلّى الله عليه وسلم — فى دعواه أنّه رسول الله، وأن آية صدقه فى دعواه هذا القرآن الّذى أجراه الله على لسانه، ليقوم مقامَ قول الله تعالى صَدَق فى دعواه، وإذا أقررناهم على ذلك بقيَتْ دعوى الرسالة بلا بيّنة، فيحصل ١٠ لهم ما أرادوا من تكذيبه، وحاشاه — صلّى الله عليه وسلّم. [١٦٨]

قلت: لم يقل ذلك إلا على سبيل التنزّل الجدَلىّ، لإلزامهم الحجّة بنفس ما قالوه، فنقدّر قولنا « هب أنا سلّمنا أن الأعجميّ ألقى إليه كما زعمتم ما ألقى بعجمته، فعبّر عنه بفصاحته، أليس يلزم ذلك أنكم عجزتم عن الإتيان بمثل ما أوتى به من العبارة، ويكون هذا أشدّ عليكم، إذا أتى مخلوق مثلكم نسبه ١٥ نسبكم، وبلده بلدُكم، ولغته لغتُكم بنوع من الفصاحة لا تقدرون على الإتيان بالقليل منه، فيكون ذلك أنكَى لقلوبكم، وأبكَى لعيونكم، فإنه لا عجب من عجز المخلوق عمّا يأتى به الخالق، إنما العجب من عجز المخلوق عمّا يأتى به مخلوق مثله، مع التصميم على أن ذلك من فعله لا من فعل خالقه،

ألا تراكم معترفون بأن الله تعالى خالق السموات والأرض ، لا تمتارون فى ذلك ، ولا يدّعى جبّار منكم ، ولا من غيركم ممّن تجبّر وتكبّر وادّعى الربوبيّة أنه يقدر على خلق مقدار شِبْرٍ من أحدهما ، ولو سمعتم بأن إنسانا أوجد نجما من نجوم السماء لتعجّبتم من ذلك ، بل كذّبتم هذا السماع ، ولو قدّرنا أنّه أراكم ذلك شَعْبَذَةً وسحرا لكذّبتم عيانكم ، ورجعتم إلى عقولكم ، فعلمتم أن أحدا لا يقدر على ذلك ، فإذا تقرّر هذا علم أن عجزكم عمّا تعتقدون أن واحدا منكم أتى به أشدّ عليكم من عجزكم عمّا تعتقدون أن الله سبحانه وتعالى أتى به ، وأظن المشركين فطنوا لهذا الإلزام الّذى يلزمهم إذا قالوا ما أوردناه آنفا ، فسكتوا عنه سكوتَ انقطاع ، وقد ثبت بما قلناه الانفصال عمّا ورد على ظاهر الكلام من الإشكال .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾ (١) فإن هذه الآية الكريمة يتوجّه على ظاهرها أسئلة ، منها : لِمَ ألغى فيها الابتداء بالاثنين وهى أوّل رتبة المتناجين ؟ ومنها لِمَ انتقل من الثلاثة إلى الخمسة ، وعدل عن الترتيب فى الانتقال من الثلاثة إلى الأربعة ؟ ومنها لِمَ لم يتجاوز الخمسة كما تجاوز الثلاثة ؟ ومنها لم لم يقل ما يكون من نجوى ثلاثةٍ ، ويقف عند ذلك ، ويستغنى بقوله بعدها : «ولا أدنى من ذلك ولا أكثر» فيتناول الأدنى من الاثنين ، والأكثر من الأربعة إلى مالا نهاية له من الأعداد ، ولم عدل عن الأوجز إلى الأطول ، مع توفية الأوجز بالمعنى المراد ؟.

(١) سورة المجادلة آية : ٧ .



والانفصال عن ذلك أن يقال : الآية نزلت فى سبب ، قد اختلف أهل النقل فيه ، فقال قوم : اجتمع المشركون جماعات على هذين العددين ثلاثة ثلاثة ، [١٦٩] وخمسة خمسة ، يتناجون فى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهم يظنّون أن ذلك يَخفَى عنه ، فنزلتْ ليُعلِمَ اللهُ نبيّه — صلّى الله عليه وسلم — بحالهم . وقال قوم : ورَوَوه عن ابن عباس[1] إنه اجتمع ثلاثة نفر من قريش ، وهم ربيعة ، ٥ وحبيب ابنا عمرو وصفوان بن أمية يوما كانوا يتحدّثون ، فقال أحدهم : أترى الله يعلم ما نقول ؟ فقال الآخر : يعلم بعضا ولا يعلم بعضا ، فقال الثالث : إن كان يعلم بعضا فهو يعلم الكلّ فنزلتْ، وقد صحّح أهل النقل على هذه الرواية الثانية .

وقال الزمخشرى[2] فى الجواب عن بعض ما قدّمت من الاعتراض على ظاهر الآية بعد نقل سبب النزول الذى ذكرته أن البارئ — عزّ وجلّ — قصد — ١٠ وهو أعلم — أن يذكر ما جرت به العادة من إعداد أهل النجوى ، وأهل الشورى والمنتدون لذلك ليسوا كلّ الناس وإنما هم طائفة مجتباةٌ من أولى النُّهَى والأحلام ورهط من أهل الرأى والتجارب ، وأول عددهم الاثنان فصاعدا إلى الستة على ما تقتضيه الحال ، ويحكم به الاستصواب ، ألا أن عمر بن الخطّاب — رضى الله عنه — ترك الشورى فى ستة ، ولم يتجاوز بها إلى سابع هذا نص كلام ١٥ الزمخشرى حكيتهُ بلفظه ، لم أغادر منه شيئاً ، ولم تتبدّل فيه لفظة بلفظة ، وأما ما حكاه من الرواية الأولى فى سبب النزول فلا إشكال فيه ولا دخل عليه ، وأما الرواية الثانية التى وقع التصحيح عليها ورُويتْ عن ابن عباس — رضى الله عنه —

---

(١) روح المعانى للآلوسى ٩ : ١٧ طبع بولاق سنة ١٣٠١ .

(٢) الكشاف له ٤ : ٣٩١ ط الاستقامة بالقاهرة سنة ١٩٥٣ م

فيتوجّه عليها الإشكال ، وأما قول الزمخشري : إن الكلام جاء على عادة العرب في أهل النجوى وأهل الشورى لأن عدد هاتين الطائفتين لايتجاوز الستّة ، ونظر بقضية عمر — رضي الله عنه — وجعله الشورى في ستة ، وأكّد ذلك بقوله : ألا تراه لم يَتَجَاوَزْ بها معنى الشورى إلى سابع ، فما أدري من أين له ذلك ؟ وكيف تصح دعواه في أن عادة العرب إنما يكون أهل النجوى وأهل الشورى على هذين العددين دون سائر الأعداد ، وقد جاء القرآن العزيز بخلاف ذلك ، قال الله تعالى في الإخبار عن أولاد يعقوب : ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا[1] ﴾ وكانوا عشرةً فسمَّى سبحانه وتعالى محاورتهم تناجيا ، وقال عزّ وجلّ حكايةً عن ملأ فرعون وأسرُّوا النجوى : ﴿ إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ[2] ﴾ وكانوا لا يُحْصَوْن كثرةً ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً[3] ﴾ ومُناجُوا الرّسول يحتمل أن يكونوا هم الاثنين فصاعدا إلى منتهَى عدد الأمّة ، فإن الخطاب لكافّة المؤمنين ، والمناجُون منهم لم يحصر سبحانه عددهم في كمّيّة معيّنة ، وقال سبحانه : ﴿ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ[4] ﴾ غير حاصرٍ ذلك في عدد مضبوط ، وقال تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ[5] ﴾ لغير عدد معين ، وبعض هذه الآيات وإن نزلتْ في واقعة مخصوصة ، فقد أنزل الله معناها بلفظ

[١٧٠]

---

(١) سورة يوسف آية ٨٠ .
(٢) سورة طه آية ٦٣ .
(٣) سورة المجادلة آية ١٢ .
(٤) سورة المجادلة آية ٩ ،
(٥) سورة الشورى آية ٣٨ .

العموم لتتناول كلَّ الأمّة ، فالحكم فيها عامّ . وأما قضية عمر — رضى الله عنه — فمن المعلوم أنه لم يجعل الأمر شُورَى فى تلك الستة مراعاةً لهذا العدد ، وإنما راعى من يصلح للأمر ، فإن الستة الّذين جعل الأمر فيهم هم أعيان الصحابة ، وأفضل من بقى بعد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وبعد الشيخين — رضى الله عنهما — وأنه لا يجوز أن يخرج هذا الأمر عنهم ، ولا يتجاوزهم إلى غيرهم ، ولو كان الصُّلَحاء لهذا الأمر أكثر من هذا العدد ، أو أقل لجعل الأمر فيهم ، ولم يقل[1] نقصوا عن هذه العدّة أم زادوا عليها .

والذى يصلح أن يكون جوابا ينفصل به عن الإشكال المقرّر فى أول الكلام أن يقال : الذين صحّ نزول الآية فيهم هم الثلاثة الّذين سمّاهم ابن عبّاس — رضى الله عنهما — . ولما كان هذا العدد أعنى الثلاثةَ هو المقصود بالآية ، ذُكِر مقدّما فيها على العدد الأخير ليعلم التّهَمّم به ، فإن المتكلم[2] إذا كانت له عناية بشىء قدم ذكره فى كلامه على غيره فى مثل هذه المعانى ، ثم ذكر الأدنى والأكثر ليرفع الاحتمال الّذى قدّمناه ، وإذا كانت هذه هى الواقعة التى نزلت الآية بسببها سقط السؤال الأول ، الذى قيل فيه : لم لم يذكر أول رتب المتناجين ، واستغنى بذكر الأدنى بعد ذكر الثلاثة ليتناول الاثنين أو الأكثر لتناول ما فوق الثلاثة .

والجواب عن قوله : ما الفائدة فى ذكر الخمسة بعد ذكر الثلاثة وقوله تعالى « ولا أكثر » تغنى عنها وعن غيرها إلى مالا يتناهى من وجهين : أحدهما أنه

(١) فى جميع الأصول : « ولم يقال » وهو خطأ .

(٢) كذا فى الأصل ، د ، س والذى فى ا ، ب ، ت « إذا » وبها يستقيم المعنى أيضا.

سبحانه أراد أن يعرّفنا كيفيّة التنقّل فى هذه الأعداد صاعدا من الثلاثة إلى

[١٧١] الخمسة ، ليعلم أن الإشارة إلى جميع رتَب الأعداد وأن كيفية التنقل فى البقية

كـكيفيته فى الخمسة ، فإن قيل : فلم لا كان هذا التعريف بالأربعة التى أُلغيت

وكان ذكرها أولى ؟ لأن الانتقال من الثلاثة إلى الأربعة أصحّ من الانتقال من

٥ الثلاثة إلى الخمسة ، فإن مجىء العدد على ترتيب أصحّ من مجيئه على غير ترتيب ،

وكان يحصل الغرض من تعريف كيفية الانتقال بذلك .

قلت : منع من ذلك أمران : أحدهما الخشية من مجىء نَظْم الكلام مَعيبا لثقله

على النطق والسمع ، لبَشاعة تَـكرار لفظ التربيع بغير حاجز تباعد أحد اللفظين

من الآخر ، فإنه لو قيل بعد قوله : « إلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ » ولا أربعـة لَثقُل

١٠ الـكلام ، لمجاورة لفظتين فيهما أربعة أحرف من حروف الحلق ، وهما العينان

والهاءان ، وقد عاب الآمدىُّ على أبى تمام مثل هذا فى قوله[1] (الطويل) :

كَرِيمًا مَتَى أمدَحْه أمدحْه والوَرَى مَعِى ومَتَى ما لُمْتُه لُمْتُه وَحْدِى

وسمّاه مساطلة ، وهى أفظع العيوب التى نفاها عمر بن الخطّاب — رضى الله عنه —

عن شعر زهير حين وصفه . وإن كان غير الآمدى قد عدّ المعاظلة غير هـذا .

١٥ والأمر الثانى الذى منع من ذكر الأربعة فرار ناظم الـكلام البليغ من تـكرار

المعانى والألفاظ بغير فائدة ، ولو انتقل إلى الأربعة لتـكرر الحـكم ، فإن الحـكم

عليها قد جرى فى الخمسة ، فإن الخمسة أربعة وزيادة ، فالأربعة داخلة فيهـا ،

(١) ديوانه ١٢٩ وهو من قصيدة يمدح فيها موسى بن ابراهيم الرافقى ويعتذر اليه
ديوانه وروايته « كريم » ومعاهد التنصيص ١ : ٣٥ .



فما جرى عليها من الأحكام جرى على الأربعة ، وللفرار أيضاً من ذكر الشفع
والعدول عنه إلى ذكر الوتر فإن للوتر من المزايا التي يستوجب بها الذكر دون الشفع
ما ليس لغيره ، وفي هذا الجواب الذي جاء عن السؤال الثاني جواب عن السؤال
الثالث . وأما الجواب عن السؤال الرابع وهو قوله : لِمَ لم ينتقل من الخمسة إلى
السبعة كما انتقل من الثلاثة إلى الخمسة وينتهي إلى ذلك الحدّ ولا يهمل هذا ٥
العدد المختص بخصائص أودعها الله تعالى فيه من أجلها جاء وَفْقه عدد السموات
والأرض وأيام الدهر وأقاليم الأرض ، وأشياء لا يتّسع هذا المكان لذكرها ، وهي
مستوعَبة في كتابي الموسوم (بالخواطر السوانح في ذكر سرائر الفواتح) وقد تقدّم
ذكره والتنبيه عليه ، فنقول : كان المراد تعريف كيفية الانتقال ، وقد حصل [١٧٢]
ذلك بذكر الخمسة ، فإعادته في عدد آخر إطالة لا فائدة فيها ، قد اُستُغنِي عنها ١٠
بما قبلها ، ولو رُوعِي للسبعة ما لها من الخصائص لَوَجب أن يراعى للتسعة ما لها
من الخصائص أيضاً ، وليس المراد من الآية التنبيه على خصائص الأعداد ، إنما
المراد ما ذكرناه ، وإلا متى اُعتبرت خصائص الأعداد وجدت الخمسة مختصّة
بما لم يختصّ به غيرُها من العدد ، فمن خصائصها التي انفردت بها أنّها أول عدد
جمع ثلاثة أوتار الواحد والثلاثة والخمسة ، ومنها أن عدد أوتارها وتر ، وهذا ليس ١٥
لغيرها من جميع أعداد مرتبة الآحاد ، ولا ما بنى على أصلها وتفرّع منه ، فإن
الثلاثة إنما جمعتْ وِتْرَين ، وعدد أوتارها شَفْع كذلك ، والسبعة وإن جمعت
أربعة أوتار فعدد أوتارها شَفْع ، وهي مركّبة بالنسبة إلى الخمسة ، لأنها خمسة وزيادة ،
والخمسة بسيطة بالنسبة إليها ، والبسيط أصل المركّب ، والتسعة وإن جمعت أكثر

من السبعة وجاء عدد أوتارها وَتْرا فهى مركبة بالنسبة إلى السبعة التى هى مركّبة بالنسبة إلى الخمسة ، فالخمسة بالنسبة إليها أصل الأصل ، هذا إلى مافيها من الخصائص التى اختصت بها حتى جاءت عدد فواتح الكتاب العزيز على وَفْق عددها ، وقد استوعبت ذلك كله فى كتاب (الفواتح) الذى أشرت

٥ إليه ، ولما كانت بهذه المثابة كان ذكرُها أولى من ذكر السبعة ، ووجب الإتيان به لينبه على مالها من الشرف والفضل دون غيرها ويجب الوقوف عندها ، ويقتصر فى تعريف الانتقال عليها ، وبذلك يتحقق أن يجيء نظم هذه الآية على ماجاء عليه أبلغ ممّا توهّمه مُورِد السؤال ومفرد الاشكال ؛ وقد حصل بما بيّنّاه الانفصال عن السؤال والله أعلم .

١٠ ومن الانفصال قوله تعالى فى سورة آل عمران حكاية عن زكريّا عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ[1] ﴾ ؛ وقال سبحانه فى قصة مريم عليها السلام ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ[2] ﴾

١٥ فلقائل أن يقول : لم قال فى حق زكريا « يَفْعل » وقال فى قصّة مريم « يَخْلُق » والمعنى واحد ، فإنه بشارة بوَلَدٍ فى الموضعين ؟ ، والانفصال عن ذلك

---

(١) سورة آل عمران آية ٤٠ .

(٢) سورة آل عمران آية ٤٧ .

أن أستبعاد زكريا لذلك أستبعاد لأمرٍ غير خارق للعادة ، وإنما وقوع مِثلِه [١٧٣] نادرٌ بعيد ، فحُسن أن يعبّر عنه بلفظة « يفعل » لأن صيغة الفعل يخبر بها عن تكرر منه مثل ذلك الفعل ، واستبعاد مريم — عليها السلام — أستبعاد أمر لا يقع مثله إلا خارقا غير معتاد ، فكان الإخبار عنه سبحانه ، بوقوعه بلفظة الخلق أنسب ، لأن الخلق فى اللغة هو التقدير ، والتقدير مقدّم على التصوير ، وهو فى اصطلاح الشرع الأختراع ، وفعل مالا يقع مِثلُه أولى بالأختراع ، فناسب الإخبار عنه بلفظة الخلق .

ومن الأنفصال قوله تعالى فى سورة المائدة مخاطبا لعيسى — عليه السلام — وممتنا عليه بنعمه حيث قال: ﴿ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِىءُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ، وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ . وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا[١] ﴾ فعدّد سبحانه جميعَ النِّعَم التى أنعم بها عليه مؤقّتة بالزمن الماضى الدّال عليه لفظة « إذ » فى قوله تعالى : « إذ أيدتك » و « إذ علمتك » إلى أن أتى على جميع النِّعَم التى عدّدها ما خلا نعمته عليه بإبراء الأكمه والأبرص ، فإنه تعالى

(١) سورة المائدة آيتا ١١٠ ، ١١١ .



لم يؤقِّتها بوقت ، ولم يقيِّدها بزمن كما فعل فى غيرها من جميع النِّعَم المذكورة قبلَها و بعدَها .

والانفصال عن ذلك أن جميع ما عدّده من النعم وقعتْ كلُّ نعمة منه فى زمن واحد ولم تتكرّر ، وكان زمن وقوعه متقدما على زمن الإخبار به ، فوجب أن يقيد بالزمن الماضى ، و إبراء الأكمه والأبرص لم يزل منذ ظهر إلى حين رُفع إلى السماء يفعله ، فلم يكن فعله له مقيّدا بزمن ولا محصوراً فى وقت ، فلذلك جاء الاعتداد عليه به مطلقا غير مقيّد بزمن كما كان وقوعه منه والله أعلم .

ومن الانفصال قراءة أبى عمرو ، وابن كثير هذا الحرف بالرفع والتنوين دون الباقين ، وهو : ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ[1] ﴾ فانه يقال : لم خصّص هذين الحرفين بذلك دون قوله « ولا جدال » ؟ وأبقى هذا الحرف الأخير على قاعدة الإعراب من بناء النكرة مع « لا » على الفتح . و يقال[2] : إن للنُّحاة فى هذا الحرف ستّة أقوال : وهى مسألة «لاحول ولا قوة إلا بالله» ، رفع فى الجميع مع التنوين ، ورفع الكلّ بغير تنوين ، والنصب مع التنوين فى الجميع ، والنصبُ فى الجميع بغير تنوين ، ورفع البعض ونصب البعض بغير تنوين ، ورفع البعض ونصب البعض مع التنوين ، فاذا سَلِم ذلك سقط السؤال ، فإنى أقول : لو كان هذا الحرف الذى سئل عنه عُومِل بهذه المعاملة ، وقراءة أبى عمرو ، وابن كثير على هذه الطريق لجاز فى روايتهما التبديل ، ولقرءا بِهِ فـكانا يقولان بتجويز « فلا رفث ولا فسوق

(١) سورة البقرة آية ١٩٧ .

(٢) كـذا فى الأصل ، وهو الصواب كما لا يخفى . والذى فى بقية النسخ (ولا يقال بزيادة لا) وهى مفسدة المعنى .



ولا جدال » ولم يجز عندهما ذلك ، فدلّ على أن الوجه الذى ذهبا إليه من هـذه القراءة إما أن يكون من الوجوه الستّة المذكورة ـ وقد رجحاه دون بقية الوجوه فما وجه الترجيح ؟ ، وإما أن تـكون لقراءتهما هذا الحرف على هذه الهيئة علة أخرى غير ذلك ، فما العلّة ؟ ، وقد قرأ أبو عمرو مثل هذا الحرف على القاعدة المعروفة فى بناء النّكرة مع « لا » على الفتح فى الجميع ، ورجح هذا الوجه على سائر الوجوه الستّة فى قوله تعالى : ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾[1] بالفتح بغير تنوين فى الجميع ؟ فما الفرق بين الموضوعين والعلّة التى لأجلها قرأ[2] أبو عمرو وابن كثير هذا الحرف بهذه القراءة فى الاسمين الأوّلَين من الآية دون الثالث ، أن حرف « لا » الّتى وَلِيَها الاسمان الأوّلان غير « لا » التى وَلِيَها الاسم الثالث ، فإن « لا » الأولى لانَّهْى لا للنَّفْى ، والثانية للنفْى ، والمعنى . فمن فرض فيهن الحجّ فلا يكن رَفَثٌ ولا فسوقٌ ، أى لا يَحدُث منه ذلك ، واستأنف بعد ذاك قوله « ولا جدال » لنفى الجدال فَنهى فى الأول ، ونَفَى فى الثانى ؛ والله أعلم .

والفرق بين الانفصال ، والإيضاح أنّ الإيضاح يكون إشكاله فى بعض الكلام الواحد وإيضاحه فى بقيته ، والانفصال وإشكاله معا فى موضع واحد من الكلام ، وربما جاء الدّخل والانفصال فى كلة واحدة ، وغالب مجيئه فى جملة واحدة ، وبيت واحد ، ويندر مجيئه فى الأبيات المتعدّدة ، والجمل المتردّدة ، والله أعلم .

* * *

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٤ .

(٢) روح المعانى ١ : ٤٦٢ ، والنشر فى القراءات العشر ٢ : ٢٠٤ .



باب الابداع *

وهو أن تكون كل لفظة من لفظ الكلام على انفرادها متضمنّة بديعا أو بديعين بحسب قوّة الكلام، وما يعطيه معناه بحيث يأتى فى البيت الواحد، والجملة الواحدة عدّةُ ضُروب من البديع، ولا تخلو لفظةٌ منه من بديع، فما زاد عليه. [١٧٥]

٥ وما رأيت ولا رويت فى الكلام المنثور والشعر الموزون كآية من كتاب الله تعالى أستخرجت منها أحدا وعشرين ضربا من البديع، وعددها سبع عشرة لفظةً وهى قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(١)﴾ وتفصيل ماجاء فيها من البديع: المناسبة التامّة فى ابلعى وأقلعى، والمطابقة اللفظية فى ذكر السماء والأرض، والأستعارة فى قوله أبلعى وأقلعى للأرض و السماء، والمجاز فى قوله: «يا سماء»، فإن الحقيقة: ويا مطر السماء أقلعى، والإشارة فى قوله: (وَغِيضَ الْمَاءُ) فإنه سبحانه وتعالى عبّر بهاتين اللفظتين عن معانٍ كثيرة، لأنّ الماء لا يغيض حتى يقلِع مطرُ السماء وتبلَع الأرض مايخرج من عيون الماء فينقص الحاصل على وجه الأرض من الماء، والإرداف فى قوله: «وأستوتْ على الجودىّ» فإنه عبر عن أستقرار السفينة على هذا المكان وجلوسها جلوسا متمكّنا لا زيغ فيه ولا ميل، لطُمأنينة أهل السفينة بلفظ قريب من لفظ الحقيقة، والتمثيل

(*) سلم هذا النوع للمؤلف (بحثه فى خزانة ابن حجة : ٣٧ ، حسن التوسل : ٧٢ ، نهاية الأرب ٧ : ١٦٤ .

(١) سورة هود آية ٤٤ .



فى قوله « وقضى الأمر » فإنه عبّر بذلك عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظ فيه بعدٌ ما من لفظ الحقيقة بالنسبة إلى لفظ الإرداف ، والتعليل لأن غَيْض الماء علةُ الاستواء ، وصحّة التقسيم حين استوعب سبحانه أقسامَ أحوال الماء حالة نقصه ، إذ ليس إلا احتباس ماء السماء ، واحتقان الماء الذى ينبع من الأرض ، وغَيض الماء الحاصل على ظهر الأرض ، والاحتراس فى قوله : (وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) محترسا من توهُّم من يتوهّم أن الهلاكَ ربما عم من لا يستحق الهلاك ، فجاء سبحانه بالدعاء على الهالكين ليعلم أنهم مستحقُّوا الهلاك ، فإنّ عَدْلَه منع أن يدعوَ على غير مستحقّ للدعاء عليه ، والانفصال فإن لقائل أن يقول : إنّ لفظة القوم مستغنًى عنها ، فإنه لو قيل : « وقيل بعدا للظالمين » لتمّ الكلام ، والانفصال عن ذلك أن يقال : لمّا سبق فى صدر الكلام قبل الآية قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ[1] ﴾ وقال سبحانه قبل[2] ذلك مخاطبا لنوح عليه السلام : ﴿ وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ[1] ﴾ فاقتضت البلاغة أن يؤتَى بلفظة القوم التى آلةُ التعريف فيها للعهْد ، ليتبيّن أنهم القوم الذين تقدّم ذكرهم فى قوله [١٧٦] تعالى : « وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ » ووصفهم بالظلم ، وأخبر بسابق علمه أنهم هالكون بقوله : « وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ » فحصل الانفصال عن الإشكال وعلم أن لفظة القوم ليست فضلة فى الكلام .

(١) سورة هود آية ٣٨ ، ٣٧ .

(٢) فى جميع الأصول : « بعد » وهو خطأ فى جميعها .

والمساواة لأن لفظ الآية لا يزيد على معناه ولا ينقص عنه ، وحُسن النسَق
فى عطف القضايا بعضِها على بعض بأحسن ترتيب حسبما وقعت أولا فأوّلا ،
فإنه سبحانه أمر الأرض بالابتلاع ، ثم عطف على ذلك أمرَ السّماء بالإقلاع
ثم عطف غَيْضَ الماء على ذلك ، ثم عطف على ذلك قضاء الأمر بهلاك
٥ الهالكين ونجاة الناجين ، ثم عطف على ذلك استواء السفينة على الجُودىّ ،
ثم عطف على ذلك الدعاء على الهالكين ، فجاء عطف هذه الجمل على ترتيب
وقوعها فى الوجود ، وائتلاف اللفظ مع المعنى لكون كلّ لفظة لا يصلح
فى موضعها غيرها ، والإيجاز لأنه سبحانه اقتصّ القصة بلفظها مستوعبة ،
بحيث لم يخلّ منها بشىء فى أخصر عبارة ، بألفاظ غير مطوّلة ، والتسهيم
١٠ لأن من أوّل الآية إلى قوله تعالى : « أقلعِى » يقتضى آخرها ، والتهذيب
لأن مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن ، كلّ لفظة سهلة مخارج الحروف
عليها رونق الفصاحة ، مع الخلوّ من البشاعة ، والتركيب سليم من التعقيد
وأسبابه ، وحسن البيان من جهة أن السامع لا يتوقّف فى فهم معنى الكلام ،
ولا يُشكِل عليه شىء منه ، والتمكين لأن الفاصلة مستقرّة فى قرارها ،
١٥ مطمئنة فى مكانها غير قلِقة ولا مستدعاه ، والانسجام وهو تحدر الكلام
بسهولة وعُذوبةِ سَبْك ، مع جزالة لفظ كما ينسجم الماء القليل من الهواء ،
وما فى مجموع ألفاظ الآية من الإبداع ، وهو الذى سُمِّى به هذا الباب ،
إذ فى كل لفظة بديع وبديعان ، لأنها كما تقدم سبع عشره لفظة تضمّنت
أحدا وعشرين ضربا من البلاغة سوى ما يتعدّد من ضروبها ، فإن الاستعارة

وقعتْ فيها فى موضعين : وهما استعارة الابتلاع والإقلاع ، فانظر : رحمك الله إلى عظمة هذا الكلام ، وما انطوى عليه نظمُه ، وما تضمّنه لفظُه لتَقدُره قدره ، وهذا ما ظهر لى منه على ضعف نظرى وقلة مادّتى من العلوم وكَلال ذِهْنى ؛ والله أعلم .

* * *

باب حسن الخاتمة*

[١٧٧] يجب على المتكلّم شاعراً كان أو ناثرا أن يختم كلامه بأحسن خاتمة ، فإنها آخر مايبقى فى الأسماع ، ولأنها ربّما حُفِظت من دون سائر الكلام فى غالب الأحوال، فيجب أن يجتهد فى رَشاقتها ونُضجها ، وحلاوتها وجزالتها .

ومن أمثلة هذا الباب خاتمة[1] خَتَم بها الإمام : علىٌّ — عليه السلام — كتابا أجاب به معاوية قبيل وقوع الحرب فى صِفّين بينهما ، يقول فيها : ١٠ وذكرتَ أن ليس لى ولأصحابى عندك إلا السيف ، فلقد أضحكتَ بعد استعبار متى ألفيتَ بنى عبد المطّلب من الأعداء ناكِلين ، وبالسيوف مخوّفين ؟ ،

(*) تحدث ابن أبى الأصبع على أن هذا النوع من مخترعاته ، ولكنه مسبوق إليه من القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى فى وساطته : ٤٨ والتيفاشى فى بديعه تحت اسم حسن المقطع . خزانة ابن حجة : ٤٦٠ .

(١) انظر نهاية الأرب ٧ : ٢٣٣ طبع دار الكتب المصرية، وصبح الأعشى ١ : ٢٢٩ .



لبِّثْ[١] قليلا يَلحق الهيجاَ حَمَل » فسيطلبك من تطلب ، ويقرب منك ماتستبعد ، وإنّى مُرْقِلٌ[٢] نحوك بجحفلٍ من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ، شديدٍ زحامُهم ، ساطعٍ قتامُهم ، متسربلين سرابيل الموت ، أحبُّ اللقاء إليهم لقاء ربّهم ، قد صحبتْهم ذرّية بدْرية ، وسيوفٌ هاشميّة ، قد عرفت مواقع نصالها فى أخيك وخالك وجدّك ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ[٣] ﴾ .

وحسن الخاتمة فى أشعار المتقدّمين قليلة جدّا ، وإنما عُنى بها المولَّدون إلى الآن ، ومن ذلك قول أبى نواس فى محمد الأمين ممّا ختم به قصيدته المشهورة فيه الّتى أولها (الطويل) :

يادارُ ما صنعتْ بكِ الأيّامُ — لَمْ يبقَ فيكِ بَشاشةٌ تُستامُ[٤]

فإنه ختمها بقوله :

فبقيت للعِلْمِ الّــذى نُهْدَى له — وتقاعستْ عن يومِكِ الأيّامُ[٥]

وكقوله فى الخصيب عامل مصرَ من قصيدة أوّلها (الطويل) :

أجارة بيتنا أبوكِ غَيُور — ومَيْسُورُ ما يُرْجَى لديكِ عَسيرُ[٦]

فإنه قال فى خاتمتها :

---

(١) لبث : توقف ، اللسان ، ومجمع الأمثال للميدانى ١ : ٣٨٤ ويعنى به حمل بن بدر .
(٢) مرقل : مسرع .
(٣) سورة هود آية ٣٨ .
(٤) روايته فى ديوانه يا دار ما فعلت ،« ضامتك والأيام ليس تضام » . انظر صفحتى ٦٣ و ٦٤ ط العمومية .
(٥) ورد صدر هذا البيت فى الديوان هكذا « فسلمت للأمر الذى ترجى له » ... الخ.
(٦) ديوانه صفحتا : ١٠١ ، ١٠٢ .



فإنْ تُولِنِى منكَ الجميلَ فأهلُه   وإلاّ فإنى عاذرٌ وشَكورُ

وكقول أبى تمام فى خاتمة قصيدته التى ذكر فيها فتح عَمّورِيّة . (البسيط) :

إن كان بينَ لَيالى الدّهرِ مِنْ رَحِمٍ   مَوْصولَةٍ أوذِمامٍ غيرِ منقضبِ[1]

فبيْن أيّامِكَ اللّاتى نُصِرْتَ بها   وبين أيام بدْر أقربُ النَّسبِ

أبقَتْ بنى الأصفرِ المِراضِ[2] كاسِمِهِمُ   صُفر الوُجُوه وجلّت أوجه العَرَبِ

وكقوله فى خاتمة قصيدة أعتذر بها إلى ابن أبى دؤاد (الوافر) :

ومن يأذَنْ إلى الواشين يَسْلُقْ   مَسَامِعَه بألسنةٍ حِدادِ[3]

وكقوله فى خاتمة قصيدة اعتذر بها إلى موسى بن إبراهيم الرافقى (الطويل) : 10

فإنْ يَكُ ذَنْب عنّ أو تكُ هَفْوَةٌ   على خطإ منّى فَعُذْرى على عَمْدِى[4] [١٧٨]

وكقول أبى الطيّب المتنبىّ فى خاتمة قصيدة من السيفيات (الوافر) :

فلا حَطّتْ لك الهَيْجاء سَرْجا   ولا ذاقتْ لكَ الدُّنيا فِراقا[5]

---

(١) ديوان صفحتا ١١ — ١٢ ط بيروت مع خلاف يسير فى الرواية ، والذمام : الحرمة ، منقضب : منقطع .

(٢) المراض : المصفر (ديوانه : ١٢) .

(٣) ديوانه : ٨١ .

(٤) ديوانه ، الطراز ٣ : ٣٢٨ : ١٢٩ .

(٥) ديوانه بشرح العكبرى ١ : ٤٢٨ .

وكقوله فى خاتمة قصيدته الّتى هنّأ بها أبا وائل بن حمدان بالخلاص من الأسْر (المتقارب) :

فذى الدّار أغدرُ مِنْ مُومِسٍ وأخدعُ من كِفَّةِ الحابلِ[1]
تفانى الرجال على حُبّها ولا يحصلون منها على طائلِ

٥ وقوله فى خاتمة قصيدته الّتى ودّع بها ابنَ العميد (الطويل) :

أجِدْ لى بقلبٍ إنْ رحلتَ فإنَّنِى أُخلِّفُ قلبى عندَ مَن فضلُهُ عندى[2]
فلو فارقتْ جسمى إليك حياته لقلتُ أصابت غيرَ مذمومةِ العَهْدِ

وجميع خواتم السوَر الفرقانيّة فى غاية الحسن ونهاية الكمال ، لأنها بين أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل ومواعظ ومواعدَ ، إلى غير ذلك من ١٠ الخواتيم التى لا يبقى للنفوس بعدها تشوّف إلى ما يقال ، كتفضيل صلة الموصول[3] فى خاتمة الفاتحة ، والدعاء الذى خُتِمتْ به البقرة ، والوصايا فى خاتمةِ آل عمران ، والفرائض فى خاتمة النساء ، والتبجيل والتعظيم فى خاتمة المائدة ، والوعد والوعيد اللّذين ختمتْ بهما الأنعام ، والتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الّذى خُتمتْ به الأعراف ، والحضّ على الجهاد وصلة ١٥ الأرحام اللّذين ختمتْ بهما الأنفال ، ووصف الرسول — صلى الله عليه وسلم — ومدحه والاعتداد على الأمم به ، وتسليته ووصيّته والتهليل فى خاتمة براءة ، وتسليته

---

(١) ديوانه ٢ : ٣٨ — ٣٨ وأغدر : أخون ، مومس : كل امرأة فاجرة ، وكفة الحابل ، المراد الشرك بها هنا ، وهى معروفة ، لأن الكفة هى آلة الشرك ، الحابل : آلة الصيد ، ملخصا من المخصص لابن سيدة ٨ : ٨٩ ط بولاق سنة ١٣١٨هـ .

(٢) ديوانه ١ : ٢٨٠ .

(٣) فى ا ، ب صلة المطلوب وهو تحريف .



صلّى الله عليه وسلّم — التى ختمتْ بها يونس ، ومثلها خاتمة هود ، ووصف القرآن ومدحه الذى خُتمت به يوسف ، والردّ على من كذّب الرسولَ — صلى الله عليه وسلم — الذى ختمت به الرعد ، ومدح القرآن وذكر فائدته والعلّة فى إنزاله الّذى ختمت به إبراهيم ، ووصية الرسول التى ختمت بها الحِجر ، وأمر الرسول — عليه الصلاة والسلام — بالصبر، ونهيه عن الحزن، وتسليته عمّا يهمّه مِنْ كُفْر مَن كَفَر ، ووعد المتّقين المحسنين الّذى ختمت به النحل، وأمره — عليه السلام — بالحمد لربّه سبحانه ، وتنزيهه وتكبيره الّذى ختمتْ به الإسراء ، وتحضيض الرسول — صلى الله عليه وسلم — على الإبلاغ والإقرار بالبشرية ، وأمره بالتوحيد الّذى خُتمتْ به الكهف ، وعلّة إنزال القرآن ووصف من أنزل [١٧٩] عليه ، وتخويف الناس بذكر من هلك قبلهم الذى ختمتْ به مريم ، والوعد والوعيد بذكر المتربّصين الهُداة والغُواة الّذى خُتمت به طه ، والاستعانة بالله على ما يصف المشركون فى خاتمة الأنبياء ، والتحضيض على أتباع دين ابراهيم ، والإخبار بشهادة الرسول على أمّته بذلك ، وشهادة أمّته على الأمم ، وأمرهم بالصلاة والزكاة ، والاعتصام بالله ، ووصف الحق سبحانه بما يرغب فى الاعتصام به فى خاتمة الحجّ وأمر النبى — صلّى الله عليه وسلم — بالدعاء بالغفران والرحمة ، ووصف الرّب سبحانه بالرحمة فى خاتمة المؤمنين ، والإخبار بأن الله سبحانه يعلم ما عبادُه عليه فى الدنيا، وأنه ينبّئهم بأعمالهم إذا رجعوا إليه فى الأخرى ، وأنه القادر المطلق على كلّ شىء فى خاتمة النور ، والتحضيض على الدعاء فى خاتمة الفرقان ، ووعيد الظَّلَمة فى خاتمة الشعراء ، والتحميد والوعيد ووصف الله سبحانه بعلم

مانعمل عبادُه فى خاتمة النمل ، ووصف الحق سبحانه بالبقاء بعد فناء خلقه ، وأن المرجع إليه ، والحكم له فى خاتمة القصص ، ووعد من جاهد فى الله بالهداية ، وأنه مع المحسنين فى خاتمة العنكبوت ، وأمر الرسول — عليه السلام — بالصبر ونهى غيره ، والخطاب له عن استخفاف الشاكّين فى خاتمة الروم[1] وأمر الرسول — عليه السلام — بالإعراض عن الكافرين ، وانتظار أمر الله فيهم فى خاتمة السجدة ، وتعظيم حمل الأمانة و إشفاق أشدّ مخلوقات الله تعالى منها ، وحمل الإنسان لها لظلمه وجهله ، وجعل ذلك علّة لتعذيب المنافقين والمشركين ، والتوبة على المؤمن والأخبار بغفرانه ورحمته فى خاتمة الأحزاب ، والتحذير من الاغترار بالأمانى ، كفعل من شك وارتاب بالحق فى خاتمة سبأ ، والإخبار بأنه سبحانه يمهل عباده ، وأنه بصير بهم فى خاتمة فاطر ، و إخباره بأن بيده ملكوت كلّ شىء وأن إليه المرجع فى خاتمة يٓس ، والتسبيح والتنزيه لله تعالى عمّا يصف المشركون والتسليم على المرسلين والتحميد لرب العالمين الّذى خُتمتْ به الصافّات ، وأمر الرسول — صلى الله عليه وسلم — بالبراءة من طلب الأجر على الهداية ممّن هداه ومن التكلّف والأخبار بأن القرآن ذُكر للعالمين فى خاتمة صٓ ، وذكر أحوال القيامة والتحميد فى خاتمة الزمر ، والتحضيض على الإيمان قبل نزول العذاب ، والتحذير من الكفر بخسران الكفار ، فى [١٨٠]

---

(١) يلاحظ أنه قد سقط تعريف خاتمة سورة لقمان من جميع الأصول وقد ذكر فى الأصل ، ا ، ب خاتمة السجدة وقال المؤلف عنها إنها خاتمة لقمان . فتأمل . وكان يصح أن يذكر عنها أنها الإخبار عن علمه الساعة ، ونزول الغيث وما فى الأرحام مستور وما للنفس وما عليها وبأى أرض تموت .



خاتمة حم — المؤمنين — ، والإخبار بأن الكفار فى مرية من البعث ، وأنه محيط بكل شىء فى خاتمة حم — فصّلت — ومدح الرسول بالهداية فى خاتمة الشورى ، وإعلام الرسول — عليه السلام — بأن الكفار من قومه لايؤمنون ، وأمره بالصفح عنهم ، ووعيدهم فى خاتمة الزخرف ، والأعتداد على الرسول — عليه السلام — بتيسير القرآن على لسانه للتذكرة ، وأمره بارتقاب مايرقب المؤمنون فى خاتمة الدخان ، واستقصار عمر الدنيا وتشبيه قلتها بساعة من نهار ، وتقرير هلاك الفاسقين فى خاتمة الأحقاف ، ووعيد الكفار بالاستبدال بهم فى خاتمة سورة القتال ، ووعد صالحى المؤمنين بالمغفرة وعظيم الأجر فى خاتمة الفتح ، والإعلام بأن المنة لله سبحانه فى هداية من أسلم ، وأنه بصير بأعمالهم فى خاتمة الحُجُرات ، وأمر الرسول — عليه السلام — بالتذكير بالقرآن لمن يخاف فى خاتمة « قٓ » ، والدعاء بالويل على الكافرين فى خاتمة الذاريات ، وأمر الرسول — عليه السلام — بالصبر والتسبيح والتحميد فى خاتمة الطور ، وذكر حال المشركين وأنهم لا يبكون عند سماع القرآن ، وأمرهم بالسجود فى خاتمة النجم ، وتبشير المتقين بمقعد صدق عند ربهم فى خاتمة القمر ، وتعظيم اسم الله ووصفه بالجلال والإكرام فى خاتمة الرحمن ، والإعلام بأن القرآن حق يقين وأمر الرسول بالتسبيح باسم ربه العظيم فى خاتمة الواقعة ، والإخبار بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لأنه ذو الفضل العظيم فى خاتمة الحديد ، والوعد بأن حزب الله هم المفلحون فى خاتمة المجادلة ، ووصف الله سبحانه بأن له الأسماء الحسنى ، وانفراده بالعزة والحكمة فى خاتمة الحشر ، وإخباره بانقطاع

رجاء الكفّار من أصحاب القبور إنكارا للبعث والنشور فى خاتمة الممتحِنة ، والامتنان على المؤمنين بظهورهم على الكفّار بتأييده سبحانه فى خاتمة الصفّ ، والتحضيض على تقديم الصلاة على التجارة ، ووعد من قدمها بالرزق فى خاتمة الجمُعة ، والإخبار بأن الأنفس لا تتعدّى آجالها وأنه سبحانه خبير بأعمالها فى خاتمة ٥ المنافقين ، والإخبار بأنه سبحانه يشكر على الأعمال الصالحة ، ويحلم عن الأعمال السيئة ، والتمدح بعلمه الغيب والشهادة والعزة والحكمة فى خاتمة التغابن ، والإخبار بأنه سبحانه خلق السموات والأرض ونزل الأمر بينهن ، ونصب ذلك دليلا [١٨١] على قدرته على كل شيء وإحاطته علما بكل شيء فى خاتمة الطلاق ، وضرب المثل للكافرين بحال امرأتى نوح ولوط ، وللمؤمنين بامرأة فرعون ومريم ابنة ١٠ عمران فى خاتمة التحريم ، والاعتداد على الخلق بالماء المَعِين فى خاتمة الملك ، والرد على من عَضَه (١) الرسول — عليه السلام — بالجنون بالإخبار أن القرآن ذكر للعالمين فى خاتمة القلم ، ووصف القرآن بأنه الحق المبين وأمر الرسول — عليه السلام — بتسبيح اسم ربّه العظيم فى خاتمة الحاقّة ، وذكر البعث ووصف حال المبعوثين فى خاتمة المعارج ، والدعاء على الكفّار بالدّمار وتأكيد الدعاء ١٥ عليهم بمحو الآثار فى خاتمة نوح ، وتمدحه سبحانه بإحاطته بما عند رسله عليهم السلام وإحصائه كلّ شيء عددا فى خاتمة سورة الجنّ ، والحثّ على الاستغفار فى خاتمة المـزّمّل ، والإخبار بأن القرآن تذكرة ،

---

(١) عضه الرسول ، أى كذب عليه ورماه إثما وبهتانا .



«وما يتذكّر به إلا بمشيئة الله» وأنه أهل التقوى وأهل المغفرة في خاتمة المدّثّر ، والاستدلال على إحياء الموتى بخلق الإنسان في خاتمة القيامة ، ووعد من سبقتْ له المشيئة من المؤمنين بإدخاله في رحمة الله تعالى ، ووعيد الظالمين بالعذاب الأليم في خاتمة سورة الإنسان ، والاستفهام عن الحديث الّذى يؤمن المكذبون بالقرآن بعده استبعاداً لذلك وتعظيما للقرآن في خاتمة المرسلات ، ٥
وذكر تمنّى الكافرين يوم القيامة بأن يكونوا تراباً في خاتمة النبأ ، واستقصار مدة انتظار الساعة في خاتمة النازعات ، ووصف إسفار وجه المؤمنين وتغيير وجوه الكافرين [1] في خاتمة عبس ، والإخبار بأن القرآن ذكر لمن أراد الاستقامة بمشيئة الله تعالى في خاتمة التكوير ، ووصف القيامة والإخبار بأن الأمر فيها لله وحده في خاتمة الانفطار ، والاستفهام عن مجازاة الكفار للتوبيخ ١٠
في خاتمة المطففين ، والوعد بأن أجر صالحى المؤمنين غير ممنون في خاتمة الانشقاق ، وتمجيد القرآن والإخبار بأنه محفوظ في خاتمة البروج ، والأمر بإمهال الكافرين قليلا في خاتمة الطارق ، والإعلام بأن ما في القرآن في صحف إبراهيم وموسى في خاتمة الأعلى ، والإعلام بأن مرجع المكلَّفين إلى الله سبحانه وعليه حسابهم في خاتمة الغاشية ، وذكر دخول النفس المطمئنّة ١٥
راضيةً مرضيّةً في عباد الله وجنّته في خاتمة الفجر ، وذكر حال أصحاب [١٨٢]
الميمنة وأصحاب المشأمة في خاتمة البَلَد ، والموعظة بما حلّ بثمودَ في خاتمة الشمس ، والحض على إيتاء الزكاة في خاتمة الليل ، والنهى عن قهر اليتيم

---

(١) كذا في الأصل ، د ، س ، ت والذى في « ا » « الكفرة » وهما بمعنى واحد .



وانتهار السائل والأمر بالتحدث بالنعم فى خاتمة الضحى ، وأمر الرسول — عليه السلام بالرغبة إلى ربه فى خاتمة الانشراح ، والإخبار بأنه سبحانه أحكم الحاكمين فى خاتمة التين ، وأمر الرسول — عليه السلام — بالسجود والاقتراب فى خاتمة العلق ، ووصف ليلة القدر وتحديد وقتها فى سورة القدر ، وذكر رضى المؤمنين الذين هم خير البرية عن ربهم ورضاه عنهم فى خاتمة البرية ، وذكر تدقيق الحسابِ ومجازاة صغير الأعمال فى خاتمة الزلزلة ، ووصف النشور ووصف الحقّ بالخير بعباده فى خاتمة العاديات ، ووصف جهنم — أعاذنا الله منها — فى خاتمة القارعة ووعيد المكلفين بسؤالهم عن النعيم فى خاتمة التكاثر ، وأمر المؤمنين بالتواصى بالحق والصبر فى خاتمة العصر ، ووصف النار فى خاتمة الهُمَزة ، وذكر هلاك أصحاب الفيل فى سورة الفيل ، وأمر قريش بعبادة ربّ البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف فى خاتمة الإيلاف ، والنهى عن الرياء ومنع الماعون فى خاتمة الدّين ، وذم عدوّ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى خاتمة الكوثر ، وتخلية الكافرين ودينهم فى خاتمة الكافرين ، والأمر بالاستغفار عند الفتح فى خاتمة النصر ، وذم أم جميل امرأة أبى لهب فى خاتمة تبّت ، وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن الأشباه والأمثال فى خاتمة الإخلاص ، والتعوّذ من شرّ الحاسد فى خاتمة الفَلَق ، والعوذ من شرّ وسوسة الثَّقَلَين فى سورة الناس .

هذه خواتم السور الفرقانيّة على الإجمال ، ولو ذهبتُ إلى ذِكر تفاصيلِ ماأنطوت عليه من المحاسن والفنون ، وما يُبرهِن عن تمكينها ورشاقة مَقاطِعها وانتهاء البلاغة إلى كلّ مَقطَع منها ، لاحتجتُ فى ذلك إلى تدوين كتاب بذاته ، وإلحاق ذلك بهذا الكتاب ممّا يطيله ويُعظم نقله على من يريد تقييدَه ، وقد تقدّم فى هذا الكتاب تبيين طُرُق الاستنباط والاستخراج ، [١٨٣]ه فمن أدمن على مطالعته ، اختلط بلحمه ودمِه ، وقَدَر على استنباط كلّ ما فيها وفى غيرها من الكلام البليغ الفصيح ؛ والله أعلم .

تم كتاب بديع القرآن المجيد وعدّة أبوابه مائة باب وثلاثة أبواب ، وتمّ بتمامه كتاب البرهان فى إعجاز القرآن(١)

---

(١) هذه الخاتمة كما وردت فى الأصل . وهى تختلف عن خاتمة بقية النسخ ، وليس لهذا الخلاف أى أثر لأنه من صنع النساخ .





الفهارس العامة

١ – فهرس الموضوعات .

٢ – فهرس الآيات القرآنية .

٣ – فهرس الشعر والشعراء .

٤ – فهرس الأعلام والأمم والقبائل .

٥ – فهرس مراجع المؤلف .

٦ – فهرس مراجع التحقيق .

٧ – فهرس الأيام .



فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية (١)

---

(١) يلاحظ أنى التزمت فى فهرس الآيات ما يأتى : ترتيب السور ، وترتيب الآيات عدديا فى السورة ووضعت شرطة مكسورة بين رقم الآية ورقم الصحيفة وفصلت بين رقم الصحيفة ورقم الآية التالية لها بفاصلة منقوطة .



١٥٩/٨٩ ؛ ١٥١/٩٣ ؛ ٣٧/١٠٥ ؛ ١١٠ ، ٣٣٧/١١١ ؛ ٣٢/١١٦ ،
٥١ ، ٥٥ ؛ ٢٣٦/١١٨ .

سورة الأنعام :

آية : ٤٤/٦ ؛ ٣٧/١٠ ؛ ٢٦٥/٢٧ ؛ ٢٠٥/٢٨ ؛ ٣١٨/٣١ ؛ /٣٣
١١٣ ؛ ٢٩/٦ ؛ ٤٢ ، ٤٣ ، ٣١٣/٤٤ ؛ ١١١/٥٢ ؛ ٣١٦/٥٩ ؛
٨١/٦٨ ؛ ٢٥٨/٧٦ ؛ ٢٨/٧٩ ؛ ٣٧/٨٠ ؛ ٣٧/٨٣ ؛ ١٤٥/٩٣ ؛
٢٦٦/٩٦ ؛ ١٤٦/١٠٣ ؛ ٢٦٥/١١٢ ؛ ٣٢/١٢٢ ؛ ١٤٤/١٤٧ ؛
١٠٦/١٥١ ، ١٣٣ ، ٢٣٩ ؛ ٨٢/١٦٠ .

سورة الأعراف :

آية : ١٣٥/١٢ ؛ ٤٣/٢٦ ؛ ٤٠ ، ٥٦ ؛ ٧٥ ، ١٠٥/٧٦ ؛ /٨٨
٢٢٩ ؛ ٢٤٤/١٤٣ ؛ ٣٢/١٤٦ ؛ ١٥٠ ، ٢٣/١٥٤ ؛ ١٤٥/١٥٦ ؛
٥٨/١٧١ ؛ ٢٠٧/١٧٥ ؛ ٤١/١٧٦ ، ٦١ ؛ ٢٢٠/١٨٠ ؛ /١٩٥
١٥٢ ؛ ٨١/١٩٩ ، ١٦٧ ؛ ٢٠١ ، ٢٢٨/٢٠٢ .

سورة الأنفال :

آية : ١٧٦/٢ ؛ ١٢٠/٧ ؛ ١١٨/١٧ ، ٣٠٤ ؛ ١٥٣/٢٣ ؛ ١٠٥/٣١ ،
١٨٨ ؛ ٣٣ ، ٢١٥/٣٤ ؛ ٤٢ ، ١١٨/٤٣ ؛ ٨٢/٥٨ ؛ ١٠٩/٦٨ .

سورة التوبة :

آية : ٥٩/١٩ ؛ ١٩٠/٣٠ ؛ ٢٨/٣٨ ؛ ٩٧/٥٢ ؛ ٦٧ ، ٢١٧/٧١ ؛
٨١/١٠٣ ؛ ١٥٦/١١١ .

سورة يونس :

آية : ١٥٠/٤ ؛ ٦٧/١٢ ؛ ٢٦٦/٣١ ؛ ٣٥ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، /٤٤
١٦١ ؛ ٣٠٨/٧١ ؛ ١٠٢/٩٢ .

سورة هود :

آية : ١٣٧/٢٤ ؛ ٢٠٨/٣٦ ؛ ٣٧ ، ٨٠/٣٨ ، ٣٤١ ؛ ٨٠/٤٤ ،
٩٣ ، ١٦٤ ، ١٧٩ ، ٢٤١ ، ٣٤٠ ؛ ٥١/٨٧ ؛ ١٠٩/٩١ ؛ ٤٩/٩٥ ؛
١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٥٤/١٠٨ ؛ ٧٨/١١٢ ، ١٦٢ ؛ ١٦٧/١٢٣ .



سورة يوسف :

آية : ٣/١٦٩ ؛ ٢٥/١١٤ ؛ ٣١/٥١ ؛ ٥١ ، ٥٢/١١٤ ؛ ٣٨/١٤١ ؛ ٤٢/١٠٤ ؛ ٨٢/١٧٩ ؛ ٨٥/٧٧ ؛ ٨٦/١٠٧ ، ١٦٦ ؛ ٨٧/١٦٧ ؛ ٩٦/١٠٢ ؛ ١٠٠/٢٤١ .

سورة الرعد :

آية : ٨/٣٣ ؛ ٩/١٥٩ ؛ ١٠/٥٧ ؛ ١٢/٦٥ ؛ ٣٨ ، ٣٩/١٠٤ .

سورة إبراهيم :

آية : ١٧/٢٥١ ؛ ٢٥/١٧٦ .

سورة الحجر :

آية : ٣٠ ، ٣١/١٢١ ؛ ٤٤/١١٤ ؛ ٤٨/١٣١ ؛ ٧٢/١١٢ ؛ ٩٤/٢٢ .

سورة النحل :

آية : ٩/٨٧ ؛ ٢٦/٢٤٤ ؛ ٣٧/٤٦ ؛ ٦٩/١٩٥ ؛ ٩٠/٨١ ، ١٨٣ ؛ ١٠٣/٢٢٦ ؛ ١١٢/١٩ ؛ ١٢٧/١١٣ .

سورة الإسراء :

آية : ٧/٨٧ ؛ ١٦/٢٢٨ ؛ ٢٣ ، ٢٤/١١٦ ؛ ٣١/٣٧ ؛ ١٠٦ ؛ ٣٣/ ٨١ ؛ ٣٤/٢٥ ؛ ٤٤/٢١٢ ؛ ٥٠ ، ٥١/٢٣٧ ؛ ٥٥/١٠٢ ؛ ١٠٥/١٨٩ .

سورة الكهف :

آية : ٦/١١٣ ؛ ١٨/٦٣ ؛ ٣٤/٥٧ ؛ ٧٧/٢٠٣ ؛ ٩٩/٢١ ؛ ١٠٤/٢٩ .

سورة مريم :

آية : ٤/٢٠ ؛ ٥٢/٩٤ ؛ ٧٢/٢٩٩ .

سورة طه :

آية : ١٧ ، ١٨/١٢٦ ؛ ٨٢/٥٥ ؛ ٩٤/٣٠ ؛ ١١٨ ، ١١٩/١٣٩ ؛ ١٥٢/٣١٧ .



سورة الأنبياء :

آية : ٢١/١٨ ؛ ٣٩/٣٢ ؛ ٢٤٤/٣٢ ؛ ١٥٦/٣٤ ؛ ٥١/٦٢ ؛ ٩٨ ،
٣٩/٩٩ ؛ ٢١٥/١٠٢ .

سورة الحج :

آية : ٣٤/٥ ؛ ٣٨/٧ ؛ ٢٠٠/٧٣ ، ٢٢٠ ؛ ١٢٥/١٣٤ .

سورة المؤمنون :

آية : ١٥٥/١ ؛ ٢ ، ٣٣/٣ ؛ ٥ ، ١٥٥/٧ ؛ ١٠٥/٣٤ ؛ ١٥١/٣٦ .

سورة النور :

آية : ١٩٠/١ ؛ ٥٧/٣٤ ؛ ٦٠/٣٥ ، ٢٣٠ ؛ ٥٦/٣٩ ، ٥٨ ؛
٢٥٧/٤٣ ؛ ٧٥/٤٥ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ؛ ٤٨ ، ٤٩ ، ٢٩٣/٥٠ ؛ ٢٧١/٦١

سورة الفرقان :

آية : ٢٠٣/٢ ؛ ٢٨ ، ٦٤/٢٩ ؛ ٢٤/٦٠ ؛

سورة الشعراء :

آية ٩٩/٧٨ ، ١٦٢ ؛ ٧٨ ، ٧٩ ، ٩٩/٨٠ ، ١٦٢ ؛ ٨١ ، ٨٢ ،
٩٩/٨٣ .

سورة النمل :

آية : ٩١/٨٠ ؛ ٦٠/٨٨ ؛ ١٥٧/٩١ ؛ ٨٧/١٨٨ .

سورة القصص :

آية : ١٩٨/٧ ؛ ٢٣ ، ١٨٦/٢٤ ؛ ٨٣/٤٤ ؛ ٢٩/٤٥ ؛ ٩٤/٤٦ ؛
١٧٢/٧٠ ؛ ٧١ ، ١٤٧/٧٢ ؛ ٧٣/٧٣ .

سورة العنكبوت :

آية ١٢٢/١٤ .



سورة الروم :

آية : ٧/٩٨ ؛ ١٧ ، ١٨/٦٥ ؛ ١٩/٢٦٦ ؛ ٢٧/٣٩ ؛ ٣٠/٣٠٦ ؛ ٤٣/٢٨ ؛ ٧٢/٢٧٠ .

سورة لقمان :

آية : ٢٧/٧١

سورة السجدة :

آية : ٤/٢٥٢ ؛ ٢٦ ، ٢٧/١٤٨ .

سورة الأحزاب :

آية : ٦/٦٠ ؛ ٢٥/١٤٨ ؛ ٣١/١٠٨ ؛ ٤٠/١٢٤ ؛ ٥٠/٤٤ .

سورة سبأ :

آية : ٢٣/٢٢٩ .

سورة فاطر :

آية : ٨/١١٢ ؛ ٩/١٧٧ ؛ ١٦ ، ١٧/٤٥ ؛ ٢٧/٢٤٢ ؛ ٣٢/٧٥ ؛ ٤٢/٧٨ .

سورة يس :

آية : ٥/٢٠٥ ؛ ١٦ ، ١٧ ، ٢٦ ، ٢٧/٩٠ ؛ ٣٦/٧٩ ؛ ٣٧/٩١ ؛ ٣٩/٢٠٥ .

سورة الصافات .

آية : ٧٢ ، ٧٣/٢٩ .

سورة «ص» :

آية : ٢٤/٢٤٤ ؛ ٣٢/١٨٠ .

سورة الزمر :

آية : ١٠/٥٦ ؛ ٤٢/٢٢٥ ؛ ٥٦/٦٤ .

سورة غافر :

آية : ١٨/١٥٢ .

سورة فصلت :

آية : ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢/٢٥٢ ؛ ٥١/٢١٨ .

سورة الشورى :

آية : ٢٨/٦٦ ؛ ٤٠/٢٨ ، ٨١ ، ١٦٢ ؛ ٤٩ ، ٥٠/٦٨ .

سورة الزخرف

آية : ٤/٢٠ ؛ ٥/٢٠٥ ؛ ٣٢/٢١٣ ؛ ٣٦/٢١٦ ؛ ٣٩/٢٠٥ ؛ ٧١/٨٢ ؛ ٨١/٣٩ .

سورة الدخان

آية : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٥١ ، ٤٠/٢٠٥ .

سورة الجاثية

آية : ٣ ، ٤ ، ٥/٢٣٤ .

سورة القتال (محمد) :

آية : ٢١/١٩٠ .

سورة الفتح :

آية : ٢٩/٥٢ ، ١٤٤ .

سورة الحجرات :

آية : ١٢/٥٥ ؛ ١٤/١٢١ ، ١٣١ .

سورة « ق »

آية : ١ ، ٢/١٠٨ ، ١٥٠ ؛ ٣/١٠٨ .

سورة الذاريات :

آية : ٢٣/١١٢ ؛ ٤١/٢١ .

سورة الطور :

آية : ١ ، ٢/٢٢٧ .

سورة النجم :

آية : ٣١/١٦٢ ؛ ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥/٣٣ ؛ ٤٩/٢١٢ ؛ ٥٨/ ٨٧ .



سورة القمر :

آية : ١٢/٢٠ ؛ ٢٤/٥١ .

سورة الرحمن :

آية : ١ ، ٢/١٠٩ ؛ ٣ ، ٤/١٠٩ ، ٢٢١ ؛ ٥ ، ٦/١٠٩ ؛ ٢٤/٥٩ ؛
٢٦ ، ٢٧/٢٩٦ ؛ ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦/٢٣٢ ؛ ٥٤/٢٩ ؛ ٥٦/٨٤ .

سورة الواقعة :

آية : ١٠ ، ١١/١٥١ ؛ ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥/٦٨ ، ١٠٠ ؛ ٦٨/١٠٠ ؛ ٧٠/
٦٨ ؛ ٧١/١٠١ ؛ ٨٩/ ٢٩ .

سورة المجادلة :

آية ٣/١١٦ .

سورة الممتحنة

آية : ١٠/١١١ .

سورة الحشر :

آية : ٩/٨٢ .

سورة الجمعة :

آية : ٥/٦١ .

سوره المنافقون :

آية : ٨/ ٣١٥ .

سورة التحريم :

آية ٦ /١١٦ .

سورة القلم :

آية : ١ ، ٣ ، ٤ / ١٥٠ ، ٢٢٨ .

سورة الحاقة :

آية : ١ ، ٢ / ١٥١ ؛ ١١/ ٢٣ ؛ ١٧/٢٥٥ ؛ ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦/٨٤ .



فهرس الشعر والشعراء

فهرس الأعلام والأمم والقبائل

[هذه العلامة (=) معناها انظر]

(ا)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)



(س)

(ش)

(ص)



(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)



(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهرس مراجع المؤلف

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع والخط
أجناس التجنيس	للثعالبى	غير موجود
إحياء علوم الدين	للغزالى	مطبوع
أسباب النزول	للواحدى	»
أسرار البلاغة	لعبد القاهر الجرجانى	»
اعجاز القرآن	للباقلانى	»
الإقناع فى العروض	للصاحب بن عبا	مخطوط
الأمالى	للشريف المرتضى	مطبوع
الأمثال	للرامهرمزى	غير موجود
الأمثال	لابن سلام	مطبوع
الأمثال	للميدانى	»
أمثال القرآن	لابن حبيب	غير موجود
الأمثال والحكم من كلام سيد الأمم	لأبى اح[illegible] عسكرى	مخطوط
البديع	للأجدابى	غير موجود
»	للتبريزى	مخطوط
البديع	للتيفاشى	غير موجود
»	لأسامة بن منقذ	مخطوط
»	لابن المعتز	مطبوع
البلاغة	للرمانى	غير موجود
البيان والتبيين	للجاحظ	مطبوع
تزييف نقد قدامة	لابن رشيق	غير موجود
التعريف والإعلام بما أبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام	للسهيلى	مخطوط

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع والخط
تفسير القرآن	لابن صمادح	غهر موجود
» »	لابن عطية	مخطوط
التمثيل والمحاضرة	للثعالبي	»
تنزيه الأنبياء عليهم السلام	للشريف المرتضى	غير موجود
تنقيح البلاغة	لمحمد بن احمد العميدى	»
الجامع الكبير فى التفسير	للرمانى	»
جواهر القرآن	للغزالى	مطبوع
الحديقة	للحجارى	غير موجود
حلية المحاضرة	للحاتمى	»
الخريدة	للعماد الاصفهانى	مخطوط
الخطب النباتية	لابن نباته	مطبوع
درة التنزيل وغرة التأويل	للخطيب الإسكافى	مطبوع
دلائل الإعجاز	لعبد القاهر الجرجانى	»
دلائل النبوة	للبيهقى	مخطوط
دمية القصر	للباخرزى	»
رسالة على شعر أبى تمام	للصولى	»
رسالة على شعر أبى نواس	للصولى	»
» » » المتنبى	للحاتمى	مخطوط
رسالة فى البلاغة	للقاضى الفاضل	موجود
رسالة فى التبكيت على المتنبى	لابن عباد	مطبوع
رسالة فى الرد على قدامة	للآمدى	غير موجود
رسائل	للبديع الهمذانى	مطبوع
الروض الأنف	للسهيلى	مطبوع
السبيل الى معرفة سبل التنزيل	الشريف المرتضى	غير جو د
سر الفصاحة	لابن سنان الخفاجى	مطبوع
شرح أسماء الله الحسنى	لابن البرجان	غير موجود

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع والخط
شرح أسماء الله الحسنى	لفخر الدين بن الخطيب	مخطوط
شرح الأشراق	للبلاذرى	مطبوع (ج١)
شرح الأشعار الستة	للسكرى	مخطوط
شرح حديث أم زرع	للقاضى عياض	«
شرح الحماسة	للتبريزى	مطبوع
شرح سقط الزند	للبطليوسى	«
شرح المقصورة	لابن خالويه	مخطوط
الشفا فى تعريف حقوق المصطفى	للقاضى عياض	مطبوع
الصناعتين	لأبى هلال العسكرى	«
طيف الخيال	للشريف المرتضى	«
العقد الفريد	لابن عبد ربه	«
العمدة	لابن رشيق	«
الفصل والوصل	لابن البرجان	غير موجود
فوائد القرآن	القاضى عبد الجبار	«
قلائد العقيان	لابن خاقان	مطبوع
كتاب الصرفة	للشريف المرتضى	غير موجود
الكشاف	للزمخشرى	مطبوع
كشف الظلامة	للموفق البغدادى	غير موجود
المثل السائر	لابن الأثير	مطبوع
المجاز	لأبى عبيدة	«
«	للشريف المرتضى	«
محاضرات الأدباء	للراغب الأصفهانى	«
المحرر الوجيز فى التفسير	للواحدى	مخطوط
المستقصى فى أمثال العرب	للزمخشرى	«
مفاتيح الغيب	لفخر الدين بن الخطيب	مطبوع
المقامات	للبديع الهمذانى	«

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع والخط
المقامات	للحريري	مطبوع
المنصف	لابن وكيع التنيسى	مخطوط
الموازنة	للآمدي	مطبوع
نظم القرآن	للجاحظ	غير موجود
نقد الشعر	لقدامة بن جعفر	مطبوع
نقد النثر	« « «	مطبوع
النكت فى إعجاز القرآن	للرمانى	مطبوع
نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز	لفخر الدين بن الخطيب	مطبوع
نهج البلاغة	للإمام على بن أبى طالب	مطبوع
الوساطة	للجرجانى	مطبوع
الوشى المرقوم	لابن الأثير	مطبوع
اليتيمة	للثعالبي	مطبوع

فهرس مراجع التحقيق

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع مكانه وتاريخه
القرآن	—	المطبعة الأميرية ١٣٦٨ هـ
أساس البلاغة	للزمخشري	مصر سنة ١٩٥٣ م
الاستدراك	لابن الأثير ضياء الدين	مخطوط بدار الكتب
أسرار البلاغة	لعبد القاهر الجرجاني	مصر ١٣٦٧ هـ
الأغاني	لأبي الفرج الأصفهاني	دار الكتب المصرية
الإفصاح	لعبد الفتاح الصعيدي وزميله	مصر ١٩٢٩ م
الأمالي	لأبي علي القالي	دار الكتب المصرية
أمالي المرتضى	للشريف المرتضى	مصر ١٩٥٥ م
أنوار الربيع	لابن معصوم	طبع حجر ١٠٩٣ هـ
أنيس الجلساء شرح ديوان الخنساء	لم يعرف شارحه	مطبوع
الإيضاح	للقزويني	مصر ١٩٥٠ م
البداية والنهاية	لابن كثير	مصر ١٣٤٨ هـ
البديع	لابن المعتز	مصر ١٩٤٥ م
«	لابن منقذ	مخطوط رقم ٥ بلاغة
بلوغ الأرب	لجرمانوس فرحات	« ١٤٩ بلاغة
البيان والتبيين	للجاحظ	مصر ١٩٤٩ م
تاج العروس	للسيد مرتضى الزبيدي	مصر ١٣٠٦ هـ
تاريخ بغداد	للخطيب البغدادي	مصر ١٩٣١ م
التبيان في علم البيان	للزملكاني	مخطوط ٣٩٥ بلاغة
تحرير التحبير	لابن أبي الإصبع	مخطوط ٤٦٥ بلاغة
التلخيص	للقزويني	مصر سنة ١٢٩٧ هـ
تنزيل الآيات على الشواهد من الابيات	محب الدين (أفندي)	مصر ١٢٨١ هـ
الجامع الصغير	لجلال الدين السيوطي	مصر ١٢٨٦
الجامع الكبير	لابن الأثير	المجمع العلمي العراقي ببغداد ١٩٥٦

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع مكانه وتاريخه
الجامع لأحكام القرآن	للقرطبي	دار الكتب المصرية
جواهر الألفاظ	لقدامة	مصر ١٩٣٢ م
حسن التوسل	لشهاب الدين أبي الثناء الحلبي	مصر ١٢٩٨ هـ
الحماسة	شرح التبريزي	مدينة بن ١٨٢٨ م
الحماسة البصرية	للحسن على البصرى	مخطوط ٥٠٢ أدب
الحيوان	للجاحظ	مصر ١٩٣٨ م
خزانة الأدب	للبغدادى	مصر ١٢٩٩ هـ
خزانة الأدب	لابن حجة الحموى	مصر ١٢٠٤ هـ
الخطب النباتية	لابن نباته السعدى	بيروت ١٣١١ هـ
دلائل الإعجاز	لعبد القاهر الجرجانى	مصر ١٣٦٧ هـ
ديوان	ابى تمام	بيروت سنة ١٨٨٩ م
»	»	مصر ١٩١٨ هـ
»	ابى نواس	مصر ١٩٥٤ هـ
ديوان	الأخطل	بيروت ١٨٩١ م
»	اعشى ميمون	اوربا ١٩٢٧ م
»	امرىء القيس	مصر سنة ١٣٠٨ هـ
»	البحترى	الجوائب ١٣٠٠ هـ
»	جرير	مصر ١٩٣٥ م
»	الحطيئة	ليبسك ١٨٩٣ م
ديوان	الخنساء	بيروت ١٨٨٨ م
»	ذى الرمة	اوربا ١٩١٩ م
»	زهير بن أبى سلمى	دار الكتب المصريه
»	سحيم عبد بنى الحسحاس	» »
»	سراقة البارقى	مصر سنة ١٩٤٧ م
»	طفيل الغنوى	أوربا ١٩٢٧ م

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع مكانه وتاريخه
ديوان	(العجاج بن رؤبة)	مخطوط ٤٥ أدب
»	عمر بن أبي ربيعة	مصر ١٣٣٠ هـ
»	عنترة العبسي	هندية ١٨٩٨ م
»	الفرزدق	مصر ١٩٣٦ م
»	كثير	أوربا ١٩٢٨ م
»	المتنبي بشرحي العكبري والبرقوقي	سنة ١٢٨٧ هـ ، ١٩٣م
»	النابغة الذبياني	باريس ١٨٦٩
»	الهذليين	دار الكتب المصريه
رغبة الآمل من كتاب الكامل	لسيد بن علي المرصفي	مصر ١٩٢٨
روح المعاني	للالوسي	مصر ١٢٥٤ هـ
روضة الفصاحة	لزين الدين بن احمد الرازي	(مخطوط)
زهر الآداب	للحصري القيرواني	مصر ١٩٢٦ م
سر الفصاحة	لابن سنان الخفاجي	مصر ١٩٣٢م
سمط اللآلئ	لأبي عبيد البكري (تحقيق الميمني)	دار الكتب المصرية
سنن ابن ماجه	للإمام الحافظ القزويني	مصر ١٩١٣م
سيف بني مروان	للأستاذ عبدالرزاق حميده	مصر ١٩٤٧ م
شرح المعلقات	التبريزي	كلكته ١٨٩٤م
شرح المفصل	لابن يعيش	أوربا ١٨٨٦ م
شعراء النصرانية	جمع الأب لويس شيخو	بيروت ١٨٩٠ م
الشفاء	للقاضي عياض	الاستانة ١٢٩٠ هـ
صبح الأعشى	لأبي العباس القلقشندي	مصر ١٩١٣ م
صحيح مسلم	لمسلم بن الحجاج القشيري	مصر ١٣٣٠ هـ
الصناعتين	لأبي هلال العسكري	مصر ١٩٥٢م
الطراز	ليحيى بن حمزة العلوي	مصر ١٩١٤م
عروس الأفراح	لبهاء الدين السبكي	مصر ١٣١٨ هـ

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع مكانه وتاريخه
العقد الفريد	لابن عبد ربه	مصر ١٩٤٠م
العمدة	لابن رشيق	مصر ١٩٠٧م
عيار الشعر	لابن طباطبا	مصر ١٩٥٦م
عيون الأخبار	لابن قتيبة	دار الكتب المصرية
الفاضل	للمبرد	« « «
الفرق في أسماء الفرق	لأبي منصور عبد القاهر البغدادي	مصر ١٣٢٢ هـ
القاموس	للفيروزابادي	مصر
قواعد الشعر	لثعلب	لندن ١٨٩٠م
الكامل	للمبرد	ليبسك ١٨٨١م
الكتاب	لسيبويه	مصر ١٣١٦ هـ
الكشاف	للزمخشري	مصر ١٣١٩ هـ
كشف الخفاء	للعجلوني	مصر ١٣٥٢ هـ
الكنز المدفون والفلك المشحون	ليونس المالكي	مصر ١٣٠٣ هـ
لامية العجم	للطغرائي	مصر ١٢٩٦ هـ
لامية العرب	للشنفرى	مصر ١٣٢٤ هـ
لسان العرب	لابن منظور المصري	—
المثل السائر	لابن الأثير	مصر ١٢٨٢ هـ
مجاز القرآن	لأبي عبيدة معمر بن المثنى	مصر ١٩٥٤ م
المجلة الألمانية الشرقية لسنة ١٨٥٣	—	—
مجمع الأمثال	للميداني	مصر ١٢٨٤ / ١٣٤٢هـ
محيط المحيط	لبطرس بن بولس	بيروت ١٨٦٩ م
مختار الشعر الجاهلي	لمصطفى السقا	مصر ١٩٤٩ (ج١)
المخصص	لابن سيده	مصر ١٣١٨
المصباح المنير	للفيومي	—



اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع مكانه وتاريخه
معاهد التنصيص	لعبد الرحيم احمد العباس	مصر ١٩٤٧
معجم الأدباء	لياقوت	مصر ١٩١٨
مفتاح العلوم	للسكاكى	مصر ١٣١٧
المفضليات	للمفضل الضبى	بيروت ١٩١٢
		اوربا ١٨٨٥ م
المقصورة	لابن دريد	الجوائب ١٢٠٠
		ايطاليا ١٧٧٣
الملل والنحل	للشهرستانى	مصر ١٢٨٨
منتهى الطلب	محمد بن المبارك بن ميمون	مخطوط رقم ٥٣ ش
الموازنة	للآمدى	مصر ١٩٤٤
المؤتلف والمختلف	للأزدى	الهند ١٣٢٣ هـ
الموشح	للمرزبانى	مصر ١٣٤٣ هـ
النشر فى القراءات العشر	لابن الجزرى	دمشق ١٣٤٥ هـ
النقائض	لأبى عبيدة	لندن ١٩٠٨ م
نقد الشعر	لقدامة	الجوائب ١٣٠٢
النكت فى إعجاز القرآن	للرمانى	مخطوط ٢٩٨ تفسير تيمور
النهاية	لابن الأثير	مصر ١٩١١ م
نهاية الأرب	للنويرى	طبع دار الكتب المصرية
نهاية الايجاز فى دراية الإعجاز	للرازى	مصر ١٣٢٧ هـ
الهول المعجب فى القول بالموجب	للصفدى	مخطوط ٤٣٥ بلاغة
الوساطة	لعلى بن عبد العزيز الجرجانى	مصر ١٩٥١ م
يتيمة الدهر	للثعالبى	دمشق ١٣٠٤ هـ

فهرس الايام